

سيرة الملك السلطان الظاهر بيبرس

٦٥٨ - ٦٧٦ هـ

١٢٦٠ - ١٢٧٧ م

ميخائيل نجم خوري

Submitted in partial fulfillment of the requirements  
of the Degree of Master of Arts,  
in the History Department of the,  
American University of Beirut,

Beirut,

LEBANON.

1961.

# سيرة الملك السلطان الظاهر بيبرس

٦٥٨ - ٦٧٦ هـ

١٢٦٠ - ١٢٧٧ م

مخايل نجم خوري

ملاحظة: تتضمن الأطروحة في آخرها اي بعد الصفحة ٢٥٣

"تاريخ ابن الفرات

وهو تاريخ الدول والملوك"

المجلد السادس - الجزء الأول

لناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات

صفحاتها ١ - ٢٠٦

سيرة الظاهر بيبرس

مخائيل خوري

في منتصف القرن الميلادي الثالث عشر / الهجري السابع استطاع المماليك ان يقضوا على السلطنة الايوبية ويستولوا على الحكم باسم المحافظة على السلطنة السابقة . ثم حدث في العراق حدث آخر هو سقوط بغداد بيد التتار وانتهاء الخلافة العباسية فيها . واذا اضفنا الى ذلك ان الصليبيين كانوا مستولين على شاطئ بلاد الشام ، ولا يزالون يهددون بالتوسع ادركنا مدى الاضطراب الذي كان يسيطر على المنطقة في هذه الفترة . وفي هذه الفترة بالذات برز بين المماليك رجل هو الظاهر بيبرس استطاع خلال بضعة عشر عاما ان يدرك حقيقة الموقف ويستغله لصالحه ، بما له من حنكة ودراية ومقدرة ، واستطاع ، فوق ذلك ، خلال بضعة عشر عاما من سلطنته ان يقف بوجه الزحف المغولي الى بلاد الشام ومصر ، وان يكبل الضربات العنيفة القاضية للدويلات الصليبية ، وان يوطد ، بالتالي ، سلطنة المماليك .

تناولت هذا الرجل من النواحي المختلفة الشخصية والادارية ، والسياسية والعسكرية . ووجدته لا يبدع للناحية الشخصية وزنا الا بمقدار ما تخدم فيه النواحي الاخرى . وهو في هذه النواحي رجل / من الدرجة الاولى <sup>دولة</sup> . وقد تناولت هذه النواحي بصورة مفصلة بقدر ما استطعت ان اجد في المصادر من معلومات دقيقة حول هذه النواحي . ثم خلصت الى القول ان هذا الرجل كان سائرا في مخطط عام فرضته الظروف حين جعلته مدافعا عن الاسلام ضد عدوين تترى وصليبي لانشاء سلالة من ذريته تحكم هذه المنطقة ، لكن هذه المحاولة فشلت وبقي من المخطط عداء مستمر ادى في النهاية الى انغلاق وانعزال .

والرسالة في شخصية فصول . تناولت في الفصل الاول منها المصادر التي اعتمدتها مبينا منها ما كان اكثرها فائدة في هذه الدراسة . وقد اعتمدت طريقة التسلسل التاريخي في سردها .



ثم جعلت الفصل الثاني تمهيدا بينت فيه الحالة العامة في السنوات الاخيرة

من عهد السلطنة الايوبية والسنوات الاولى من عهد المماليك — والاحداث الاخرى الخطيرة في هذه الفترة • وبعد ذلك انتقلت الى الحديث عن بيبرس • فحاولت جهد المستطاع ان ارسم له صورة في حياته قبل السلطنة منذ ان شرد عن اهله حتى نال السلطنة اثر اغتيال قطز • ولا ريب انه كانت لهذه السنوات اهمية كبيرة في تكوين شخصية بيبرس • وانتقلت بعد ذلك الى العهد الثاني من حياة هذا الرجل — وهو عهد السلطنة • كان عليه في البداية ان يقمع ثورات قامت عليه فور تسلم السلطنة، ويخلص من المناوئين •

وفي الفصل الخامس تناولت التنظيمات الداخلية التي اجراها بيبرس فظهرت

اهدافه السلافية واجراءاته الادارية لتوطيد السلطنة • والواقع ان هذا الفصل متم للفصل السابق •

وفي الفصل السادس تناولت علاقاته الخارجية مع التتر والصليبيين والسلاجقة

والروم والارمن والاحباش والدويلات الاوروبية • وقد تبين لي هنا ان السلطان الظاهر قائد عسكري كبير ورجل دبلوماسي قدير استطاع ان يقود سفينته خلال هذا البحر الهائج الى شاطئ السلامة • ثم تحدثت عن منشآته في الفصل السابع واتيت على بعض نواحي المجتمع المملوكي في الفصل الثامن • وبعد هذا كان لا بد من تقييم لهذا الرجل فجعلت الفصل التاسع موضوع هذا التقييم • وقد حشدت فيه آراء المؤرخين القدماء والحديثين، قبل ان حاولت ابداء رأيي الخاص به •

جدول بالمصادر والمراجع العربية والاجنبية

الفصل الاول - الاصول والمراجع ٢٢ - ١

الفصل الثاني - تمهيد في الحالة السياسية للطفة قبل  
سلطنة الملك الظاهر ٤٦ - ٢٣

- ٢٣ ٠١ عوامل متصارعة في بلاد الشام ومصر
- ٢٥ ٠٢ صراع بين الابويين
- ٢٧ ٠٣ فرقة المماليك البحرية
- ٣١ ٠٤ المعظم تورانشاه
- ٣٣ ٠٥ شجر الدر
- ٣٥ ٠٦ عز الدين ايبك التركماني
- ٣٩ ٠٧ المنصور نور الدين علي
- ٤١ ٠٨ سيف الدين قطز

الفصل الثالث - بيبرس قبل السلطنة ٦٦ - ٤٧

- ٤٧ ٠١ البداية
- ٤٩ ٠٢ في عهد الملك الصالح نجم الدين ايوب
- ٥٢ ٠٣ في عهد عز الدين ايبك
- ٥٣ ٠٤ في بلاد الشام - الفارس الضال
- ٥٧ ٠٥ عودته الى مصر
- ٥٨ ٠٦ في معركة عين جالوت
- ٦٠ ٠٧ اغتيال قطز

الفصل الرابع - بيبرس يوطد سلطانه ٩٩ - ٦٧

- ٦٧ ٠١ الادارة الجديدة
- ٧٠ ٠٢ ثورات ومحاولات انفصالية
- ٧١ سنجر الحلبي
- ٧٤ شمس الدين البرلي
- ٧٧ المغيث صاحب الكرك
- ٨٢ سيف الدين الرشيدى

٨٤	٠٣ احياء الخلافة
٩٥	٠٤ معاملته للامراء
٩٧	٠٥ رجال الدين
٩٩ — ١٤٤	الفصل الخامس — بيبس في سياسته الداخلية وتنظيماته الادارية
٩٩	٠١ القضايا الداخلية
٩٩	الاعراب
١٠٢	الاسماعيلية
١٠٥	النوبة
١٠٨	سياسته الدينية
١١٢	٠٢ الجهاز الادارى
١١٢	السلالية
١١٦	القوات المسلحة
١١٧	اقسام الجيش
١١٧	عدده
١١٨	نققاته
١١٩	قيادته
١٢٠	معاملة الجند
١٢٠	لباس الجند
١٢٠	الاستعراضات العسكرية
١٢٢	التدريب العسكرى
١٢٣	القوات البحرية
١٢٤	٠٣ الادارة
١٢٦	مقابلتها مع الادارة الايوبية
١٢٦	موظفو الظاهر
١٢٩	لقب السلطان
١٣٠	الدار السلطانية
١٣٠	الموظفون
١٣٥	البريد
١٣٥	التجسس

١٣٧	الاقسام الادارية
١٣٧	خصائص الحكومة المملوكية
١٣٩	٠٤ القضاء
١٤٥ - ١٧١	الفصل السادس - بيمرس في علاقاته الخارجية - قسم اول
١٤٦	٠١ التتر - المرحلة الاولى
١٥١	المرحلة الثانية
١٥٢	المرحلة الثالثة
١٦١	٠٢ القباشاق
١٦٥	٠٣ الكرج
١٦٥	٠٤ السلاجقة
١٦٦	٠٥ ارمينيا
١٧٠	٠٦ الاشكرى
١٧٢ - ٢٠٧	الفصل السادس - بيمرس في علاقاته الخارجية - قسم ثان
١٧٢	٠٧ الصليبيون
١٧٥	المرحلة الاولى
١٨٠	المرحلة الثانية
١٨٨	المرحلة الثالثة
٢٠٢	قبرص
٢٠٤	٠٨ الدول الاوروبية
٢٠٥	اسباب نجاح الظاهر على التتر والفرنجة
٢٠٦	٠٩ اليمن
٢٠٧	٠١٠ الحبشة
٢٠٨ - ٢٢١	الفصل السابع - شخصية الظاهر ومنشاته
٢٠٨	حياته الخاصة
٢١١	هيئته
٢١١	صفاته
٢١٣	منشاته

الفصل الثامن - حول المجتمع المملوكي في عهد الظاهر

٢٢٢ - ٢٢٣

ميزانه

٢٢٢

الحالة الاقتصادية العامة

٢٢٥

المجاعات

٢٢٩

معاملة النصارى

٢٣٠

العلم والادب

٢٣٢

الفصل التاسع - وفاة الظاهر ومكانته - خاتمة

٢٣٤ - ٢٥٣

وفاته

٢٣٤

اراء المؤرخين فيه

٢٣٩

مكانته وخاتمة

٢٤٧

## جدول بالمصادر والمراجع

- ٠١ . يا قوت الرومي ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م
- ٠٢ . ابو شامة ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م
- ٠٣ . ابن الساعي ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م
- ٠٤ . ابن العبري ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م
- ٠٥ . ابن عبد الظاهر ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م
- ٠٦ . ابن الفوطي ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م
- ٠٧ . اليونيني ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م
- ٠٨ . ابو الفداء ٧٣٣هـ / ١٣٣١م
- معجم البلدان . خمسة اجزاء  
بيروت ، دار صادر ، ١٩٥٥ - ١٩٥٧
- تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف  
بالذيل على الروضتين . صححه محمد زاهد بن  
الحسن الكوثري وعني بنشره عزت المطار الحسيني  
سلسلة " كتب نادرة " مصر ١٩٤٧م / ١٣٦٦هـ .
- الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعمون السير .  
الجزء التاسع . نشره الدكتور مصطفى جواد .  
المطبعة السويانية الكاثوليكية . بغداد ١٩٣٤م /  
١٣٥٣هـ .
- تاريخ مختصر الدول . وقف على طبعه الاب انطون  
الصالحاني . المطبعة الكاثوليكية بيروت . ١٨٩٠م /  
١٣٠٨هـ .
- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر . قسم رابع .  
نشر وتحقيق سيدة فاطمة صادق في مؤلفها .  
Baybars I of Egypt. O.U.P. 1956.
- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المثة  
المساعدة نشره الدكتور مصطفى جواد . المكتبة  
المرمية بغداد ١٣٥١هـ .
- الذيل على مرآة الزمان . جزآن . حيدرآباد  
الليكن . مجلس دائرة المعارف العثمانية ١٩٥٤ -  
١٩٥٥ .
- المختصر في اخبار البشر . ٤ أجزاء .  
القسطنطينية ١٢٨٦هـ .

٠٩ الذهبي ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م

٠١٠ —

٠١١ ابن أبي الفضائل ٧٥٩هـ / ١٣٥٨م

٠١٢ ابن أبيك الصفدي ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م

٠١٣ —

٠١٤ ابن شاكرا الكتبي ٧٦٤هـ / ١٣٦٣

٠١٥ اليافعي ٧٦٨هـ / ١٣٦٧م

٠١٦ ابن كثير ٧٧٤هـ / ١٣٧٢

٠١٧ ابن الفرات ٨٠٨هـ / ١٤٠٥

٠١٨ القلقشندي ٨٢١هـ / ١٤١٨

تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام

خمس اجزاء • القاهرة • مكتبة القدسي ١٣٦٧هـ

دول الاسلام • جزآن • حيدرآباد الركن • مطبعة

المعارف النظامية ١٣٣٧هـ

النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ

ابن العميد نشره E. Bloche باريس ١٩١٩-١٩٢٩

الوافي بالوفيات • نشره • ريتروس • ويدرنج •

النشرات الاسلامية لجمعية المستشرقين الالمانية •

١٩٣١ - ١٩٥٢

امراء دمشق في الاسلام • تحقيق صلاح الدين المن

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٥ •

فوات الوفيات • جزآن • حققه وضبطه وعلق

حواشيه محي الدين عبد الحميد • مكتبة النهضة

المصرية • القاهرة ١٩٥١ •

مرآة الجنان وعبرة اليقظان • مطبعة دائرة المعارف

النظامية • حيدرآباد البكن ١٣٣٩هـ •

البداية والنهاية في التاريخ ١٤ • جزأ • مطبعة

السعادة • القاهرة ١٣٤٨ - ١٣٥٨هـ •

تاريخ ابن الفرات • الجزء السادس من مخطوطة والجزء

السابع حققه وضبط نصه الدكتور • زريق

سلسلة العلوم الشرقية ، الحلقة ١٧ ، منشورات

كلية العلوم والآداب ، المطبعة الاميركانية ، بيروت

١٩٤٢ •

صبح الاعشى في صناعة الانشاء ١٤ جزأ •

دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩١٣ - ١٩١٩ •

- ١٩ المقريزى ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م . السلوك لمعرفة دول الملوك الجزء الاول - ثلاثة اقسام والجزء الثاني - قسمان ، تحقيق محمد مصطفى زيادة . لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٤٢ .
- ٢٠ — الذهب المبيوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك نشر جمال الدين الشبال . مكتبه الخانجي . القاهرة ١٩٥٥ .
- ٢١ — اغاثة الامم بكشف الغمة . نشره محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشبال . لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٠ .
- ٢٢ — الخطط المقرية المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار . اربعة اجزاء - القاهرة ١٣٢٤ - ١٣٢٦ هـ . وفي ٣ اجزاء ، مكتبة احباء العلوم ، الشباح ، لبنان ، ١٩٥٩ .
- ٢٣ ابن حجر العسقلاني ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م . الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة ٤ اجزاء مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية . حيدرآباد الكن ١٣٤٨ - ١٣٥٠ هـ .
- ٢٤ ابن تغرى بردي ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م . النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة ١١ اجزاء دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٢٩ - ١٩٥٠ .
- ٢٥ — مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة تحقيق ج . د . كارليل . كمبردج ١٧٩٢ .
- ٢٦ السخاوى ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م . الضوء الاعم لاهل القرن التاسع . ستة اجزاء مكتبة القدس . القاهرة ١٣٥٣ - ١٣٥٥ هـ .
- ٢٧ السيوطي ٩١١هـ / ١٥٠٥م . حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة . جزآن القاهرة . ١٣٢١ هـ .
- ٢٨ — تاريخ الخلفاء تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد المكتبة التجارية الكبرى . القاهرة ١٩٥٩ .



٠٩ . الذهبي ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م .

٠١٠ —

٠١١ . ابن أبي الفضائل ٧٥٩هـ / ١٣٥٨م

٠١٢ . ابن أبيك الصفدي ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م

٠١٣ —

٠١٤ . ابن شاكرا الكتبي ٧٦٤هـ / ١٣٦٣

٠١٥ . اليافعي ٧٦٨هـ / ١٣٦٧م .

٠١٦ . ابن كثير ٧٧٤هـ / ١٣٧٢ .

٠١٧ . ابن الفرات ٨٠٨هـ / ١٤٠٥

٠١٨ . القلقشندي ٨٢١هـ / ١٤١٨ .

تاريخ الاسلام وعلقات المشاهير والاعلام .

خمس اجزاء . القاهرة . مكتبة القدسي ١٣٦٧هـ .

دول الاسلام . جزآن . حيدرآباد الركن . مطبعة

المعارف النظامية ١٣٣٧ هـ .

النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ

ابن العميد نشره E. Bloche باريس ١٩١٩-٩٢٩

الوافي بالوفيات . نشره . ريتروس . ويدرنج .

النشرات الاسلامية لجمعية المستشرقين الالمانية .

١٩٣١ - ١٩٥٢ .

امراء دمشق في الاسلام . تحقيق صلاح الدين المنه

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٥ .

وفات الوفيات . جزآن . حققه وضبطه وعلق

حواشيه محي الدين عبد الحميد . مكتبة النهضة

المصرية . القاهرة ١٩٥١ .

مرآة الجنان وعبرة المفظان . مطبعة دائرة المعارف

النظامية . حيدرآباد البكن ١٣٣٩ هـ .

البداية والنهاية في التاريخ ١٤ . جزا . مطبعة

السعادة . القاهرة ١٣٤٨ - ١٣٥٨ هـ .

تاريخ ابن الفرات . الجزء السادس مخطوطة والجزء

السابع حققه وضبطه نصه الدكتور . زريق

سلسلة العلوم الشرقية ، الحلقة ١٧ ، منشورات

كلية العلوم والآداب ، المطبعة الاميركانية ، بيروت

١٩٤٢ .

صبح الاعشى في صناعة الانشاء ١٤ جزا .

دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩١٣ - ١٩١٩ .

- ١٩ المتريزى ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م . السلوك لمعرفة دول الملوك الجزء الاول - ثلاثة اقسام والجزء الثاني - قسمان ، تحرير محمد مصطفى زيادة . لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٤٢ .
- ٢٠ — الذهب المبيوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك نشر جمال الدين الشبال . مكتبه الخانجي . القاهرة ١٩٥٥ .
- ٢١ — اغاثة الامه بكشف الغمة . نشره محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشبال . لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٠ .
- ٢٢ — الخطط المقرزية المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار . اربعة اجزاء - القاهرة ١٢٢٤ - ١٢٢٦ هـ وفي ٣ اجزاء ، مكتبة احباء العلوم ، الشياح ، لبنان ، ١٩٥٩ .
- ٢٣ ابن حجر العسقلاني ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م . الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة ٤ اجزاء مطبعة محل دائرة المعارف العثمانية . صدر آراد الين ١٣٤٨ - ١٣٥٠ هـ
- ٢٤ ابن تفرى بردي ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م . النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة ١١ جزءا دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٢٩ - ١٩٥٠ .
- ٢٥ — مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة تحقيق ج . د . كارليل . كمبردج ١٧٩٢ .
- ٢٦ السخاوي ٩٠٢هـ / ١٤٩٦ . الضوء اللمع لاهل القرن التاسع . ستة اجزاء مكتبة القدسي . القاهرة ١٣٥٣ - ١٣٥٥ هـ
- ٢٧ السيوطي ٩١١هـ / ١٥٠٥م . حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة . جزآن القاهرة . ١٣٢١ هـ
- ٢٨ — تاريخ الخلفاء تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد المكتبة التجارية الكبرى . القاهرة ١٩٥٩ .

- ٢٩ ابن اياس ٩٣١ هـ / ١٥٢٤ م •  
بدائع الزهور في وقائع الدهور ٣ اجزاء بولاق  
القاهرة ١٣١١ - ١٣١٢ هـ
- ٣٠ الاسحاقي ١٠٣٢ هـ / ١٦٢٢ م •  
اخبار الاول فيمن تصرف في مصر من ارباب الدول •  
المطبعة الميمنيه • القاهرة ١٣٠٤ هـ •  
شذرات الذهب في اخبار من ذهب •  
مكتبة القدسي - القاهرة ١٣٥٠ هـ •  
البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع •  
جزآن، القاهرة سنة ١٣٤٨ هـ •  
اعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء ٧ اجزاء  
حلب - سنة ١٩٢٣ •
- ٣١ ابن العماد الحنبلي ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م •  
الشوكاني ١٢٥٠ هـ / ١٨٢٤ م •
- ٣٢ الدباخ - محمد راغب •  
٣٤ كرد علي، محمد •  
٣٥ حسن زكي محمد •  
٣٦ - (ناشر) •  
٣٧ سرور محمد جمال الدين •  
٣٨ - •  
٣٩ حسن، علي ابراهيم •  
٤٠ حمزه، عبد اللطيف •  
٤١ - •
- خطط الشام، ٦ اجزاء، دمشق، ١٩٢٥ - ١٩٢٨ •  
فنون الاسلام، القاهرة، ١٩٤٨ •  
في مصر الاسلامية، مطبعة المقتطف، مصر ١٩٣٧ •  
الظاهر بيبرس وخزانة مصر في عصره • مطبعة دار  
الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٨ •  
دولة الظاهر بيبرس في مصر • دار الفكر العربي  
القاهرة ١٩٦٠ •  
دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر  
محمد بوجه خاص • مكتبة النهضة المصرية القاهرة  
١٩٤٨ •  
ادب الحروب الصليبية • لجنة الجامعيين للنشر دار  
الفكر العربي • مطبعة الاعتماد مصر ١٩٤٩ •  
الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي  
الاول • لجنة الجامعيين للنشر • دار الفكر العربي  
القاهرة، لا تاريخ •

٤٢ زيادة، محمد مصطفى

المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر • لجنة  
التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٤٩ •

٤٣ سليم، محمود رزق •

عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي  
في النشر الفني • خمسة أجزاء - مكتبة الآداب  
القاهرة ١٩٤٧ - ١٩٥٥ •

٤٤ يوسف، جوزف نسيم •

٤٥ عاشور، سعيد عبد الفتاح

لويس التاسع في الشر الأوسط، القاهرة ١٩٥٦  
مصر في عصر دولة المماليك البحرية • سلسلة الألف  
كتاب بإشراف إدارة الثقافة بمؤازرة التربية والتعليم  
بمصر، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٩ •

١ - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق \*

مجلد ١ سنة ١٩٢١ ص ٣٦	محمد كرد علي : العادلية والظاهرية
— — — — — ص ٦	— : الظاهرية
— — — — — ص ٣٣٨	— : جباية الشام في الاسلام
— ٥ سنة ١٩٢٦ ص ١٤٤	— : ذيل الروضتين
مجلد ٢٢ سنة ١٩٤٧ ص ٣٧١	عباس عزاوي : سبط بن الجوزي - القطب البونيني
مجلد ١٩ سنة ١٩٤٤ ص ٤٢٤	سليمان ظاهر : قلعة شقيف ارنون
مجلد ٢٣ سنة ١٩٤٨ ص ٥٧٤	محمد احمد دهان : المدرسة الظاهرية
مجلد ٢٣ سنة ١٩٤٨ ص ٦١٨	مصطفى جواد : نظرات في ذيل الروضتين لابي شامة
مجلد ٢٤ سنة ١٩٤٩ ص ١٥٣	

٢ - مجلة الرسالة \*

قسم اول سنة ٤ عدد ١٣٩ اذار	محمد فريد ابو حديد : موكب سلاطين مصر *
	١٩٣٦ ص ٣٢٥
قسم ٢ سنة ٣ عدد ١٠٥ تموز	ظافر الدجاني : دولة المماليك في حكم التاريخ
	١٩٣٥ ص ١٠٩٤ *
قسم ١ سنة ٨ عدد ٣٤٨ آذار	عبد الوهاب عزام : موقعة عين جالوت
	١٩٤٠ ص ٣٦٩ *

٣ - مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة \*

محمد كامل حسين : التشيع في الشعر المصري في عصر الايوبيين والمماليك مجلد ١٥ جز ١	مايو ١٩٥٣ ص ٥٧ *
محمد كامل حسين : بين التشيع وادب الصوفية في عهد الايوبيين والمماليك * مجلد ١٦	جز ٢ سنة ١٩٤٥ ص ٤٥ *

- على ابراهيم حسن : اراء في تاريخ دولة المماليك البحرية مجلد ٧ سنة ١٩٤٤ ص ٦٩ .  
محمد مصطفى زياده : بعض ملاحظات جديدة في تاريخ دولة  
المماليك .  
مجلد ٤ جزء اول سنة ١٩٣٦ ص ٧  
٨٨ .

٤ - المجلة التاريخية المصرية .

- محمد عبد العزيز مرزوق : جامع الظاهر بيبرس البندقدارى مجلد ٣ عدد ١ مايو ١٩٥٠  
ص ٩١ - ١٠٢ .

٥ - مجلة الابحاث .

- كمال الصليبي :  
النظام القضائي في مصر والشام  
عهد المماليك  
عدد كانون الاول سنة ١٩٥٨ .

1. D'Ohsson, Barson : Histoire des Mongols depuis  
Techingviz Khan.  
The Hague - Amsterdam, 1834-35.
2. Heyd W. : Histoire du commerce du Levant  
au Moyen Age: Leipzig, 1885-86
3. Lane-Poole, S : The art of the Saracens in Egypt:  
London. Chapman. 1886.
4. " " " : The Story of Cairo. J.M. Dent  
& Co. - London, 1902.
5. Muir, Sir W. : The Mamluke or Slave Dynasty of  
Egypt. Smith, Elder & Co. London. 1896.
6. Stevenson, W.B. : The Crusaders in the East;  
Cam. Uni. Press, 1907.
7. Arnold, Sir T. : The preaching of Islam  
N.Y. Scribners, 1913.
8. Demombynes G. : La Syrie à l'époque des Mamelouks  
d'après les auteurs Arabes.  
Bibliothèque archéologique et  
historique, Paris, 1923.
9. Grousset, R. : Histoire des croisades et du  
royaume franc de Jerusalem.  
3 vols. Paris, Plan 1934-36.
10. " " : L'Empire Mongol (1ere phase)  
Paris, Boeckard, 1941.
11. Wiet, G. : L'Egypte Arabe. Histoire de la  
Nation Egyptienne. Tome IV. Paris  
Gabriel Hanotaux.
12. Poliak, A.N. : Fendalism in Egypt. Syria. Palestine  
and the Lebanon. Royal Asiatic  
Society. London, 1939.
13. Cahen, C. : La Syrie du Nord à l'époque des  
croisades et la principauté d'Antioche.  
Institut Français de Damas, Bibliothèque  
Orientale, Tome I. Paris, Geuthner, 1940.
14. Hitti, P.K. : History of Syria. including Lebanon  
and Palestine. London Macmillan, 1951.
15. " " : History of the Arabs. London Macmillan.  
1956.
16. " " : Lebanon in History, London Macmillan,  
1957.

17. Ayalon, D. : L'esclavage du Mamelouk  
Jerusalem Imp. Mercaze 1951  
The Israel Oriental Society-  
Oriental Notes and Studies no.I.
18. " " : Gunpowder and fire arms in the  
in the Mamluk Kingdom. A challenge  
to a Medieval Society. London  
Vallentine 1956.
19. Mayer, L.A. : Mamluke Costume, a Survey  
Geneve 1952.
20. Ziadeh. N. : Urban life in Syria under the  
early Mamluks. Beirut 1953.  
Publications of the Faculty of Arts  
and Sciences, A.U.B., No.24.
21. Runciman, S. : A History of the Crusades. 3.vols.  
Cam. Uni. Press. 1955.
22. Sadeque S.F. : Baybars I of Egypt. O.U.P.  
Pakistan, 1956.



ESSAYS:

1. Ayalon, D. "Al Bahriyya" E.I. Vol.I, new ed. p.944-945.
2. - "Le Regiment Bahriyya Dans l'Armée Mamelouk".  
Revue des études islamiques, 1949, p.133-141.
3. Clermont Ganneau, M. "Le Pont de Lydda construit par Sultan Beibars".  
Journal Asiatique, huitième serie, Tome X. Nov & Dec. 1887, p.509-527  
tome XII p.305-310.
4. Kramers, J.H. "Mamluks" E.I. Vol.3. p.216-221.
5. Michel, B. "L'organisation Financière de l'Egypte sous les Sultans Mamelouks d'après Qalqachandi".  
Bulletin de l'Institut d'Egypte tome 7, 1924-1925 p. 127.
6. Perlmann, M. "Notes on Anti-Christian propaganda in the Mamluk Empire".  
(BSOAS see No.7 below) pp.843.
7. Poliak A.N. "The Influence of Chingiz Khan's Yasa upon the general organization of the Mamluk State".  
Bulletin of the School of Oriental and African Studies (BSOAS) University of London. Vol. 10, 1940-42 pp.862.
8. - "Les Revoltes en Egypte à l'époque des Mamelouks et leurs causes économiques".  
Revue des études islamiques Vol.8. 1934, p.251-273.
9. Sobernheim, M. "Baibars I" E.I. new ed. pp.588.
10. "Seljuks". E.I. Vol.IV p.211-212.
11. Wiet, G. "Baibars I". E.I. Vol.I. new ed. p.1124-1126.
12. - "L'Historien Abul-Mahasin".  
Bulletin de l'Institut d'Egypte tome XII session 1929-30 pp.89.
13. Watson. CM.Ltd.Col. "The stoppage of the River Jordan in AD 1267". Palestine exploration Fund July 1895, p.253-261.

## الاصول والمراجع ( ١ )

يبدو لي ان سيرة الملك الظاهر بيبرس المفصلة التي تتناول حياته قبل السلطنة وبعدها بصورة دقيقة وتعطينا تقييما متزنا له لم تظهر بعد . ولم اجد بين الكتابات العربية التاريخية الحديثة المنشورة غير كتابين صغيرين عن هذا السلطان ، قدم احدهما رسالة ماجستير في جامعة القاهرة ، والثاني دراسة عنه مبنية على الرسالة السابقة . وكلاهما لجمال الدين مرور . وهو حريص فيهما على اظهار "فترة بيبرس" ومصرته " ، متأثر بذلك بناحية البطولة الفردية التي تبرزها سيرة الرجل الشعبية . وهناك "دراسات في عصر المماليك عامة ، وفي عصر الناصر محمد خاصة" لعلي حسن ابراهيم ، تطرق فيها الى الظاهر بيبرس . اخذ الى هذا مقالات عربية نشرت خلال ربع القرن الاخير . ويغلب الطابع الصحفي على الكثير منها . او هي مقالات تناولت عصر المماليك بصورة عامة ، او تناولت ناحية خاصة منه ، وتطرت مع ذلك الى السلطان الظاهر من قريب او بعيد .

ولمحمود سليم رزق "عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي في النشر الفني" في خمسة اجزاء او جز فيها الحياة السياسية لعصرى المماليك . واهمية المؤلف انه مجموعة فنية باسماء المؤلفات التاريخية والعلمية والادبية في هذا العهد . لكن الكتاب غير مفهرس فهرسة علمية دقيقة ، ثم ان المؤلف افل ذكر المصادر بصورة عامة . وحين ذكرها افل ذكر اسم المؤلف والصفحة مما لايسهل المراجعة عند الحاجة .

---

(١) اتناول هنا ما استطعت الاطلاع عليه مما هو مطبوع باللغات العربية والانكليزية والفرنسية بصورة مباشرة او غير مباشرة ، ومخطوطة ابن الفرات . القسم السادس بجزئيه .

وللمستشرقين جهود في ميدان التاريخ لعصر المماليك ، نوه بها الدكتور نفولا  
زيادة (١) لكن كتاباتهم عن الظاهر بيبرس قليلة . ومعظمها يتناول هذا السلطان فسي  
مؤلف عام ، او يتناول ناحية منه . ولم يكن لدينا مؤلف بلغة اجنبية عن سيرة الظاهر  
بيبرس ، مختصرة ، ولكن واضحة ، حتى نشرت فاطمة صادي جزءا من مخطوطه ابن عسدد  
الظاهر ردمت له بدراسة عن حياة هذا الرجل العسكرية ، مبنية على المخطوطة .  
والاتجاه العام في السيرة التي كتبتها فاطمة صادي تمجيد للظاهر وتجريح لكل  
من انتقده . ولن اتناول هذا هنا وانما تناولته حين ذكرت المصادر الاولى وموفها من  
بعضها (٢) .

والسؤال الآن هو عما سبب مثل هذا الاهمال . وقد سجله الدكتور نفولا زيادة  
واستغربه ثم تسأل ما اذا كان يمكن ان يعزى ذلك الى نفور من التصاق صفة المماليك  
بهذا العهد ام الى اعتقاد بان هذه الفترة كانت فترة تاخر وانحطاط (٣) . واذا صح  
ان هذا الاهمال يعود الى ان هذه الفترة ليست فترة ابداع وخلق ، فان الحقيقة هي  
اننا لم نتنبه الى اهمية هذه الفترة من جهة والى ان مصادر دراسة المماليك ومنهم الملوك  
الظاهر ، لم تنشر بعد كلها . ولعل المنشور منها اقل مما لم ينشر (٤) .

- 
- (١) "مساهم به المؤرخون العرب في المئة سنة الاخيرة من دراسة التاريخ . . في عصر  
المماليك" هيئة الدراسات العربية في الجامعة الاميركية عن مجلة الابحاث ج ٢ ج ٣ .  
حزيران وايلول سنة ١٩٥٩ ، ص ١٢٣ .
- (٢) ص ١١ - ١٥ ، ١٨ ، ١٩ ، ادناه .
- (٣) المصدر السابق ص ١٢٣ .
- (٤) ويخيل لي ان الاحداث التاريخية الحالية التي تمس بلادنا العربية هي التي تنبهنا  
الى هذا او ذاك من رجال التاريخ الماضي ، او الى هذه او تلك من الفترات العاضية .  
فنكبة فلسطين مثلاً اعادت الى الذهن ايام صلاح الدين الايوبي ، وهي ايضا اوحيت  
لجوزيف نسيم يوسف دراسة "لويص التاسع في الشرق الاوسط" وكانت دراسة جمال  
الدين سرور عن الظاهر الذي طرد الصليبيين وصد المغول ، فكانه بطل وطنسي  
اسلامي يصارع الاستعمار .

والاصول من الظاهر بيبروس عربية بالدرجة الاولى ، ولكن هذا لا يعني ان مصادر اخرى بلغات اخرى لم تتناوله . الواقع ان المصادر الفارسية والاروبية المعاصرة له قد تناولته ايضا . ولكنني اهتمت المصادر الفارسية لجهلي بهذه اللغة . واهملت الاصول الاروبية لان المؤلفات الحديثة عن الصليبيين افادت منها . واعتبرت عودتي الى هذه المراجع الاخيرة مغنية عن العودة الى الاصول - لاسيما وهي مكتوبة بلغات اولهجات اوروبية اجعلها ، ولا اعتقادي بان المصادر العربية ، هي اوفاهها عنه ( ١ ) .

لنعد الآن الى المصادر العربية الاولى ، وهي تشمل ما كتب عن الظاهر بيبروس خلال قرنين ونصف قرن من الزمن :

ابوشامه : ٥٩٩ - ٦٦٥ هـ / ١٢٠٢ - ١٢٦٢ م . يهنا هنا من مؤلفاته " تراجم رجال القرنين السادس والسابع " وهو يعرف " بالدليل على الروهتين " وفيه سرد موجز لحياة الظاهر بيبروس في السنوات الاولى . وهو شاهد عيان للاحداث التي يصفها ولكنه لا يفصلها ، بخلاف ما فعل في " كتاب الروهتين في تاريخ الدولتين الزنكية والصلاحية " .

وهو في مؤلفه هذا يعطينا صورة عامة ليست مشرقة ، عن الحياة العامة في دمشق في ايامه . وقد نظم في ذلك قصيدة طويلة جاء فيها :

عجبا من مدرسين قضاة	يتبارون في الملايم (٢) بطرا
والذي كاتب التتار ومن مار	اليهم قصدا فأنسى واطرا

---

(١) وهذا هو رأي F. Sadeque (ص ١)  
(٢) هي في الاصل " اللباس " ولكن الوزن لا يستقيم معها .

كلما قلت دولة الحاكم الجاهل - برزالت قلت علينا اخرى

ثم يدمر الى الانصراف الى الفلاحة لانها من "احل كسب وائرى (١)

ابن شداد : ٦١٣ - ٦٨٤ هـ / ١٢١٦ - ١٢٨٥ م . ويهملنا من مؤلفاته في هذه الدراسة / <sup>سيرة</sup>الظاهر بيبرس وقد سماها "الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر (٢) " . وقد نضج اكثرها الا القسم المتعلق بالسنوات الخمس الاخيرة من حياة هذا السلطان . وهذا لم ينشر بعد (٣) . ولو قدر لهذه المخطوطة ان تشر لكاتب في القسم المتسلسل من السيرة التي وضعها ابن عبد الظاهر سيرة السلطان لا تعوزها الا السنوات المتوسطة من حكمه .

ولهذه السيرة اهمية خاصة ان المؤلف عاصر الاحداث واشترك في بعضها . وقد هرب من الغزو التتارى الى القاهرة حيث حثي بعطف الظاهر وتشجيعه (٤) . فكان له من مكانته مايساعده على الاطلاع على خفايا الامور .

واذا كانت هذه السيرة لم تملأ كاملة ، ولم يتبع بعد ماوصلنا منبرا ، فقد اطلعت على موجز لها في ابن تيمري بردي . وكذلك لخصها ابن شاعر الكتبي في "قوات الموفيات" وذلك باعترافه (٥) .

- 
- (١) تراجم ، ص ٢٢٢ - ٢٢٦ .  
(٢) ابن ابي الفخائل ، ص ٢٢٦ و ( C. Zuhayr ) ص ٧٥ ولاحظ منا ان لابن عبد الظاهر مؤلفا بذات الاسم .  
(٣) ( F. Sadeque ) ص ٢ ولاحظ منا بل ص ٦٤  
(٤) ( F. Sadeque ) ص ٢  
(٥) ج ١ ص ١٥٩ .

ابن عبد الظاهر : ٦٢٠ - ٦٩٢ هـ / ١٢٢٣ - ١٢٩٢ م . هو صاحب "الروض  
الزاهر في سيرة الملك الظاهر" وهي جزء من مدونات مجلداتها المؤلف بصفته كاتب  
انشاء منذ عهد بيبرس حتى عهد الاشرف خليل ، كانه كان يتوقع من كاتب الانشاء  
ان يحتفظ بيومييات ( ١ ) .

ضاع القسم الاكبر من هذه السيرة ولم يبق منها الا ما يتعلق بالسنوات  
الخمس الاولى من سيرة السلطان ( ٢ ) . وقد نشرت فاطمة صادق . هذا القسم  
الباقى باسم "الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر" . لكن اليوناني يذكر هذا  
الكتاب باسم اخر هو "الفضل الباهر من اخبار الملك الظاهر" او "في الفضل الباهر  
من سيرة السلطان الملك الظاهر ( ٣ )" . ويذكر ابن الفرات انه صاحب "كتاب نظم  
السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك" لكنه يعود في امته اخرى فيشير الى ان الكتاب  
من تاليف حفيد ابن عبد الظاهر ( ٤ ) .

قلنا ان ابن عبد الظاهر كان كاتب الانشاء ولذلك شهد الاحداث التي  
دونها واشترك فيها اشتراكا فعليا . والقسم المنشور من السيرة مليء بالاشارات الى  
مثل هذه المشاهد العيانية والمشاركة الفعلية ( ٥ ) .

ولهذه السيرة اهمية كبيرة . فقد اعتمدنا كل من كتب عن الظاهر فيما  
بعد . لخصها شافع بن علي ، ونقل عنها ابن الفرات باسهاب . وفي "الذيل على مرآة الزمان"

- 
- ( ١ ) ( C.Cahen ) ص ٢٤
  - ( ٢ ) راجع ص ٤ .
  - ( ٣ ) اليوناني ج ١ ص ٥٤٠ و ٥٥٦ .
  - ( ٤ ) ابن الفرات ج ١ قسم اول ورقة ٦٥
  - ( ٥ ) منها تهئية شجرة نسب الخليفة ( ص ٦١ ) تدبيج رسالة السلطان لبركة خسان  
( ص ٨٢ - ٨٣ ) كتاب تقليد السعيد ولاية العهد ( ص ١٠٦ ) .

للميوني ، وفي " السلوك لمعرفة دول الملوك " للمقريزى ، وفي " النجوم الزاهرة " لابن تغرى بردى ، اشارات كثيرة الى ان هؤلاء المؤرخين نقلوا عنه . يبدو انهم اعتمدوا سيرة ابن عبد الظاهر اكثر مما اعتمدوا السيرة التي كتبها ابن شداد . ولا غرو في ذلك فان منصب ابن عبد الظاهر يجعله اقرب من غيره الى معرفة دقائق سيرة الظاهر .

وانذا كان لمثل هذا قيمة ايجابية . فان له ايضا قيمة سلبية . فقد عمد ابن عبد الظاهر الى المبالغة في وصف السلطان ورسم صورته مشرقة عنه ونسبه جميع الصفات الحميدة اليه واعتباره منفذا للاسلام (١) .

ثم ان ابن عبد الظاهر لجأ الى الاسلوب الادبي المصنع المزخرف فاضر هذا الاسلوب بسيرة الرجل لاسيما قبل ان تعلم السلطنة . فهو يجعل عز الدين الانجم الذى انشق عن بيبرس بعد معركة نابلس مع الناصر صلاح الدين ، ودخل مصر ، داعية للناصر فيها ويجعل بيبرس يعود مع الناصر الى دمشق غير مبهر ذلك ، بخلاف ما نقله جميع المصادر الاخرى (٢) .

وابن عبد الظاهر فيما يبدو ، يعتمد الى ابراز عيوب الاخرين ليميز بعد ذلك محاسن بيبرس . يقابله بالناصر صلاح الدين يوسف . ويصف الناصر بالضعيف اللاهي بينما الظاهر يحرق الام على ما يجرى بين سلاطين مصر وايوبي بلاد الشام (٣) .

ابن واصل : ٦٠٤ - ٦٩٧ هـ / ١٢٠٧ - ١٢٩٨ م . له " كتاب مفرج الكروب في اخبار بني ايوب " تناول فيه فترة المماليك الاولى . وقد نشر من الكتاب جزآن انتهيا بنهاية حياة صلاح الدين الايوبي ، لكني افدت من الاجزاء التي لم تنشر بعد بواسطة ما نقله كتاب استطاعوا الوصول الى مكان المخطوطة . كالتعليقات التي وضعها مصطفى زيادة ناشر " السلوك لمعرفة دول الملوك " وغيرها .

(١) ابن عبد الظاهر ص ١ ، ٢ ، ٤ ، ٢٠ ، ٢٣

(٢) المصدر نفسه ص ٨

(٣) المصدر نفسه ص ١٤

وابن واصل ، كابن شداد وابن عبد الظاهر ، كان اثيرا لدى السلطان . وقد

اختاره للمفارة له عند مانفريد ( Manfred ) ملك صقلية .

وطبيعي ان يميل هؤلاء المؤرخون الثلاثة ، ابن شداد ، وابن عبد الظاهر ،

وابن واصل ، الى تفخيم الظاهر وتعظيمه . فقد عايشوه وخدموا في بلاطه ونالوا من

احسانه . ثم انهم راوا فيه البطل الذي تغلب على التتر واطاع الصليبيين بصورة نهائية .

وقد شاركهم ابو شامة هذا الموقف بالنسبة لانتصاراته على الصليبيين والمغول ، بيد ان موقف

الظاهر من دمشق كان يحول دون تفخيم ابي شامة له . ولعل قصر العدة التي عاشها

ابو شامة في عهد الظاهر يبرر لم تتح له ان يرى اهميته كغيره . ولعل ميله الى ذم

السلطات والاستياء من الحالة العامة حالا دون نيله حظوة عند السلطان .

وهنا لا بد من التماؤل : لماذا لم يكتب ابن خلكان ( ٦٠٨ - ٦٨٠ -

هـ / ١٢١١ - ١٢٨٢ م ) شيئا عن السلطان الظاهر وله كتاب " وفيات الاعيان وانبا"

ابناء الزمان " مع انه توفي بعده ببضع سنوات .

واخيرا يجب ان نشير الى ابن العبري ( ٦٢٣ - ٦٨٥ هـ / ١٢٢٦ -

١٢٨٦ م ) وله " تاريخ مختصر الدول " وقد اكتفى فيه باشارة خاطفة الى

الماليك عامة .

وهناك مؤرخو النصف الاول من القرن الهجري الثامن/الميلادي الرابع

عشر وهم ابن الفوطي ، وبيرس الدوادار ، وقطب الدين اليونيني ، وشافعي بن علي بن

عباس والنويري ، وابو الفدا ، والذهبي والمفضل بن ابي الفضائل .



ابن الفوطي : ٦٤٢ - ٧٢٣ هـ / ١٢٤٤ - ١٣٢٣ م ، مؤرخ عراقي ، كان خازن

كتب المستنصرية في بغداد . وكان واسع الاطلاع ، منصفاً في احكامه ، معتدلاً في عواطفه لكنه

لم يتسن له ، لبعده عن مسرح الحوادث . ان يتثبت من كل ما يرويه (١) . وله كتاب

"الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة" وفيه موجز لحياة الظاهر بيبرس .

بيبرس الدوادار (٢) : ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م . له "زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة"

وهو لم ينشر بعد وقد اسهم في معارك عدة قام بها الظاهر ضد الفرنجة والروم (٣) كان

حاكم الكرك في عهد قلاوون ثم صار نائب السلطنة في عهد الناصر ابنه ثم سجن ما بين ٧١١ -

٧١٧ هـ . وكتب تاريخه هذا حتى سنة ٧٢٤ هـ .

قطب الدين اليونيني : ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م . له "الديل على مراة الزمان" نشر منه

جزآن حتى الان . كتبه اليونيني كما يدل العنوان "ديلا على "مراة الزمان" لمهبط

ابن الجوزي ٥٨٢ - ٦٥٦ هـ / ١١٨٦ - ١٢٥٨ م . ولهذا المؤلف قيمة كبيرة ان ان

اليونيني يعطينا فيه معلومات لا توجد في غيره من المؤلفات (٤) . ثم ان له ميزة اخرى

هي انه يسرد لنا الكثير من <sup>سيرة</sup>الشخصيات والقواد في الزمن الذي يورخ له . وهو دقيق

في ذكر اخباره واسانيد له لكنه كثيراً ما يختلف عن المصادر الاخرى ، بالتواريخ وتد اشهرت

الى بعض هذا في موضعه .

وقد اخذ اليونيني معلوماته عن ابن عبد الظاهر وابن شامه وابن واصل مما يجعله

موثقاً به من ناحية ويجعله ذا قيمة نسبية لنا حتى تطبع هذه الاصول .

(١) مصطفى جواد ، المقدمة ص ٢

(٢) هو بيبرس المنصوري عند (C.Cahen) ص ٧٨ وهناك مؤرخ باسم ابي بكر بن عبد الله

بن ابيك ابن الدوادار ، وله كتاب في تسع مجلدات تناول العماليك الاولى في الجزء الثامن

وخص الناصر محمد بالجزء التاسع (C.Cahen) ص ٧٩ ولعلهما مؤرخ واحد .

(٣) "The History of the Mamluks in Egypt" by Ibn al-Dawadar, vol. 1, pt. 1, p. 1127. (٤) "The History of the Mamluks in Egypt" by Ibn al-Dawadar, vol. 1, pt. 1, p. 1127.

F. Sadeque ص ٦

C. Cahen ص ٧٩ - ٨٠

(٤)

ثم ان المؤرخين اللاحقين اخذوا عنه او نقلوا رايه في بعض القضايا كقضية وفاة الظاهر مثلاً . وقد نسخ ابن تغرى بردى عنه الشيء الكثير . وكذلك فعل ابن ابي الفضائل ويشير هذا الاخير الى مصدره على انه "المؤرخ" من غير ان يسميه . وقد قال ( E. Blochet ) انه يقصد النويرى بذلك ولكنني اعتقد ان ما ينسخه ابن ابي الفضائل عن اليونيني يوحى لنا باعتباره "المؤرخ" السدى يشير اليه ابن ابي الفضائل .

ولهذا المؤلف صفة بارزة جدا وهي فيه ابرز ما هي في اى مصدر آخر من هذه الفترة وهي صفة التكرار فكثيرا ما يتحدث عن الحادث او الشخص في مكانين من الجزء الواحد او في الجزئين معا ( ١ ) .

شافع بن علي بن عياض : ٦٤٩ - ٧٣٠ هـ / ١٢٥١ - ١٣٣٠ م .  
هو سبط ابن عبد الظاهر . اختصر السير التي كتبها جده للظاهر ولقلاوون وللخليل . وهو صاحب " المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية " وصاحب تاريخ الناصر محمد بن تلاوون ، وصاحب " كتاب نظم السلوك في تاريخ الخلفاء والملوك " وصاحب مجموعة من شعراء مصره ( ٢ ) لكن شيئا من هذا لم ينشر بعد .

ابو الفداء : ٦٧٢ - ٧٣٢ هـ / ١٢٧٣ - ١٣٣١ م . صاحب مختصر تاريخ البشر " في اربعة اجزاء . وقد تناول سيرة الملك الظاهر في الجزئين الثالث والرابع مختصرة عن ابن واصل وابن عبد الظاهر . ومن هنا كانت اهمية هذا المصدر وقد افدت منه كثيرا في الحديث عن صراع الايوبيين فيما بينهم . ثم جاء ابن السوردي

---

( ١ ) ج ١ ص ٤٥ و ٥٤ - ٦٥ عن عز الدين ابيك و ٤٥ و ٦١ عن شجر الدر .

( ٢ ) ( C. Cahen ) ص ٢٨

( ٦٨٩ - ٧٤٩ هـ / ١٢٩٠ - ١٣٤٩ م ) فكتب له تنمة لكنه ليس

في هذه التنمة شي خاص او جديد بالنسبة للسلطان الظاهر .

النويري : ٦٧٨ - ٧٣٢ هـ / ١٢٧٩ - ١٣٣٢ م . كان ناظر

الجيش في طرابلس ثم ناظر الديوان في الدميلية والمراحية في عهد الناصر  
محمد بن قلاوون . كتب " نهاية الارب في فنون العرب " في ٣٢ مجلدا تناول  
فيها الادب والتاريخ معا . ولم ينشر حتى الان الا الاجزاء التي  
تتناول الادب .

وقد سجل النويري في قسم التاريخ سيرة الظاهر بيبرس مفصلة منقولة  
عن ابي شامة وابن عبد الظاهر وابن شداد واليونيبي . وقيمة سيرته ، عندما  
تنشره ، انها تحفظ لنا مقتطفات كبيرة من مصادر اخرى كثيرة ضائعة (١) .

الذهبي : ٦٧٣ - ٧٤٨ هـ / ١٢٧٤ - ١٣٤٨ م . له " تاريخ

الاسلام " مطولا . ثم اختصره في كتاب اخر هو المنشور الذي اطلعت عليه  
وقد نقل الذهبي معلوماته عن ابن عبد الظاهر وابن شداد وابي شامة واليونيبي . وفي  
اختصاره توضيح للوقائع لكنه ليس فيه لذة التفصيل .

المفضل بن ابي الفضائل : ٧٥٩ هـ / ١٣٥٨ م . تبطي . له " كتاب

النهج السديد والدر الغريد " دليل به كتاب ابن العميد . طبيعي ان يكون ابن ابي  
الفضائل اعتمد المصادر السابقة وقد اشار اليها . لكن العريب ان المؤرخين

اللاحقين لا يشيرون اليه البته . وقد يعود ذلك الى انه كان مختلفا عنهم دينا او الى انه واياهم رجع الى ذات المصادر الاساسية . وكتابه هذا مصدر هام يعطينا رأى الاقباط بالسلطان الظاهر من جهة ويفصل لنا احيانا ، على اختصاره ، اشياء لاتفصلها المصادر الاخرى (١) .

ابن كثير : ٧٠١ - ٧٧٤ / ١٣٠١ - ١٣٧٣ م . وله " البداية والنهاية في التاريخ " في اربعة عشر جزءا . وقد خص الظاهر بعسم كبير من الجزء الثالث عشر ، تناول فيه سيرة هذا السلطان ، مرتبه بحسب السنين . والسيرة مختصرة ، لكنها تعطينا صورة واقعية مشرقة من السلطان .

ولهؤلاء المؤرخين باستثناء هذا الاخير ، نظرة للسلطان الظاهر تختلف من نظرة المؤرخين الاربعة الاول . وترى ( F. Sadeque ) انهم اتخذوا موقفا عدائيا من السلطان واعدوا الى ابراز اسوأ ما فيه واختلقوا حوادث لا اثر لها من الصحة ، او اتوا بتعليلات لاتثبتها الوقائع ( ٢ ) . ولتايد هذه التهمة سرد المتهم عددا من الامثلة ، واولها حكاية استيلاء السلطان حين كان يحاصر الشقيف سنة ١٢٦٨ م على رسائل يحملها مسلمون من فكا الى نواب الشقيف تشجيعا لهم على الثبات امام هجمات الظاهر واعلاما لهم بشخص يمكن ان يتناولوا منه الاموال اذا احتاجوا ، ونصيحة بالافراج من شخص اخر معتقل في الشقيف . لكن الظاهر اضاف الى هذه الرسالة نصيحة اخرى مؤداها الاستسلام عند استحالة الصمود مقابل الامان لانفسهم ولنسائهم ولا بنائهم .

ثم يقول ابن شداد ان الظاهر ، بعد هذا ، شدد انحصار حتى ان القوات المدافعة اضطرت ، عند استلام الرسالة ، الى المفاوضة والتسليم مقابل الامان .

---

(١) ( E.Blochet ) ص ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣

(٢) ( F.Sadeque ) ص ٨ .

وهناك رواية ابن ابي الفضائل . فهي تتفق مع رواية ابن شداد حتى الاستسلام على الرسالة ، وعلى محتوياتها - لكنها تختلف عن رواية المصدر السابق في انها تجعل الظاهر ياتي بمن يجيد معرفة الاشارات السرية بين الفرنجة ويكتب لقوات الشقيـــــف رسالتين احدهما للنائب يحذره فيها من الوزير المقيم ومن جماعة اخرى معه ، وثانيهما للوزير يحذره فيها من القائد . ثم تعود الروايتان الى الاتفاق ، حتى كانت المغامرة والامان والاستسلام ( ١ ) .

وقد ذكر النويري والذهبي الروايتين ولم يقطعا بصحة احدهما ( ٢ ) . ورواهما ابن الفرات ( ٣ ) على ان حامل الرسالة قصد السلطان وسلمه الرسالة فقرئت بعد التحميل وارسلها الظاهر لمقدمي الفرنجة في القلعة بامانات لقاء الاستسلام ، وكتب ايضا رسائل معكوسة عن الرسائل الحقيقية مما اثار الحذر بين الوزير والقائد . وليس يسهل الجزم الان . والفرق بين الروايتين واضح . وتتهم فاطمة صادق ابن ابي الفضائل بمحاولة تسييد صفحة الظاهر . لكن ابن الفرات يجعل هذا العمل " من عادة الظاهر وحسن رايه " ( ٤ ) .

ثم هنالك قصة وفاة الظاهر بالتسم . يتفق ابن عبد الظاهر وابن شداد على القول بان الظاهر اكثر شرب الفمر . فمرض واما المعالجون معالجته وقضى نحبه ( ٥ ) . ولست احسب ان اليوناني وبيرس الدوادار اللذين اثبتا حكاية التسم بقصدان تشويه سمعة الظاهر ، والا قرب للمعتلي ان رواية التسم نشأت من معالجة الظاهر بالجوهر ظنا ان به تسمما .

---

( ١ ) - ابن ابي الفضائل ، ص ١٦٤ - ١٦٥ ( ٢ ) ( F.Sadeque ) ص ١١ .  
( ٣ ) - ابن الفرات ، ج ٦ ، نس ٢ ورقة ١٦ - ١٧ ( ٤ ) ابن الفرات ، ج ٦ ، نس ٢ ، ورقة ١٧  
( ٥ ) - ( F.Sadeque ) ص ١١ ، وقد عالجت هذه الحكاية في مكان اخر .  
( ٦ ) - ( F.Sadeque ) ص ١٢ - ١٣

وهناك قصة ارسال الطائر نائدا اشبهه في الشكل لحلف اليمين لاهل صفد لينستسلموا . وتقول فاطمة صادق ان القصة محض اختلاق . ثم قصة اغتيال قطز . الفرق بين مايقوله ابن عبد الظاهر والذهبي هو ان هذا الاخير روى ان الظاهر تقدم من قطز يرجوه منحه فتاة ثم اخذ بيده لتقبيلها حتى كانت الطعنة في ظهر السلطان . وراى فاطمة صادق ان الذهبي اضاف هذه القصة ليظهر طبع الظاهر الغدار .

ان اسباب هذا التعيير يمكن ان تكون ثلاثة : - حسد الناظر من الظاهر وتأثيره على المؤرخين من جهة . واعتبار حياة الظاهر تمهيدا لحياة الناصر من جهة ثانية ، وبعد الشقة بين المؤرخين وبين الظاهر بحيث صار يمكن النظر اليه بحرية وتجرد من جهة ثالثة . وترى فاطمة صادق ان السبب الحقيقي للتعيير هو الاول وحسب وتنكر ان يكون بعد الزمن هو الذي فعل فعله اد ان الناصر لم يكن جنديا مدبرا ف شعر بالحسد من الظاهر ببيرس وقد كادت سيرته تصبح اسطورة في حياته . وتستند في ذلك الى رواية عن استيلاء الناصر من قناطر السباع التي بناها الظاهر (١) .

ولكنني ارى هذا التعليل خاطئا . اد هل يجوز ان نتهم هذه المجموعة من المؤرخين بانهم اجمعوا على التآمر على الظاهر ببيرس بعد وفاته بنحو نصف قرن ؟ وهل يجوز ان نتهمهم جميعا بالانصياع الى توجيهات من الناصر محمد لتشويه سمعة الظاهر ؟ اليس يجوز لنا ، بناء على هذا ، ان نتهم المؤرخين السابقين بالتحيز للظاهر وبإخفاء كل عيب من عيوبه ، تحت تأثير توجيه من توجيهاته ؟ لست اريد ان انكر ان السلطات قد توجه " احيانا وقد تجد من يصغي اليها ولكنني لست اريد ان اجعل من هؤلاء المؤرخين صنائع .

ان تغير موقف المؤرخين من الظاهر واقع لا ريب فيه . ولكن ينبغي ان نجد لهذا التغير تعليلات اخرى .

اول ما ينبغي ان نتنبه اليه هنا هو ان الصورة التي رسمها ابن عبد الظاهر وابن شداد للظاهر لا يمكن ان تكون حقيقة . ان الانسان الذي يصفه ابن عبد الظاهر اسطوري اكثر منه حقيقيا . وادا اخذنا حكايته عن اغتيال قطز جاز لنا ان ننسأ ل ما اذا كان لم يختصرها ليحذف ما لا يليق تسجيله في مدونات ديوان الانشاء .

واما ابن ابي الفضائل فلا بد انه تآثر في موقفه بموقف الظاهر من النصاري عامة . ولعله توسعنا ان نجد لكل مؤرخ لم يمدح الظاهر كابن عبد الظاهر ، سببا خاصا او تعليلا لموقفه . ولكنني احسب ان هنالك سببا عاما يفسر موقف المؤرخين جميعا . ان المؤرخين الاول عايشوا الظاهر وخدموه وراؤوه بانفسهم يحارب المفسول ويصدهم ويحارب الصليبيين ويحتل بعض مراكزهم . لقد كان هذا الخطر المزدوج جاثما على صدور جميع الناصر . كانت اهمية الظاهر في مآثيه العسكرية . اما الدين كتبوا عنه بعد نصف قرن فلم ينظروا اليه من هذه الناحية فقط . لقد وجدوا ان عليهم ان ينظروا اليه من نواحي مختلفة . من هنا نشأ هذا التباين في الموقفين . لست اريد ان انكر امكانية التوجيه والتاثير من السلطان الناصر على المؤرخين ولكنني لا اري ان نجعل من هذا العامل الوحيد والا هم لهذا التغير في نظرتهم للسلطان الظاهر .

استاء الناصر من قناطر السباع ، وشعر بالحسد من سيرة الظاهر التي كادت تصبح اسطورة ، واحس بالالم لما لاقاه في بداية عهده بالسلطنة . ولكن هذا لا يفسر اجماعا من عدد كبير من المؤرخين على اظهار مآثيه العسكرية والعمرانية وتبيان سيئات كانت فيه . ان الذي فعله هؤلاء المؤرخون هو انهم انزلوه من مستوى الاسطورة الى مستوى الانسان العادي .

وفي النصف الثاني من القرن الهجري الثامن / النصف الثاني من القرن الميلادي الرابع عشر عدد من المؤرخين تناولوا سيرة الظاهر بيبرس .

ابن شاكر الكتبي : ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م . صاحب " فوات الوفيات " وقد وضعه ديلا على " وفيات الاعيان " . وفيه موجز لحياة الظاهر منقول عن ابن شداد (١) ولهذا اهمية .

فيسف الدين اليافعي : - ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م . له " مرآة الجنان وعبرة اليقظان " في اربعة اجزاء . وهو مختصر جدا . (٢) .

ابن الفرات : ٧٢٤ - ٨٠٨ هـ / ١٣٢٤ - ١٤٠٥ م . له " تاريخ الدول والملوك " انتهى فيه حتى سنة ١٣٩٦ م / ٨٠٠ هـ في تسعة اجزاء . خص منها الجزء السادس وبعض الجزء السابع بسيرة الظاهر بيبرس . وهو ينقل عن ابن عبد الظاهر وعن " كتاب نظم السلوك في تاريخ الخلفاء والملوك " لحفيد ابن عبد الظاهر ، وعن ابن شداد واليونييني وعن بعض اهل التاريخ . وقد نقل عن المصدرين الاولين مقاطع طويلة حتى اننا لو خدعناها لبقي القليل مما لم ينسخ بلغته الاصلية . والملاحظ انه لم ينقل عنه احد من جاء بعده .

يبدو ان ابن الفرات اراد ان يعطينا صورة كاملة واضحة مفصلة عن حياة الظاهر بيبرس ، لذلك نقل بغزارة عن المصادر السابقة . ذكرا اسما مصادره معطيا الروايات المختلفة عن كل حادث حوله جدل . وتليلا ما يقطع بحكم ، تاركا ذلك للتأري . وموقفه من الظاهر معتدل بوجه عام . فهو يمدحه ويعتبره بطلا ، ولكن هذا لا يمنع من رؤية عيوبه ، او من تسجيل المآخذ التي اخذها عليه الآخرون . لذلك كان موقفه الوحيد السدي يجمع بين اراء المؤرخين بالظاهر .

---

(١) ابن شاكر الكتبي ج ١ ص ١٥٩ - ٢ - وهناك ابن حبيب الدمشقي (٧١٠-٧٧٧ هـ / ١٣١٠ / ١٣٧٧ م) . وله "درة الاسلاك في دولة الانراك" .



وفائده في هذه الدراسة كبيرة لانه يورد مقطوعات طويلة من مخطوطات ليست في متناول يدى ، اوانها ضائعة . وهو بهذا مفيد لانه يحفظ لنا كثيرا مما هو غائب من سيرتي ابن عبد الظاهر وابن شداد ، وهو بذلك يسد الثغرة العائنة بضائع القسم الاخير من مسيرة ابن عبد الظاهر ، والقسم الاول من سيرة ابن شداد . ومقابلة ما نقله عن ابن عبد الظاهر بالقسم المنشور من هذه السيرة يثبت لنا انه كان دقيقا في نقله ، بحيث يصح عليه الاعتماد لمعرفة نص السيرة الاصلي .

ويتميز ابن الفرات بصفتين هامتين هما التفصيل والاستطراد . والتفصيل واضح من انه خصص ١٠٨ ورقات لكتابة تاريخ خمس سنوات من حياة الظاهر . اما الاستطراد فامثلته كثيرة . فعندما اراد الحديث عن الظاهر في العدم (١) مثلا عاد الى سرد تاريخ هذه المدينة منذ العدم . وعندما اراد الحديث عن القضاء (٢) في عهد الظاهر عاد الى ذكر اسماء العضاة منذ ان افتتح العرب مصر (٣) .

الفيلسوفى ١٨٢١ هـ / ١٤١٨ م . له " صبيح

الاعشى في صناعة الانشاء " في ١٤ مجلدا . وفيه معلومات تاريخية عامة هامة ، لكن فائده الكبرى هي في تفصيل النواحي الادارية .

- 
- (١) ابن الفرات ج ٦ قسم اول ورقة ٢٥ - ٢٤ .
  - (٢) ابن الفرات ج ٦ قسم اول ورقة ٧٨ - ٩٠ .
  - (٣) وهناك ايضا ابن دلق ( ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م ) وله " نزهة الانام في تاريخ الاسلام " ( فهرم المخطوطات العربية ج ٢ قسم ٣ ، التاريخ ص ٣١٥ ) و " الجوهر الثمين في سير الملوك والسلطين " المصدر نفسه ص ١٢٢ ويقال ان مصادر ابن دلق افضل من مصادر المقرئى وان كان هذا لم يرجع اليه . . . . . ( E.-I. Vol. II, P. 374 ) وقد نقل عنه ابن الفرات و اشار اليه في امكنه مختلفة . وابن خلدون ( ٧٢٢-٨٠٨ هـ / ١٣٢٢-١٤٠٦ م ) صاحب " كتاب العبوديان المبتداء والخبر . . . " لكنني لم اجد فيه شيئا خافا او هاما بالنسبة للظاهر .

بقي أمامنا من المصادر الأولية عدد كبير وضعه مؤرخون في القرن الهجري التاسع /  
الميلادي الخامس عشر . وهم المقرئى ، الظاهرى ، ابن تغرى بردى ، السيوطى ، ابن  
اياص (١) .

المقرئى : ٧٧٦ - ٨٤٥ هـ / ١٣٧٤ - ١٤٤٢ م . مؤلفاته كثيرة يهمنها  
هنا " السلوك لمعرفة دول الملوك " و " المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار " المعروف  
بالخطط المقرئية ، و " كتاب عاثة الامة بكشف الغمة " و " التبر المسبوك فيمن حج من  
الملوك " .

ليعرف في الكتاب الاخير عن الظاهر مالم يذكره المقرئى في الكتب الاخرى . واما  
" كتاب عاثة الامة " . . . ففائدته في انه يصور لنا الجو الاقتصادى الاجتماعى في عهد  
العماليك عامة . ويذكر لنا المجاعات التي حدثت في عهدهم - ومنها المجاعات في عهد  
السلطان الظاهر . وهذا الكتاب فريد في نوعه . او هو الاول في هذا الباب .  
و " الخطط المقرئية " وصف جغرافى للمقاهرة وبعض مدن مصر ، واشارات تاريخية  
لتطورات طرأت على هذه الامكنة . ولذلك كان الكتاب مصدرا تاريخيا الى جانب  
كونه مصدرا طبوغرافيا . وقد اتهم انه نقل هذا الكتاب عن مؤلف سابق للاحدى  
واضاف عليه اضافات فبريدات جدوى (٢) . ولم يدفع المقرئى هذه التهمة ، بل اكتفى

---

(١) ويمكننا ان نزيد اليهم عددا من المؤرخين كالعيني صاحب كتاب " عند الجمال في تاريخ  
اهل الزمان " وابن شاهين صاحب " زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك " وبها  
الدين الخالدى صاحب " المقصد الرفيع المنشأ الهادى لديوان الانشاء " ، ونور الدين  
الصيرفى صاحب " نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان " وابن خليل صاحب " نزهة  
الاساطين فيمن ولي مصر من السلاطين " ، وحسن الطولونى صاحب " النزهة السنية في  
ذكر الخلفاء والملوك المصرية " ، ( محمد مصطفى زيادة ، المؤرخون في مصر في القرن  
الخامس عشر الميلادى ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٥٤ ) .

والكتنى لم استطع الافادة من هذه المصادر .  
(٢) السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ٢٢ .

لكنه لابد من القول ان ثبوتها لا ينفي صدق ما يقوله المقرئ ولا يجرح في صحة احكامه ،  
وهو العائل بان الاصل هو معرفة ما يقال ، لا معرفة من قال .

بني "كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك" وهو ما ينبغي ان توجه اليه اهتمامنا هنا .  
اعتمد فيه المقرئ ابن عبد الظاهر وابن شداد واليربوعي والذهبي ، وذكر ذلك في مقدمته  
ولاحظ الفروق في نعتهم الى الملك الظاهر ببيبرس . ولا بد له امام هذا الواقع ، وهو  
تحميد ابن -الدون ، من ان يترث ويحدر في النسل ، ولا بد له من ان يكون له وجهة نظر  
خاصة بالسلطان .

لم يمدح المقرئ السلطان الظاهر كما فعل ابن عبد الظاهر ، وانما انتدبه في  
نواحي معينة . هي تنمية التشريع وتنمية القضاء وتنمية تأييد الخليفة في زعمه على بعضداد  
وقضية الضرائب .

كان المقرئ ينكر على الحكام حق التشريع بصورة عامة . وكان يأخذ على الظاهر  
ببيبرس انه ادخل شرائع معوية خوافا من الحمل او ارشاما لصد يده وحليقه بركة -ان (١) ،  
وتزيد نعمة المقرئ على الظاهر بسبب ادخال نظام العناية الاربعة مما اعف نفسه  
الشامية (٢) ويدل على نعمة المقرئ على الظاهر في هذا السبيل قول السلطان لمن رآه  
بعد موته في حلم بقوله "ما رايت شيئا اشد علي من ولاية فماسة اربعة ، وقيل السبي  
فرفت الكلمة" (٣) .

---

(١) ( F. Sadeque ) ص ١٩

(٢) وقد كان العلماء الشامية والدخية على عدا مستحكم يوفد كل فريق منهم اميرا تامعا  
بالسلطنة . وقد امر قاضي شامي بجلد المؤرخ ابن دماق على رسم كونه سديا  
للسلطان . ( F. Sadeque ) ص ١٩ .

(٣) المقرئ ، السلوك ص ٦٤ .

تم يعيد المقرئى عدم مساعدة الظاهر للخليفة في زحفه على بغداد انسى  
 همسة في ادن السلطان بان الخليفة قد يعزبه ادا موى . كان الظاهر قد حصص  
 مبلغا يكفي لتجهيز عشرة الاف جندي لغزو التتري بغداد . ثم لم يحدث شيء من  
 هذا . اين ذهبت هذه الاموال ؟ وما هو السبب في عدم انفاؤها ادا لم يكن  
 ما ذكره المقرئى هو السبب ؟ وينبغي الا نخلط هذا بعدم تأييد ابني صاحب  
 الموصل للخليفة . تقول المصادر انه لم يكن معهما مرسوم من الظاهر ، ولم  
 تنتبه الى ان التتري هاجموا الموصل آنذاك ، فكان لابد لابني صاحبها ان يبادرا  
 الى مدينة ابيهما للدفاع عنها (١) .

وهناك قضية الضرائب وكيفية جبايتها . كانت الضرائب باهظة (٢) . وهذا  
 ما لا ينفيه ابن شداد بقوله انه عاد فالغاها . ووسعنا التأكد من ذلك من ابن الفرات  
 (٣) حين ينقل شعربمدح الظاهر منه :

ملك اذا ذكروا اسمه	فالعرب يقدف في القلوب
وتكاد تخرج من مخافتها	اليه من الجيوب

وارغام وجهها . دمشق وتضائتها على تجهيز جيش لمقاومة المعول سنة ٦٧٢ هـ ، دليل  
 اخر على ثقل الضرائب التي كان يفرضها الظاهر . ويقول ابن شداد ان الظاهر  
 الغاها عندما احتج احد المحدثين ولكن ابن الفرات يقول انه وعد الشيخ النووي  
 بالغائها لكنه امر على جمعها بعد انتصاره (٤) . ويقول اليونيني ان الظاهر كان

(١) وهذا مثل على ما قاله E. Blochet من ان المؤرخين العرب لم يدركوا اثر  
 ما كان يجرى في فارس وما وراء النهر على بلاد الشام ومصر . (النجاح السيد  
 ص ٣٧٠) .

(٢) المقرئى السلوك ص ٦٤٠ . - ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٥  
 (٤) ابن الفرات ج ٧ ص ٨٥ -

وهنا لابد من ان نسال فاطمة صادق ما اذا كان الحنريزى يعتبر بعد هذا متجنسا على الخاير . نست احسب ذلك . كان الحنريزى ينظر الى السلطنة انتقاد وتحقير من وراء يأسه في ان تدفعه الى ذلك مبادئه الفقهية او معتبه المحفيدة . ولكن هذا ميسر الحنريزى من ان يعزل عنه انه " اول من قام بدراسة الترك من زمر وحدة الحضرة " (١) ومن انه كان " بالجملة . . . من خير ملوك الاسلام " (٢) . رندى ان الحنريزى احسن منعا بالثناء الحنريزين اللاحقين لابن عبد السلام وابن ابي ريد ، كما اعتمد عليهما ، حيث يجوز الاعتماد . ريدى ان ما كتبه افضل سيرة السلطان الخاير .

ابن تيمرى بردى : ٨١٣ - ٨٧٤ هـ / ١٤١١ - ١٤٦٩ م . صاحب " الخبـر " الزائرة في ملك مصر والعاشر " حص الخاير منه ينقسم عن الجزاء المباح . اعتمد فيه ابن تيمرى رابن التيمورى رابا شامه رابن راسل وراى اب الدين محمود (٣) واليوناني . نقل بشاره من اليوناني . ركن فاطمة صادق تيمرى ان سيرته موزع لما كتبه الحنريزى (٤) ولا ريب انه اعتمد الحنريزى ، وانما الغريب انه اعتمد ابن عبد الخاير .

وله ايضا " مورد اللطافة " ولكنه مختصر جدا وفيه اشارة سريعة المظاهر . اما طريقته في التاليف فكانت مرد الحوادث الخامة بالسلطان سنة معنة ثم يعمود فيذكر الاحداث الاخرى في هذه السنوات ، مما ادى الى التكرار . وليس ذلك مرده الى اعتماد اليوناني .

هذا ولا بد من الاشارة الى انه كان يتحرى الحقائق بدمه .

---

(١) الحنريزى السلوك ص ٦٣ (٢) المصدر نفسه ص ٦٤١ .  
 (٣) ٦٤٤ - ٧٢٥ هـ / ١٢٤٦ - ١٣٢٥ م . له دليل على تاريخ ابن الاثير . نباع الايام شفي منه في المؤلفات التالية ومنها النجوم الزائرة لابن تيمرى بردى . (٤) ص ٧٧ - ٧٨ .  
 (٤) ( F. Sadeque ) ص ٢٤ .

السخاوي : ١٠٢ هـ / ١٤٩٦ م . له " النور الالامع لاهل القرن

التاسع " وفائدته ذكر سير بعض المؤرخين كالمقرئى .

السيوطى : ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م . له " حسن المحاضرة في اخبار مصر

والعاهرة " في جزئين " وتاريخ الخلفاء " ولكنه ليست فيهما معلومات جديدة عن  
السلطان الظاهر .

ابن ايامر : ٨٥٢ - ٩٢٨ هـ / ١٤٤٨ - ١٥٢١ م . له " بدائع

الزهور في وقائع الدهور " وليصرفه غير يضع صفحات اختصر فيها سيرة الظاهر بيبرس ولكنه  
تميز منع هذا الاختصار ، بفقد الحوادث الاسما وهو القائل ان سيرة الظاهر كانت  
معرضة للتلفيق والاختلاق فكان عليه ان يختار ( ١ ) .

ان الاصول العربية عن سيرة الظاهر عنه بالروائع عن حياته العامة بعد ان  
صار سلطانا . فهي هنا تسرد كل تغلاته وحركاته واعماله يوما بيوم ، لكنها ميرة بسرد  
ناحيتين هامتين من حياته وهما حياته قبل ان صار سلطانا ثم حياته الخاصة . وقد  
ظهر هذا حين كنا نتحدث عن هاتين الناحيتين في مكان اخر .

ثم ان حياة هذا الرجل سارت مجالا للتلفيق والاختلاق حتى امسحت اخباره  
تستغرق عدة مجلدات ( ٢ ) . وهذا بدوره ادى الى التناقض والمبالعات . ثم استتبـع  
هذا ان صارت له سيرة شعبية في اربعة اجزاء .

وهكذا نرى ان الدين ارخوا للظاهر انقسموا الى تسمين اسامين كان اولهما  
الدين عاصروه وعاشوه فلما كتبوا عنه مجدوه وراوا فيه الانسان الكامل الذى لا يخطئ ولا  
يظلم ولا يفسد ، وجعلوا منه الانسان المثالي في عصر من عروب ، وبذلك مهدوا السبيل

---

( ١ ) ابن ايامر ج ١ ص ١١٢ ( ٢ ) المصدر نفسه ص ١١٢ .

للمصيرة الشعبية . وكان النعم الآخر من الذين اخذوا ، بعد وفاته بنصف قرن تقريبا ، ينظرون الى اعماله وماتيه جملة وينتقدونها ، لكنهم كانوا يرونه على رغم ما فيه من ميثاق خفية ، وعلى رغم ما ارتكب من اخطاء او مزاليم سياسية ، جنديا تديرا واداريا حازما ومياسيا ناجحا وسلطانا فسيطا وكان ابن شداد ، على رغم امتداحه له ، اول من سجل عليه فرض الضرائب الباهظة ولو انه عاد فالتغاها ، ثم تبعه ابن عبد الظاهر فانتقده في عهد الاشرف خليل ، لانه لم يعن " بالمكاتبات السلطانية " ( ١ ) ولعله ، لو قدرت له ، فمحة من حياة وفرصة لاعادة النظر في سيرته ، الفعل .

---

( ١ ) ابن عبد الظاهر ، اللطاف الخفية ، ص ٣٨ .

## الفصل الثاني

### تمهيد في الحالة السياسية العامة

#### تبل سلطنة الظاهر

#### ١ - عوامل متصارعة في بلاد الشام ومصر •

كانت بلاد الشام ومصر في هذه الفترة لا تزال خاضعة للمخليفة من الناحية النظرية • اما من الناحية الواقعية فكانت تتنازعها السلطة الايوبية في بعض هذه الفترة والسلطة المملوكية في بقيتها ، من جهة والسلطة الصليبية التي كانت تمتد على الشواطئ • الشريعة البحر الابيض المتوسط • زد الى هذا ان الصليبيين كانوا خطرا مستمرا مما جعل استغلال العلاقات بين المسيحيين والمسلمين امرا ممكنا • وان اخبار التنر كانت في القسم الثاني من هذه الفترة ، قد اخذت تتوالى على بلاد الشام ومصر فتروعهم ايما تزويج • وينبغي ان لا ننسى ايضا الجماعات العائشة فسادا في بلاد الشام كالخوارزمية (١) والاعراب والشيرازية (٢) •

---

(١) انظر ملحوظة ٣ ص ٢٦  
(٢) هربهولا • من شهرزور ، مقاطعة في تركستان ، امام التنر • وفي سنة ٦٥٦ دخلوا دمشق فاكرمهم الناصر صلاح الدين يوسف املا ان يناعروه لكنهم غادروه الى المعيت ، صاحب الكرك ، واطعموه باحتلال دمشق • المعري السوك ص ٤١١ - ٤١٢ •

( V.Minorsky. Art "Sharazor." E. J. ) م ٤ ، ص ٣٤٤ (٠



وفي هذا الميدان امتد التنافس بين الامراء الايوبيين بحيث لم يتسرع بعضهم عن الاتصال بالحليين للامتعانة بهم على البعض الاخر من الايوبيين (١) وازاء هذا التنافس والتناحر لم يعد للايوبيين شان عسكري يذكر .

وليسر ضروريا ان ندخل هنا في تفاصيل هذه المنازعات ، ينبغي ان نتناول بايجاز ، مظاهر هذا الصراع بين اعضاء الاسرة الايوبية ، خاصة الصالح نجم الدين ايوب واخيه العادل ، ابني (٢) الملك الكامل (٣) . ثم الصراع بين ثوران شاه بن الصالح نجم الدين والمماليك البحرية ، حول السلطنة في مصر وبلاد الشام .

---

(١) صراع الكامل مع الناصر داود حول دمشق وعنده معايمده مع الحليين ، سنة ٦٢٦ هـ ١٢٢٩ م . تنازل فيها لهم عن القدس وبعض القرى المجاورة وصراع الصالح اسماعيل مع عمه الملك الصالح نجم الدين واعطاوه الفرنجيسة عسقلان وطبرية ، والشفيف ومقد لناصرته على عمه ( ابو شامة ، ص ١٥٤ - ١٥٥ ابو الفداء ج ٣ ص ١٤٨ و ١٨٠ ، المقرئ السلوك ص ٣٠٣ انظر ما يلي ) .

(٢) وهما من امين مختلفتين . وام الملك الصالح نجم الدين جارية سوداء تدعى ورد المنى .

(٣) هو ابن العادل سيف الدين ابي بكر ، شقيق صلاح الدين ، تملطن على مصر ما بين ١٢١٨ و ١٢٢٨ ولم يتسلطن على بلاد الشام الا في السنة الاخيرة من حكمه - حاول احتلال دمشق سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م .

٢ - صراع بين الايوبيين .

توفي الملك الكامل بدمشق عام ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م فاجتمع  
الامراء وملكوا الجواد (١) بن العادل في دمشق ، دون الناصر داود . اما  
السلطنة في مصر فنالها الملك العادل ابن الملك الكامل . وكان الملك الصالح  
نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل في كيفا (٢) ، فلم ترق له هذه الترتيبات  
فاتصل بامراء مصر يحرضهم على اخيه ، فاعتلى الامراء اخاه العادل (٣) واستدعوه  
اليهم ليتولوا شؤون مصر . فجاءهم ، وفي يوم الاثنين ١٥ ذي الحجة  
سنة ٦٣٦ هـ / ١٢٣٩ م بويح سلطانا على مصر وعمره  
٣٤ سنة (٤) .

- 
- (١) ثم غادر دمشق وتطاع منجار وعانه ثم خسرهما وسلمه الفرنجة للصالح اسماعيل  
(ابو الغداء ج ٣ ص ١٧٦ و ١٧٧)  
(٢) كان في هذا الحصن نائبا فيه عن ابيه (ابو الغداء ج ٣ ص ١٦٠ ، الحنريزي  
السلوك ص ٢٤٤) .  
(٣) لا تتفق الروايات حول ما جرى له . ففيل انه قتل في السجن سنة ٦٤٠ هـ وقيل  
انه مات فيه سنة ٦٤٥ هـ .  
(٤) ابو الغداء ج ٤ ص ١٧١ و ١٧٢ ، الذهبي ج ٢ ص ١٠٦ - ١٠٩ ، المقرئ  
السلوك ص ٢٦٧ و ٢٩٤ ، ابن اياس ج ١ ص ٨٣ .

ولم ينته الصراع هنا . فان الصالح اسماعيل كان ينافسه السلطنة ، فامتنع  
عن الحضور اليه من بعلبك واتفق مع صاحب حمص وهاجما دمشق ودخلاه  
سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٢٩ . وكان الملك الناصر داود ايضا يريد دمشق ، وهو  
متعاهد مع الملك العادل على مهاجمتها ، فجدد الملك الصالح جيشا لمحاربة  
الناصر داود لكن امراؤه خذلوه في نابلس فاعتقله الناصر داود بالكرن ورفض  
تسليمه للعادل ولم يطلع سراحة الا بعد تدخل الخليفة في بغداد بسفارة  
ابن الحوزي ، وعقد اتفاق بينهما على ان تكون بلاد الشام للناصر داود ومصر للملك  
الصالح (١) .

لكن الملك الصالح يريد دمشق لنفسه . فما ان استقرت له السلطنة في  
مصر سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ حتى قبض على الامراء الذين اعتقلوا اخاه العادل  
وزجهم في السجن (٢) ثم اخذ يتهدى لمهاجمة دمشق . ويوم الجمعة  
٢٤ ربيع الاول سنة ٦٤١ هـ / ١٢٤٣ خطب له بدمشق ثم قطعت الخطبة .  
وبعد فشل المفاوضات بين الملك الصالح نجم الدين والطاك الناصر داود هيا الملك  
الصالح نجم الدين جيشا من الخوارزمية (٣) في سنة ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ وقصد الى  
بلاد الشام ليحاصر دمشق . لكن الناصر داود صاحب الكرك ، والمنصور صاحب حمص  
والصالح اسماعيل ، والفرنجية ، تحالفا عليه والتوه بين غزة وعسقلان فكسروهم وتابع  
سيره حتى طاهر دمشق . ثم دخلها في سنة ٦٤٣ هـ ورأى فيها نابسا عنه ، مسن

(١) ابو الفداء ج ٣ ص ١٧١ - ١٧٣ ، ابن شاطر الكتبي ج ٢ ص ٨١ ، المقرئ ، السلوك  
ص ٢٦٧ و ٢٩٤ .

(٢) ابو الفداء ج ٣ ص ١٧٥ .

(٣) قبائل نزحت من تركستان الوسطى وخوارزم امام الزحفالتري . استخدمهم الملك  
الصالح نجم الدين في حصن كيفا ، وكان عددهم نحو عشرة الاف جندي ، وساعده  
في هذا الصراع لكنهم عادوا فانقضوا عليه وانحلوا بركن الدين بيبرس ، غير هذا  
الذي نوره له وايدوا الملك الصالح اسماعيل وحاصروا دمشق لكن الملك الصالح عاد  
فتغلب عليهم اخيرا وشتت شملهم . (ابو شامة ، ص ١٧٥ ، ص ١٧٨ ، ابو الفداء ج ٣  
ص ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، الد ٢ ص ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ، المقرئ  
السلوك ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣١٦ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ) .

فيران يدخل الخوارزميه معه ( ١ ) . وليسر هذا العداء بين الملك الصالح نجم الدين واقاريه بالشيء الجديد . ويرجع الى سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٩ حين كان الملك الكامل في الرقة فكتبت اليه زوجته ام العادل تنهيه الملك الصالح نجم الدين بنية الانقلاب على ابيه وتحرض زوجها على تدارك الامر قبل استفحاله مؤيده دعواها بان الملك الصالح اشترى عددا كبيرا من المماليك الاتراك باموال يجمعها من التجار ومن بيت المال . فما كان من الملك الكامل الا ان عاد الى مصر وخلق ابنه الملك الصالح نجم الدين من ولاية العهد ( ٢ ) .

### ٣ - فرقة المماليك البحرية

هكذا وجد الملك الصالح نجم الدين نفسه منذ البداية امام منافسات اقاربه فمادا يحييه لولجا الى انشاء جيش خاص به من المماليك وقد عرف التاريخ الاسلامي كثيرا من الشواهد على ذلك ( ٣ ) .

لقد اعتمد الخوارزميه وهو في حصن كيفا ، ولكنهم المأمعون لا يؤمن جانبهم . ثم ان ممالك ابيه تفرقوا عنه يوم هاجم الملك الناصر في نابلس ولم يبق معه الا جماعة من ممالك الخامة ، وهما هم الخوارزميه يخاريونه بعد ان رفض السماح لهم بدخول دمشق ، فلا عجب بعد ذلك ان يذكر لممالكه ولا هم ويجعل منهم

---

( ١ ) ابو الفداء ج ٣ ص ١٨٤ ، المقرئ ، السلوك ص ٣١٩

( ٢ ) المقرئ ، السلوك ص ٢٣٨ و ٢٤٠

( ٣ ) كان المعتمد بالله ، الخليفة العباسي في بغداد ، اول من استخدم المماليك

الترك وكان احمد بن طولون اول من جلب المماليك الترك الى مصر وجعلهم

عمدة جيشه ، ثم استخدمهم الفاطميون في جيوشهم .

جيشا يعتمد عليه عرف فيما بعد باسم المماليك البحرية (١) . ومما داف استجلاب المماليك من بلاد الغفجاق ( او العيشاق ) بأعداد كبيرة ، فاستغل الملك الصالح ذلك واستكثر منهم حتى انه لم يجتمع لغيره من الايوبيين مثل ما اجتمع لديه منهم ، حتى ضاقت بهم القاهرة وتدمر الناس منهم وضجوا لسمو تصرفاتهم حتى لقبوا "بشمر مجلوب " يجعل الناس " في ضرر ايوب " (٢) .

هنا رأى الملك ، الصالح نجم الدين ايوب انه لا مندوحة له ، لحماية اهل القاهرة ودفع الاذى عنهم ، من ان ينشي " للمماليك ثكنات خاصة بهم فاختر لذلك جزيرة الروضة (٣)

- (١) المقرئى ، السلوك ، ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ ويمكن ان نضيف لانشاء هذه الفرقة سببين اخرين هما محاربة الفرنجة من جهة ، واستعداد لمحاربة المغول بعد ان اخذوا يبددون الخليفة والسلاجقة ، من جهة ثانية . ( F.Sadeque ) ص ٣١ من المقدمة . وينقسم عهد المماليك الى قسمين - المماليك البعرية والمماليك البرجية نسبة للمكان الذى سكنته كل جماعة . وتدعو المصادر الفترة الاولى بدولة الترك تمييزا لها عن دولة الجراكسة في المرحلة الثانية . ولعله يصح ان ندعو الفترة الاولى بعهد الغفجاق ( او العيشاق ) نظرا لسيطرة هذا العنصر في هذه الفترة D.Ayalon, Art. "Al Bahriyaa." E.I. ( new ed.) م ١ ص ٩٤٤ - ٩٤٥ .
- (٢) ابوشامة ، ص ١٩٦ ، اليونيني ج ١ ص ١٨٧ ، ابو الغداء ج ٣ ص ١٨٨ ، المقرئى السلوك ص ٣٣٩ ، ابن ايام ج ١ ص ٨٣ .
- (٣) كان هذا الاسم يطلق على جزيرة بين مصر والجزيرة . وفيها / ابن طولون حصنا ثم دارا للصناعة حتى جاء كافور الاخشيدى فنقلها الى مكان اخر وجعل من الجزيرة بستانا سنة ٣٢٥ هـ . وفي عهد الفاطميين عمرت الجزيرة بالنامروبنى فيها منتزه سمي باسم الروضة ثم اطلق اسم المنتزه على الجزيرة كلها . ثم جاء الملك الصالح نجم الدين ايوب فبنى القلعة ليبقى له دكرا من جهة وليجعلها مسكنا له ولأمرائه وللمماليك . وقد شرع في حفر اساسها يوم الاربعاء ٥ شعبان سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤١ ثم بنيت فيها الدور السلطانية وانفتحت عليها الاموال الكثيرة حتى تم بناؤها بعد ثلاث سنوات على قول ، وبعد سنة ونصف سنة على قول اخر . ثم انتقل اليها السلطان ومماليكه وممارت ملجاء له من الخطر ، عدا انها كانت دار صناعة ومركزا لقيام ارتفاع ماء النيل . ( ابو الغداء ج ٣ ص ١٧٥ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٣٠١ والخطوط ج ٢ ص ٢٧٧ و ٢٩٧ وابن تغرى بردي ، مورد اللطافة ، ص ٣٣ ، )  
( A.Atiyeh, Art "Al Rawdah." E.I. Vol. III م ٠ ص ١١٢٢ )

بالقرب من المقياس حيث بني لهم قلعة جعل حولها الشواني الحربية المشحونة  
بالسلاح استعدادا للقتال .

وبلغ عدد مماليكه هؤلاء نحو ألف ملوك بذل لهم الرواتب والجوامع  
واكرمهم ايما اكرام ، وامرهم وصيرهم بطنائه ، لكنه منعهم من مخالطة الناصر . ولعلمهم  
بسبب هذا ، اصعدوا به بعد انشاء القلعة بقليل فهرب بعضهم الى التيه وطلبوا  
فيه خمسة ايام وملوا بعدها الى بقايا مدينة وجدوا فيها اسوانا ودورا ومهاريج  
خلة الماء وعثروا على دنانير ذهبية منقوشة عليها كتابة قد يمتد فاختارها السي  
الكرك حيث استبدلها . ولعلمهم كانوا بقيادة ركن الدين بيبرس الذي اغتراه  
الملك الصالح نجم الدين ايوب فيما بعد وامتاله اليه وقتله ( ١ ) .

وفي سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ هاجم لويس التاسع ، ملك فرنسا ، مصر  
ونزل دمياط ودخلها بغير قتال واستولى على ما بها من ذخائر واسلحة كان الملك  
الصالح نجم الدين ايوب قد حشد لها ويؤيد فغظم ذلك عليه وقصد المنصورة وهو  
مرضى ميثومر منه وانزل العذاب بالمسؤولين . واراد بعض الامراء ان يجهزوا عليه  
ثم رجعوا عن ذلك خوفا من سلطوته . ثم توفي في منتصف شعبان سنة ٦٤٧ هـ  
وكنتم خبر وفاته عن الجيش ( ٢ ) .

---

( ١ ) ابو الفداء ، ج ٣ ص ١٨٨ ، المعري ، السلوك ص ٣٤٠ ، ابن اياس ج ١ ص ٨٣ .  
( ٢ ) يبدو ان الملك الصالح اعتمد على بني كنانة في الدفاع عن دمياط فهرب هؤلاء  
عند وصول الفرنجة ، ولما انتصر الفرنجة والصالح نائم من اثر تقيده ، ارجف  
الناصر بوفاته لكنه لما افاق شنق المسؤولين عن الهزيمة ( ابو شامة ، ص ١٨٣ ،  
ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ١٨٧ ، ابن الخواطي ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ ، الذهبي ج ٢  
ص ١١٤ ، ١١٥ ، ابن اياس ، ج ١ ، ص ٨٥ ) .

توفي الملك الصالح نجم الدين ايوب في وقت حرج ، من غير ان يوصي بالسلطنة الى احد من بعده (١) . لكن شجر الدر ، زوجة ابيه ، علمت ثلاثة من الامراء بوفاة الملك الصالح ثم خرجت الى الجيش ودعته الى قسم يعين الولاة المسلمين ولايته ، وللامير فخر الدين الشيخ بالاتباع . ففعل الجيش ذلك ، ثم سار فارمر الدين اقلاني ، كبير مماليك السلطان الميت ، الى حصن كيفا ليعود بتورانشاه الى مصر . فاسرع المعظم الى دمشق ودخلها يوم الثلاثاء ٢٩ رمضان سنة ٦٤٧ هـ بواكم الامراء وبذل فيهم الاموال والخلق ثم قادرها يوم الاثنين ٢٦ شوال ، فاصدا الى المنصورة ووصلها في دى القعدة ، وتسلم السلطنة وحلف له الامراء والجيش بيمين الطاعة (٢) .

وكان الفرنجة قد احسوا بوفاة الملك الصالح نجم الدين ايوب ، فهاجموا المنصورة بعنف وتراجع الجيش الايوبي . ولما وصل المعظم تورانشاه نظم شوكون الدفاع واعلمن النفير العام وجهز العساكر . فانضم العوام والفلاحون للجيش فانهمز الفرنجة في معركة في ١٢ محرم سنة ٦٤٨ هـ وافاضوا على اخذ " القدر وبعض المال " مقابل تسليم دمياط فرفض المعظم ذلك . ثم احتدم القتال ثانية فاستسلم الفرنجة وامر لويصر التاسع نفسه . ثم رحل الملك المعظم الى فارسكور حيث لاقى حتفه (٣) .

- 
- (١) وقيل انه اوصى بتسليم البلاد بعده للخليفة العباسي في بغداد لانه لم يكن يرى ابنه المعظم تورانشاه مناسباً للسلطنة (ابو الفداء ج ٣ ص ١٨٨ ، المقرئ والسلوك ص ٣٤٣) .
- (٢) ابوشامة ، ص ١٨٣ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ١٨٨ ، ابن شاذي السكيتي ، ج ١ ص ١٨٥ ، المقرئ والسلوك ، ص ٣٤٣ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٣٨ ، وادنا تساءلنا لم يبع عن السبب الذي حدا بالمعظم الي ان يتأخر في دمشق من ٢٩ رمضان الى ٢٦ شوال ، اجابنا ابن ايامر ( ج ١ ص ٨٦ ) بانه ابطاً ربما لم يموت ابوه . وهو يجعل تاريخ المبايعة اول محرم سنة ٦٤٨ هـ .
- (٣) ابوشامة ص ١٨٣ ، ابن الفوطي ص ٢٤٦ ، ابو الفداء ، ج ٣ ص ١٨٩ ، ١٩٠ ، الداهي ج ٢ ص ١١٦ - ١١٧ ، ابن ايامر ج ١ ص ٨٦ - ٨٧ .

٤ - المعظم تورانشاه - مقتلهم وملطنة البحرية .

وفي المعظم تورانشاه العرش بمساعدة ماليك ابيه البحرية ، راحصن هؤلاء خدمته ، وبدلوا الجهد حتى احرز انتصار فارسكور . والمتوقع بعد ذلك ان يقوم بيمن السلطان والماليك تعاون يثبت اركان السلطنة ، ولكن الذي حدث كان غير المتوقع . واجهدا الخلاف بين الماليك البحرية والسلطان اسباب كثيرة سردها المؤرخون

وهي :

اولا . ريث انهم عن ابيه ملكات " اسباب الدوا" انه من اسباب صغيرا حادثة في الحرم " حتى انه ان " لا يعمل عشرة رئيس مدرسة رانيري مالف لمدة . . . رانها طاح الديانة لا توتر " (١) وكان شديد السطوة ، متجبرا لا يميل الى احد من اصحابه ولا من اهل ولا من اولاده . وحل نفسه مفعله ابوه يوم تولى السلطنة . السهم يعتقل الامراء الذين جاوروا به الى العرش .

ثانيا - كان يارب المرويع امامه عددا من السموع ثم ياخذ السيف ويضربها به مشيرة بذلك الى انه سيبيد الماليك البحرية .

ثالثا . طالب جرد الدر مشقة والده واجبا بانه بانها انتهت في سارية العزبة ، ثم يفتد مع بالجواب ، وفكك بجدته ام الملك المالح نجم الدين لانها " انكرت عليه امورا لا ترنس " .

رابعا . نكث المعظم تورانشاه بوعد المفاوض اعطى باقطاعه حصن كيفا .

خامسا . اتهم بالتهاون بعد اردة العرنجة حتى انه ركيب مركبا واحد يتنحى الى الحركية واعتبر انه " لا يتاتي منه خير ولا يجيى منه ملك يعيم منار بيته " .



سادسا - التنافس بين الامراء والدمر عند المعظم . وقد اعتقل السلطان احد كبار  
امراء الفرق المتطاحنة . ويفرد المقرئى بذكر هذا السبب ( ١ ) .

وهكذا نجد ان السلطان المعظم قد اثار جميع العناصر ، ولم يكن له عنصر  
يعتمد عليه في هذا الخضم . فكان ان اتفوا على قتله حين " ظن ان الوقت عفا له " .  
بيد ان لي سوءا هنا . ما هو الدافع الذى حدا بالامراء الى دعوته من  
حصن كيفا وقد كان ابوه ابعده الى هناك خشية ان يعطيه الامراء ( ٢ ) . قد يكون العسول  
بانهم انما اتوا به خشيما ليفتلوه ليكون ذلك رقبة الجسر الى تأسيس سلطان الماليك ،  
تولا مبالغافيه يفترض التصميم المسبق . وعندى ان الخلاف يعود الى اتساع نفوذ  
الماليك البحرية بالدرجة الاولى . وما الصورة التي يعطينا اياها ابن عبد الظاهر  
لطريقة معاملة المعظم للبحرية ، والاعمال التي قام بها هؤلاء الادليل على معسلة  
هذا النفوذ . ويصور لنا ابن عبد الظاهر بوضوح خوف الماليك على انفسهم اذا ما  
اعلم ان المعظم واستمر سلطانهم ( ٣ ) . يبدو لي ان الماليك ارادوا ان تكون السلطة  
الفعلية لهم ولذلك رفضوا تسليم البلاد للخليفة ، بينما اراد المعظم ان تكون السلطة  
الحقيقية بيده ولا يتأتى له ذلك الا بابعاد هذا العنصر المتنعد واستبداله بعنصر  
جديد .

وفي محرم سنة ٦٤٨ هـ / ايار ١٢٥٠ م قتل المعظم تورانشاه بضرمة سيف

---

( ١ ) ابن عبد الظاهر ص ٣ - ٤ ، اليونيني ، ج ١ ص ١٨٦ - ١٨٧ ، المقرئى ،  
السلوك ص ٣٥٨ - ٣٥٩ ابن تغرى بدلى ، مورد التافة ، ص ٣٣ ، ابن ابي عامر  
ج ١ ص ٨٨ .

( ٢ ) ابن شاكر الكتبي ، ج ١ ص ٨٦ .

( ٣ ) ابن عبد الظاهر ، ص ٣ - ٤ .

من احد الماليك حين مد السباط اد تقدم اليه هذا الملوك وغربه بالسيف  
فتلقى السلطان الشرسة بيده فانقطعت اصابعه ، وهرب الى برج خشبي  
كان قد نصبه له هناك ، وحينئذى " من جرحني " ففيل له . " انهم الخشبية "  
فانكروا ذلك وقال : " انهم البحرية " . واتسم انه سيبيدهم . ومعد الى اعلى البرج  
فاضرم الماليك النار بالبرج ورموه بالنشاب حتى القى نفسه في النيل وهو يطلب  
من الماليك ان يتركوه يعود الى حصن كيفا فرفضوا واجهزوا عليه خشبة  
ان ينفثهم ( ١ ) .

#### ٥ - شجر الدر .

وبمقتل المعظم تورانشاه كادت الحالة تضطرب امام تصارع الامراء الطامعين  
( ٢ ) . حتى ان الاسرى الفرنج ثاروا وانطلقوا من المسجون يخربون ويقتلون  
حتى استطاع الجيش بعد جهد ان يحيط بهم ويحول دون متابعة التخريب ( ٣ ) .  
وامام هذا الواقع اجمع راي الامراء على ملادة شجر الدر ( ٤ ) ، زوجة الطاك

- 
- ( ١ ) ابو شامة ، ص ١٨٥ ، ابو الفداء ، ج ٣ ص ١٩٠ ، ابن شاکر الكتبي ، ج ١ ص ١٨٧ .  
المقريزي ، السلوك ، ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ابن ايامر ، ج ١ ص ٨٨ .  
( ٢ ) وهم فخر الدين يوسف بن حموية ، وفارص الدين اعطاي ، وابو علي الهذلي .  
( ٣ ) ابن الفوطي ص ٢٤٧ .  
( ٤ ) جارية الطاك الصالح ومحظيته . كان لا يفارهما في حل ولا ترحال . اما اصلهما  
ففيل انه تركي وفيل انه ارمني . ( اليونيني ج ١ ص ٦٦ ، ابو الفداء ، ج ٣ ص ٢٠١ ،  
المقريزي ، السلوك ص ٣٦١ ) .

الصالح نجم الدين ايوب، وتعيين عز الدين ايبك التركماني اتابكا لها . وفي  
صفر سنة ٦٤٨ هـ سلمت السلطنة وارضت الامراء ومنحتهم الاموال والهدايا  
تعزيزا لمركزها ، ولكنها لم تبق في دست السلطنة الا نحو من  
ثلاثة اشهر ( ١ ) .

وفي هذه الفترة ساست البلاد " احسن سيامة " وكانت النام عنهما  
راضية " ( ٢ ) وقع خلاف بين شجر الدر والامراء واستغل هؤلاء استياء  
ال خليفة المستعصم بالله من بغداد ، والامراء الايوبيين في مصر  
وبلاد الشام واتفقوا مع الغضاة على عزل شجر الدر وسلطنة عز  
الدين التركماني ، وتزويجها منه ( ٣ ) .

وباعلان عز الدين هذا سلطانا انتهى فعلا عهد السلطنة الايوبية  
في مصر . لم يكن املك الصالح نجم الدين ايوب يعلم يوم انشائه  
العهدة ابجسية انه بذلك انما يدخل عنصرا جديدا سيفضي عسى  
سلالته ، ولكن هذا هو الذي جرى .

---

( ١ ) اليونيني ، ج ١ ص ٦١ ، ابو الفداء ج ٣ ، ص ١١٠ ، المقرئ ، السلوك  
ص ٣٦١ - ٣٦٢ ، ابن اياس ج ١ ص ٨٩ .  
( ٢ ) ابن اياس ، ج ١ ص ٨٩ .  
( ٣ ) اليونيني ، ج ١ ص ٥٩ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ابن  
تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ١٣ ، ابن اياس ج ١ ص ٨٩ و ٩٠ .

٦ - عز الدين ايبك التركماني ( ١ ) .

وعز الدين ايبك (٢) هذا تركي الاصل من مماليك الملك المالح نجم الدين ايوب لازمه في حصن كيفا حتى صار جاً شكيره (٣) . ثم نال درجة الامارة . ثم صار اتابكا المعسكر في عهد شجر الدر ، وما هو يصبح زوجا لها وسلطانا على مصر في اوائل سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ (٤) .

ووجد عز الدين ايبك نفسه امام معارضة من بعض امراءه ، والواقع انهم قبلوا به سلطانا اعتقادا منهم انه ضعيف الشوكة " من اوسط الامراء " ، يمكن عزله ساعة يشاؤون (٥) لكن الامر الذي شغل باله واسكت المعارضة الداخلية هو مقاومة الامراء الايوبيين في بلاد الشام ، اى ما يمكن ان نسميه بالخطر الخارجي اليوم .

في ربيع الآخر سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م تسلم الناصر صلاح الدين يوسف دمشق واتصل بملوك بني ايوب في بلاد الشام فانضمت اليه قوات من بعلبك وبصرى وحمص وعجلون والسلط فسي حلف ضد المماليك . فغضب السلطنة من الايوبيين . فخشى المماليك ذلك واتوا بمظفر الدين موسى ابن الملك الناصر يوسف بن الكامل ،

- 
- (١) ينبغي ان لا نخلطه مع امير اخر يحمل اسم عز الدين ايبك . وهو صاحب سرخس وقد نبض عليه الملك المالح نجم الدين ايوب سنة ٦٤٥ هـ . (اليونيني ج ١ ص ١٦٦ الديلمي ج ٢ ، ص ١١٤ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٣٠٩ ، ص ٣٢٩ .
- (٢) الكلمة تركية من جزئين ، الجزء الاول ، اى بمعنى معناها القمر والجزء الثاني بك ، ومعناها الامير ( ابن تغرى برلى ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ١٩٠ ) .
- (٣) معناها ذواق الطعام قبل السلطان وخشية التسمم .
- (٤) ابو شامة ، ص ١٩٦ ، اليونيني ، ج ١ ص ٥٤ و ٥٥ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٣٦٨ ، ابن تغرى برلى ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ٤ ، ابن ايامر ج ١ ، ص ٩٠ . وتواريخ اسلام عز الدين السلطنة مختلف فيها بين المصادر .
- (٥) اليونيني ، ج ١ ص ٥٥ ، ابو العلاء ، ج ٣ ، ص ١٩٢ ، ابن تغرى برلى ، النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٤ .

وعمره نحو عشر سنوات وأمامه سلطانا ولفيوه الملك الأشرف ، وعينوا عز الدين -  
أتابكا للجيش ، أو شريكاً له في الحكم . واستمرت القوات الأيوبية زاحفة نحو عسره  
فاضطدوا بجيش العماليك عند العباسية ، حيث انهزم بعض الجيش المصري  
وتبعه بعض جيش الأيوبيين إلى القاهرة وأعلنوا سلطنة الناصر يوسف فيها ، لكن  
العسم الآخر من الجيش الأيوبي بقيادة الناصر نفسه ظل بعيداً مشرداً فطن الأيوبيون  
المنتصرون في القاهرة أنه مات فعادوا نحو بلاد الشام . وعاد عز الدين إلى القاهرة  
منتصراً (١) .

وظن عز الدين أن الفرصة مواتية للتخلص من الأشرف ، لكن كبار أمراءه  
فارضوه فقرر اعتقال فارس الدين أقطاي فهرب هذا ومعه ما يقارب ألفي فارس  
واتصلوا بالمغيث ، صاحب الكرك ، فاضطر عز الدين للتراجع عن خطته . فاعلن  
البلاد للخليفة المستعصم بالله ثم جدت الأيما الملك الأشرف بالسلطنة .  
ولعز الدين بالأتايبكية ، وعاد إليه البحرية الفارون . (٢) .

وعادت المناوشات بين الأتايك المملوكي والناصر صلاح الدين يوسف واستمرت  
نحو سنتين (٣) حتى وجد الخليفة أنه لابد من التدخل المملح بينهما . وفي سنة  
٦٥١ هـ / ١٢٥٣ أرسل الخليفة البادراني (٤) للتوسط بينهما فانعقد المملح .

- 
- (١) أبو شامة ، ص ١٨٦ اليونيني ، ج ١ ص ٥٥ و ٥٦ ، أبو الفداء ، ص ٣ ص ١٩٢ المقرئ  
السلوك ص ٣٦٩ ، ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة مج ٢ ص ٧٥ ، ٧٦ ، ٢٣٠ .
  - (٢) اليونيني مج ١ ص ٥٥ ، أبو الفداء ، مج ٢ ص ١٩٢ ، المقرئ ، السلوك ص ٣٢٠ .
  - (٣) وفي هذه الفترة اتصل كل من الناصر صلاح الدين وعز الدين أيوب بلويسر التاسع  
في عكا لكسب محالفته . فناور هذا بين الطرفين وتخلص من بعض شروط الاتفاقية  
التي كان وقعها بالمنصورة لكنه بقي على الحياد (R. Grousset) ج ٣ ص ٥١ .
  - (٤) ولد سنة ٥٩٤ هـ . وسمع الكثير وتقدم وبرع وأفتى ودرر وسفر للخليفة عند ملوك  
الشام وولي قضاء القضاة ببغداد . كان فاضلاً صالحاً متواضعاً . توفي سنة ٦٥٥ هـ /  
أبو شامة ، ص ١٩٨ ، ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة مج ٢ ص ٥٧ .

على ان تكون مصر لعز الدين والبحرية من جهة ، وبلاد الشام ، ابتداءً من  
غزة ، الناصر صلاح الدين يوسف ، من جهة ثانية (٢) .  
وبهذه الاتفاقية التي أبرمت على يدى رسول الخليفة ، قويت شوكة عز الدين  
وجمع حوله الامراء المخلصين له ريثما تمنح العزمة للاستقلال بالسلطنة .  
وكان فارم الدين اقلناى زعيم حركة المقاومة بين الامراء البحرية لاستقلال  
عز الدين بالسلطنة . وكان له نفوذ كبير بين العماليك البحرية . وطمع بالسلطنة  
وايده الامراء والتفت البحرية حوله . وكان يستهين بعز الدين ايها وياخذ  
من بيت المال ما يشاء . وصار اصحابه يستولون على اموال الناصر ونسائه واتصل  
بالناصر صلاح الدين يوسف تحت اسم عز الدين وبصره . فلا بد من الفتك  
به لئلا ينسحق له الاستقلال بالسلطنة . فاتصل عز الدين بالناصر صلاح الدين  
يوسف يستشير به بشأن الفتك بفارم الدين فلم يجبه . لكنه كان مصمما على التخلص  
منه .

كان فارم الدين قد طلب من عز الدين اخلاء قلعة الجبل ليسكن فيها  
مع زوجته بنت صاحب حماء . فلما علم السلطان بقرب وصول فارم الدين الى  
مصر ، احمر بضرورة السرعة بالعمل ليتخلص منه قبل دخول القلعة . فاتفق السلطان  
مع زوجته شجر الدر واثينا بعدد من العماليك ، بينهم سيف الدين قلاوون الى كمين  
في قلعة الجبل ، ثم استدعى فارم الدين الى القلعة ظهر يوم الاربعاء

---

(١) اليونيسى ، ج ١ ، ص ٥٨ ، ابو الغداء ، ج ٣ ، ص ١١٤ ، و ١١٥ ، ابن  
تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٠ و ٢٣ .

٣ شعبان سنة ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ فجاء افطاي غير مكترث . ولما دخل قاعة الاعمدة في قلعة الجبل اعلقت الابواب لمنع مآليكه من الدخول ، وهجم عليه الحمايك من كمينهم " وهبروه بالسيوف حتى مات " (١) .

وكنم عز الدين مقتل فارموالدين حتى المغرب ثم سرت الشائعات فاجتمع امام القلعة نحو سبعماية ملوك من البحرية ، ولما تحفوا الامر ، مروا المغرب ، وخرجوا في الليل من القاهرة . وعقد عز الدين الى مصادرة املاك الهاربين واموالهم زوج انصارهم في السجن (٢) .

وهنا حلف الجوالعز الدين فخلع الملك الاشرف واستقل بالسلطنة . فعاد الناصر صلاح الدين يوسف صاحب دمشق وحلب الى مهاجمته مرة اخرى . وجرت معركة عنيفة اتصل فيها بعض الحمايك العزيزية بالبحرية الهاربين وكادوا يعتقلون عز الدين لولا ان علم بالموامرة وفر المتآمرون كي لا يقبض عليهم . ومرة اخرى تدخل الخليفة بسبب وجود الخطر التتري وارسل البادراني لعقد الصلح بين الناصر وعز الدين وتم ذلك سنة ٦٥٣ هـ / ١٢٥٥ م على ان تكون مصر لعز الدين ، وبلاد الشام للناصر (٣) .

---

(١) اليونيني ، ج ١ ، ص ٥٨ ، ٥٩ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ١٩٩ ، ابن الغوطي ص ٢٧٢ .  
المقريزي ، الملوك ، ص ٣٨٩ - ٣٩١ ، ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة مج ٧ ص ١٢  
٣٠٠ ، ٢٢٣ ابن اياس ، ج ١ ، ص ٩٠ . ويقول اليونيني والمصدران الاخيران ان القتل كان الاثنين في ١١ شعبان .

(٢) ابن عبد الظاهر ص ٦ - ٧ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ١٩٩ ، ابن الغوطي ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .  
المقريزي ، الملوك ، ص ٣٩٠ - ٣٩١ ، ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٢ ،  
ابن اياس ، ج ١ ، ص ٩١ .

(٣) اليونيني ، ج ١ ، ص ٥٩ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ١٩٩ ، ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة  
ج ٧ ، ص ٢٤ و ٢٧ .

وفي سنة ٦٥٤ هـ : ١٢٥٦ م أرسل عز الدين ايبك الى الخليفة يلتزم منه  
تشريفا بالسلطنة . وكذلك فعل الناصر صلاح الدين يوسف ، لكن الخليفة منح التشریف  
لسلطان المماليك (١) .

ثم اراد عز الدين ان ينشيء خلفا مع بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل بالتزوج  
من ابنته ، ليخلو بذلك ، الناصر صلاح الدين صاحب دمشق وحلب . لكن هذه  
المحاولة اودت بحياته .

فلما ان الامراء اتفقوا على سلطنته حسما لنزاع بينهم واعتقادا منهم بانسه  
اضعفهم . لكن عز الدين لم يكن ضعيفا ، ولم يكن يريد ان يكون ظلالغيره . فكان  
طبيعيا ان ينعم الامراء عليه ويعلموا المتخلص منه . فلما علموا بعيرة زوجته لانسه  
اراد التزوج عليها اتصلوا بها ونفذت لهم ما ارادوا . وقتل عز الدين في ١٤ ربيع  
اول سنة ٦٥٥ هـ / نيسان ١٢٥٧ . ثم اعلن انه مات فجأة فلم يمدق مماليكه  
الرواية وقبضوا على شجر الدر وماليكها فاقتروا بها جرى (٢) .

#### ٧ — المنصور نور الدين عيسى .

ومرة اخرى عاد الامراء الى الاختلاف حول السلطنة . ثم اتفقوا على سلطنة  
المنصور نور الدين عيسى ، بن عز الدين ، وتعيين سيف الدين قطز نائبا للسلطنة والامير  
فارس الدين اقطاي المستعرب اتابكا للحساكر . وبم الخمين . في ٢ ربيع الاخر سنة ٦٥٥

- 
- (١) ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢٠٠ .
  - (٢) ابو شامة ، ص ١٩٦ ، اليونيني ج ١ ص ٤٥ ، ٤٧ ، ٦١ ، ٦٢ ، ابو الفداء ، ج ٣ ص ٢٠٠ و ٢٠١ ، المقرئ ، الملوك ، ص ٣٩٥ ، ٤٠٤ ، ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٤١ ، مورد اللطافة ص ٣٣ ، ابن ايامر ، ج ١ ص ٩٢ ، اما شجر الدر فقتلتها جوارى ام علي ، زوجة عز الدين بالفباقيب ورميت في خندق اياما حتى دفنت في تربتها بطريق السيدة نفيسة .



هـ / ١٢٥٧ ركب نور الدين بشعار السلطنة وسعد الى قلعة الجبل وحلف الامراء  
والجيش له بالطاعة والولاء (١) .

وبمقتسل عز الدين اخذ البحرية الفارون يعودون الى مصر . وكان  
اول من عاد منهم البحرية الدين لجأوا الى السلاجقة (٢) .

وقد تميز عهد المنصور بثلاثة امور هي اصطداماته مع نائب السلطنة .  
واصطدامه مع الايوبيين ببلاد الشام ، ثم دخول التتر بعداد . فقد اصطدم بنائيه  
حول ملاحقة انصار شجر الدر والامراء الدين ثاروا عليه في رمضان ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧  
ثم سوى الامر بينهما (٣) ثم جرت معركة مع جيوش المعيث عند المالحية وانهمزم  
جيش المعيث وانتصر الجيش المملوكي بقيادة سيف الدين قطز (٤) . ثم  
استولت جيوش التتر على بعداد واخذت بالحرق نحو حلب . فكانت فرصة  
مناسبة لقطز ليلخعه ويستولي على السلطنة .

---

(١) اليونيني ، ج ١ ص ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٠ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٤٠٥ ،  
ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٤٣ - ٤٤ .

(٢) المقرئى ، السلوك ، ص ٤٠٦ .

(٣) اليونيني ج ١ ص ٥٠ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٤٣ ،  
— ٤٤ .

(٤) اليونيني ، ج ١ ص ٥٠ ، ٥١ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ١٩٢ ، المقرئى  
السلوك ، ص ٤٠٦ .

# ٨ - سيف الدين قطز (١).

كان قطز اشقر اللون ، وافر الحية (٢) . وقيل انه ابن اخت السلطان جلال الدين خوارزمشاه ، سبي عند غلبه التتار على خوارزمشاه وبيع في دمشق ثم اخذ الى القاهرة . ويقال ان اصل اسمه محمود بن مودود (٣) وقد كثرت الروايات حول قطز قبل سلطنته ولكنها تشير الى انه اصل للسلطنة (٤) . ثم صار نائب السلطنة في عهد المنصور نور الدين علي . وفي اواخر سنة ٦٥٢ هـ / ١٢٥٨ كثرت جماعته وصار صاحب الامر والنهي دون السلطان لصغر سنه . ولما اعار التتار على بلاد الشام دعا سيف الدين قطز ، بصفته نائبا للسلطنة ، الاعيان والامراء والعلماء والقضاة الى مؤتمري دار السلطنة في قلعة الجبل المنظر في ام التتر . وحضر الاجتماع ابن العديم الذي قدم الى مصر من قبل الناصر صلاح الدين يوسف لتأليب اليهود على التتر . والشيخ عز الدين بن عبد السلام (٥) ، والقاضي بدر الدين السنجاري قاضي الديار المصرية ، والسلطان الملك المنصور .

- (١) معنى اسمه باللغة التركية الشرفية "الكب البذائع" S.Blochet "الشيخ السيد ص ٤١٤ ، ملحوظة ٤ .
- (٢) الذهبي ، ج ٢ ص ١٢٤ .
- (٣) اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٦٨ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٤٣٥ .
- (٤) حكاية حسام الدين بركة عن رفته لقطز صفيين حين كان الاول يسرج شعر الثاني وحكاية المنجم الذي قال له انه سيصبح سلطانا ويكسر التتار . (اليونيني ص ١ ، ص ٣٦٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨٤ ، ج ٢ ، ص ٣١٠ ، ٣٠ ، ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٨٥ ، ٨٦ .
- (٥) ولد سنة ٥٧٢ هـ / ١١٨١ م . لقب سلطان العلماء . له مواقف مشهورة في محاربة المماليك والملك الصالح اسماعيل حين ملهمه سيف والشفيف . كان فيليبيا فيسي جامع دمشق ، فعزل وسجن ثم اطلق سراحه فانتقل الى القاهرة سنة ٦٣٩ هـ / ١٢٤١ م . كان محبا للرقص ، نافذ الكلمة ، مرهوب الجانب . (اليونيني ، ج ٢ ، ص ١٧٥ ، ص ١٠٥ ادناه) .

وطرحت في المؤتمراتان — اولاهما ندوة اقامة سلطان قد ير للموقوف بوجه التتر . وكانت حجة قطز ان المنصور ضعيف يلعب الحمام ويتفرج على مناقرة الديوك ومناطحة الكباش ويركب الحمير الغره (١) فلا يستطيع تنظيم حملة لصد الاعداء الغزاة وثانيتهما جمع الاموال لتجهيز الحملة . وتحدث الحاشرون في القضيةين . ويبدو ان الامراء وافقوا على انه ليس لمثل هذه الحملة الا سيف الدين نفسه ، فكانه نال بذلك موافقة ضمنية على ما يبتغيه . اما القضية الثانية فقال ابن عبد السلام بصددها انه لا يجوز اخذ الاموال من الناس قبل ان ينعذ كل ما يبيت المال وكل ما مع الجند من اموال والات فاخرة (٢) .

وفي ذي القعدة (٣) من سنة ٦٥٢ هـ / ١٢٥٨ استعل سيف الدين قطز فياب كبار الامراء في رمي البندق واعتقل المنصور واخاه ووالدتهما وسجنهم جميعا في قلعة الجبل واعلن نفسه " ملك الديار المصرية وتلقب بالملك المظفر قطز " ثم عاد الامراء فانكروا عليه ما فعل فقال ان غايته هي الاجماع على محاربة التتري ظل سلطان قاهر ووعده بالتخلي عن السلطنة بعد الانتصار حتى يكون الامر لهم يزلون من يشاؤون ، فقبل البعض بهذا الكلام ، واعتقل الدين ثم يرضوا به ، ثم حذف الجيوش والامراء يمين الولا له (٤) .

- 
- (١) المقرئى ، السلوك ، ص ٤٠٦
  - (٢) ... ص ١٢٢ ، المقرئى ، السلوك ص ٤١٧ ، ابن تغرى بردى  
النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٥٥ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ابن ايامر ، ج ١ ، ص ٩٣ ، ٩٥ .
  - (٣) في ١٤ منه عند المقرئى ، السلوك ، ص ٤١٧ ، و ١٧ منه عند ابن تغرى بردى ،  
النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٥٥ و ٧٢ .
  - (٤) ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ١٩٩ ، ٢٠٧ ، الذبي ، ج ٢ ، ص ١٢٢ ، المقرئى ،  
السلوك ص ٤١٧ ، ٤١٨ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٥٥ و  
٧٣ ، ابن ايامر ج ١ ، ص ٩٣ .

ثم اخذ يعدد العدة لمواجهة القتر • فجمع الاموال من الاهالي بان فرض ديناراً على كل راس — ذكرًا كان او انثى • واخذ شهراً واحداً من اجرة الاملاك والارواقي • واخذ زكاة معجلة عن اموال الاعنياء والتجار • واخذ من الترك الالية ثلث اموالهم • واخذ على المحيطان واسواقى اجرة شهر • واخذت غرائب اخرى بحيث بلغ مجموع ما حصل عليه من الاموال نحو ستماية الف دينار (١) •

ثم وصل رسل هولاء الى قطز برسالة دعوة الى الممته • وتهديد اذا رفض الناعة • فجمع المظفر امراءه المتداول في الامر فقرر الراى على قتل الرسل والمسير الى ملاقاته ليقول • ثم ارسل مع ابن الحديم رسالة الى الناصر صلاح الدين يوسف يبعده فيها بالنجدة ويقول له انه لا ينافسه الملك وانفائه في مصر • ثم نودي في مصر بنصرة الخيوج المبيها • واخذت الجيوش تزحف الى بلاد الشام • ويوم الاثنين ١٥ شعبان سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م تبعهم المظفر قطز واجتمعت الجيوش كلها في المالحية (٢) •

وتابع جيشه الزحف الى عزة بعد تراجع القتر عنها • ثم اتى بالعرجة ليعبره — موقفهم في هذا الحراع فارسلوا اليه الهدايا واعرضوا عن استعدادهم لمحاربة القتر الى جانبه ثم تم الاتفاق اخيراً على الوقوف على الحياد (٣) •

(١) المنرى، الملوك، ص ٤١٢ و ٤٢٧ موابن تيمرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٧ ص ٥٥، ٧٢، ٧٣، ابن ايام، ج ١، ص ٩٣ — ٩٥ •

(٢) ابراهيم، ص ٢٠٧، اليونيسى، ج ١، ص ٣٦٦، ابو الفداء، ج ٣، ص ٢١٤، المنرى الملوك، ص ٤١٨، ابن تيمرى بردى النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٧٣ • وكان الناصر قد اراد الذهاب الى مصر • ووصل بالعدل الى عزة لكنه قتل راجعاً "اشي" بسوء عن الملك المظفر "هوسعي" هذا لاستمالة جنده • وبقي في وادى موسى ثم على بركة زيزاء حتى كبسه القنار وقتلوه الى هولاء، ثم قتل بعد ذلك في حصص سنة ٦٦٠ هـ • (ابن تيمرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٧٧، (E. Blochet) "النجوم الجديدة" ص ٣٧٩ • وفي هذا الاجتماع كان الناصر مؤيداً لقتل الرسل (رشيد الدين جامع السقويخ، م ٢ ج ١ ص ٣١٣) •

(٣) ابن عبد الظاهر، ص ١٣، (C. Cahen) ص ٧١٠ •

وفسي فزه جمع سيف الدين قطز جيوشه في استعراض عام وشرح

لهم ما جرى الاقاليم التي وقعت تحت سلطان التتر، وخرغنم على محاربة جيوش هولاكو.

اما جيوش التتر فكان كتبغا توين (١) مذبذبها . وكانه في الجيوش المملوكية

وعدد ١٠ انصاف عدد جيوشه . فعدد موافقا مع قواد المذرفي الامر . فاعاد عليه بعض

العامة بعدم الاستطاعة ان جيوشه لا يتجاوز عشرة الاف جندي ، لكنه امر على الماء وكانت

معركة عين جالوت في ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨ هـ / ايلول سنة ١٢٦٠ م .

ومرت المعركة في ثلاث مراحل . ففي المرحلة الاولى انهزمت مسيرة العساكر

فاردوها الحظوظ من العساكر فانتهز الجيش المملوكي وقتل كتبغا توين في المرحلة الثانية .

عندما اجاء الجيش المملوكي الى تل مجاور مهاجمه جيش المغول فقتل وانزل بهزيمة ساحقة،

في المرحلة الثالثة (٢) ثم تراجع التتر ، واستقرت الجيوش المملوكية في مرحلة تصفية .

ووصل خبر انهزام التتر الى دمشق في ٢٧ رمضان ففر منها التترومن والاهم ،

والحق بهم الناصر يشكونهم جراحا . ووقعت قتله بين الامم التي ادتار عامة الناصر على الدين

تعاونوا مع التتر وقتلوه ونهبوا اموالهم — من نصارى ومسلمين (٣) .

(١) معناها عشرة الاف . لكن المفريزي يقول ان معناها الف (ملحوظة ٣ ، ص ٢٨ ، ج ٢ ،

النجوم الزاهرة لابن تغري بردى) . وقد كان رائدا على ما يعتمد التتر (ابن تغري

بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٩٠ — ٩١) .

(٢) اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٦١ و ٣٨١ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢١٤ ، المفريزي ، الفتح ص

٤٣٠ — ٤٣١ ، ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٨٥ ، ( J. Mouton ) .

ج ٣ ، ص ٦٠ و ٦٠٢ . اما اسباب الهزيمة فهو تعرف التتر مع الامم ، وامتناع المبرجة

من مساعدتهم واستياءهم من انتقال ميدان المعركة من يد جيوشهم الى يد التتر .

فيل وصول كتبغا ، وكثرة عدد جيوش المماليك بالنسبة لجيوش التتر .

(٣) كان التتر في دمشق يشجعون النصارى على المسلمين ، فلما تراجع التتر كان رد المسلمين

عنيفا ، ابوشامة ، ص ٢٠٧ و ٢٠٨ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٢٦١ ، ابو الفداء ، ج ٣ ،

ص ٢١٤ ، المفريزي ، السلوك ، ص ٤٢٥ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ .

وتابع الحظير سيره نحو دمشق . مر في طبرية ووصل دمشق في شوال وبقي فيها مدة لتنظيم شؤون بلاد الشام بعد ان خضعت له . فابقي الناصر على ما كانوا عليه في اواخر ايام الملك الناصر صلاح الدين يوسف ، وحرض على تأمين الناصر على اموالهم واملاكهم وادفع العتقة بين الاهالي بان شق بعض الموالين المختار ، ثم قرر على النصارى مبلغا من المال . ثم عين الامير علم الدين سنجر الحلي واليا على دمشق . . . ووزع الاراضي اقطاعا على امرائه واصحابه (١) .

وعين الامير شمس الدين اقوش الديلي العزيزي نائبا على السواحل وغسرة ، فجعل مقره نابلس مرة ، وبيت جبرين مرة اخرى (٢) . وولى السعيد علاء الدين علي بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، على حلب ، لعله بذلك يضمن ميل اخيه اليه ، فيظهره على اخبار التترو تحركاتهم (٣) .

ثم توافد عليه صاحبها حمص وحماه فابقاها على اقطاعاتها لكنه اخذ السليبي من صاحب حماه ومنحها لشرف الدين عيسى بن مانع امير العرب (٤) . وشرب عنق السعيد حسن ابن الملك العزيز عماد الدين لانه ناصر التترو وخارب جيوشه في عين جالوت ، واخذ

- 
- (١) ابن عبد الظاهر ، ص ١٥ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٦٦ ، ٣٨١ ، ٣٩٢ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢١٤ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٤٢٣ ، ابن تغري بردي ، النجوم ج ٧ ، ص ٨٢ ، ٨٣ ، ابن اياس ، ج ١ ، ص ٩٧ .  
(٢) ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢١٥ ، ٢١٦ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٤٢٣ .  
(٣) اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٧٠ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢١٦ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٤٢٣ ، ابن تغري بردي ، النجوم ج ٧ ، ص ٨٢ .  
(٤) اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٦٦ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢١٤ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٤٢٣ ، ابن تغري بردي ، النجوم ، ج ٧ ، ص ٨٢ ، ٨٣ .

منه الصبيبة وبانياس (١) .

وبعد هذه الترتيبات فادر سيف الدين دمشق عائدا الى مصر .  
وفي الطريق قتل في ذي القعدة سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م .

---

(١) ابو شامة ، ص ٢٠٧ ، اليونيني ، ج ١ ص ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ج ٢ ص ١٧ ، ابو  
الغداء ، ج ٣ ص ٢١٤ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٤٣١ ، و ٤٤١ ، ابن تغري  
بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٨٠ .

بيبرس قبل السلطنة •

كان ضروريا ان ترسم صورة للسنوات التي سبقت وصول بيبرس الى السلطنة لان بيبرس شهدها واشترك في حوادثها وتأثيرها • ولعل هذا الاشتراك الفعلي فيها هو الذي حفزه الى الوصول الى السلطنة • وينبغي الان ان نتناول سيرته بالذات قبل ان صار سلطانا •

١ - البدايات :

كان بيبرس (١) تركيا (٢) برلي (٣) الجنسر • وقيل ايضا انه قعجاني (٤) ،  
(او قباقي) الاصل •

ولد بيبرس في خيمة صغيرة لاربوين فقيرين من جماعة العومان (٥) في ايلة ناسية من ليالي السهوب القعجانية الروسية • لكن سنة مولده ليست معروفة بالضبط • وتضعها المصادر بين سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ او سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٨ • وقد جعل المقرئ وابن تغري بردي سنة الولادة عام ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ على وجه التخمين (٦) وجعلها اخر سنة ٦٢٢ هـ وجعلها ابن شاکر الكتبي سنة ٦٢٥ هـ • لكنه روى عن بدر الدين بيسرى رواية يستدل منها ان مولد بيبرس لم يسبق سنة ٦٣٠ هـ بكثير (٧) •

- 
- (١) معناه الفهد • المقرئ والسلوك ، ص ٤٣٦ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٩٥ •
  - (٢) ابن عبد الظاهر ، ص ٢ ، والمقرئ والسلوك ، ص ٤٣٦ ، ابن ايامر ، ج ١ ص ٩٨ •
  - (٣) ابن عبد الظاهر ، ص ٢ • وقد جعله ابو الفداء (ج ٤ ص ١١) بربرلي الجنسر •
  - (٤) ابو الفداء ، ج ٤ ص ١١ • وقد انا "قبياقي" كما في السلوك ، ص ٦٢٧ ، والنجوم الزاهرة ج ٧ ص ٩٤ •
  - (٥) وهم جماعة بدوية غزوا امارات روسيا الشمالية ثم غزاهم جنكيز خان عام ١٢٢٤ م وعام ١٢٤٢ (F.Sadeque) ص ٢٩ من المقدمة •
  - (٦) المقرئ ، السلوك ، ص ٦٢٧ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٩٤ •
  - (٧) ابن شاکر الكتبي ، ج ١ ، ص ١٥٩ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٩٥ ، ٩٦ •



وفي هذه الاونة كانت الغزوات المحلية تتوالى على روسيا . وفي سنة ٦٣٩ هـ  
١٢٤٢ م . فزا التتر (١) التيجاق فانتحل - ولا - بانسر خان ملك اولاق (٢) يستجبرون  
به فليل ان يغدوا عليه . ونزلوا في سنة ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م بين جبليين ، متلمنين  
من فزوات التتر ، لكن جنود انسر خان غدروا بهم ، وقتلوا منهم جماعة ، وسبوا عددا اخر  
منهم . وكان بدر الدين بيسرى وركن الدين بيبيرس بين الاسرى .  
كان بيبيرس انداك دون العشرين سنة (٣) فبيع الى تاجر بيسواس ، ثم الى اخر  
في حلب ثم الى تاجر ثالث . وهنا تخطف الروايات . ففي رواية بدر الدين بيسرى  
ان بيبيرس حمل الى القاهرة حيث بيع الى الامير علاء الدين البندقدارى . وفي رواية  
اخرى ان النخامر مار به الى حماء وعرضه على صاحبها الحاك المنصور فرفض هذا شراءه  
لان والدته اشارت عليه بان لا يشتريه لان في عينيه ملامح شر . فحمله الى تاجري دمشق  
حيث باعه بثمانماية درهم لكنه عاد فرد له لبياش في عينيه . فعاد به النخامر الى حماء  
واشتراه منه العمد الحامع . وباعه هذا الى الامير علاء الدين ايدكين البندقدارى  
المعتقل في حماء (٤) . وفي رواية ثالثة انه بيع لعلاء الدين البندقدارى في دمشق (٥) .

- 
- (١) وعند ابن شاكركتبي (جا ، ص ١٦٠) ان العبارة هم الدين غزوا التيجاق  
واسروا بيبيرس .
  - (٢) وهي ( Bolgary ) على نهر الغولنا الاقلى ( F. Sadeque ) ص ٢٩ من  
المقدمة .
  - (٣) تقول ( F. Sadeque ) ص انه كان حوالي الرابعة عشرة من عمره .
  - (٤) ابو الغداء - ج ٤ ، ص ١١ ، ابن شاكركتبي ، ج ١ ، ص ١٦٠ ، المقرئى ، السلوك  
ص ٤٣٦ و ٥٢٤ ، ٦٣٧ ، ابن تغرى بوى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٩٥ ، ٩٦ .
  - (٥) محمد مصطفى زيانة ، حاشية ١ ، ص ٥٢٤ ، من " السلوك " للمقرئى .

وفي كل حال ، بقي بيبرس عند علاء الدين حتى انتقل الى الملك المالح نجم

الدين ايوب في شوال سنة ٦٤٤ هـ / ١٢٤٦ م (١) .

وهكذا يكون بيبرس قد قضى نحو من سنتين عند علاء الدين . كيف قضاها ؟  
المعقول ان يكون قضاها بالتدرب على ركوب الخيل والرمية . وكان الى جانب ذلك  
يتلقى اصول الدين الاسلامي . ولا ريب انه كان في هذه الفترة يراقب احداث زمنه .  
ويتعرف الى الصراع بين الامراء الايوبيين . ان طموحه لم يكن قد بلغ به بعد حد  
التطلع الى الاستفادة من هذا الصراع والاضراب ولكنه كان حاد الدهن ، نير البصيرة  
لا يمكن لهذه الاحداث ان تمر دون ان تدع في ذهنه اثرا .

ان حياة بيبرس في هذه الفترة غامضة فكاد لا نستطيع ان نتعرف الا على  
خطوطها العريضة وحسب . لكننا نستطيع ان نحسب ان هذا المصبي القوي نظرتيه  
الاخيرة على ابويه وعلى الوادي التي كانت قبيلته تنزلها بشي من الحنان ، ويكثير  
من الخوف والتساؤل . ثم نسم بعض الوقت فنسي امله واخذ يحاول ان يدرك الواقع  
الذي يعيش فيه ، فاذا به يجد نفسه معروضا في اسواق النخاسة في مدينة ارمدينة  
ثم يجد نفسه مرفوضا لعاهة في عينيه . حقا ان الظروف قاسية .

٢ - في عهد الملك المالح نجم الدين ايوب .

كيف انتقل الى خدمة الملك المالح ايوب ؟ ومتى انتقل الى خدمته ؟

ان المصادر تختلف في الاجابة على السؤال الاول . فهي تستعمل كلمة  
الشراء (٢) مرة ثم تستعمل كلمة المصادرة ، او الاخذ او القبض مرة اخرى (٣) . ويبدو

- 
- (١) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة مج ٧ ، ص ٩٥ - ٩٦ .
  - (٢) المقرئ ، السلوك ، ص ٤٣٦ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٩٥ .
  - (٣) المقرئ ، السلوك ص ٦٣٧ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٩٥ ، ٩٦ .

ان الملك الصالح نجم الدين ايوب اعجب ببيرس لشجاعته وقوة بنيته وفروسيته ومقدرته على الرماية ، ولانه كان "نجيبا لا ينبغي ان يكون الا عند ملك" فالحق به بحاشيته حين غضب على علاء الدين البندقدارى مرة ثانية سنة ٦٤٤ هـ (١) . ويحمل على هذا الاعتقاد انه كانت قدمرت فترة على بيرس في خدمة علاء الدين ، بحيث لغت صفاته هذه انظار الملك الصالح نجم الدين ايوب .

وهي كذلك مختلفة في اجابتها على السؤال الثاني . يقول G.Wiet انه اول ما نسمع ببيرس مع الصالح نجم الدين سنة ١٢٣٩ م (٢) . وهذا مستبعد جدا ، اولعله مستحيل . ويبدو لي انه خلطه مع بيرس اخر كان سجينا مع الملك الصالح نجم الدين ايوب في الكرك سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ (٣) . وفي هذه السنة يكون بيرس في سن الثامنة عشرة ، على ابعد تقدير ، فهل كان قد مضى عليه وقت كاف ليلفت نظر الملك الصالح نجم الدين اليه ؟ ثم ان الملك غضب على علاء الدين واعتقله في حماه سنة ٦٤٤ / (٤) . انساب الظن عندي ان وجود شخصين يحملان نفس الاسم في فترة واحدة ، وكون بيرس الاخر من اخفاء الملك الصالح نجم الدين ايضا وانتقال بيرس ، صاحب هذه السيرة الى خدمة الملك الصالح نجم الدين في شوال سنة ٦٤٤ هـ - كل ذلك قد ادى الى مثل هذا التثريب

---

(١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٩٦ .

(٢) ( G.Wiet ) ص ٤٢٧ .

(٣) ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ١٨٤ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٣١٦ ، ٣١٧ .

(٤) النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٩٦ .

والخلط • ليس لدى ما يثبت ان الانتقال تم قبل هذا التاريخ الذي يعينه ابن  
تغرى بردى (١) •

وفي سنة ٦٤٥ هـ / ١٢٤٢ م • كان بيبرس قد لغت اليه انظار الطاك  
الصالح نجم الدين ايوب فاعتننه وجعله جمداره (٢) • وفي سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م سار  
السلطان الى دمشق لرد صاحب حلب الناصر صلاح الدين يوسف • عن حصص (٣) •  
وكان بيبرس في وفته • ومرت الجيوش في الشام وتترك بيبرس في المدينة اثرا يحصل  
اسمه وتاريخ هذه السنة (٤) •

يبدو ان بيبرس اسمح لايفارق السلطان من جهة • وانه صار احد كبار  
الامراء البحرية • من جهة ثانية •

ثم كانت الحملة المملوكية السابعة حين فزا لويس التاسع دمياط واحتلها  
وتوغل حتى المنصورة • هنا لعبت الفرقة البحرية بقيادة فارس الدين اقطاي  
دورا اساسيا في رد الغزاة • ولعب الامير بيبرس دورا هاما في هذه المعركة  
بما ابداه من غروب الشجاعة والفروسية • ثم لعب دورا هاما ايضا في قتل  
المعظم تورانشاه • واليه ينسب التحريض على ضرورة قتل السلطان كسبي  
لايبيد البحرية • وهو الذي كال له الضربة الاولى • وهو الذي اتهمه بانـه

---

(١) النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٩٦ •

(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٦ •

(٣) المقرئى ، السلوك ، ص ٢٣٠ •

(٤) ( E.Honigmann, Art."Shawbak". ) م ٤ ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ •

عاجز عن ابقاء السلطنة في عقب الملك الصالح نجم الدين ايوب . واتهمه بالعمل للقضاء على امراء الدولة الصالحية ومصادرة اموالهم وتوزيعها على فيرهم (١) .  
لقد اصبحت اسمه يذكر مع كبار زعماء البحرية ، امثال فارس الدين اقطاي وعمر الدين ايبك وبلبان الرشيدى وفيهم (٢) .

### ٣ - عهد عز الدين ايبك .

ثم كان عهد عز الدين ايبك التركمانى . وكان يبهر وفارس الدين قد حاربا متنفذين ، اولعلهما كانا اوسع نفوذا وقوة بين البحرية من السلطان نفسه . وقد كانا "يمنعانهم من كل متعرض ويحميانهم من كل متعرض" (٣) . ثم بدأت الاحتكاكات بين السلطان والفرقة البحرية ، وكان اول ما فعله السلطان ان حدى قلعة الروضة ونقل المماليك البحرية الى قلعة القاهرة ثم انشاء فرقة خاصة به عرفت بالمعزية (٤) .  
ومما يفسر هذه الاحتكاكات ، او يدعمها ، ان بدر الدين بكتوت وقطرز وبيبرس التتواتات يوم بمنجم فطلب منه قطر ان يشرب له بالرمل ليرى مستقبله ، فقال له المنجم انه سيملك مصر ويكسر القنار . وضرب المنجم بالرمل لبيبرس ايضا فكان طالعه يسدل على انه سيملك مصر وفيها (٥) .

وفي سنة ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ قتل السلطان فارس الدين اقطاي فانطلقت قيادة البحرية الى بيبرس بعده . كان البحرية نحو سبعماية مملوك فجاءوا الى القلعة فوجدوها

- 
- (١) ابن عبد الظاهر ، ص ٤ ، المقرئى والسلوك ، ص ٣٥٨ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٩٦ ، ملحوظة ٥ .  
(٢) ( F.Sadeque ) ص ٣٥ من المقدمة .  
(٣) ابن عبد الظاهر ط ٦ .  
(٤) المقرئى والسلوك ص ٣٨٠ و ٣٨٦ .  
(٥) اليونينى ، ج ١ ص ٣٨٣ ، ٣٢٤ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٨٨ ، ٨٩ .

مغلقة ثم رأوا فارس الدين أقطاي يرمى تحت اقدامهم من سور القلعة فتحققوا خبر  
اقتيال فارس الدين وتداولوا في الامر فראوا انه لا بد من الهرب ، اذا شاؤوا السلامة .  
وفي الليل خرجوا من القاهرة ٨٠٠ رجلين في ثلاثة اقسام : اول قسم بقيادة الامير  
علم الدين سنجر الباشا ، اعقل العماليك البحرية واعرفهم ، وثاني قسم بقيادة الامير  
شمس الدين سنقر الجبيلي المشهور بالفروسية والشطارة ، وثالث قسم بقيادة بيبرس  
البنكداري ومعه سيف الدين قلاوون وبدر الدين بيسرى وبيرهما من الامراء .  
وتصد الفرغان الاولان السلاجقة الروم وقصد العريق الثالث غزة (١) .

#### ٤ - بيبرس في بلاد الشام - الفارس الضال

ولما وصل بيبرس وجماعته غزه اتصلوا بالملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب  
دمشق وحلب وعرضوا عليه الدخول في طاعته . فاجابهم بالقبول ، فساروا اليه مارين  
بالمناطق الساحلية التي يحتلها الفرنجة . وكان طبعيا ان يلاقوا معويات في تاميس  
القوت لكتهم لجأوا الى النهب والطلب .

وقاربوا دمشق في رمضان سنة ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م فخرج الملك الناصر صلاح  
الدين لملاقاتهم والترحيب بهم فحلفوا له بالطاعة والولاء ، ثم خلع عليهم الناصر الخلع  
والاموال ، واكرم بيبرس بصورة خاصة ادمنحه ٣٠ الف درهم وثلاثة قطريخا وثلاثة قطر جمال  
وملابس ، ثم افطعه انطاخا بحلب ، لكن بيبرس استبدل باقطاع في جينين وزرعين فقبل  
الملك الناصر بذلك . وهكذا استمر بيبرس واخذ بقية البحرية يتسللون اليه حتى جمع  
شملهم (٢) .

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ٧ ، ابو الغداء ، ج ٣ ، ص ١٩٩ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٢٩٢ .  
ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٩٧ .  
(٢) انظر ملحوظة ٥ ، ص ٥٢ اعلاه .

ولعل في اختيار بيبرس جينين وزرعين اقتناعا له بدلا من طلب دايلا على بعد نظره  
من جهة ، وعلى انه كان قد اخذ يعتبر مصر هي المركز ، فيجب ان لا يتعد عنها ، وطلب  
بعيدة لا يسهل تسلل رفاقه اليها .

ولكن حياة الاستقرار هذه لم تطل . اد ان عز الدين ايبك كتب للناصر صلاح الدين  
يوسف ولما حب سلاجه ارمم يثير فيهما الحذر والريبة من العماليك البحرية (١) . وزاد فسي  
انظر اليهم انهم اخذوا يعملون المثار من عز الدين فافنعوا الناصر صلاح الدين بمهاجمة مصر .  
وفي اواخر سنة ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ جهر الناصر العماليك البحرية بقيادة بيبرس ، واتبعهم بجيش  
من الشهرزورية ، المهاجمة مصر ، فوصلوا الى غزة ثم عادوا ولم تجر معركة (٢) لان بيبرس حذر  
القاود المملوكي مما يبيتة الشهرزورية (٣) . وفي السنة التالية عاد الناصر فامسك المهاجمة مصر  
جيشا اخر فيه البحرية بقيادة بيبرس ، لكن الخليفة تدخل وانعد المصلح على ان " لا يماوي  
الناصر عند احد من البحرية " . وقد قبل الناصر بهذا الشرط لارتياحه في صدق ولا البحرية  
له (٤) .

وهنا وجد بيبرس نفسه منتظرا للانتقال . فقدم القدم ، وهو تابع الملك الناصر صلاح  
الدين يوسف نكايه به ، واحتله واطلب فيه للملك المحيث صاحب الترك ، ثم صار الى غلبته  
وهي تابعة الناصر ايضا ، واستولى على غلاتها واعتقل واليها . فلم يجد الناصر بدا من مهاجمة  
واستلهم بهم في شوال ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ عند نابلس حيث جرت معركة عنيفة انهزم فيها بيبرس ،  
وانقسم البحرية الى جماعتين : جماعة بقيادة الامير عز الدين ايبك الافقم ، دخلت مصر وقبيل افراد ١٨  
بالاكرام من قبل السلطان نور الدين مولو ان الاهالي لم يكونوا راضين عن هذه العودة  
له (٥) .

---

(١) المنري ، السلوك ، ص ٣٩٣ ، ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ٩٧ .

(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ٧ ، ابو الفداء ، ج ٣ ص ١٩٩ ، الذهبي ، ج ٢ ص ١١٩ .

(٣) ابن عبد الظاهر ص ١٣ .

(٤) ابن عبد الظاهر ، ص ١٢ ، اليونيني ، ج ١ ص ٥٠ ، المنري ، السلوك ، ص ٣٩٦ ، ٣٩٨ ، ٤٠٦ .

ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ٩٨ .

(٥) ابن عبد الظاهر ، ص ٧ ، اليونيني ، ج ١ ص ٥٠ - ٥١ : ابو الفداء ، ج ٣ ص ٢٠١ ، ابن

تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ٤٤ - ٤٥ .

اما الجماعة الثانية فبقيت مع بيبرس . ودعوا الى المعيث ودخلوا في طاعته ،

فاكرمهم صاحب الكرك ، وعلم بحرية منردون بذلك فانضموا الى بيبرس في الكرك .

وهنا اختلط بيبرس بالشهزوة وتزوج من امرأة منهم (١) .

وكانت مصر لا تزال هد ف بيبرس . لذلك لم ينع بما اصابه من هزيمات حتى الان .

فعاد الى امناع المعيث بمهاجمة مصر ، بحجة الشرعية ، وامسى المعيث اليه وانفق مبالغ

طائلة من الاموال لتجهيز حملة لاحتلال مصر .

وسارت الحملة باتجاه مصر على مرتلتين كانت اولاهما جيشا بقيادة بيبرس

وكانت ثانيتهما جيشا اخر بقيادة المعيث نفسه . وعلمت الجيوش المملوكية بذلك فزحفت

الى فزة بقيادة نائب السلطنة سيف الدين قطز . وجرت المعركة الاولى عند العباسية

في ربي الفعدة سنة ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ وفيها ابدى بيبرس فنونا شتى من الشجاعة

والاقدام ، فاتصل به بعض الامراء البحرية في مصر يشيرون عليه بالانضمام اليهم ، لكنه

رفض وتابع القتال حتى انهزم وتراجعت قواته ، ولقيت صعوبات جمة في تأمين القسوت

والماء .

وكان حده على سيف الدين قطز ، وقد اشترك باعنيال فارس ادين اقطاي

لا يعرف حدا ، بذلك عاد الى المعيث وافنده ان يعيد الهجوم على مصر . وفي ربيع

الاخر ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ جرت معركة الماحية وانهمز فيها جيش المعيث وهرب هـدا

سينجو بنفسه بعد ان نهب ما معه ، وفر بيبرس ايضا ، وانتقيا في الكرك . وطبيعي ان ينقم

المعيث على بيبرس تورطه في هذه المعارك الفاشلة لكنه خشي الخصومة العلنية

معه خيفة ان ينضم الى غيره (٢) .

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ١٣ ، ابن شاذان الكتيبي ج ١ ص ١٦١ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٢٤٠

ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٢٩ .

(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ ، اليونيني ج ١ ص ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٨٥ ، ابو الفداء ج ٣

ص ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، المقريزي ، السلوك ص ٤٠٦ ، ابن تغري بردى ،

النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٩٨ ، ٩٩ .



وعلم الناصر صلاح الدين يوسف بذلك فاراد ان يفضي على البحرية ، فارسل جيشه لمحاربتهم لكن قوات بيبير من المبالغة نحو متماية مملوك بحوى ، كسرت جيشه وطارده الى جوار دمشق . فخرج الناصر بنفسه لمددهم ، لكنه فشل ايضا ، حتى كان بيبيرمر يقصد خيمة الناصر بالدات ويقطع اطنابها (١) . واسطدم الناصر بهم مرة اخرى فسي اوائل ٦٥٧ هـ / ١٢٥٨ ، لكنهم هربوا هذه المرة الى الكرك ، فتبعهم الى بركة زيزاء . واتصل بيبيرمر يستميله اليه فرفض . لكنه لما علم بانعداد الصلح بين الناصر والحفيث على ان يسلّم هذا الاخير من عنده . من البحرية ، وجد نفسه مضطرا لمفاوضة الناصر للدخول في طاعته . وانه الظروف اد ان المعول كانوا دخلوا بعداد ، فخشى الناصر على نفسه ، وفاوض بيبيرمر على اقطاعه نابلس وروجنينين وزرعين فجاء ، بيبيرمر في رجب سنة ٦٥٧ هـ / ١٢٥٩ ، فآكرمه الناصر واكم جماعته ايعا اكرام ( ٢ ) .

وهكذا عاد بيبيرمر الى الناصر . ولكنها كانت العودة الاخيرة ، قبل الرجوع الى مصر . حرضه مرة اخرى على مهاجمة مصر . فلم يقبل الناصر نصيحته هذه المرة . ثم فاضحه على تجنيد اربعة الاف فارس يتوجه بها نحو الفرات ليمنع السمر من العبور الى بلاد الشام فما رضي الناصر ذلك ايضا ، لان زين الدين الحافظي عارض في مثل الحملة ، ولم تنفع حدة بيبيرمر في تأييد وجهة نظره ولا دعواه انه انما ينبغي تسيرة الاسلام . فما كان منه الا ان انزوى في خيمته ( ٣ ) .

- 
- (١) ابن عبد الظاهر ، ص ١٠ ، اليونيني ج ١ ، ص ٩١ ، ٩٢ ، ابو الفداء ج ٣ ص ٢٠  
ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٤٧ .  
(٢) ابن عبد الظاهر ص ١١ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢٠٧ ، ابن شاکر الكتبي ، ج ١ ص ١٦١ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٤١٤ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٥٧  
(٣) ابن عبد الظاهر ، ص ١٢ ، اليونيني ج ١ ص ٢٦٥ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢٠٩ ، ابن شاکر الكتبي ، ج ١ ص ١٦١ ، المقرئى ، السلوك ص ٤١٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ج ٧ ص ٩٩ .

خمس سنوات مرت على بيبرس وهو في بلاد الشام يتنقل بين الناصر صلاح الدين يوسف والمعيث ، او يعيش مشردا مع جماعته . ولم تسفر هذه السنوات الخمس عن نتيجة . فليس الناصر ولا المعيث بقادرين على احتلال مصر ولا على صد التتر . فلا بد بعد هذا من تغيير خطته . كانت السنوات الخمس كافية لاقتناعه بضرورة العودة الى مصر . ان رفاقه الذين هربوا معه يوم فر من عز الدين يتناصبون باستمرار بالموت حينما او بالعودة الى مصر حينما اخرو . ثم ان اخبار مصر تحمل اليه ان سيف الدين قطز يعد العدة لمجابهة التتر . لقدود لو يعود الى مصر محتلا بعد ان غادرها هاربا ولكن الظروف لم تسعفه . وهنا يدولي ان بيبرس كان رسم لنفسه خطة واضحة امامها العودة الى مصر حيث يستطيع ان يتأثر لغارس الدين اقطاي من جهة وحيث المجال مفتوح امامه المتقدم من جهة اخرى . ولا ننسى ابدا ان بيبرس عدو للتتر . فهم كانوا السبب المباشر في تشريده عن ابيه ، ثم هاهم يتحركون لعبور الفرات نحو بلاد الشام ومصر . اذا لابد من العودة الى مصر .

#### ٥ - عودة بيبرس الى مصر .

ومن فزة كاتب المظفر سيف الدين قطز صاحب مصر في سنة ٦٥٨ هـ و ١٢٥٩ / وارسل اليه الامير طيبرس الوزير يستحلفه له فحلف له قطز ووعدده الوعود الجميلة فغادر بيبرس عزة تآمدا الى مصر ومعه بعض اصحابه . ودخل القاهرة يوم السبت ٢٢ ربيع الاول سنة ٦٥٨ هـ : ١٢٥٩ فركب السلطان بداته للفائسه وانزله في دار الوزارة واقطعه قضا فليوب واعمالها ثم عينه اتابكيا لعسكره

وجعله نافع الكلمة في تدبير امور مصر (١) . وهكذا عاد الى مصر وراى نفسه في  
المرتبة الثانية بعد السلطان .

ولم يمض وقت طويل على عودة بيبرس الى مصر حتى دخل التتر دمشق بقيادة  
كتبغا . ثم ارسل هولاكو كتابا الى سيف الدين قطز فيه تهديد ووعيد فجمع  
السلطان الامراء لاختار ايهم في الموضوع . وطبيعي ان ينقسم الامراء امام هذا  
الامر فمنهم من راي الاستسلام وخشي مغربة مقاومة التتر ، ومنهم من ارتأى مقاومة التتر .  
وكان بيبرس من الجماعة الثانية الذين حشوا على ضرورة محاربة التتر (٢) .

#### ٦ - بيبرس في معركة عين جالوت .

وجرت استعدادات سريعة لمواجهة التتر ، ولا ريب ان بيبرس لعب دورا  
رئيسيا في هذه الاستعدادات اذ انه اشرف على قضية تسليح الجنود ، ودار عليهم  
يبث فيهم روح المقاومة ويدعوهم الى الاستبسال في سبيل رد التتر وابعاد  
خطرهم عن مصر وبلاد الشام ، ويصور لهم ، بأبشع صورة ، ما يمكن ان يناموه  
اذا قدر للتتر ان يدخلوا مصر . انني احسب ان بيبرس كان ، بعد المظفر  
سيف الدين قطز ، نصب المقاومة للمغول (٣) .

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ١٣ ، اليونيني ج ١ ص ٣٦٥ ، ابو العلاء ج ٣ ص ٢٠٩ ،  
المقرئى ، السلوك ، ص ٤٢٦ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٢ ص ١٠١ .

(٢) اليونيني ج ١ ص ٣٦٥ ، ابن اياس ج ١ ص ٩٦ و ملحوظة ٢ اذناه

(٣) رشيد الدين ، جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ١ ، ص ٣١٣

وأكملت الاستعدادات في شعبان سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ • ونزل السلطان من قلعة الجبل في موكب عظيم ثم مار إلى الريدانية حيث أمر بتوسيط أعضاء الوفد التتري ثم انتقل إلى الصالحية حيث أقام حتى تكاملت حشوده • ورأى قطز أن يرسل قسما طليعيا استكشافيا من جيشه فاختر لذلك ركن الدين بيبرس البندقداري ليقوم بهذه المهمة • فذهب بيبرس يستطلع أخبار التتر حتى إذا راهم أرسل إلى قطز يعلمه بمكانهم • ثم أخذ يناوئهم — ثم ويمتد رجهم من مكان إلى آخر حتى وصل المظفر قطز إلى عين جالوت (١) • وهنا جرت معركة حامية انتصر فيها التتر على جيش قطز • فتراجع هذا بجيشه • ثم برزت قوات بيبرس الكامنة ووضعت التتر بين فكي كماشة أبلى فيها بيبرس بلاء حسنا (٢) وأظهر فيها من فنون القتال ما نفخ روح المقاومة في رفاقه وألقى الذعر في خصومه • ومع ذلك فإن التتر كادوا ينتصرون لولا كثرة الجنود المملوكية • ولولا أن قطز أوقف الميسرة المملوكية في الوقت المناسب • ثم كانت المرحلة الثانية من المعركة عند بيسان • وهنا تكبد التتر خسائر جسيمة أعظم مما تكبدوه في المرحلة الأولى • لقد شعروا الصدمة في المرحلة الأولى • وهما هم الآن ينكفئون في هذه المرحلة • وقد برز بيبرس في هذه المعركة أيضا إذ أنه كان يتنقل بين جنوده بآثار روح المقاومة • مع ما لهم العدو الشريرة على الصبر وتحمل المشقات • لكن دوره كان أعظم من هذا في المرحلة الثالثة — مرحلة التصفية • فقد سبق بيبرس السلطان سيف الدين إلى دمشق يطارد التتر • وظل يطاردهم ليل نهار حتى وصل إلى حلب فطارم • ثم احتلهم بهم محشدين عند أقاميه وانتصر عليهم هنا أيضا (٣) • فعاد التتر إلى الفرات •

(١) اليونيني ج ١ ص ٣٦٥ و ٣٦٦ وابن تغري بدي والنجوم ج ٢ ص ١٠١ • وابن أياس ج ١ ص ٩٦ • ٩٧ •

(٢) ابن عبد الظاهر ص ١٣ • ١٤ • المقرئى والسلوك ص ٤٣١ • ( F. Sadeque ) ص

٤٤٠ • (٣) ابن عبد الظاهر ص ١٣ • ١٤ • اليونيني ج ١ ص ٣٦٦ • الذهبى ج ٢ ص ١٢٣ • المقرئى والسلوك ص ٤٣٢ • ابن تغري بدي والنجوم الزاهرة ج ٧ ص ٧٩ • ٨٢ • ١٠١ • راجع ص ٤٤ أعلاه •

وهكذا استطاع بيبرس ان يهدد بلاد الشام المسلطنة المملوكية ويطردها منها  
التمر بمعاونة السكان الناعمين الدين ثاروا على التتو على الدين تعاونوا معهم . ولئن  
لم يكن هنا مكان تفصيل موقف السكان من التتر فانه لابد من ان نلاحظ ان الاحالي  
لم يرغخوا عند الفتح ، وسرعان ما انتفضوا عليهم حين اخذوا بالتراجع .  
اخذ بيبرس بالعودة الى دمشق ، حيث كان قنطر ، وقد ارسل اليه الرماثيل  
يلغفه بما جرى له مع التتر ، ووافاه فيها وهو يجرى الترتيبات الادارية اللازمة (١) .  
كان بيبرس يفتنى نيابة حلب ، وقد وعده بها قنطر (٢) . اولعه طلبها منه .  
ولعله ينبغي لنا هنا ان نذكر ان بيبرس كان قد رفض اعطاء في حلب سنة ٦٥٢ هـ  
لكن قنطر لم يمنحه هذه النيابة فحقد بيبرس عليه ، اولعل حقه زاد فاد انه كان  
خافدا عليه من قبل . اما سبب ذلك فلهذه عيرة قنطر من الانتصارات التي نالها بيبرس  
ولعل خوفه منه ان ينافسه اذا ولي نيابة كبيرة كنيابة حلب (٣) .

#### ٧ - اغتيال قنطر .

ثم اتفق بيبرس وبعض رفاة ، ومنهم سيف الدين انص وعلم الدين منعلبي  
وسيف الدين بلبان ، على اغتيال السلطان حين يعود الى مصر (٤) . وينبغي ان نعتبر  
هذا التاريخ حدا فاصلا في توضيح مظالم بيبرس واهداه . ينبغي ان لا يكون عندنا  
ريب بعد الان بان بيبرس اصبح يستهدف السلطنة بالذات .

- 
- (١) ابن عبد الظاهر ، ص ١٥ ، اليونيني ، ج ٢ ، ص ١ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢١٧ ،  
ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٠١ .
  - (٢) المصادر نفسها بصفحاتها في الملحوظة السابقة .
  - (٣) ابن عبد الظاهر ، ص ١٦ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢١٦ ، ص ٤٥ اعلاه .
  - (٤) اليونيني ، ج ١ ، ص ١ .

وبعد الترتيبات التي اجراها فطر في بلاد الشام توجه الى مصر • فادرت جيوشه دمشق في ٢٦ شوال سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ • وفي ١٥ ذي القعدة (١) وصلت العساكر الى القصير (٢) قبل المالحية • رجع السلطان بعيل الى الحيدوبية بمرحلة جيدة بعد ما لاقاه من مناعب وماكسبه من نصره • فغرب دلهيزه عند القصير وامر العساكر ان يواصلوا السير الى المالحية ويخربوا خيامهم هناك وينتظروه • وذهب الجيش الا الجماعة الذين كانوا اتفقوا على اتياله • فقد رارا الفرصة مناسبة • وبقوا معه • ومضى السلطان يبحث عن ميد • فلمح ارنبا فجرت امامه فتبعها • وتبعه المتآمرون • وبعدت به الحافة عن الدهليز • وتقدم اليه ببيبرس وطلب منه امراة من سبي التتر • فاجابه السلطان ان ذلك • فاقوى ببيبرس على يد فطر يقبلها ثم قبض على يده كي لا يستأج استعمالها لامتناع السيف • وكان هذا التدبير علامة بين المتآمرين • فلما حمل سيف الدين انور على فطر ونصره بالسيف ثم سجم البقية عليه واستقلوه عن فرسه وجردوه من حسامه • ثم رشقوه بالنشاب حتى اردوه قتيلا (٣) •

- 
- (١) يختلف المؤرخون حول هذا التاريخ • فهو ١٧ منه عند ابن عبد السلام (ص ١٦) وابي الفداء (ج ٣ ص ٢١٦) و ١٣ منه عند البيهقي (ج ١ ص ٣٧١) او ١٦ منه عند ايضا (ج ٢ ص ٣١) • وهو ١٥ منه عند المنري (الملك • ص ٤٣٥) • وابن تغري • بردى (النجوم الزاهرة • ج ٧ ص ٨٧) وابن اياس • (ج ١ ص ٩٧) •
  - (٢) هي الخرابي عند الدهبي (ج ٢ ص ١٢٣) والمنري (السلوك • ص ٤٣٥) ويجعلها اليونيني (ج ١ ص ٣٧٤ • وج ٢ ص ١) بين الخرابي والمالحية • ويسميا ابن اياس (ج ١ ص ٩٧) القرن •
  - (٣) ابن عبد الظاهر • ص ١٧ • اليونيني • ج ١ ص ٣٧ • ج ٢ ص ١ - ٢ • ابو الفداء • ج ٣ ص ٢١٦ • المنري • السلوك • ص ٤٣٥ • ابن تغري بردى • النجوم الزاهرة • ج ٧ ص ٨٤ • وفي ملحوظه ١ ص ٨٤ • من النجوم الزاهرة • ان بكتوت هو الذي بادر السلطان بالضربة الاولى • ويقول ابو الفداء • ان ببيبرس هو الذي كمال له الضربة الاولى •

وبينما كان قطز يلفظ انفاسه الاخيرة ثلثت العماليك الحتامون بعضهم الى بعض  
كانهم لا يدرون ماذا يفعلون بعد تنفيذ القسم الاول من المؤامرة ، اوحل نجاحهم السريع  
في تنفيذها انفسهم . ثم تمالك بيبرس جاشه وتحدث الى رفاقه وذكرهم بان قطز ينال عقابه  
على اسهامه في قتل فارس الدين اقطاي وعلى امتناعه عن منحه نيابة حلب ، ثم برز الاغتيال  
بقوله ان السلطان قد يعتقلهم لو انه وصل مصر سالما . ثم دعاهم الى العودة الى الجيش  
ليرى الامراء رايهم في السلطان المقبل .

واسرع بيبرس ورفاقه الى الجيش وهم شاهرون سيوفهم التي لاتزال منموسة بالدم .  
ووصلوا الدمليز السلطاني ووجدوا الاتابك فارس الدين المستعرب (١) في باب الدمليز .  
واوحت سيوفهم المشرفة للاتابك بما حدث ، ولكنه سألهم حين تقدموا اليه راجلين ، ليتأكد  
من صحة حديثه . فقالوا له انهم اردوا السلطان قتيلا (٢) .

كانت العادة ان تول السلطنة الملوك القاتل ، ولكنه ، لا بد في كل حال ، ان  
يؤخذ راي الامراء ، فاستدعى الامراء للنظر في اختيار السلطان الجديد . وفي هذا المؤتمر  
تكلم الاتابك فقال ان بيبرس هو الذي دبر المؤامرة واشترك في تنفيذها وانه هو القاتل .  
وكان بيبرس حاضرا المؤتمر ، جالسا على طراحة ، بين بقية الامراء ، فثلثت  
اليه الامراء ، وتذكروا انه حاند على سيف الدين قطز لانه لم ينل نيابة حلب وتذكروا حسن  
بلائه في معركة عين جالوت . ثم عاد تبهم الذكريات الى تشرده والى حسن بلائه في معركة  
المنصورة ، وحسن اهتمامه برفاقه الامراء والجنود .

---

(١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٠٢  
(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ١٢ ، اليونيني ج ٢ ، ص ١ - ٢ ، المقرئى ، الملوك ص ٤٣٦ .

ثم عاد الاتابك الى الكلام فقال •

" اسمعوا يا اسحابنا • والله لو كان الملك المظفر حيا او له ولد له في عنقنا  
يعين اول ما كنت اقاتلكم بسيفي • وانما الساعة قد فات فيه الوقت ولا شك ان السدي  
قتله وغرر بنفسه وفعل هذا الامر العظيم مانعه لغيره فمن قتله فهو احق بمكانه •  
ثم توجه الاتابك الى بيبرس وساله عن قتل المظفر فطر • فرد بيبرس انسه  
هو القاتل • واستشهد بالجماعة الذين كانوا معه فاثبتوا ما قاله • ثم عاد بيبرس الى  
القول انه انما يبتغي ان يقيم " الدولة الصالحية على ما كانت عليه من سواميس ورسوم •  
عندئذ ادار الاتابك نظره في الامراء كأنه يقول ان الامر مفروغ منه ، بعد ان  
وعد بيبرس بانامة " الدولة الصالحية " ، فسكت الامراء ، فقال الاتابك لبيبرس :

" يا خوند اجلس على مرتبة السلطان " • (١)

فنهض بيبرس من الطراحة وجلس حيث امره الاتابك (٢) •

بقي ان ينقسم الامراء يعين الولا والطاعة للسلطان الجديد • ولكنهم لم يقسموا  
له بذلك حين استدعاهم الاتابك ، وانما نظر بعضهم الى بعض • هنالك شروط يريدون  
ان يملوها قبل القسم • وعرف الاتابك ما يريدون ، فقال لبيبرس ان الامراء يريدون منه ان  
يمنحهم ما يستطيعه من الخلع والاموال لانهم بحاجة الى ذلك بعد ما نالهم من تعب

---

(١) النجوم ٧ ص ٨ و ١٠٢ اليونيني ج ٢ ص ٢ •  
(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ١٧ ، ١٨ اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٧٠ ، وج ٢ ، ص ١ و ٢ ، ،  
ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ ، العديزي ، السلوك ، ص ٤٣٦ ، ابن تغري  
بردي النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٨٣ ، ٨٤ ، ١٠١ ، ١٠٢ •



واجتهاد ، وبعد ما بدلوه في المعركة الاخيرة مع التتر .

لقد كانوا يتوقعون من السلطان الراحل ان يجرى عليهم النفقات بعد ما يدروا ،

فينبغي لمن يحل محله ان يفعل ما كان متوقعا منه ان يفعله .

كان الاتابك جريشا وسريحا في كلامه . فايده الامراء ، لانه افصح عما في

سددروهم . فما كان من بيبرس الا ان حلف لهم بان يوزع عليهم ما تصل اليه يده .

عند ذلك تحرك الامراء نحوه ليفسوا له اليمين . وكان الاتابك اول المبايعين ،

ثم تبعه بقية الامراء ، طبقة فطبقة ، حتى جاء دور العسكر ، فحلفوا له اليمين اينما . وكان

ذلك في ١٢ ذى القعدة سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ (١) .

ووصل القاضي برهان الدين قادما من مصر . بجيش لملاقاة المنصور فطر فلما

علم بما جرى فاقسم يمين الولا للسلطان الجديد (٢) .

وشعر بيبرس ان بين الامراء عددا لا يؤيد ما حدث . انهم لا يريدون السلطنة

له ، وهم يرون ان قطار قتل بغير ذنب وقد كانت له اليد البيضاء في محاربة التتر (٣) .

ولكنه لم يستطع الا ان يسكت .

- 
- (١) ابن عبد الظاهر ، ص ١٧ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٧١ ، وج ٢ ، ص ٤ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٤٠٨ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٠٢ ، اما المقرئ (ص ٤٣٦) وابن اياس (ج ١ ص ٩٨) فيقولان انه تسلم السلطنة في ١٥ منه . ولعل هذا الفرق - اليرمين - يعود الى ما جرى من مشاورات . راجع ٦١ ملحوظة ١ .
  - (٢) اليونيني مج ٢ ص ٢ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٤٠٨ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٤٣٦ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٠٢ .
  - (٣) ابن اياس ، ج ١ ، ص ٩٧ .

وفي هذا النهار ذاته ، ١٧ ذى القعدة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ ، اخذ يعقود  
الترتيبات التي ترافق مجيء السلطان الجديد عادة - فعين فاروق الدين اقطاي  
المستعرب اتابكا لعساكره واستخدم الامراء الذين كان الملك الصالح نجم الدين ايوب  
قد اختارهم ، ثم تلقب بالملك القاهر (١) .

وكان بيبرس اراد ان يبني اياما اخرى هنا ريثما تجيء بفية العساكر  
وتحلف له يمين الطاعة ولكن الاتابك اشار عليه بضرورة الرحيل الى مصر لان السلطنة  
لا تتم له اذ لم يدخل قلعة الجبل . وعزز رايه بان الناصر قد يستعملون خبر موت  
السلطان ويحاولون تعيين سلطان اخر . فرحل السلطان الى مصر ومعه الاتابك وبعض  
خواصه من الامراء امثال بدر الدين بيسرى الشمسي وسيف الدين قلاوون وبدر الدين  
بيليك الخزندار (٢) .

وفي الطريق التقى عز الدين ايدمر الحلي قادما من مصر بجماعة من الجنود  
لاستقبال قطز ، فاعلم عز الدين بما حصل ، فحلف يمين الولاء للسلطان الجديد  
وقبل راجعا يتقدمه الى قلعة ليخبر الامراء بموت قطز ويحلفهم يمين الولاء لبيبرس  
بعد ابلاغهم . . . . . وعود السلطان لهم . وفي ايل ١٩ ذى القعدة  
سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ دخل السلطان قلعة . وفي الصباح نادى المنادى في  
القاهرة :

ترحموا على الملك المظفر وادعوا لسلطانكم الملك الفاهر ركن الدين بيبرس .

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ١٨ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٧٢ ، موج ٢ ، ص ٣ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص  
٢١٧ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٤١٢ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٤٣٧ ، ابن تغري بردى  
النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ١٠٣ ، ابن ايامر ، ج ١ ، ص ٩٨ . راجع ايضا ملحوظة ص  
٦٤ اعلاه .

(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ١٧ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٧١ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢١٧ ،  
المقرئ ، السلوك ، ص ٤٣٦ ، ابن تغري بردى ، النجوم ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .

وهنا نصح الزبير بن الدين بن الزبير السلطان بتغيير هذا المعب الى الظاهر

وفي اخر النهار صار النداء بالسلطنة للملك الظاهر (١) .

وكانت القاهرة مزينة لاستقبال المظفر قطز ، وبقيت الزينة ولكن الاستقبال مسمار

للسلطان الجديد . اما الناس فاحصوا ببعض الغم انهم خشوا عودة البحرية وافسوا

ان يرجعوا الى ما عرفوا به من افساد وتخريب ولكنهم راوا انه لا مندوحة من التهليل واطهار

الطاعة ، فاخذ زعماءهم يتوافدون على قلعة الجبل يحلفون لمعين الولاة . وظلوا كذلك الى

ما بعد العصر (٢) .

وهكذا ربي بيبرس الى اعلى مركز يمكن ان يتلمع اليه ملوك في ذلك الوقت . فقد

كان ملوكا اشتراه علاء الدين البنددارى ثم صار في خدمة الملك الصالح نجم الدين

ايوب - فبرز عنده ، ثم خدم ابنه المعظم نورانشاه ، ثم اشترك في اعتياله ، ثم مرب السى

بلاد الشام عند مقتل فاروق الدين اقطاي ، وتغل فيها بين صاحبي دمشق والكرك ، الى ان

رجع الى مصر في خدمة قطز ، ثم خرج معه الى بلاد الشام لمحاربة التتر ، وفي طريق

العودة الى مصر بعد النصر على التتر ، اغتال المظفر قطز ، وصار سلطانا وبداه تحففت نبوة

المنجم .

حقا ان سنة ٦٥٨ هـ كانت ذات أهمية . ففيها حلف التتر الى بلاد الشام

وخربوها - ثم انكسروا في عين جالوت وتراجعوا ، ثم قتل المظفر قطز ، واستلم السلطنة

بعده الملك السلطان الظاهر ركن الدين ابو الفتح بيبرس بن عبد الله البنددارى

الصالحى النجمى الايوبى التركى (٣) .

(١) اليونيني ج ١ ، ص ٣٧٢ موجد ٢ ، ص ٣ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢١٧ ، ابن ابى الغضائى ص

٦٩ - ٧٠ ، المقريزى السلوك ، ص ٤٣٦ و ٤٣٧ . وان ابن الغضائى يظن ان البيهقي

بجعل موعد الوصول الى القلعة في ١٦ ذى القعدة .

(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ١٧ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٧٢ موجد ٢ ، ص ٢ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص

٢١٧ ، ابن ابى الغضائى ص ٦٧ ، المقريزى ، السلوك ، ص ٤٣٧ ، ابن تغرى بردى ، والنجم

الزاهرة ، ج ٢ ، ص ١٠٢ ، ابن ايامر ، ج ١ ، ص ٩٨ .

(٣) ابو شامة ، ص ٤١١ ، ابن عبد الظاهر ، ص ٢ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٩٤ .

بيبرس يوطد سلطانه

إذا تذكرنا الظروف التي رافقت وصول بيبرس الى السلطنة عرفنا ان السلطان الظاهر لابد ملاق صعوبات جمة قبل ان يتوطد سلطانه . كان هناك عدد من الامراء المنافسين له على السلطنة ، وكان الناس يكرهون حكم البحرية لانهم مفسدون مخربون ، ولانهم قوم مسهم الرق (١) . زد الى هذا ما يواجهه في الخارج من اخطار من التترو والعرجنة وقد تركت الموضوعين الاخرين الى الفصل الذي يتناول السياسة الخارجية . وقد كان يمكن الحديث عن الموضوعات الاولى في معرض الحديث عن سياسته الداخلية ، ولكنني اشرت الحديث عنها في فصل خاص لانها وقعت في بداية عهده ، ولانها لم تكن لها صفة الاستمرار .

١ - الادارة الجديدة :

كان الظاهر قد بدأ بتعيين حكومته الجديدة وهو في العصور ، حيث نقل قنطرة . وقد عين فارم الدين اعطاي المستعرب (٢) . اتابكا لجيشه ، وعين بعض امراء الملك الصالح نجم الدين ايوب ، معاونين له . ولما وصل قلعة الجبل في القاهرة ، تابع تعيين اعضائه ادارته الجديدة . فامر ما فعله في العصور ، واستبقى الماحبزين الدين يعقوب الزبير على الوزارة (٣) . ثم عين اقوش النجيبى استاد الدار ، وعز الدين الافهم امير

- (١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٣ .
- (٢) من ممالك الملك الصالح نجم الدين ايوب ، حار اتابكا لقنطرة ثم استمر اتابكا للظاهر حتى توفي في جمادى الاولى سنة ٦٢٢هـ / ابن كثير ، ج ١٣ ، ص ٢٦٦ ، المستزى ، السلوك ، ص ٦١٣ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٢٤٢ . وينظر هذا الاخير بالقول ان الظاهر كان يتبهم به لكنه لم يسعه الا ان يبيعه لحزبه وعزمه وحسن رايه . ولما راي فارس الدين ان الظاهر يقرب اليه بيليك الخزندار تمارض نحو سنة حتى مات .
- (٣) ولم يطل الامر به حتى عزله في ٨ ربيع الاول سنة ٦٥٩هـ وعين مكانه الماحب بها . الدين بن حنا . ( البيهقي ، ج ١ ، ص ٣٧٢ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٠٣ ، ابن اياس ، ج ١ ، ص ٩٩ ) راجع ص ١١٨ ادناه .

جانداز ، وحمام (١) الدين الدرفيل وسيف الدين بلبان الرومي دوادارين ، وبهاه  
الدين الشهزوري امير اخور ، وبدر الدين بيسرى الشمسي ، وسيف الدين قـالاون  
وبدر الدين بكتوت ، وعز الدين بيدعان المعروف بسم الموت ، وبلبان الهاروني فسي  
رتبه مقدمي الف ، وركن الدين اباجي ، وسيف الدين بكجری ، حاجيين (٢) .  
ثم اخذ يكتب للملوك والامراء في بلاد الشام واليمن والعرب يبلغهم بانسه  
امير السلطان الامر الناهي . كتب الى الملك الاشرف (٣) صاحب حمص ، والى  
الامير منصور صاحب حماه ، والى الامير مظفر الدين عثمان صاحب حمص ، والى  
الامير علم الدين سنجر الحلبي نائب دمشق (٤) . فاجابه الملك الاشرف والامير  
المنصور والامير مظفر الدين عثمان بالاعتراف بسلطانته وباطاعته له . وفي ١٠ دى  
القعدة سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ جاءه صاحب حمص وحماه الى دمشق واعلنا خضوعهما  
له (٥) . اما صاحب الاسماعيليه وعلم الدين سنجر فلم يجيباه الى الطاعة ومنتهك عن  
كل منهما على حدة .

- (١) وهو "صيام" عند القرئزى والسلوك ، ص ٤٣٨ .
- (٢) اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٧٢ ، ابن ابى الفضائل ص ٦٧ ، القرئزى والسلوك ص ٤٣٨ ، ابن  
اياص ج ١ ، ص ٩٨ ، ٩٩ .
- (٣) كان الاشرف وصل الى بعلبك في مستهل شعبان سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ وانه نائب هولاء في  
بلاد الشام نائبا على حمص والرحبة وتدمر ولبلاطية ، ثم جعل بلاد الشام كلها  
تحت نظره . (اليونيني ، ج ١ ص ٣٥٦ و ٣٦٠ .
- (٤) اليونيني ج ١ ص ٣٧٣ ، ج ٢ ص ٢ ، ابن ابى الفضائل ، ص ٦٨ ، القرئزى ، السلوك ،  
ص ٤٣٦ ، ٤٤٤ ، ابن تغرى بردى والنجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٠٢ ، ١٠٣ ، ابن اياسر ،  
ج ١ ، ص ٩٩ و ١٠٠ .
- (٥) اليونيني ، ج ١ ، ص ٤٥٤ ، القرئزى ، السلوك ، ص ٤٦٢ ، ان رملحودة ص ٥ ، ٧ اعلاه وفي  
شعبان سنة ٦٥٩ هـ جاءه الى القاهرة صاحب الحوصل اتهمته بالسلطنة فطلبه بالترحيب  
ثم جاءه صاحب الجزيرة ومنجار . (القرئزى ، السلوك ، ص ٤٦٠ — ٤٦١) .

ثم أصدر تعليماته بضرورة الاتصال بالبحرسة الدين كانوا لا يزالون مشردين خارج مصر ليعودوا اليه (١) . ونفى الملك المنصور نور الدين على بن عز الدين ايبك وامه واخاه الى الاشكرى ، وقد كانوا معتقلين بالقلعة من ايام قطز (٢) .

ولكن هذه التدابير لم تكن كافية اذ ان الناصر كانوا لا يزالون يشعرون بالضيق من البحرية . فعمد الى العاء الضرائب التي كان قطز استحدثها بحجة جمع الاموال لتجهيز الحملة على التتر . ثم اطلق سراح المجاهدين من اصحاب الجرائم ، ومن الجنود وانعم على الامراء ووجههم الخلع والعطايا . فكان لهذه التدابير اثرها في النفوس ، فانفجرت اسابر الناس واخذوا يعيرون الزينة ويدعون له (٣) .

وانتهت السنة . وكان لا يزال امام الظاهر تدبير آخر شكلي يبيهي القسام به وهو الركوب بشعار السلطنة (٤) .

---

(١) ابن ايام ، ج ١ ، ص ١٠٠ .

(٢) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٢ .

(٣) ابن عبد الظاهر ص ١٩ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٧٢ ، ابن ابي الغضائري ص ٦٨ ، المقريزي ،

السلوك ، ص ٤٣٧ - ٤٣٨ ، ابن تخرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ١٠٣ .

ابن ايام ، ج ١ ، ص ١٠٠ .

(٤) وشعار السلطنة " فاشية سرج من اديم مخروزة بالذهب يخالها الناصر جميعها مصنوعة من الذهب تحمل بين يديه عند الركوب في المواكب الحلة والاعيان ونحوها . يعلوها احد الركاب داية رافعا لها على يديه يعلفها يمينا وشمالا وهي من خواص المملكة ومنها المظلة ويعبر عنها بالجتسر " . لكن ينبغي ان نلاحظ انه كان لكل موكب او احتفال ترتيبه ( الفلشندي ج ٤ ، ص ٧ - ٨ ) .

وفي يوم الاثنين السابع من صفر سنة ٦٥٩ هـ / كانون الاول سنة ١٢٦٠ ركب

الظاهر بشعار المملطنة وخرج من قلعة الجبل في هيئة الملك ثم نزل من وراء  
الفاخرة وعاد فدخلها من باب النصر وشقها حتى خرج منها ثمانية من باب زويلة  
وكان الامراء والاعيان والجنود بين يديه . وقد زينت الفاخرة فبرزت في حلقة بؤيية  
ونشرت الدنانير على السلطان في الشارع . ولما عاد الى القلعة منح امراءه ومقدميه  
وخواصه اموالا طائلة (١) .

كان هذا اول خروج الظاهر في موكب رسمي ، لكنه اتخذ من مثل هذه الموكب  
خطة رسمية فيما بعد . فكان يخرج على هذا الشكل الى اعبال عبق مرة او مرتين (٢)  
في الاسبوع - لان مثل هذه الموكب تؤثر في الناس وترهبهم .  
ثم اخذت تتوالى عليه الاحداث التي تحتاج الى نشاط عسكري واليها وجهه  
الظاهر اهتمامه .

## ٢ - ثورات ومحاولات انفصالية :

لاني الظاهر في السنتين الاوليين من عهده ثورات ومحاولات انفصالية  
كثيرة ، كان بعضها خطيرا ، ولكنه استطاع القضاء عليها جميعا والمتابعة على  
سلطانه بفضل تدابير السريعة العسكرية والسياسية معا . وقبل الحديث عن  
الحركات الانفصالية الخطيرة لابد من الاشارة الى بعض حوادث صغيرة  
حدثت في مصر .

وفي اواخر سنة ٦٥٨ هـ قام جماعة من السودان الركاب بدارية بثورة فسي  
الفاخرة مطالبين بعودة ال علي الى المملطنة . وكان زعيمهم يعرف بالكراني لكن  
الجيش شرقي عليهم في ليلة واحدة وعلفهم على باب زويلة (٣) .

(١) اليونيني ، ج ١ ، ص ٤٣٧ ، وج ٢ ، ص ٩١ ، المدرزي ، الملوك ، ص ٤٤٤ .

(٢) راجع ملحوظة اعلاه .

(٣) المدرزي ، الملوك ، ص ٤٤٠ .

وفي ربيع الاول سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ جاء احد اجناد الامير عز الدين المقتلي (او المصلي) الى السلطان الظاهر وابعد ان استاده يفرق الاموال على جنوده لتأييده في اغتيال السلطان . وكان الامراء علم الدين العتي وبهادر المعزى وشجاع الدين يكتوت بين المشتركين في هذه الدؤامة ، واعتلهم الظاهر وبنى على الدؤامة في عهد ١٨ (١) .

وفي جمادى الآخرة سنة ٦٦٠ هـ قاد ثاني المنير في مصر انتفاذه ———  
 في مزرورية والكراد واستدعى نخسا من بني العبابر لتنصيبه خليفة واقامة دولة اخرى غير دولة المماليك ، فقبض الظاهر عليه ومنعه عشية الثلاثاء ١٨ جمادى الآخرة (٢) .  
 وفيما يلي عرض المحاولات الخاطيرة والاجراءات التي اتخذها السلطان .

### اولا - منجسر الحلبي :

كان دام الدين منجسر الحلبي طامعا بالسلطنة منذ عهد عز الدين ايبك التركماني . وقد نوى لاستيلاء على السلطنة بعد مقتل عز الدين ، لكن الامراء لم يؤيدوه ، فانظر الى التخلي عن المطالبة بالسلطنة ، ثم نقل امره على الناصر فسجن في ربيع الآخر سنة ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ في الاسكندرية الى ان افرج عنه السلطان المنصور سيف الدين قطز وعينه نائبا على دمشق بعد معركة عين جالوت (٣) .

ولما علم بمقتل السلطان قطز ضل الفرصة مؤاتية للمعصيان والاستقلال . فاداهم ينال السلطنة في القاهرة فتمكن له دمشق . وفي السادس من ذي الحجة سنة ٦٥٨ هـ /

١٢٦٠ ، اى بعد سلطنة الظاهر بايام جمع علم الدين منجسر الامراء والاعيان في دمشق واللب منقسم ان يقسموا له يمين الطاعة . لم يكن قد اعلن العسيان بعد ، وانما اللب ان يخطب

(١) اليونيني ، ج ١ ص ٤٣٩ ، وج ٢ ص ٩٢ ، ٩٣ ، ابن ابي الفخائل ، ص ٧٩ ، المنير - عزى السلوك ص ٤٤٧ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ج ٢ ، ص ١٠٨ ، ويقتول هذا الاخير (ص ١٦٦) ان الظاهر عاد فانرج عن علم الدين الختبي في ٢٦ شعبان سنة ٦٧١ هـ .

(٢) ابو شامة ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٣) ابن عبد الظاهر ، ص ٣١ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٤٨ ، ٤٩ ، الذهبي ، ج ٢ ص ١٢٤ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٤٢ ، ابن ايامر ، ج ١ ، ص ١٠٠ .



لهما معا في دمشق وان تكون السكة باسميهما معا وان يكتب على احد وجهيهما  
" الملك الظاهر ركن الدنيا والدين " وان يكتب على الوجه الاخر " الملك المجاهد علم  
الدنيا والدين " . ثم اتفق بمصاحب حمص ومصاحب حماه ومصاحب حلب الباشا منقسم  
ان يؤيده في ذلك . ولم يؤيده امراء البلاد الشامية ، اما امراء دمشق فانقسموا  
بين مؤيد ومعارض . واما اهل دمشق واعمالها فسيروا بذلك سرورا عاليا (١) .

هذه ثورة يواجهها الظاهر بيبرس فور اعلانه سلطانا . فلا بد من القضاء  
عليها بسرعة قبل ان يمتد شررها ، لاسيما والتتر لا يزالون على تخوم بلاد الشام  
يتحينون الفرصة . ويؤيد في تطورتها ان اهل دمشق ناصروا علم الدين . ولندكر  
ايضا ان بعض الامراء لم يبايعوا الظاهر بالسلطنة عن رضى . لذلك كان استمراره  
في السلطنة يعتمد ، الى حد بعيد على القضاء على هذه المحاولة ، وعلى الاحتفاظ  
ببلاد الشام ، وهي الدرع الواقى للسلطنة المملوكية ازاء خصومها التتر والفرنجية  
على السواء . ولندكر هنا ايضا ان الظاهر لم يخرج من القاهرة قبل ان يتأكد  
من فوزه على خصومه في بلاد الشام .

ارسل الظاهر بيبرس الامير جمال الدين اقوش المسمى الى بلاد الشام  
يحمل كتابين . ثم اتبعه بجيش يقوده علاء الدين البندقدارى وبهاء الدين بنغدى  
الاشرفي ، وارسل ايضا الى البرلي نائبه في الساحل المحاق بعلاء الدين الى دمشق  
للمعاون معهما على منجس (٢) .

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ٣١ ، ابو شامة ص ٢١٠ ، اليونيني ، ج ١ ص ٢٧٢ ، ٢٧٥ ، وج ٢  
ص ٣ ، ابوالفداء ، ج ٣ ص ٢١٧ و ٢١٩ ، ابن ابى الفسائل ص ٦٨ ، ٦٩ ، الحفري ص ١٠٤ ، ابن  
السلوك ص ٤٣٨ - ٤٣٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٧ ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، ابن

ابن ، ج ١ ، ص ١٠٠ .  
(٢) اليونيني ، ج ١ ، ص ٤٣٨ ، وج ٢ ص ٩٢ ، ١١٨ ، ابن تغرى بردى ، النجوم  
الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٠٧ .

وكان احدا الكتابين الى سنجر نفسه يلومه فيه على فعلته ويدعوه الى الطاعة، ثم  
يهدده ، اذا اصر على موافقه . ووصل الامير جمال الدين الى طاهر دمشق في ٣ صفر سنة  
٦٥٩ هـ / ١٢٦٠ م . واطلع سنجر على الكتاب وكان هذا الكتاب دفعه خذوة اخرى بعيدا عن  
الظاهر فجاهر بالاستقلال ، وقطع الخطبة باسم الظاهر ، وانفرد بها ، ثم ركب بشعار السلطنة ،  
وجمع العمال لعمارة قلعة دمشق ( ١ ) .

عند ذلك ابرز جمال الدين الرسالة الثانية وهي موجهة لامراء دمشق وفيها نواحيح  
بعود واموال وخلع ببذلها الظاهر لهم . فخرج بعضهم عن طاعة الملك المجاهد وانماوا الى  
جمال الدين بظاهر دمشق . وكانت الجيوس الظاهرية قد وصلت ايضا . وفي ١٢ صفر خرج سنجر  
بجيوشه لمقاومة جيوس الظاهر ، فذلب على امره وهرب الى القلعة ، حتى اذا هبط الليل ، غادرها  
الى قلعة بعلبك ، ودخلت الجيوس الظاهرية دمشق واقامت فيها الخبة للملك الظاهر ( ٢ ) .  
وبقي علاء الدين بدمشق يدير شؤونها باسم الملك الظاهر نحو من شهر حتى جاء علاء الدين  
طبرس الوزيري من قبل الظاهر نائبا على قلعتها ومسؤولا عن اموالها ( ٣ ) .

- 
- ( ١ ) ابن عبد الظاهر ، ص ٣١ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٧٣ و ٣٧٤ و ج ٢ ، ص ٣ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص  
٢١٧ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ابن تغري بروجي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٨٤ ،  
١٠٣ ، ١٠٤ .
- ( ٢ ) اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٧٣ ، ابو الفداء ، ج ٢ ، ص ٢١٩ ، ابن ابي الفخائل ، ص ٧٧ — ٧٨ ، المقرئ ،  
السلوك ، ص ٤٤٤ ، ابن تغري بروجي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٠٣ ، ١٠٧ ، وينفرد هذا الاخير  
بجعل المعركة يوم السبت ، ١١ صفر .
- ( ٣ ) اليونيني ، ج ١ ، ص ٤٣٨ ، و ج ٢ ، ص ٩١ ، ١١٨ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢١٩ ، الذهبي ، ج ٢ ،  
ص ١٢٥ ، ابن ابي الفخائل ، ص ٧٨ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٤٤٥ ، ابن تغري بروجي ، النجوم  
الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٠٨ .

ثم راحت الجيوش الظاهرية تطارد سنجر الى بعلبك حتى اذا اعتلته فيها ارسلته الى متمر مقيدا في ١٦ صفر ، فارسل الظاهر الامير بيسرى المقاتل ، وادخله من باب القلعة خفية ، ثم عاتبه عتابا خفيفا ، وعانقه ، وادناه اليه ، واكرمه ، واطلق سراجه ، فعاود محاولة الاستقلال في حلب مرة ثانية بموفشل ايضا (١) .

واعقب هذا النصر خضوع سائر المدن الشامية للظاهر (٢) .

ثانيا : شمس الدين اقوش البرلسي (٣) .

كان نظر مدعيه واليا على نابلس وفزة والسواحل وكان معه الامير بهاء الدين بغدى الاشرفي (٤) . وقد ذهبوا الى دمشق بصحبة علاء الدين البندقدارى لمحاربة سنجر الحلبي . ثم ورد الامر من الظاهر الى علاء الدين لاعتقالهما واعتقال جماعة من العزيزية ، ففر الجميع لكن بغدى عاد وسلم نفسه في ربيع الآخر سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠ وحمل الى القاهرة وحبس في قلعتها حتى مات في السجن (٥) .

اما البرلسي وجماعة الاشرفية والعزيزية والناصرية فواصلوا الفرار (٦) . فكتسب علاء الدين البرلسي يلومه على الهرب ويقول له ان المنصور هو بهاء الدين بغدى وحده ثم ارسل اليه "مثالا من مصر يرغمه" لكن البرلسي لم يثق به . واتصل بالاشرف صاحب حصن يحرسه على الثورة فلم يجبه . ثم اتصل بامراء حماه فاجابه بعضهم ووعدوه بانهم مستعدون لان يفتحوا له القلعة . وعرف المنصور صاحب حماه بالموامرة فغير الحزم المتأمرين من دون ان يشعرهم بانه عالم بالموامرة ، ففشلت خطة البرلسي (٧) . فعاد الى

(١) ملحوظة ٣ ص ٧٢ . وص ٧٥ ادناه

(٢) ابو الفداء ، ج ٣ ص ٢١٩

(٣) وهو برلسي برلو عند ابي شامة ص ٢١٥ ، والبرلسي عند ابن ابي الغضائيل ص ٨٠ و ٨١ .

(٤) ابن عبد الظاهر ص ٣٢ ، ابو الفداء ، ج ٣ ص ٢٢ .

(٥) اليونيني ج ١ ص ٤٣٩ ، ج ٢ ص ٩٣ ، ابو الفداء ، ج ٣ ص ٢٢٠ .

(٦) ابن عبد الظاهر ص ٣٢ .

(٧) اليونيني ج ٢ ص ١٠٤ — ١٠٥ — ١١٩ — ١٢٠ ، ابو الفداء ، ج ٣ ص ٢٢٠ .

المنصور نفسه يحرضه على الثورة ويدعوه الى تزعم الحركة الايوبية لاستعادة السلطنة فرد عليه المنصور نافيا ان يكون له مطلق بالسلطنة ، معلنا اعتناقه بحماة وطاقته لصاحب مصر ، منكرا على البرلي وامثاله ان يكونوا وفوا " لاحد من بيت " استاذهم حتى يفوا له . هنا هاجم البرلي حماه ثم ذهب الى شيزر .

وهنا لم يجد البرلي امامه الا اللجوء الى الحيلة . امر جنوده ان لا يلبسوا لباس الحرب وقصد بهم حلب واتصل بنائبيها منذ ربيع الاخر سنة ٦٥٩ هـ فخر الدين الحمصي المتوسط له عند السلطان الظاهر . وخرج فخر الدين الى ظاهر البلد ليلقاءه وجرت بينهما مفاوضة يمدد منها ان البرلي اعلن استعداد له للمودة الى طاعة الظاهر مشروطا لقاء ذلك ان يعين نائباً على حلب ، ومقدمات على معسكرها ويعطي جماعته ——— اقطاعات ، من غير ان يجتمع بالملك الظاهر لقاء ذلك . واحسن فخر الدين بما يخامسر نفس البرلي من طمع وخشي على نفسه منه ، فوعده بالدعاب الى القاهرة للمتوسط لدى السلطان .

وخرج فخر الدين الحمصي من حلب ، فدخلها البرلي ، وعزل انصار الظاهر ونائبيه ، وامر اصحابه فيها ، واقطعهم الاراضي ، ثم وزع الغلال المخزونة في المدينة على الاغراب الوافدين عليه بقيادة الامير ابا ابن حديشة (١) .

وكتب فخر الدين الحمصي الى الظاهر يعلمه بما جرى ، فارسل السلطان جمال الدين اقوش المحمدي لمطاردة البرلي واعتقاله ، والتقى المحمدي بفخر الدين قادمًا من حلب فانضم هذا الى المحمدي بناء على رسوم من الظاهر ، لمحاربة البرلي . ولتقوية الجيوش المطاردة للبرلي فعا الظاهر عن منجر الحبيبي موني جمادي الاولى ولاء نيابة — السلطنة بحلب ومنحه ما يلزم المتقيام بشؤون النيابة . وجهز له جيشا يحارب به البرلي .

---

(١) اليونيني ، ج ١ ص ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ج ٢ ص ٩٣ ، ٩٤ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ابو الفداء ، ج ٣ ص ٢٢٠ ، ابن ابي الفخائل ، ص ٨١ .

ثم ضم اليه مزال الدين الدمياطي ايضا . وخرجت هذه الجيوش من مصر في شعبان ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ قاصدة حلب . ولما علم البرلي بفدومها هرب الى الرقة فتبعه جمال الدين افوش المحمدي وادركه فيها فعاد البرلي الى الملاينة والمخاطلة مرة اخرى واعلن خضوعه للسلطان وطلب من الامير ان يتوسط له لدى بيبرس على ان يبنى له اماره حران لانه طرد التتر منها . ثم هدد باللجوء الى التتر ان لم يفعل ذلك فوعده المحمدي بالتوسط له لدى السلطان وتركه يذهب الى حران . (١) .

اما سنجر الحلبي فبقي نائبا في حلب . ثم عاد يحاول مرة اخرى ان يستقل فاتصل بوالي البيرة يعده بمبلغ من الذهب مقابل تسليمه المدينة . فاخذ الوالي المال ولم يسلمه المدينة - فاتصل بالبرلي في حران واستدعاه اليه واجتمعا في تل باشر (٢) فانضم عدد من رجال سنجر الى البرلي ، فضعف شان سنجر ، فهرب امام البرلي فدخل هذا الى حلب في رمضان ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ وارسل جنوده لمطاردة سنجر ولم يدركوه (٣) .

ومرة اخرى وجد الظاهر حلب تخرج من يديه فارسل جيشا لاستعادتها ففر البرلي في اوائل سنة ٦٦٠ هـ الى حران ثم الى امد ، لكنه عاد الى حلب بعد عودة الجيش وتظاهر بالطاعة للظاهر فعفا عنه السلطان وثبته في النيابة عليها . ولما افار التتر على الموصل استنجد صاحب الموصل بالبرلي فاستاذن هذا الظاهر بالتوجه الى الموصل لمعاونة صاحبها ، فاذن له الظاهر شرط ان ينتظر جيشا اخريبعث به اليه ليوافيه في حران . فخشي البرلي ان يكون ذلك

- 
- (١) اليونيني ج ٢ ص ١٠٥ و ١٢٢ ، ابو الفدا ، ج ٣ ص ٢٢٠  
(٢) قلعة على نهر ساجور عند مئيتاب شمالي سوريا ، لم يذكرها المؤرخون العرب قبل الحروب الصليبية . واكثره سكانها ارمن نصاري .  
F. Honigsmann "Tel Bachir" EI ج ٤ ، ص ٧٢٢ - ٧٢٣ .  
(٣) اليونيني ج ٣ ص ١٠٦ ، ابن تغري بردى للنجوم ج ٧ ص ١١٣ .

في حران • فخشي البرلسي ان يكون ذلك شركا لا اعتقاله، ففصد سنجار • ثم وصل الامراء شمس الدين سنقر الترمي وعلاء الدين طيبرمر الوزير وعلاء الدين البندقداري، فوجدوا ان البرلسي فرقتلوا حذب وبقي علاء الدين البندقداري نائبا فيها • اما طيبرمر فعاد الى دمشق، وسنقر فعاد الى القاهرة (١) •

وعرض هولاكو على البرلسي ان ياتي اليه، فرفض البرلسي • وكانه يتيقن ان حياة التشرد لن تجديهم نفعا فاعلن ولاه للظاهر، فعصا عنه السلطان، وجاء الى مصر في ذي الحجة سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ واكرمه الظاهر اى اكرام واكرم العزيزية والناصرية الدين معه اينما، ثم كتب له منشورا بستين فارسا واعطاه طبلخاناه، وماريس حبه في رحلات الصيد، لكنه عاد فاعتقله في ٢٨ رجب سنة ٦٦١ هـ، وكان ذلك اخر العهد به (٢) •

### ثالثا : المغيث صاحب الكرك (٣)

المغيث ابن الملك العادل سيف الدين ابي بكر الديمار ملكا على مصر بعد وفاة الملك الكامل سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ ثم سجنه الملك الصالح نجم الدين ايوب واستولى على السلطنة بدلامنه • كان شيخ الشيخ في مزاراد ان يمنح السلطنة للمغيث بعد وفاة الملك الصالح نجم الدين امكن حمام الدين بن علي نائب السلطنة اعتقله بقلعة الجبل حتى جاء المعظم تورانشاه

- (١) ابن عبد الظاهر، ص ٤٣، اليونيني، ج ٢، ص ١٥٣، ابن ابي الغضائيل، ص ٩٥ - ٩٧، ابن العرات، ج ٦، ص ٢٨، والمغريزي، السلوك، ص ٤٧٥، ٤٧٦ • وقبل توزع الحملة على هذا الشكل نصبت الدكاكية وامعنت في اعمالها تخريبا ونسبا وحربا •
- (٢) ابن عبد الظاهر، ص ٤٣، ٥٢، ٥٦، اليونيني، ج ١، ص ٤٩٣، ٥٣٣، ج ٢، ص ١٩٤، ابو الغداء، ج ٣، ص ٢٢٣، ابن ابي الغضائيل، ص ٩٧، والمغريزي، السلوك، ص ٤٧١، ٤٧٦ •

- (٣) لا ذكر لها مع الفتوح العربية الاولى • واول ما ذكرت في عهد المصليبيين • فلها هولا • البتراء • بنيت سنة ١١٤٢ م • ثم مارت من بني السلاطين المماليك • وقد بنى المصليبيسون الشوك سنة ١١١٥ في عهد بعدوين الاول باسم Grace de Montreal او Fond Negallie •
- E Honigmann F Buhl Art "Karak" EI، ص ٨٥٥ و  
Art "Shawbak" EI، ص ٢٤ - ٢٤١ وعلي ابراهيم حسن ص ٤٥ •

الشويك معتقلا . وبعد مقتل المعظم «فرج من المعيث ، وملك الكرك (١) .

وفي سنة ٦٥٩ هـ تسلم الظاهر الشويك من نواب المعيث فيها «بناء على

اتفاق سرى بين الظاهر والنواب (٢) . فجهز المعيث الشهرزورية وأغار بهم على

الشويك واستعاد ، لكنه أعلن الطاعة للظاهر حين أراد هذا استعادته . وسكنت

الظاهر لانهماكه بدمشق وحلب . لكن الظاهر والمعيث . كانا بعد هذا ، لا يأمن

الواحد منهما للآخر . فلما ذهب الشهرزورية الى مصر افراهم السلطان فانفصلوا

من المعيث ، وكتب المعيث الى بعض امراء مصر والى جماعة من الشهرزورية يستميلهم

اليه . ثم اتصل بهولاكو . ثم عادا فتصالحا سنة ٦٦٠ هـ وفنا الظاهر منه وانطع

ابنه الملك العزيز ديبان (٣) . لقد كان الظاهر يترث الفرصة السانحة .

وسنحت الفرصة سنة ٦٦١ هـ / ١٢٦٣ م . يوم السبت السابع من ربيع الآخر

سنة ٦٦١ هـ / ١٢٦٣ فصد الظاهر بلاد الشام ، مارا بمسجد التبن حيث بني حتى

العاشر منه ، وبغزة التي دخلها في ٢٧ منه . وهنا جاءته والدته الملك المعيث تشفع

بابنها وترجو الظاهر ان يعفو عنه . فتظاهر السلطان بقبول شفاعتها . ثم انتقل الى

الطور في ١١ جمادى الاولى وطلب من المعيث ان يوافيه اليها .

ولما كان المعيث لا يثق بالظاهر فانه ارسل له رسالة شفعية اعطاه

فيها الكلام ، ثم راح يسوف غي الذهاب اليه . وتعززت مخاوفه حين جاءته رسائل من

بعض اصحابه تخوفه من صد السلطان وتؤكد له النية باعتقاله . ومنها رسالة من ناظر

خزانة الظاهر ينصحه بعدم الذهاب الى ملائكة السلطان . ولم يباشر السلطان وانما

---

(١) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٢٩٧ — ٢٩٨ .

(٢) المصدر السابق ، ج ١ ص ٤٣٩ و ج ٢ ، ص ١٩٣ ، ابو الفداء ج ٣ ، ص ٢٢٣ ،

ابن ابي الغضائيل ، ص ٧٩ .

(٣) ابن عبد الظاهر ، ص ٤٨ ، ٤٩ ، اليونيني ، ج ٢ ص ١٠٧ ، المقرئ ، السلوك ص ٤٦٨

الشويك معتقلا • وبعد مقتل المعظم ، فرج من المعيث ، وملك الكرك (١) •

وفي سنة ٦٥٩ هـ تسلم الظاهر الشويك من نواب المعيث فيها ، بناءً على

اتفاق سرى بين الظاهر والنواب (٢) • فجهز المعيث الشهرزورية وأغار بهم على الشويك واستعاد ، لكنه أعلن الطاعة للظاهر حين أراد هذا استعادته • وسكنت الظاهر لانهماكه بدمشق وحلب • لكن الظاهر والمعيث • كانا بعد هذا ، لا يأمن الواحد منهما للآخر • فلما ذهب الشهرزورية الى مصر افراهم السلطان فانفصلوا من المعيث ، وكتب المعيث الى بعض امراء مصر والى جماعة من الشهرزورية يستميلهم اليه • ثم اتصل بهولاكو • ثم عادا فتصالحا سنة ٦٦٠ هـ ومنا الظاهر منه واقطع ابنه الملك العزيز ديبان (٣) • لقد كان الظاهر يترث الفرصة السانحة •

ومنحت الفرصة سنة ٦٦١ هـ / ١٢٦٣ م • يوم السبت السابع من ربيع الآخر

سنة ٦٦١ هـ / ١٢٦٣ فصد الظاهر بلاد الشام ، مارا بمسجد التبن حيث بني حتى العاشر منه ، وبغزة التي دخلها في ٢٧ منه • وهنا جاءته والدته الملك المعيث تشفع بابنها وترجو الظاهر ان يعفو عنه • فتظاهر السلطان بقبول شفاعتها • ثم انتقل الى الطور في ١١ جمادى الاولى وطلب من المعيث ان يوافيه اليها •

ولما كان المعيث لا يثق بالظاهر فانه ارسل له رسالة شفعية اعطاه

فيها الكلام ، ثم راح يسوف في الذهاب اليه • وتعززت مخاوفه حين جاءته رسائل مسن بعض اصحابه تخوفه من صد السلطان وتؤكد له النية باعتقاله • ومنها رسالة من ناظر خزانة الظاهر ينصحه بعدم الذهاب الى ملاقاته السلطان • ولم ييأمر السلطان وانما

---

(١) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٢٩٧ - ٢٩٨ •

(٢) المصدر السابق ، ج ١ ص ٤٣٩ و ج ٢ ، ص ١٩٣ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢٢٣ •

ابن ابي الفضائل ، ص ٧٩ •

(٣) ابن عبد الظاهر ، ص ٤٨ ، ٤٩ ، اليونيني ، ج ٢ ، ص ١٠٧ ، المعري ، السلوك ص ٤٦٨



الذهاب الى ملاقاته السلطان • ولم ييأمر السلطان وانما بحث له برسالة رفيعة لطيفة اتسم  
فيها اربعين مرة بالطلاق من ام الملك السعيد مشفوعة بهدايا واموال ، حتى اخذ المعيث  
وارسل الرسائل التي وردته من اصحابه الى الظاهر ، فعمد هذا الى حيلة اخرى اد زعم  
انه هو الذي امرهم بكتابة مثل هذه الرسائل يخبر امانته • فاحضرت نفوس المعيث بعض  
الشيء ، وفرد الذهاب الى السلطان • سار اليه في جمادى الاولى سنة ٦٦١ هـ حتى اذا وصل  
بيسان خرج السلطان يستقبله • واراد المعيث الترحل بين يدي الظاهر فمنعه هذا وسارا  
جنباً الى جنب الى بباد عليز السلطان فدخل الظاهر د عليزه ، اما المعيث فاحمد  
الى مراكاة اخرى حيث اعتقل • ثم سيق الى قلعة الجبل بالعامة بحراسة خمس الدين المنقصر  
العارفاني ، فوصلها ليلة الاحد ١٥ جمادى الآخرة ، وسجن فيها ، وكان آخر العهد به ،  
اذ انتهت حياته في شوال سنة ٦٦٢ هـ / ١٢٦٤ (١) •

ولما ببض السلطان على المعيث تغيرت وجوه الامراء وانكروا ما جرى • فرأى  
السلطان ان يوضح لهم جليلة الامر • فاستدعاهم الى اجتماع حضره صاحب حصن بوناغي  
العضة بدمشق ، وعرض عليهم كتب المعيث الى التتر يدعونه فيها لمهاجمة البلاد ويعددهم  
بالعون ، ثم تليت اجوبة التتر على ذلك ، وطلب منهم الحكم في القضية • ثم شفع الظاهر  
حجته باستدعاء رسل من هؤلاء المعيث كان هذا اخفاهم وانكروهم ، فايدوا ما ناله السلطان  
فاقتى العهاء بفسخ اليمين اذا سمحت التهمة ، ثم سجلت وقائع الاجتماع (٢) •

- (١) ابن عبد الظاهر ، ص ٦٦ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٥٣٠ - ٥٣٢ ، وج ٢ ص ١٩٢ - ١٩٣ ،  
ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ابن ابي الغضائيل ، ص ١٠٧ - ١٠٩ ، ابن الفرات  
ج ٦ ، ص ١ و ١٥ ق - ١٦ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٥١٢ ، ابن تغري  
بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١١٩ - ١٢٠ ، اما كيفية مقتله ، فيقال ان زوجة الظاهر  
امرت جوارها بقتله بالقباض •
- (٢) ابن عبد الظاهر ، ص ٦٦ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٥٣٢ - ٥٣٣ ، وج ٢ ، ص ١٠٧ و ١٩٤ ،  
ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢٢٦ ، ابن ابي الغضائيل ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ، ابن الفرات ، ج ٦  
ص ١٦ و ، المقرئ ، السلوك ، ص ٤٨٢ •

ثم تسلم الظاهر الكرك في ٢٣ جمادى الآخرة ودخل قلعته الجمعة في ٢٥ منه وانعم على من بها وفقر لمن أساء اليه لما كان شريداً إذ إن أهلها لم "يخامروا" عليه . ثم نظم شوونها وأمر بحمل الخلال إلى المدينة والقلعة ووزع أراضيها انطاكات على أمرائه . وعين عز الدين أيدمر نائباً عليها ، وحلف المقدمون والنصارى فيها يمين الولاء له ، ثم طاف بالقلعة والمدينة وأمر بعمارة ما تجب ممارته . وفي ٢٨ جمادى الآخرة تلبعت القاهرة ما جرى له . وفي ١٦ رجب وصل السلطان إلى قلعة الجبل ومعه أولاد الملك المغيث ونسأوه فانزل العزيز عثمان في دار القطيعة بين الفصرين ومنحه الهبات وأعطاه طبلخانا . لكنه مات فاعتقله سنة ٦٦٩ ( ١ ) .

أما أسباب اعتقال المغيث فإنها واضحة مما سردناه . وهي تعود إلى خوف الظاهر من منافسة المغيث له . وأمكن تكتل الأيوبيين حوله للمطالبة بالعرش ثم تخوفه من اتصال المغيث بالتمر . ويزيد أحد المؤرخين أن لذلك الخلاف سبباً آخر هو أن المغيث راود زوجة الظاهر من نفسها حين فرزوها من الكرك إلى غزة ( ٢ ) . ولذلك أمرت بقتله بالقبائيب .

وقد شك اليونيني بالتهمة التي وجهها الظاهر للمغيث . واعتبرها محاولة لتبرير ما فعله . وقد كان السلطان دفع ألف دينار لشخص يفتل المغيث ، ثم سكر هذا الشخص وأنسى السر ( ٣ ) . ويعلق المؤرخون على هذا التدبير الظاهري ويعتبرونه دليلاً على سوء طباع السلطان وميله إلى الغدر والعنف ( ٤ ) . وليسر النظر إلى هذه القضية من زاوية خلفية شخصية فقط صحيحاً .

( ١ ) ابن عبد الظاهر ، ص ٦٢ و ٧٥ و ٨٠ و ٨١ ، اليونيني مج ١ ص ٣٢ ، ٥٣٣ ، وج ٢ ص ١٩٣ ، أبو الفداء مج ٣ ص ٢٢٦ ، ابن أبي الفاضل ص ١٠٦ ، ابن الغرات ج ٦ ص ٢٥ ق ٢٧ ، المقرئ ، السلوك ص ٤٨٣ ، ٤٩١ . وقد جعل تاريخ

استلام الكرك ٢٤ منه .

( ٢ ) أبو الفداء ، ج ٣ ص ٢١٦ ، ٢٥٥ ، ٢٢٦ .

( ٣ ) اليونيني ، ج ٢ ص ٣٠ .

( ٤ ) Sir W . Muir ص ١٧ ، ١٨ .

ان الظاهر كان رجل دولة ، كان ينظر الى المغيث على انه خصم سياسي فينبغي التخلص منه باى ثمن كان .

وباعتقال المغيث زال كل خطر جدى من الايوبيين على السلطان المملوكي . وان تكن حمص (١) وحماة (٢) وصهيون (٣) بقيت بايدى امراء ايوبيين ، فان هؤلاء الامراء كانوا مخلصين للظاهر .

---

(١) تسلمها الظاهر سنة ٦٦٢هـ / ١٢٦٤ عند وفاة صاحبها الاشرف . ابن عبد الظاهر ص ٩٢ ، ٩٣ اليونيني ، ج ١ ص ٥٥٦ و ج ٢ ص ٢٣٠ ، ابو الفداء ، ج ٣ ص ٢٢٢ ، ابن ابي الفضائل ص ١٢٩ ، المقرئى ، السلوك ص ٥٠٥ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ١٢١ وقد جعل الوفاة والتسلم سنة ٦٦١ هـ .

(٢) في سنة ٦٥٩ هـ تعاون صاحبها حمص وحماة على صد التتر ، ثم زارا السلطان بدمشق . وفي سنة ٦٦٠ هـ ارسل صاحب حماة يعتذر للظاهر عن عدم تمكنه من الحضور اليه . وفي رجب من نفس السنة ارسل اليه تترا امتثلهم . وفي سنة ٦٦٤ هـ حارب صاحب طرابلس الصليبي وزار مصر فرحب بالظاهر . وفي ربيع الاول سنة ٦٦٥ هـ اذن له بزيارة الاسكندرية ، وفي سنة ٦٧٢ هـ زاره في القاهرة واكرمه . كانت علاقته بصاحب حماة جيدة عموما . الا مرة ، في سنة ٦٦٢ هـ ، فقد ارسل اليه ينبهه الى ضرورة الامتناع من اللهو . وقد بقيت حماة بيد الايوبيين حتى سنة ١٣٤١ م . (ابن عبد الظاهر ، ص ٤٥ ، ٥٢ ، ٩١ ، اليونيني ج ٢ ص ٣٦١ ، ابو الفداء ، ج ٣ ص ٢١٠ و ٢٢٤ ج ٤ : ابن ابي الفضائل ، ص ٢٢٤ ، ابن الغرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٢ ، المقرئى السلوك ، ص ٤٧١ ، ٥٠٣ ، ٥٥٦ ، ٦١٤ ) .

(٣) كانت علاقة الظاهر بصاحب صهيون حسنة عموما . وفي سنة ٦٦٠ هـ ارسل صاحبها هدية للظاهر . واتصل به سنة ٦٦٤ هـ وفي سنة ٦٦٧ هـ سلمه مناتيج القلعة . وفي سنة ٦٧٠ هـ توفي صاحبها وفي السنة التالية تسلمها الظاهر . (ابن عبد الظاهر ، ص ٥٢ ، اليونيني ، ج ٢ ص ٣٤٣ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ابو الفداء ، ج ٣ ص ٢٢٣ و ج ٤ ص ٥ ، ٧ ، ابن الغرات ، ج ٦ قسم ٢ ورقة ٤٥ ، ١٠٠ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٤٧ ، ٥٢٩ ، ٦٠٦ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٧ ص ١٣٩ .

### رابعاً : الامير سيف الدين الرشيدى :

كان هذا الامير قد ساعد السلطان للحصول على العرش فأكرمه اى اكرام وانقطع الاقطاعات الواسعة . فصار يحمي حاشيته حتى ولو آذوا الناس واستبد بامرهم . وامضى الظاهر عنه لكن الطمع بلغ بالرشيدى ان اراد الاستقلال بالكرك فلم يعد الافضاء عنه ممكناً . فلم السلطان ان الرشيدى اتصل بالمغيث ونصح به بعدم القدوم على السلطان ثم علم بعد اعتقال المغيث ، ان الرشيدى كتب لاهل الكرك ان لا يسلّموا القلعة للسلطان وعرض عليهم ان يتسلمها بنفسه . فمنع الظاهر الامير ان يسبقه الى الكرك ، ثم اشاع بان امراءه استلموا القلعة فصكت حركات الرشيدى . ثم ثار الامير لما علم ان السلطان خدعه ، واتصل بالبولي والدمياطى وجاؤوا بثلاثماية فارس الى حيث كان السلطان يصلي ، وتنبه السلطان للمؤامرة واوفز لغلاوون بالاستعداد ، ثم جاء الامير فزالدين اوفان الركبي وابعد الرشيدى عن الظاهر . ويقال ان سبب مضية الظاهر على الرشيدى انه احتج على امتنسال المغيث . وفي ٢٢ رجب سنة ٦٦١ هـ ، امتقل الظاهر الرشيدى في القاهرة (١) . ولئن كان الظاهر قد قضى على المحاولات الاستقلالية هذه فان هذا لا يعنى انه لم يلسق مشاكل اخرى من هذا النوع في السنوات التالية ، والواقع ان هنالك امراء حاولوا الثورة او التآمر عليه في مناسبات اخرى وفشلوا . وفيما يلسي مرض لها .

في رجب سنة ٦٦١ هـ قبض السلطان الظاهر على عز الدين الدمياطى وكان هذا قد نال حظوة في عيني السلطان فنال حق الحصول على اى شى يريد . في بلاد الشام من فزة الى الفرات . ثم تبين له ايضا انه ارسل جماعة مسلحين

(١) ابن عبد الظاهر ص ٧٧ ، ٨٠ ، مابو الغداة مج ٣ ص ٢٢٧ ، الذهبى مج ٢ ص ١٢٦ ، ابن ابي الفضائل ص ١١ ، مابن الفرات مج ٦ ص ٢٨ ، ٢٨ ق ٢٩ و المقرئى ، السلوك ، ص ٤٩٣ ، ٤٩٥ .

ملثمين واستولوا على ما كان السلطان وهبه لاولاد الملك المغيث ظنا منه ان السر  
لن ينفض . وعرف السلطان بالامر وقبض عليه ، لكنه عاد فافرج عنه ، فيما بعد واكمه (١)  
وفي سنة ٦٦٩ هـ تكشف للظاهر مؤامرة يبدو انه كان دلايوبيين ضلع فيها  
فاعتقل العزيز بن المغيث بتهمة الاتفاق مع الشهرزورية لاعتقال السلطان واستلام  
العرش مكانه — ثم عاد فاعتقل مقدمي الشهرزورية ايضا (٢) .

وفي ردى الحجة من السنة نفسها امر بالقبض على عدد من الامراء ، بينهم علم  
الدين سنجر الحلبي وجمال الدين افروش المحدثي وعز الدين ايغان سم المسوت ،  
وسجنهم بقلعة الجبل بحجة ان هؤلاء كانوا قد اتفقوا على قتله حين كان يحاصر  
قلعة الشقيف وقد اسرها في نفسه يومذاك لكن مدة اعتقالهم لم تطل اذ شـرع  
بعد قليل من الوقت يطلق سراحهم ويقطعهم الاقطاعات الرامعة لان فيهم من ناصره  
في بداية عهد (٣) .

وفي سنة ٦٧٣ هـ عرف الظاهر ان ١٣ اميرا كانوا التريحوضونهم على  
فزو بلاد الشام . فاعتقلهم الظاهر ، ولما امروا بما فعلوا اعدمهم جميعا وكان اخر  
العهد بهم (٤) .

- 
- (١) ابن عبد الظاهر ، ص ٧٨ ، ٨٠ ، ابو الغداء ، ج ٣ ، ص ٢٢٧ ، وج ٤ ، ص ٧ ،  
الذهبي ج ٢ ، ص ١٢٦ ، ابن ابي الفضائل ص ١١٠ ، ابن الفرات ج ٦ ، ص ٢٨ و ٢٩ .  
ق ، المقرئى السلوك ، ص ٤٩٣ — ٤٩٤ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ج ٧ ،  
ص ١٥٤ .
- (٢) اليونيني ج ٢ ، ص ٤٤٤ ، ابن ابي الفضائل ، ص ١٨٥ ، ابن الفرات ج ٦ ، قسم  
٢ ورقة ٨٣ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٥٩٥ .
- (٣) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٤٥٣ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٥٤٣ — ٥٤٤ ، ابن الفرات ،  
ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٨٣ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٥٩٥ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة  
ج ٧ ، ص ١٥٤ .
- (٤) ابن كثير ، ج ١٣ ، ص ٢٦٨ .

على انه ينبغي ان نلاحظ ان هذه المحاولات كانت ترتدى طابعا فرديا فيسر  
خطير . ونلاحظ ايضا ان الظاهر اتبع ازاها جميعا خطة واحدة هي الاسراع في  
الغضا عليها بالقوة العسكرية ، وبالاقدام ، وبالحيلة ، قبل ان تستفحل . وينبغي ان  
نلاحظ ان مكانة الظاهر كانت بعد سنة ٦٦٢ هـ قد توطدت بحيث لا تستطيع مقاومة  
داخلية فردية ان تفصيه من الحكم .

### ٣ - احياء الخلافة .

في محرم سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ تغلب هولاء على جيوش المستعصم بالله في  
بغداد ودخل عاصمة الخلافة العباسية فاتحا . وقضى على الخليفة والخلافة معا .  
وبذلك شغل منصب الخلافة نحو من ثلاث سنوات حتى رجب سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠  
حين احياها السلطان الظاهر بيبرس .

في رجب سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ ، بعد الانتصار على سنجر الحلبي في  
دمشق ، وصل الى القاهرة خبر من الامير علاء الدين البندقدارى والامير علاء الدين  
طبرمس الوزيرى ان رجلا وسيم الطلعة ، شديد القوة ، ذا شجاعة واقدام ، يدعى  
انه احمد بن الامام الظاهر ابن الامام الناصر وصل الى فوطه دمشق في نحو خمسين  
فارسا من عرب خلفا عرفتهم الامير سيف الدين قليح البغدادى ، فادما من بغداد ،  
بعد ان اطلقه التتر من سجنه . فاصدر بيبرس تعليماته بضرورة الاهتمام بهذا القادم  
وبتسييره الى مصر بصحبة حجاب .

ويوم الخميس ٩ رجب وصل احمد الى المطرية بالقاهرة فظفاه السلطان  
والوزير وقاضي القضاة والشهود والمؤدنون والقراء والائمة واميان الدولة واليهود  
بتوراتهم والنصارى بانجيلهم ، واهل المدينة ، مرحبين به . ودخل احمد القاهرة من  
باب النصر وشنها وهو لابس السواد ، شعار بني العباس ، حتى خرج من باب زويلة

ثم صعد الى القلعة راكباً (١) .

ويوم الاثنين الثالث عشر من رجب ، وفد السلطان الظاهر اجتماعاً في قلعة  
العمد حضره الوزير والشيخ عز الدين بن عبد السلام وغيره من الفقهاء ، والائمة والعلماء  
والامراء والصوفية والتجار والكثير من الناس ، ثم وفد السلطان على الاجتماع وبصحبه  
احمد بن الامام ثم جلس السلطان مجلساً قادياً امام احمد " ولم تفرش له طراحيمة  
ولم يحط له كرسي ولا منبر " .

وكانت قضية التثبيت من نسب الامام اول ما نظرفيه . شهد العربان بصحة  
نسبه امام فاضل الفضاة تاج الدين عبد الوهاب بن الامز ، فقبل هذا الشهادة وثبتت  
نسبه ثم قام على قدميه وبايعه بالخلافة ، وتلقب باسم المستنصر ثم بايعه السلطان بها .  
على كتاب الموسنة رسول الله ( صلعم ) وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد  
في سبيل الله واخذ اموال الله بحقها وصرفها في مستحقها " . ثم ركب الخليفة والسلطان  
وشفا القاهرة في وجوه الدولة واميانها ، والناس محتشدون يتفرجون على هذا المركب .  
ويوم الجمعة ١٢ رجب ، ركب الخليفة من برجه في قلعة القاهرة الى جامعها  
وعليه الثياب السود وخطب خطبه ذكر فيها شرف بني العباس ثم قرأ الفاتحة وقرأ تسليماً  
من سورة الانعام ، ثم صلى على النبي وترضى على الصحابة ودعا للسلطان ، ثم صلى بالنامر  
صلاة الجمعة .

وفي ١٩ رجب ارسل الظاهر الى دمشق رسالة مطولة وصف فيها احتفال

التنصيب ودعا الناس لمبايعة الخليفة والخطبة له على المنابر .

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ٣٤ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤٤٢ ، وج ٢ ، ص ٩٤  
٩٥ ، وقد جعل الامراء المرافقين لاحمد من بني مها رش ، وجعل وصوله في ٨ رجب  
(ج ١ ، ص ٤١١) ما بين ابي الفضائل ، ص ٨١ ، ٨٢ ، المقرئى بالسلوك ص ٤٤٨ ، ٤٦٢ ،  
ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ١٠٩ ، ١١١ ، ابن اياس ، ج ١ ، ص ١٠٠  
وقد جعل الوصول الى دمشق في ١٩ رجب .

وفي نفس اليوم دعا السلطان الخليفة الى تزهة في الحرائق في النيل وطلعا الى

الجزيرة حيث اجرى استعراض بحرى حضره العامة ، ثم اقطع ممالك الخليفة اقطاعات

واسعة في نابلس ، ومنح مقدمهم طبلخاناه .

بقي بعد هذا ان يبايح الناصر الخليفة وان يفلد الخليفة ببير من السلطنة ،

بصورة رسمية في احتفال علني عام ، اى ان يعلن للناصر ان سلطنة الظاهر شرعية .

وفي مستهل شعبان سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م امر الخليفة بصنع خلع له سودا ، وطوق وتيد من

ذهب ، وبحملها الى خيمة منصوبة في بستان كبير في ظاهر الفراقة ، ثم امر كاتب السر

الشريف فخر الدين بن لقمان ، ان يكتب التقليد بالسلطنة .

وفي الرابع من شعبان ركب الخليفة والسلطان والوزير ووجوه الدولة الى تلك الخيمة

فالبس الخليفة السلطان الظاهر ببير من الخلعة وطوقه وتيده ، ثم صعد فخر الدين المنبر

وقرأ التقليد وقد بدأه بحمد الله الذي قيض للاسلام طوكا يعلن شانه ، ثم حض الناصر

على طاعة السلطان الظاهر وامترف بصنيعه الذي لا يكتفي الكلام لشكره معها طال ، لعطفه

على امير المؤمنين ثم ملده السلطنة على " الديار المصرية والبلاد الشامية والديار بكرية

والحجازية واليمنية والفراتية وما يتجدد من الفتوحات فورا ونجدا " ثم اخذ يوجه النصائح

للسلطان حتى يكون حكمه ناجحا عادلا ، وجعل الجهاد فرضا .

ثم بايح الناصر الخليفة . وكتب السلطان الكتب الى الاقاليم المختلفة يدعو

اهاليها لمبايعة الخليفة وللخطبة باسمه على المنابر ولضرب السكة باسمه . ثم ركب السلطان

بالخلعة والطوق وبين يديه الامير جمال الدين النجيبى الاستادار والوزير يحملان التقليد

والامراء والمشاة ميسفون القاهرة موند زينت اسوانها وضعت بالناصر اللابسين الثياب الفاخرة

الدائمين للسلطان بالنصر وبطول مدة الحكم ثم دخل السلطان القلعة وجلس على عرشه ، ومد





من اجتياز الغرات ، وبعث بسيف الدين الرشيدى وسيف الدين منقر السرومي الى حلب لينجدا الخليفة اذا استدعاهما . وفي ٢١ ذى القعدة (١) مار الخليفة نحو بغداد ومعه نحو ثلاثماية فارس حتى وصل الرحبة . وهنا رفض ابنا صاحب الموصل متابعة السير معه بحجة ان السلطان لم يعطهما مرسوما بذلك ، وانضم اليه ستون مملوكا من معاليك صاحب الموصل وبعض العرب من ال فضل ، وامير من حماه بنحو ثلاثين فارسا حتى بلغ جيس الخليفة نحو الف جندي .

وبعد ثلاثة ايام فادر الخليفة الرحبة ومر على مشهد علي وزاوية الشيخ بوى ، ثم تائم فنفقوا جمع هنا بابي العباس احمد ومعه نحو سبعماية فارس . وجرت مفاوضات بينهما قبل ابو العباس بعدها بمناصرة الخليفة المستمر . ثم تابع الخليفة سيره الى الحديثة ففتحها له اهلها ورحبوا به ثم انتقل الى الناورسة فالى هيث فدخلها فتوة في ٢٩ ذى الحجة ومرف فزايغا مقدم معسكر التترويهادر على الخوارزمي شحنه بغداد بقدم الخليفة فخرجوا في معسكر بلغ خمسة الاف جندي الى الانبار فالى <sup>حيث</sup> جرت المعركة في اواخر ذى الحجة سنة ٦٥٩ هـ واوائل محرم سنة ٦٦٠ هـ وهرب ابو العباس احمد وعدد من الامراء . اما الخليفة فلم يوقع له على اثر بعد ذلك . ولما علم السلطان بما جرى حزن حزنا شديدا " وراح ما صنعه في البارد " ( ٢ ) .

---

(١) ينبغي ان نلاحظ ان سير الخليفة من دمشق كان ٢٣ منه عند ابي شامة (ص ٢١٤) و ١٣ منه عند المقرئى (السلوك ص ٤٦٢) ؛

(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ٤٢ ، ابو شامة ص ٢١٤ ، ٢١٥ ، اليونيني ج ١ ، ص ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٧ ، ٤٨٣ ، ٥٠٠ ، ج ٢ ص ١٠٩ ، ١١٠ ، الذهبي مج ٢ ، ص ١٢٥ ، ابن ابي الفاضل ، ص ٨٨ ، ٩٠ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٧ ، ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة مج ٢ ص ١١٥ ، ١١٧ ، السيوطي ، الخلفاء ، ص ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ابن ايام مج ١ ، ص ١٠٢ .

وهنا ينبغي ان نسأل : لماذا عدل الظاهر من تجهيز عشرة الاف جندي ؟ وهل

اهتم الظاهر باستعادة بغداد ؟ ولماذا لم يستدع الخليفة الجند الذين كانوا في حلب

ينتظرون اشارته ؟ ان قول ابن ايسران ما صنعه السلطان راح في البارد دليل على ان

السلطان كان يستهدف شيئا من وراء هذا كله . ويثبت ذلك ان النفقات بلغت ارقاما ضخمة

ولكننا لانعلم ماذا كان هذا المبلغ رصيد للحمة بالدات ، ام انه هو كل ما انفق الظاهر

على الخليفة منذ ان قصده في صرحتى كانت نهايته في هيت . واذا كان هذا المبلغ

قد رصد للحمة فقط ، فهل انفق ؟ او لماذا لم ينفق ؟

الثابت ان الجيش الذي رافق الخليفة لم يعد الف جندي . فلماذا ؟ قيل انه جاء

من همس في ان الظاهر ان الخليفة تقوى شوكتة بعد استعادة بغداد وقد يخلعه مسن

السلطنة . وقيل ان ابني صاحب الموصل لم يرافقاه لانه لم يكن لديهما امر من الظاهر . ولعلهما

عدلا من مرافقته لسبب هجوم التتر على الموصل في ذلك الحين . ولعلهما فعلا ذلك للسبيين

معا . او لعل التتر قاموا بمهاجمة الموصل عندما علموا بالحمة على بغداد . وفي كل حال

يبقى السؤال الاول من المصعب في عدم تجهيز عشرة الاف جندي بغير جواب قاطع .

اما اهتمام الظاهر بفتح بغداد فيعود الى اشارة الخليفة من جهة والى ان مهاجمة

بغداد جزء من خطة محاربة التتر من جهة ثانية . اضاف الى هذا ما يمكن ان يكسبه السلطان

الظاهر من نفوذ معنوي بحال اخراج التتر من بغداد . ولكنني لا احسب الظاهر كان بالفعل

يهتم باستعادة بغداد ، او انه كان يعتقد ان استعادتها امر معمول عسكريا . ان حقاوته

بالخليفة كانت من قبيل المظاهر العفوية التي تفيد مركزه . ولعل احتفى بالخليفة في القاهرة

ودمشق حيث ينبغي للامران يروا بانفسهم الخليفة والسلطان معا . اما الحمة فمناوشة لاكثر

ولا اقل . ولو انه اراد فتح بغداد ، ولو انه اعتقد بما مكانية مثل هذا المشروع ، لفاد الحمة

بنفسه . ثم انه ليس في وضع اخلي يمكنه من الاستعداد لمثل هذه الحمة (١) كما ان التتر

---

(١) حاول مرة اخرى مهاجمة بغداد - ثم عدل (ابن ابي الفضائل ، ص ١٤٥) .

والسلاجقة والفرنجة لابد ان يختنموا مثل هذه الفرصة فيما لو اتاحها لهم .  
اما الجيوش الظاهرية المرابطة في حلب بانتظار اشارة الخليفة فانها عادت الى  
مصر بعد فارة على اعمال انطاكية (١) . ولعل السبب في عدم استدعائها يعود الى ان  
الخليفة كان محاطا بالاعداء فلم يتيسر له الاستنجاد .

وهتمتل المستنصر بعد الظاهر الى اقامة خليفة اخر . والخليفة الجديد هو ابو  
العباس احمد (٢) الذي فر من معركة هيثم ثم دخل دمشق مع جماعة من الاقرباء في ٢٢ صفر  
سنة ٦٦٠ هـ ، ثم سافر الى مصر في ٢٦ من ربيع الثاني ودخل القاهرة  
في ربيع الاول (٣) من السنة . فاحتفل به الظاهر وانزله بالبرج الكبير داخل القلعة ورتب  
له ما تدعو اليه الحاجة .

ومرة اخرى نادى السلطان الظاهر الى الاجراءات الضرورية لتنصيب الخليفة . فعقد  
(٤) مجلسا عظيما حضره الاعيان والقضاة والامراء والعلماء ورسل بركة خان ثم جاء ابو العباس  
احمد راكبا . ثم جلس قريبا من السلطان ، وعلقت له شجرة نسب وقرئت على الحاضرين ، حتى

(١) ابو شامة ص ٢١٤ ، ٢١٦ ، المقرئى بالسلوك ، ص ٤٦٢ ، ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ،  
ج ٧ ، ص ١١٤ .

(٢) كان قد اختفى بعد دخول التتر بغداد ثم ظهر في اوائل سنة ٦٥٧ هـ عند امير خفاجه  
فارسله هذا الى نور الدين زامل بن حذيفة امير الاقرباء ، فالى ابن مهنا امير ال فضل  
حتى طلبه الناصر صلاح الدين يوسف لتنصيبه خليفة لكنه انشغل بوصول التتر . ثم بايعه  
قطز خليفة وارسله لاستعادة بغداد في سنة ٦٥٨ هـ ، ثم عاد الى دمشق فالى مصر حيث

وجد الامام احمد قد سبقه فعاد الى سلميه وبايعه البرلي ثم التقى بالمستنصر ، ابو شامة  
ص ٢١٥ ، اليونيني مج ١ ، ص ٤٨٣ ، ٤٨٦ ،

(٣) او ربيع الاخر عند ابن ابي الفضائل ، ص ٩٢ . وابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ،  
ص ١١٨ ، وهو ٢٧ ربيع الاول عند ابن الفرات ج ٦ ، ص ٢ و ٠ ، السيوطي ، الخلفاء ، ص  
٢٧٨ - ٢٧٩ .

(٤) في او اخر ذي الحجة سنة ٦٦٠ هـ عند ابي الفداء ( ج ٣ ص ٢٢٤ ) او ٨ محرم سنة ٦٦١ هـ  
عند الذهبي ( ج ٢ ص ١٢٦ ) و ٢ منه عند ابن الفرات مج ٦ ، ص ٠ ، والسيوطي ، الخلفاء ، ،  
٤٧٩ ، و ٩ منه عند ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة مج ٧ ص ٢١١ ) .

إذا اعتبرت صحيحة بايعه الظاهر بالخلافة وتلقب بالحاكم بأمر الله . ثم خطب الخليفة  
وقلت. السلطان "أمور البلاد والعباد" وجعله تسميه في السلطنة . وبايعه الناس  
بالخلافة .

وخطب مرة أخرى بعد المبايعه فشكر الله على نعمائه ودعا الى التقوى والطاعة  
لاولى الامر . ثم خطب بحضور رسل بركة خان فتحدث عن تفضيع المعول بالاهالي ودعا الى  
الجهاد واعتبر الامامة فرضا من فروض الاسلام ، ثم امتدح السلطان . لكنه لم يدع  
لاستعادة بغداد بل تحدث عن الاتصال ببركة خان للحصول على مناصرته .

وفي ١٦ محرم خطب للخليفة بجوامع مصر . اما في دمشق فبعد ذلك بقليل ٢  
ثم رتب له الظاهر نفقات تكفيه هو ومياله وماليكه ، واوجب عليه الصعود اليه في اول كل شهر  
لتهنئته ، وامر بنفش الدنانير باسميهما معا .

وفي ليلة الاربعاء ٣ رمضان علم السلطان ان الخليفة لم يلبرلبا من الفتوة

فالبسه اياه في احتفال كبير حضره رسل بركة (١) .

نلاحظ ان شكليات المبايعه كانت واحدة في المناسبتين . لكنها اختلفت

في نواح دقيقة معينة فينبغي ان نلاحظها . ففي هذه المرة لم يظهر السلطان من الاحترام

مثل ما ابداه للخليفة الاول . واوجب عليه الصعود اليه الى القلعة في اول كل شهر . ثم

اذا لاحظنا ان المبايعه تاخرت نحو سنة ، وانه اوجب عليه في ذى الحجة سنة ٦٦٣ هـ

ان يحتجب عن الناس ، وانه لم يعن برجل زعم انه ابن المستعصم (٢) سنة ٦٦٥ هـ ، ادركنا

مقدار تغير وجهة نظره الى الخلافة .

---

(١) ابن عبد الظاهر ص ٢٧، ٦١، ٦٥، ابو شامة ص ٢١٦، ٢٢١، البيهقي ص ٤٨٣،  
٤٨٤، ٥٣٠، ٥٣١، ١٥٣، ١٨٧، ١٨٠، ١٩٢، ٢١٩، ابو الفداء ص ٢٢٣، ٢٢٤،  
الذهبي ج ٢، ص ١٢٦، ابن ابي الفاضل ص ٩٢، ١٠٥، ١٠٦، ابن العرات ج ٦،  
ص ١٠، ١١، وفيه نص خطبه الخليفة . المقرئ، السلوك ص ٤٦٨، ٤٧٧، ٤٧٩، ٤٩٥،  
٤٩٧، ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة ص ٧، ١١٨، ١١٩، السيوطي، الخلافة ص  
٤٧٩، محسن المحاضرة ج ٢ ص ٧٤، ابن اياس ج ١ ص ١٠٢،

بقي ان نعال عن سببغناية الظاهر بالخلافة • وهنا لابد من العودة الى الوراء •

ولو باختصار شديد ، ليتبين لنا موقظلظاهر من هذه الغضية بوضوح • كان احمد بسن طولون قد نوى ان يجعل الخلافة في مصر ، ثم استطاع الفاطميون ان يجعلوا القاهرة مركزا للخلافة كبغداد ، لكن صلاح الدين الايوبي اعاد السيادة الاسمية لبغداد ويقال ان الملك الصالح نجم الدين ايوب قد اوصى بتسليم السلطنة بعده للخليفة في بغداد • وكذلك فعل عز الدين ايبك التركماني حين ضايغه الامراء الايوبييون •

ولم يكن بيبيرمر اول من فكر باحيا الخلافة بعد زوالها فقد كان الناصر صلاح الدين يوسف فكر باحيائها واستدعى اميرا عباسيا ورد على دمشق لتنصيبه خليفة ، لكن وصول التتار بلاد الشام شغله عن ذلك • ثم ان قطز علم من عيسى بن مهنا ، لما جاء دمشق بموصول امير عباسي ، فقال له ان ينفذه الى مصر لينصبه خليفة • وقيل ان قطز بايعه بدمشق ، فمسار واقتح فانة والحديثة وهيشوالانبار وانتصر على التتار ثم كاتبه علاء الدين طيبروس الوزيرى ان يعصد الظاهر بيبيرمر فامتتع حين علم بان اميرا عباسيا اخر يفصدها ، وقصد حلب حيث بايعه شمس الدين البرلسي (١) •

لم ينجح اولئك باحيا الخلافة ، ولكن الظاهر بيبيرمر وهو يسير على خطتهم ، اصاب النجاح في محاولته • والدافع لمثل ذلك هو رموخ فكرة الخلافة في اذهان الناس بحيث عد زوالها كارثة ، وكون الخليفة لا يزال يمثل السلطة الشرعية العليا • كان الظاهر يمسعى وراء عطف المسلمين عامة ووراء نيل لعب حامي الاسلام من جهة ، وكان يعمل على اكساب سلطانم الصفة الشرعية امام منافسيه نزد الى هذا انه كان يتزعم حركة مداومة التتار • فاعاد تنصيب

---

(١) ابن ابي الفضائل ص ٩٣ ، ٩٤ ، السيوطي بالخلفاء ص ٣١٢ • ونلاحظ هنا ان ما يروى من رحلة هذا الخليفة لاستعادة بغداد هو نفسمارونى من الرحلة التي قام بها المستنصر في عهد الظاهر ، ولاقى حتفه فيها •

الخليفة رد على ما فعله هولاء بالمستعصم في بغداد . وقد راينا صدى هذا في نص التليد الذي ناله من الخليفة . وفي قول الامير سيف الدين طيغ البعدادى عند وصول ابيسي العباد الى القاهرة " بهؤلاء " يحصل العصد من العراق " دليل على هذا ( ١ ) .

وليد ملا ر. هارتمان ( R. Hartman ) احياء الخلافة العباسية في القاهرة

عام ٦٥٩هـ / ١٢٦١م بمائلي : ان زوال الخلافة العباسية ببعداد اوجد فراغا سياسيا لم  
يؤثر على الغنم ، مقدار ما اثر على الحكام الدين كانوا لا يزالون يشعرون بالحاجة الى سلطة  
تكميلهم الشرعية . كان ابو نعي شريف مكة قد منح حاكم تونس الحفصي الاعتراف الرسمي بخلافته  
ويلقب المستنصر سنة ٦٥٠ / ١٢٥٣م . ولم يكن هذا الاجراء متمشيا مع معنى الخلافة فـ  
مفهومها السنني . لكن هذا الاعتراف كسب قيمة جديدة حين قام المماليك بعد معركة عين .  
جالوت بارسال خبر النصر لابي عبد الله الحفصي وتسميته بامير المؤمنين ، اما ببغداد ، وهو اقوى  
من سلفه ، فضل ان لا يمنح اعترافه الى جار قوى قد يكون خطرا عليه ، بل حل مشاكل الشرعية  
والاستمرار بتنصيب لاجي عباسي خليفه في القاهرة وتلقبه بالمستنصر ايضا (٢) .

ولا ريب ان عمل بغير من هذا كان ذلًا اثر في نفوس المسلمين حتى قيل له :

يا اسد النور ياركهم  
كسرت الطغاة جبرست العفاة

ويا آخذ الثارب بعد المخافة  
قطعت الفرات وصلت الخلافة (٣)

وهنا نتمسأل: هل افاد الظاهر من غزوة العراق؟ ومن احياء الخلافة؟ افادته محاولة

من العراق ان جاءه بعض شيوخ عبادة وخفاجة واعلنوا ولاهم له . وكانوا عيونهم

(١) ابن عبد الظاهر ص ٢٤

(٢) نقلتها من (P Lewis "Abbasids" EI new ed) ٢١ ص ٢١

(۳) ابن ایسرجا، ص ۱۰۲.

للمماليك على التتر (١) . واقاد من احياء الخلافة ، انه جعل السلطنة المملوكية ذات صفة شرفية ، وجعل القاهرة مركزا للخلافة . بيد ان النفقات كانت كثيرة . ولعسـد استهدف توطيد سلطانه باحياء الخلافة ، ولكن سلطانه في الحفيفة لم يكسب قوة فعلية لان الخلافة كانت جنة هامة لاحياة فيها . وقد يحمل هذا على القول ان محاولته بشفيها ، لم تكن ناجحة (٢) . زد الى هذا ان احياء الخلافة هذا قد فتح المجال امام المدعين ، وفي رمضان سنة ٦٦٥ هـ جاء دمشق رجل زعم انه ابن المستعصم (٣) .

- 
- (١) المقرئى ، السلوك ، ص ٤٧٦ .  
 (٢) Lewis "Abbasids" EI new ed ، ص ١٠٠ ، ص ٢١ .  
 (٣) أبو شامة ، ص ٢٤٠ .



٤ - معاملته للأمراء :

كان الظاهر كبير الحظ إذ أنه فعل في خدمته عدد من الأمراء المخلصين القادرين عسكرياً . وكان هو يحسن اختيار هؤلاء من جهة ، ويحسن معاملته أمراء من جهة ثانية ، حتى يكسب قلوب البقية . وقد كانت خطته نحو أمرائه مبنية على العناية بأحوالهم والاطلاع على سائر شؤونهم ، وعلى العطف عليهم (١) كما فعل عند استلامه السلطنة بالأمراء المشردين وبأبنائهم وكما فعل بآتابك فارس الدين أقطاي إذ ترك له أقطاعاته على كثرتها (٢) ثم كما فعل ببنات الأمير حسام الدين الجوكندار سنة ٦٦٢ هـ إذ سامحهن بما يجب من لبس المال عليهن من تركة أبيهن وكما فعل بابن الأمير شهاب الدين الفيرزي إذ أبى عليه أقطاع أبيه وترك الأرض لعائلة والى سمرمين يستعملونهما حين أسر الوالي (٣) .

ومما يوثق منه أنه زوج الأمير بدر الدين ييليك الخزندار بابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل سنة ٦٦٠ هـ واحتفل له بعمره وتكفل له بجميع النفقات (٤) وفي سنة ٦٦١ هـ أنعم على الأمير جمال الدين موسى بن يغمور ورفعته إلى منصب الاستاذ دارية (٥) ، وفي محرم سنة ٦٦٤ هـ تولى الاتفاق على عرس الأمير سيف الدين فلاون وأهداه الهدايا الوفيرة (٦) .

وانقض مجنون على أمير فقلته وجرح أميراً آخر في سنة ٦٦٤ هـ فقال الظاهر أن موت ولده السعيد أهون عليه من موت الجريح . فطابت بذلك قلوب الأمراء (٧) وفي رمضان

---

(١) ابن الفرات ، ج ٦ ، ص ٩ ق ٠ (٢) ابن عبد الظاهر ، ص ٢٥ (٣) ابن عبد الظاهر ، ص ٢٥ ، ١٦٦ ، ٤ - اليونيني ، ج ١ ، ص ٤٨٣ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، ص ٥٥ - اليونيني ، ج ٢ ، ص ١٩٥ (٤) المفريزي ، السلوك ، ص ٥٤٢ - ٥٤٣ - المفريزي ، السلوك ، ص ٥٥١ ،

سنة ٦٦٦ هـ استطاع ان يفك شمع الدين منفرا الاشقر من الاسرا ان اشترط على هيثوم اطلاق سراح شمع الدين مقابل اطلاق سراح ليفون ابن هيثوم (١) . وفي سنة ٦٦٧ هـ منح احد امرائه اربعين فارسا وترك له موجودات ابيه على كثرتها (٢) .

هذا بالاضافة الى الخلع والهدايا التي كان يمنحها لامرائه سنويا .

وقد كان يرقي عددا من المماليك ، بين سنة واخرى ، كما فعل في رجب سنة ٦٧٠ هـ

هـ (٣) .

فيرانه لم يكن يترك الحبل لامرائه على الغارب . ففي سنة ٦٦١ هـ غضب على احد خواصه لانه قتل احد مناديه سوق الخيل (٤) . وكثيرا ما كان يعتقلهم ، لكنه كان يعود الى الافراج منهم ، اذا لم تكن اخطاؤهم خطرة على سلطانه . وادا كان يعرف منهم القدرة على خدمته . لقد اعتقل علم الدين منجر الحلبي ثم افرج عنه ليستعيد له حلب . واعتقل عز الدين الدمياطي ، ثم افرج عنه سنة ٦٧٠ هـ وشرب معه الفمز . ومازحه في جمع — الامراء (٥) .

واخيرا فانه كان لا يانف من مخاطبتهم بتواضع . فقد يكتب لهم ، اخوكم ، او والدكم ، او ولدكم . وادا ذكرنا كيف عامل امراءه عند حصار صفد ، ان جلد بعضهم لتهانهم ثم ذهب اليهم يحدثهم بلطف بلغ حد الاعتذار ، بعد النصر ، وكيف وزع الاراضي والاقطاعات بعد فتح قيسارية وكيف كان القدوة لهم فيشترك بنفسه في كل عمل مهما كان شاما ، عرفنا ان معاملته كانت سخية ، ودقيقة ، محسنة ، ولكنها تستتبع الطاعة وحمس الخدمة . وقد نالها منهم ، بوجه عام .

---

(١) اليونيني ، ج ٢ ص ٣٨٥ ؛ المقرئى ، السلوك ، ص ٥٧٠ - المقرئى ، السلوك ص ٥٨٠ - ٣ - ابن عبد الظاهر ، ص ٧١ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٥٩٧ ، ج ٢ ص ٤٢٠ ، ابو الغداء ، ج ٤ ص ٧ - ٤ - ابن عبد الظاهر ، ص ٨٩ ، ابن الغرات ، ج ٦ ص ٣٥ ، و - ٥ - ابن الغرات ، ج ٦ قسم ٢ ، ورقة ١٠٣ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٦٠٧ .

٥ - رجال الدين :

كان الظاهر يقيم للمشايخ وزنا كبيرا . وكان يخشى بأسهم ان ادرك سلطانهم على العامة ونفوذهم في صفوفهم . وكان يدرك مقدار خطرهم على سلطانه من جراء هذا النفوذ لذلك كان يتعمد زيارة كبارهم تيمنا وتبركا (١) .

وهناك عدد من العلماء ينبغي ان نتناول علاقتهم بالظاهر لنبين سياستهم

نحوهم . واول هؤلاء هو عبد العزيز بن عبد السلام وقد رفض هذا مبايعة الظاهر بالسلطنة قبل التاكيد من ان الملك الصالح نجم الدين اعتقه ، واحترمه الظاهر واعتبر شهادته بالف شهادة واستشاره بهن يوليه القضاة بمصر . ثم حضر جنازته سنة ٦٦٠ هـ . ويدل على مقدار خوف الظاهر منه ما ينسب اليه من انه قال ان سلطانه لم يتوطد قبل موت ابن عبد السلام (٢) .

وقاض آخر هو ابن بنت الامر وقد كانت له منزلة كبيرة عند الظاهر ان ولاء منصب ناضي القضاة واوكل اليه النظر في الدواوين والوزارة . ولم يحفل بوشايات صاحب بها . الدين عليه (٣) .

ثم الشيخ الامام ابو محمد شمس الدين عبد الله بن شرف الدين محمد بن عطاء الحنفي . وقد رفض مبايعة الظاهر عندما اراد مصادرة اموال اهل دمشق وبساتينهم مع ان فضاة آخرين من المذاهب الاربعاء اتوا للظاهر بالكلام وقال انه لا يحل لمسلم ان يتعرض لاراضي ملوكة . فغضب الظاهر بحجة انه نفى عنه صفة الاسلام ، لكنه ما د

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ١١٢ . - ٢ - كان ابن عبد السلام جريشا ، ثم الطاك الصالح اسماعيل في جامع دمشق حين سلم الفرنجة صفد ، والشقيف توجه الى مصر ، وهنا ايضا اسقط عدالة وزير سماحه بوضع طبلخاناه على سطح مسجد . (اليونيني ، ج ١ ، ص ٥٠٥ ، وج ٢ ، ص ١٢٤ ، ١٧٥ ، ابن ابي الفضائل ، ص ١٠٥ ، ابن شاكر الكتبي ، ج ١ ، ص ٥٩٥ ، ٥٩٦ . ابن الفرات ، ج ٦ ، ص ٨٨ - ٨٩ ، ٣ - ولد سنة ٦١٤ هـ وتوفي سنة ٦٦٥ هـ باليونيني ، ج ٢ ، ص ٣٦٩ ، ٣٧١ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٩٠٩)

فرضى منه واستعظمه حين لم يكن ولم يتراجع (١) . وهناك محي الدين ابو زكريا النووي .  
وقد بلغ منه انه " واقف الملك الظاهر غير مرة في دار العدل بسبب الحوطة على  
بساتين دمشق وغير ذلك ، وكان الظاهر يقول انه يخشاه لمجرد رؤيته (٢) .

وكانت علاقة الظاهر بهؤلاء المشايخ رسمية ، قانونية ، كما نقول اليوم . لكن هنالك  
شيئا اخر لمعت علاقته به ابعد من هذا كثيرا وهو الشيخ خضر . وقد وصل الى درجة  
عالية من النفوذ لديه ، انه هدم بالعدد من كنيسة وقتل نسيها ، وهدم كنيسة اخرى  
بالاسكندرية . وبنى له السلطان زوايا كثيرة في ظاهر القاهرة والقدس وبعلبك وحماة وحمص  
واقف له عليها الاوقاف الكثيرة .

ويبدو ان سيرة هذا الرجل الاولى كانت سيئة . فقد تنقل في خدمة امراء مختلفين  
سنة بعد سنة مستعلا نفوذه لديهم حتى انتقل الى زاوية بجبل العزة بدمشق حيث اجتمع  
ببعض الصالحين واتصل ببيبرس الذي تشده واخبره بما سيؤول اليه امره في المستقبل .  
ولما بلغ نفوذه هذا المبلغ صار مسيرة نفرت منه الناس والولاة . وفي سنة ٦٢١ هـ  
حقق الظاهر بما نسب اليه وتثبت من صحة التهم ، فاكتفى باعتقاله وقد اشار عليه الاتابك  
والامراء باعدامه . لكن الشيخ انفذ نفسه اد زعم للظاهر ان بين اجليهما اياما يسيرة  
ومات في معتقله سنة ٦٢٦ هـ (٣) .

---

(١) ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ١ - ٢ - ولد سنة ٦٢١ هـ  
/ ١٢٣٣ م وتوفي ٦٢٦ هـ / ١٢٧٧ م . ابن كثير ، ج ١٣ ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ ، ابن  
الفرات ج ٧ ص ٨٥ ، ١٠٩ ،

(٣) ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ١٠٠ ، ١٠١ ، وهو يجعل الاعتقال سنة ٦٢٠ هـ والوفاة ٦٢٥ هـ ،  
ابن شاعر الكتبي ، ج ١ ، ص ٢٩٩ ، ابن كثير ، ج ١٣ ، ص ٣٦٥ ، ابن الفران ، ج ٦ ، ص ٦٠٨ ، الخطوط  
٢ ورقة ٩٦ ، ٩٧ ، ج ٧ ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ ، المفريزي السلوك ، ص ٦٠٨ ، الخطوط  
ج ٢ ، ص ٤٣ ، ابن تغري بردى النجوم الزاهرة ج ٧ ، ص ١٦١ - ١٦٢ ، بالعرب ان  
وفاته وقعت بعد وفاة الظاهر بايام . ويقول ابن الفران ان الظاهر ارسل بالبريد  
الى القاهرة لاطلاق سراحه فوصلت الرسالة بعد وفاة الشيخ !! .

## الفصل الخامس

### بيبرس في سياسته الداخلية وتنظيماته الادارية

بعد ان تسلم الظاهر السلطنة واجه قضايا داخلية كثيرة منها الحركات الاستقلالية التي تحدثنا عنها في الفصل السابق . ومنها قضايا الاعراب والاسماعيلية والمناكسل الاجتماعية والسياسية والدينية والتنظيمات الضرورية في الجيش والادارة والعضاء .

#### ١ - القضايا الداخلية :

##### أ - الاعراب :

كان عز الدين ايبك اول من واجه قضية الاعراب من السلاطين المماليك . فقد ثاروا عليه في بلاد الصعيد واعلنوا انعتهم من خدمة ملوك مسهم الرق واقتلوا بالناصر صلاح الدين يوسف يحتونه على قصد مصر في سنة ٦٥١ هـ لكنهم فشلوا في ثورتهم هذه . وثاروا مرة اخرى سنة ٦٥٣ هـ واخذ ثورتهم هذه ايضا (١) .

ثم جاء بيبرس فوجد انه لابد من مواجهة قضيتهم بصورة جدية كي لا يشعلوه وهو في حروبه مع الفرنجة والتتر . ففي سنة ٦٥٩ هـ حارب عرب زبيد الذين كانوا يخادطون الفرنجة ويدلونهم على نقاط الضعف في دفاع المماليك . حتى اذا طلبهم وجد ان سياسة العنف وحدها لا تكفي فانقطع امراءهم الاراضي والزمهم خفر البلاد وجعل ابن مهنا اميرا على الاعراب جميعا . وقد يكون الخطر من علم الدين منجر الحلبي هو الذي فرض عليه هذا السبيل (٢) .

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ٥ المقرئ ، السلوك ، ص ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٦ .  
(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ٣٤ ، ٤٧ ، ٤٨ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٤٦٥ . وعرب زبيد قبيلة منتشرة في الغوطة والمرج وصرخد وحوارن والاحلاف قرب الرملة . (العلقشندی ، ج ٤ ص ٢١٣ ، ٢٢٤) .

وفي سنة ٦٦٠ هـ هاجم مريان الصعيد امير قوص، فهاجمهم الظاهر في رجب  
وبدد شملهم (١) .

وفي سنة ٦٦١ هـ / ١٢٦٣ م . جاء بعض عرب خفاجه الى مصر وابلعوا السلطان  
انهم يحاربون التترواطلعوه على اخبار شيراز فالبسهم الفتوة وانعم عليهم ثم ارسل معهم  
اميرا<sup>من</sup> عنده (٢) .

وبعد اعتقال المعيث صاحب الكرك احضر السلطان الامير مبيه وفيه من امراء بنسي  
مهدي وبني عقبة وعفا عنهم مما بدر منهم سابقا واوجب عليهم حفظ البلاد حتى الحجاز (٣) .  
وفي جمادى الآخرة سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٥ م ، ثار عليه اعراب المنطقة الشرفية فسي  
مصر فحمل عليهم بعنف . . وفي ٢٠ منه سمر بعض مقدميهم على الجمال فركن البقية الى  
الهدوء والطاعة (٤) .

وفي هذه السنة ايضا ثار زامل بن علي على الامير عيسى بن مهنا في شمال بلاد  
الشام ، فاعتقل الامير الناصر . ثم افرج عنه ووعد الاعراب الوعود الطيبة لكنه ثار مرة اخرى  
واعترض طريق رسل السلطان الى شيراز واخذ الرسائل التي معهم الى هولاكو ، فاعتقله مرة  
اخرى في مصر (٥) .

وفي سنة ٦٦٦ هـ ، جاءه مريان الحجاز والتزموا بدفع الزكاة والطاعة (٦) .  
وفي سنة ٦٦٧ هـ / ١٢٦٩ م . حين كان السلطان يقصد الحج اوهم ابن مهنا انه  
يهاجم العراق . وفي بداية سنة ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م ، ثار الاعراب على ابن مهنا فرجاء هذا ان

---

(١) ابن عبد الظاهر، ص ٥٢ ، المقرئى السلوك ، ص ٤٧١ .  
(٢) ابن عبد الظاهر، ص ٦٥ ، ٦٦ ، ٨٩ ، ٩٨ ، المقرئى السلوك ، ص ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥١١ .  
(٣) ابن عبد الظاهر، ص ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، المقرئى السلوك ، ص ٤٨١ ، ٤٩٢ .  
(٤) اليونيني ، ج ٢ ص ٣٣٧ ، ٥ - ابن عبد الظاهر ، ص ٣٢ ، ٣٤ ، ابو الفداء مج  
٤ ص ٣ المقرئى السلوك ص ٥٣ ، ٥٤١ ، ٦ - ابن الفرات ، ج ٦ قسم ٢ ورقة ١١ .

يسمح له بالفدوم الى مصر ، فلم ياذن له ، حتى اذا جاء السلطان الى حماه استدعاه اليه

واستدعى معه بقية الامراء ، ونظر في خلافهم ، وحل قضيتهم وخلع عليهم جميعا (١) .

وفي سنة ٦٧٢ هـ هرب احد امراء الاعراب من سجنه في مجلون الى التتر ثم عاد

يطلب العفو من الظاهر فرفض السلطان الصفع عنه قبل العوده الى السجن ووضع القيد في

رجليه . فرجع الامير الفار ، وفقا عنه السلطان (٢) .

وهناك عرب برقة . فقد كانوا يرفضون دفع الزكاة . وفي ذى القعدة سنة ٦٦٢ هـ

استدعى اميرهم واتفق معه على دفع الزكاة وحفظ البلاد ومطاردة العصاة . وفعل نفسه

الشيء مع عرب الجهة الغربية من مصر (٣) . وفي سنة ٦٧١ هـ هاجم برقة كلها . وفي جمادى

الآخر من السنة التالية استسلم اليه امراءها وسلموه مفاتيح الفلاع (٤) .

وهكذا نجد ان العربان رفضوا الخضوع للمماليك منذ البداية بحجة انهم ملوك

مسلم الرق ، وكانوا ايضا يتهمون من دفع الزكاة . وكانوا على استعداد للانحياز الى التتر

والصليبيين واتصلوا بهم بالفعل ، بحيث كان الظاهر يشعر بحرج موثقه احيانا . اما معاملة

السلطان الظاهر بببرس لهم فكانت تتراوح بين الشدة واللين ، بين القسوة والرحمة ، لكنها

كانت دائما مطبوعة بطابع الحذر . وكانت القبائل القاطنة بادية الشام اخطر القبائل ، لقربها

من التتر والفرنجة على السواء ، فاضطر لومدها بالوعود الطيبة ، واطلاق الغلات لها ، وبذلك

ضمن انحيازهم اليه ، وجعل منهم ادلاء ومخبرين - اما الاعراب البعيدون عن مواقع الخطر

ففنك بهم بعنف .

(١) ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٨٦ هـ ٨٧ ، المقريزى ، السلوك ، ص ٥٨ ، ٥٩ ، ٥٩٩ .

(٢) ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ٨٠ - ٣ - ابن عبد الظاهر ، ص ١١٦ ، ١١٧ ، ابن الفرات ،

ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ١٠٥ ، المقريزى ، السلوك ، ص ٥٢١ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ - ابن ابيسي

الفضائل ، ص ٢٢٥ ، المقريزى ، السلوك ، ص ٦٠٨ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ج ٧ ،

ص ٢٤١ .

## ثانياً - الاسماعيليين :

الاسماعيلية فرقة من الشيعة تعرف بالسبعية اذ اعتبر اصحابها الامامة منتهية عند الامام السابع اسماعيل بن جعفر الصادق المتوفي في المدينة المنورة سنة ١٤٣ هـ وحاربهم الخلفاء العباسيون فاستعانوا بالقتية وتلمسوا الملاحي في المراكز البعيدة . فلجأ علي اصغر اولاد اسماعيل الى بلاد الشام فالمغرب بينما انتقل ولده الاكبر محمد الى الشرق ومنه الاسماعيليه الهندية .

ومن الاسماعيليه الذين ايدوا عليا كان عبدالله بن ميمون القداح المتوفي سنة ٢٦١ هـ ، ومنهم مؤسسو الدولة الفاطمية في المغرب ثم الخلافة الفاطمية في مصر وبلاد الشام ، ومنهم الحسن بن الصباح المتوفي سنة ٥١٨ هـ ، وهو مؤسس الاسماعيليه المعروفين بالحنشاشين . اسم هذه الفرقة في قلعة الموت شمالي فري فارس ومنهم الفرع الشامي الذي تركز في السليم في منطقة حلب (١) . وقد لعبت هذه الفرقة دورا هاما اذ اضطرت الخلفاء والملوك (٢) . ان يدفعوا لها ضريبة ما بين ١٠٩٠ و ١٢٥٦ . وفي سنة ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ حاصر جيش هولاكو ركن الدين خورشاه بن علا ثم اسره واضطره ان يقبل الارض بين يديه ويعطيه امرا للباطنية في بلاد الشام بتسليم قلاعهم للمغتره ثم قتل (٣) .

اما الاسماعيليه في بلاد الشام فكانوا في هذه الفترة قد اخذوا يضعفون حتى انهم كانوا يحتمون بالصليبيين او يدفعون ضرائب للاستتار به منهم (٤) .

---

EI "Assassins" Vol I pp 491  
C Huart "Ismailiya" EI Vol II pp 552

(١) ملحوظة ١ ، الملوك للمقريزي ، ص ٢٢٧ ،  
(٢) ابن الغرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٤ وورقة ٦٩ - ٢ - R Grousset ، ج ٢ ص ٥٦٢  
(٤) المقريزي ، السلوك ص ٥٤٢ ، و ٥٥٧ .



ثم جاء الظاهر بيبرس فنقم عليهم لانهم حاربوا صلاح الدين الايوبي حين كان يحارب الصليبيين ، وانهم يؤيدون الصليبيين ويمالئونهم وانهم " باطنية ملاحدة " لابد من تطهير البلاد منهم . اذا لقد نقم الظاهر عليهم لسببين احدهما سياسي عسكري وثانيهما ديني مذهبي .

في سنة ٦٥٩ هـ ارسل صاحب قلاع الاسماعيليه رضى الدين بن العلي ونجم الدين بن الشعرائي رسولا حمل للظاهر في دمشق هدية ورسالة . وكان في الرسالة تهديد ومطالبة باستعادة اقطاعات ورسوم كانت لهما في عهد الناصر صلاح الدين يوسف وكان الظاهر لا يزال في بدء سلطنته امام مشاكل في بلاد الشام ، فقر استعمال الحيلة مع الرسول . فاجاب الرسول الى ما كان في الرسالة لكنه اخبره حين ودّ العودة ، انه علم ان رضى الدين قد توفي وعرض عليه توليته مكانه ثم كتب له منشورا بذلك . فقبل الرسول وهكذا نجح الظاهر في احداث خلاف بين الرسول والمرسلين .

وماد الرسول الى مرسله فوجد رضى الدين حيا يرزق فاضطر لكتفم الخبر ثم مات رضى الدين بعد عشرة ايام فابرز الرسول منشور الظاهر ورضي نجم الدين بالمنشور لكن صام الدين مبارك بن رضى الدين رفض الخضوع لامر الظاهر فاعلن العصيان فسي قلعة العليقة . فازدادت نعمة الظاهر على الاسماعيليه وقرر ضربهم عسكريا . فارسل علاء الدين ايدكين البندقدارى في رجب سنة ٦٦٠ هـ لغرب سرمين فثار انصار نجم الدين الاسماعيليه تايدا لوالي سرمين وجرحوا الامير البندقدارى وهو مار على جسر مند حماء فامسك الظاهر نواب الاسماعيليه تايدا لوالي سرمين في مصر فاضطر نجم الدين للتصل من المسؤولية ومسايرة الظاهر (١) .

---

(١) اليونيني ، ج ١ ، ص ٤٥٨ ، وج ٢ ص ١١٤ ، و ١٦٢ و ١٦٣ ، و ١٥٤ و ١٥٥ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٩١ ، ٩٢ ، ابن الفرات ج ٦ قسم ١ ، ص ٩٦ و ٩٧ و قسم ٢ ورقة ٦٩ ورقة ٧٩ - ٨٠

وفي ذي القعدة سنة ٦٦٤ هـ جاء رسول الاستبصار الى الظاهر وماله المصالحة على بلادهم في منطقة حمص وبلاد الدعوة فاشتراط الظاهر لذلك تخلي الاستبصار عما كانوا يأخذونه من الاسماعيليه من قطائع على حماه وبلاد ابي تبيس ، ومناصفته على الضرائب التي يأخذونها من بلاد الدعوة ، فقبل الاستبصار بذلك وعقد الصلح (١) .

وفي سنة ٦٦٥ هـ جاء رسول الامبراطور البيزنطي والفونسو الاشيلي ورسول ملوك الفرنجة وملك اليمن بهدايا الى صاحب قلاع الاسماعيليه ، فرفض الظاهر السماح للرسول بالمرور من غير ان يدفعوا ما يترتب على الهدايا والاموال من " حقوق ديوانية " فخافه الاسماعيليه وارسلوا اليه في جمادى الاخر سنة ٦٦٥ هـ اموالا لينفقها في الجهاد . وفي رمضان من السنة نفسها الغيت قطائع الاسماعيليه عن حماه وشيزر واقاميه وعيناب (٢) .

وهكذا ، نجد ان الظاهر استطاع خلال بضع سنوات ان يدق اسفينا في حقوق الاسماعيليه وان يفرض عليهم ضرائب واموالا . لكنه لا يزال عليه ان يحتل قلاعهم .

وفي جمادى الآخرة سنة ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م ، وجد صام الدين انه لا بد من طلب العفو من السلطان . فارسل له هدية وشفع له عنده صاحب صهيون ، وصاحب حماه فرفض عنه الظاهر وكتب له منشورا باستنابته على حصون الاسماعيليه ، الكهف والخوابي ، والمينقة ، والعليقة ، والقدموس والرفافة . واستبقى مصياف له وحده . وفي رجب من السنة نفسها ارسل الى القلاع الاسماعيليه واليا من قبله شريكا لصام الدين . فثار هذا على الوالي لكنه اضطر للرضوخ اخيرا وللقبول بشراكة نجم الدين . ولدفع مبلغ الف دينار كل سنة (٣) . اما نجم الدين فكان عليه ان يدفع ١٢٠ الف درهم سنويا (٤) . ثم عاد فاعتقل صام الدين في ذي القعدة من السنة نفسها وسجنه في القاهرة . (٥) .

(١) المقرئى ، السلوك ، ص ٥٥ ، وابو تبيس حصن مقابل شيزر يافوت جا ، ص ١٠٣ ، ٢ — ابن الغرات ج ٦ ، قسم ٤ ورقة ٤ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٥٥٧ ، ٥٦٠ ، ٣ — ابو الغدا ، ج ٤ ، ص ٦ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٤ — ابو الغدا ، ج ٤ ، ص ٦ ، ٥ — اليونيني ، ج ٢ ، ص ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ابن الغرات ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٢٠ ورقة ٨٠ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٥٨٦ ، ٦٠٨ .

وفي شوال سنة ٦٦٩ هـ / ١٢٧١ م ، تسلم السلطان حصن العليقة (١) .

وفي صفر من السنة التالية تسلم الظاهر عددا من القلاع وثارث عليه القلاع

الآخري فافتتم الفرصة لانفضاض على مواقع الاسماعيليه ، وتسلمها جميعا وارسل اليها

نوابه ونقل الزعماء الاسماعيليه الدين يخشى باسمهم الى هصر (٢) .

لقد كان الظاهر يسائر الاسماعيليه حتى سنة ٦٦٨ هـ لكنه بعد هذا التاريخ

حين علم بمحاولات التتروالاوربيين للتحالف عليه ، وحين علم بإمكانية قيام حملة صليبية

جديدة ، تجمع بين التترومن الشرق ، والاوروبيين من الغرب ، رأى انه لابد من الفضا

عليهم ، كقوة عسكرية . وهكذا كان . وبقتائه عليهم تمهدت السبيل امامه لمهاجمة اسيا

الصغرى .

### ثالثا - النوبة :

تمتد بلاد النوبة على شاطئ النيل من شلال اسوان الى مروي قرب الشلال

الرابع وتنقسم الى قسمين ، النوبة العليا والنوبة السفلى . وتقع هذه الأخيرة بين اسوان

ووادى حلفا . اما النوبة العليا فتقع بين حلفا والشلال الرابع وتشمل حلفا ودنطه وتسمى

ايضا بلاد العلى او علوة (٣) وفي بلاد النوبة السفلى كان بنو كنز (٤) . نسبة الى

عرب بني الكنز من ربيعة . وكان هو لا منذ عهد الحاكم بامر الله الفاطمي ، يتمتعون

ببعض الاستقلال .

---

(١) ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٧٩ - ٨٠ ، المقرئى السلوك ، ص ٥٩٣ .  
(٢) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٤٥١ ، ٤٧٣ ، ابو الغدا ، ج ٤ ، ص ٧ ، ابن الفرات ج ٦ ، قسم ٢  
ورقة ٨٢ - ٨٨ ، ورقة ١٠٣ ، ١٠٥ المقرئى السلوك ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، وهو يجعل تاريخ  
الاستلام في ذى الحجة ٠ - ٣ - ملحوظة ١ ص ١٨٨ و ١٨٩ ، ج ٧ ، النجوم الزاهرة  
لابن تغرى بردى - ٤ - الكنز مقدم مصرى انام باسوان واجتمع عليه الناصر ، فظن انه يستطيع  
بهم تملك البلاد ، وهاجم قوص في عهد صلاح الدين ، ثم قلب على امره ، صفر ، سنة ٥٧٠ هـ  
١٢٧١ هـ / ابو ثلثه ، كتاب الروضتين ، طبعة وادى النيل ، سنة ١٢٨٢ هـ ج ١  
ص ٢٣٥ .

ثم جاء الظاهر ببيروم فتدخل ببلاد النوبة تدخلا فعليا ، لابل استولى عليها وجعلها جزءا من سلطنته (١) .

والنوبة خاضعة للمماليك من الناحية الرسمية ، لكن صاحبها كان كثير الاحتكاك بالتجار وبولاة المماليك في الجنوب ، ففي سنة ٦٦٢ هـ علم الظاهر ان صاحب سواكن وصاحب دهلك يتعرضان للتجار فارسل اليهما رسالة تهديد (٢) . وفي سنة ٦٦٤ هـ محين ان الظاهر بدمشق وصله الخبر باصطدام واليه في قوص بصاحب سواكن واستيلاء الوالي على سواكن وفرار صاحبها (٣) . وفي سنة ٦٦٧ هـ وصله خبر الاختلاف بين داود وابن اخيه مشكد (٤) وفي سنة ٦٧١ هـ هاجم صاحب النوبة عيذا بونهدب جيش النوبة اهلها وقتل ناضيا وواليا ، فقام والى قوص بحملة تاديبيه على دنقله وعاد بالاسرى والغنائم (٥) .

واذا هذه الاحتكاكات كان لابد من حملة كبرى لاعادة احتلال النوبة . وقد جرت الحملة في سنة ٦٧٤ هـ / ١٢٧٦ . وكان السبب المباشر لها ان داود ملك النوبة اصر على اسوان ونهبها واحرقها ، ثم اخطف مشكد ( او شكده ) مع ابن عمه داود هذا فجاء الى القاهرة مستنجدا بالسلطان الظاهر . فامر الظاهر الامير انستقر الفارقاني بالتوجه الى النوبة بحملة فويقوسار في اول شعبان سنة ٦٧٤ هـ / ١٢٧٦ الى دنقله وفي شوال جرت معركة عنيفة قتل فيها معظم رجال الملك داود وفر الملك واسرت والدته واخته . ودخل الفارقاني دنقله واقام مشكد ملكا فيها والبسه التاج ثم قرر عليه قطيعة سنوية هي ان يكون للسلطان ربع ملة البلاد من كل شي\* ، لكنها عدلت الى مايلي : -

(١) ثلاثة اقبال وثلاث زرافات وخمسمائات فهود ومائة جواد اصهب ومائة بفرة منتجه .

(١) ( S Hillelson ) مادة " Nuba " الموسوعة الاسلامية ، مجلد

٣ ص ٩٤٥ . - ٣ - اليونيني ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ ، المقرئى ، السلوك ص ٥٥٠ ، ابن تغرى بوى فالنجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، - ٤ - ابن الفرات ج ٦ قسم ٢ ، ورقة ٣٧ . - ٥ - ابن ابي الفضائل ، ص ٢١١ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ١٠٥ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٦٠٨ .

- (٢) نصف مدة البلاد للسلطان علي ان يحصر النصف الباقي على عمارة البلاد .
- (٣) بلاد العلى والجبل - وهي ربع بلاد النوبة - للسلطان لقربها من اسوان .
- (٤) يحمل للسلطان كل سنة فطن وتمروبية " الحقوق الجارى بها العادة من القديم " .
- (٥) دفع دينار من كل بالغ جزية سنوية .
- (٦) قبول نائب للسلطان في دنقله وطامته .

ثم كتب نسخة هذه الاتفاقية وحطف عليها الاكابر والملك . وبقي الجيش  
الظاهرى في دنقله ١٢ يوما خرب فيها كنيسة سوس ونهب ما فيها من ذهب وفضة  
واخذ الاقمشة والرفيق واطلق سراح الاسرى المسلمين ، ثم عاد الى القاهرة ، فوصلها  
في ٥ ذى الحجة سنة ٦٢٤ هـ .

ثم عاد الملك داود فاستسلم واستتب الامر للظاهر في بلاد النوبة ، وبلغ  
خراجها وجزيتها مبلغا ضخما جعل السلطان ينشي " ديوانا خاصا لذلك (١) .

وهكذا نجد ان لعلاقة السلطان بالظاهر بالنوبة ثلاثة دوافع هي :

اولا : حماية التجارة . وبلاد النوبة طريق تجارى من المحيط الهندى والبحر  
الاحمر .

ثانيا : تأمين الغلات منها . ويبدو انها كانت فنية بحيث استحقت انشاء ديوان  
خاص لجمع الضرائب والغلات منها .

ثالثا : ضرورة حماية البلاد من مبعث العابثين لاسيما والنوبة مجاورة لبلدين  
صديقيين هما الحبشة واليمن .

---

(١) ابو الفدا ، ج ٤ ، ص ٩ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٩ ، ٢٤٦ ، المقريزى  
السلوك ، ص ٦٢٦ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٨٨ ، ١٩٠ ، ابن

### رابعاً - سياسته الدينية :

كانت الناحية الدينية هامة عند الظاهر بيبرس لما تحققت له من افراض .  
ولمست اقصى بهدا ان بيبرس كان منافقا في تمسكه بالمظاهر الدينية . الواقع هو ان بيبرس  
كان حسن الاسلام شديد التمسك بكل طقوسه . حتى انه امر ببناء جامع من خام قرب خيمته  
للصلاة بها (١) . لكنه كان يدرك ان لهذه الناحية اهمية سياسية وعسكرية . فهو لم يعمل على  
امادة الخلافة لما لها من مقام ديني وحسب . ثم انه كان حريصا على سيطرته على مكة  
والمدينة لما في ذلك من تعزيز لمكانته بين المسلمين ، داخل حدود سلطنته وخارج حدودها .  
الملاحظ ان السلاطين المماليك عامة تناولوا بصورة ظاهرة بانشاء الجوامع  
والمزارات . كانوا بهذه السياسة يودون التعويض عما فاتهم من شرف النسب ، وصرف الانظار  
عن سيئات حياتهم الخاصة . وواضح هذه الخطة هو الظاهر بيبرس . لم يكن في حياته  
الخاصة مایسو او يودی ، ولكنه كان في كل سنة يقوم بعمل ذي مغزى ديني يرضي به شعوره  
الديني من ناحية ويحقق له فرضا اخر من ناحية اخرى .

ففي سنة ٦٥٩ هـ ارسل الاموال والمعدات لعمارة الحرم النبوي بالمدينة  
وفي شعبان من سنة ٦٦١ هـ وصله خبر من امير المدينة ، بانه قصد مكة وعلق فيها الكسوة  
بناء على اوامره (٢) وفي رمضان من السنة نفسها امر بتجهيز البنائين والنجارين والالات  
والاخشاب الى المدينة لبناء الحرم النبوي . وكان حريصا ان يعرف هذا منه . فامر بان تحمل  
الادوات والاخشاب على بغال تطوف بها في مصر والعااهرة وان يركب معها ارباب الدولة  
والقضاة والمدرسون والصوفية والفراة . وفي شوال سارت القافلة الى المدينة ومعها كموة البيت  
الحرام ايضا (٣) .

---

١) ابن عبد الظاهر ، ص ١٠٣ ، المقريزي بالسلوك ، ص ٤٤٥ - ٢ - ابن عبد الظاهر ، ص ٨٩  
٣) ابن عبد الظاهر ، ص ١٠٣ ، البيهقي ، ج ١ ، ص ٥٣٤ - ٥٣٥ ، ج ٢ ، ص ١٩٥ ، المقريزي  
السلوك ص ٥٠٢ .

وفى صفر سنة ٦٦٢ هـ اخبر الحجاج انه خطب للظاهر ببيروسيكه وان نائبه تسلّم  
مفتاح البيت الشريف . فامر السلطان باباحة زيارته ثلاثة ايام من مير ان يؤخذ من  
الزائرين (١) شي . وفى شعبان سنة ٦٦٢ هـ بلعه خبر تعليق كسوة الكعبة . وفى  
رمضان ثم صنع كسوة قبر النبي بالمدينة ، فارسلت اليها مع الشموع والبخور والطيب  
والزيت (٢) .

ثم زاد اهتمامه بمكة والمدينة . وفى رجب سنة ٦٦٣ هـ جهز الاخشاب  
والحديد والرصاص وكسوة للكعبة وسيرها الى الكعبة مع العمال والمهندسين صحيحة  
نائب دار العدل . واستمر العمل حتى سنة ٦٦٧ هـ (٣) . وكان يرسل اليهم الاطباء  
والادوية وسائر ما يحتاجونه باستمرار .

وفى سنة ٦٦٤ جهز المحمل الى الحجاز وارسل معه اموالا وفلات لتوزع

هبات (٤) .

وفى رمضان سنة ٦٦٥ هـ ، فصدّه مالك بن منيف بن شيحة الحسيني بهدية  
اذ كانت بين مالك هذا وعمه وحشه فقبلها الظاهر منه وولاه المدينة . فاستولى عليها  
سنة ٦٦٦ هـ . وهرب معه الى مكة . ثم تجددت الخلافات بينهما فتدخل السلطان مرة  
اخرى وقرر لهما مبلغا من المال على ان لا يأخذا فلما من حاج وان لا يمنعا احدا من الزيارة  
وان لا يتعرضا لتاجر وان يكون الخطبة والسكة باسمه . ثم وهب مالكا اوقافا ببلاد الشام (٥)  
وفى الظاهر بشؤون الحج . وفى سنة ٦٦٥ هـ حج احد امرائه فبعث  
معه اموالا للصدقة (٦) وفى صفر سنة ٦٦٦ هـ خرج الظاهر بنفسه لاستقبال احد

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ٩٠ ، المقريزى السلوك ، ص ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٢ - المقريزى ،  
السلوك ص ٥١٢ - ٣ - اليونيني ج ٢ ص ٣٢٥ و ٣٤٦ - ٤ - المقريزى السلوك ص ٥٤٤  
(٥) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٣٨٢ و ٤٠٨ و ٤٠٩ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، نس ٢ ورقة ٧ ، ورقة ٤٥  
المقريزى ، السلوك ، ص ٥٦٠ و ٥٧٩ ، ٥٨٨ .  
(٦) المقريزى ، السلوك ص ٥٦٤ .

امرائه فزالدين الحلي العائد من الحج للتبرك به (١) . وفي شوال سنة ٦٦٦ هـ خرج  
الركب المصري الى الحجاز للحج فعني بامر تجهيزهم ثم استقبلهم عند عودتهم فسي  
صفر سنة ٦٦٧ هـ .

وكان في كل مناسبة يرسل كسوتين للكعبة ولغير النبي ويهعث بالعطايا ويسهل  
الحج فازداد بذلك نفوذه (٢) .

وفي سنة ٦٦٧ هـ قرر السلطان الحج بنفسه . وقبل الرحيل اجري الترتيبات  
اللازمة (٣) ثم فادر القاهرة في ١٢ جمادى الآخرة الى خربة اللصوص خارج دمشق . وفي  
٥ شوال ذهب الى فزه فالقوار كانه ذاهب للصيد . ثم دخل الكرك في اول ذى القعدة  
وفي سادسه سار الى الشويك حيث قضى بضعة ايام . ثم استأنف السير الى الحجاز وهو  
متكتم (٤) في الوجهة المقصودة بمعه بدر الدين الخزندار و صدر الدين سليمان الحنفي  
وفخر الدين بن نعمان وتاج الدين بن الاثير ونحو ٣٠٠ ملوك ، وبعض اعيان الحلفة .  
ووصل المدينة في ٢٥ ذى القعدة . وبعد ايام قصد مكة فوصلها في ٨ ذى الحجة ولاقاه  
صاحبها ابو نفيي وعنه ادرس واعلنا خضوعهما له ، وثبتهما في امارتهما ، ثم سارا  
بين يديه الى عرسات فمضى فمكة حيث صعد الكعبة " وفسلها بما " الورد وطيبها بيده " .  
وبقي فيها حتى ١٣ منه ثم عاد الى المدينة (٥) .

---

(١) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٤٧٢ ، ( ٢ ) اليونيني ، ج ٢ ص ٢٨٧ ، المقرئى ، السلوك ،  
ص ٥٨٠ .

(٣) ص ١١٤ ادناه

(٤) كان شديد الحذر حتى انه قطع لسان امير طلب منه اصطحابه الى الحج ، ووجه فرقة  
للمرابطة بظاهر الكرك ، واوهم ابن مهنا انه قاصد العراق .

(٥) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ٥٦ ، اليونيني ج ٢ ص  
٤٠٩ ، ٤١٠ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٦٢ - ٦٣ ، المقرئى ، السلوك ص ٥٨  
٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٤ ، ٥٨٨ ، التبر المسبوك ، ص ٨٦ - ٨٧ ، ٩٠ - ٩١ - ٩٥ ، ابن ايامر

ج ١ ، ص ١٠٧ .



قام الظاهر بالحج تحفيظا لطف من ديني . ولكنه استهدف ايضا الاطلاع على  
شؤون مكة والمدينة . كان له هدف سياسي ايضا . فقد اتصل بصاحب اليمن وودعه  
لمحاربة التتر واحسن الى امراء ينبع وخليص واكابر الحجاز (١) . وكان قد علم بتحركات  
التتر نحو الحجاز (٢) ولا ننسى هنا ان الظاهر كان ينوي القيام بحملة ضد التتر في اسيا  
الصغرى ، فطبيعي ان يستفيد من المظاهر الدينية لكسب عطف المسلمين . لقد جمع  
بذلك بين الجهاد والحج .

واعاد صلاة الجمعة والخطبة الى الجامع الازهر في ١٨ ربيع الاخر سنة ٦٦٥ هـ .  
بعد مناقشة بين الفقهاء بعد ان كان الحاكم بامر الله الفاطمي قد نقلهما الى الجامع  
الانور (٣) .

واهتم بمدينة القدس وبمدينة الخليل . ففي سنة ٦٥٩ هـ ارسل عمالا ومعدات  
لبناء قبة الصخرة ، واستعاد ما كان الامراء استولوا عليه من اوقاف الخليل . وفي  
جمادى الآخرة سنة ٦٦١ هـ زار القدس وراوى بحياية قبة الصخرة ، وتأمين نفقات القائمين  
عليها . وفي صفر سنة ٦٦٢ هـ اوقف فيها خاناً ورتب بمدينة الخليل سباطا ورواتب  
للمقيمين والواردين . وفي سنة ٦٦٥ هـ منى بامر الكشف عن الماء بالقدس . (٤) .

---

(١) ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٦٣ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٥٨١ ، ٥٨٢ ، التبر  
المصبوك ، ص ٩١ - ٩٢ .

(٢) ابن الفرات ، ص ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٦٢ .

(٣) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٤٣٤ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٢ - ٤ لكن التاريخ  
منه ١٨ و ١٩ ربيع الآخر . وقد رأى السيوطي هذا التدبير سيئاً . (حسن  
المحاضرة ج ٢ ص ٧٤) .

(٤) ابن عبد الظاهر ، ص ٢٨ ، ٧٤ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٤٤٥ ، ٥٠٥ ، ٥٦٠ .

واستطرادا من هذه السياسة كان الظاهر يكثر بدل الصدقات • وقد كانت المناسبة المفضلة لذلك هي رمضان • والامثلة على هذه الصدقات كثيرة ذكرت المصادر بعضها • لكن ابن عبد الظاهر، بعد ان ذكر ما فعله في رمضان سنة ٦٦١ هـ قال ان ذلك كان "على عادته" (١) •

وكذلك عن الظاهر بنشر الاسلام • وهذا ما تدل عليه وسائله مع بركة ومعاملته المتتر الذين كانوا يردونه مستامين (٢) • وفي ايضا بتنفيذ الشرع (٣) • وهكذا نجد ان سياسة الظاهر الدينية كانت مبنية على احترام المظاهر الدينية والقيام بما يتطلبه الدين من طقوس وعبادات، وعلى انشاء الجوامع والمزارات والزوايا والازواق وعلى العناية بالمدن المقدسة، لكنه كان حريصا على ان تعرف اعماله هذه وان تذايع بين الناصر، مما يوحي بان اعماله كانت ذات اهداف فير دينية •

## ٢ - الجهاز الادارى :

بما ان السلطان الظاهر كان يوجه نشاطه في الداخل الى توطيد الممالك فسي ظل اسرته قد رايت ان ابداء الحديث من الجهاز الادارى ببحث في السلاية عنده •

### اولا • السلاية •

نعلم ان الظاهر طمع بناية حذب، لكنه لما استولى على السلطنة، اخذ يطمع بالاحتفاظ لسلالته بالسلطنة على الممالك مخالفا بذلك العرف المعمول به بين الممالك بشأن الانتقال من سلطان الى اخر، والذي جاء الى الحكم بنفسه استنادا اليه، لم يكن

---

(١) ابن عبد الظاهر ص ١٠٣ ، ١١٨ ، المقرئى ، السلوك ، ٥٠٥ ، ٥١٣ •

(٢) ابن عبد الظاهر ص ٩٩ ، المقرئى ، السلوك ص ٥١١ •

(٣) ابن عبد الظاهر ص ٢٥ - ٢٦ •

العرف المملوكي يقضي بالوراثة ولكن الظاهر اراد ان يجعله كذلك . وقد وجهت هذه الرغبة عنده جميع تنظيماته الداخلية الادارية منذ بدء عهده بالسلطنة .  
كان للظاهر عشرة اولاد بينهم ثلاثة ذكور وهم محمد بركة خان وقد ولد في صفر سنة ٦٥٨ هـ ، وسي كذلك على اسم جده لاييه ، ومهدر الدين سلامش ونجم الدين خضر (١) .

وكان محمد بركة خان اكبر ابنائه الثلاثة . فقرر الظاهر اعلانه ولياً للعهد بعده ، وطلب من الجيش ان يحلف له يمين الولاء ثم راح يديره على شؤون السلطنة ، ويستغل كل مناسبة للتأكيد على سلطنته بعده . ففي سنة ٦٦٠ هـ حين كان عمر محمد بركة خان ، نحو سنتين فقط ، حلف الجيش له يمين الاخلاص والولاء من بعده . وفي سنة ٦٦٢ هـ ختنه في حفل ضخم جمع ابناء الامراء والاميان والاجناد والرعية ليختنوا معه ، ووزع الهدايا والاموال على الامراء والاجناد والرعية (٢) .

ويوم الخميس ١٢ شوال سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٥ ، قبل الذهاب لملاقاته التقرر على البيرة استعرض الظاهر الجيش ، ثم اعلن ابنه ولياً للعهد بعده ، ولقبه الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان ، ثم اركبه بابذة الملك وادخله القاهرة من باب النصر ، وشق به المدينة والامراء مشاء بين يديه ، وهو ، اي الظاهر ، يحمل الغاشية له بنفسه (٣) .

- 
- (١) المقرئى ، السلوك ، ص ٦٤١ ، ابن ايام ، ج ١ ، ص ١١٢ .
  - (٢) ابن عبد الظاهر ، ص ١١٢ ، اليونيني ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ ، لكنه يجعل الختان في ٥ ذى القعدة سنة ٦٦٣ هـ ، الذهبي ، ج ٢ ، ص ١٢٨ ، ابن الفرات ج ٦ ص ١٠٠ .  
المقرئى ، السلوك ، ص ٤٦٨ ، ٥١٦ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، وهو يجعل الختان بعد السلطنة ، سنة ٦٦٢ هـ ، ابن ايام ج ١ ، ص ١٠٣ - ١٠٤ .
  - (٣) ابن عبد الظاهر ، ص ١٠٦ ، اليونيني ، ج ٢ ، ص ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ابن ابي الفضائل ص ١٤٥ ، ١٤٦ ، ابن الفرات ، ج ٦ ص ٤٨ ق ، والتاريخ عنده ١٣ شوال .

وفي ١٢ شوال ، قرى التقلید بتفويض عهد السلطنة للسعيد ، وفي التقلید اشارات الى جهاد الظاهر ضد الخصوم و اعلان سلطنة السعيد لمتابعة ما بدا به الوالد .  
ثم ارسل تسخا بذلك الى جميع النواب والولاة (١) .

ولم يكتف الظاهر بهذا . وفي يوم الخميس ٩ صفر سنة ١٢٦٧ هـ / ١٢٦٨ حين قد ان يقوم بالحج جلمر الظاهر في ايران في قلعة الجبل واحضر الشهود والنفاسة لتحليف الامراء ومقدمي الحلقة بالسلطنة لابنه السعيد من بعده مرة اخرى . ويوم الاثنين ١٣ صفر ، دخل السعيد الايوان راكبا كما يفعل ابوه ، ثم جلمر وقرئت عليه الفصوص ويوم الاثنين ، ٢٠ صفر ، اركبه السلطان مرة اخرى بابهة الطك ومشى امامه ومعه الامراء والاجناد ، ثم عين له الامير بدر الدين بيليك الخزندار نائبا عنه لمساعدته . وبعد ذلك صار السعيد يجلمر في الايوان لتصرف الامور مكان ابيه (٢) .

وفي جمادى الآخرة سنة ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ ماز الظاهر الى دمشق في حملة على الفرنجسة واخذ معه ابنه السعيد وابسر له من العمر الا ما يقارب الاثني عشر عاما وذلك لتعويده . تحمل المشتقات والتدن . ب على الادارة . لاسيما وقد كانت سفراته الى بلاد الشام كثيرة .

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ٤٩ ، ١٠٦ - ١٠٩ ، اليونيني ، ج ٢ ، ص ٣٢٢ - ٣٢٣ ، ابن الفرات ، ج ٢ ، ص ٤٨ ق - ٥٠ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٥١ .

(٢) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٤٠٦ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٣٧ - ٣٨ ، المقريزي السلوك ، ص ٥٧٢ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٤٤ .

وسار السعيد على نهج ابيه . وفي ١٢ رمضان سنة ٦٧٢ هـ صاحب بعض  
الامراء وسار الى دمشق سرا ودخلها في ٢٦ منه . ثم عاد الى القاهرة مارا بشقيف  
ارتون وصغد ، حتى وصلها في ٢١ شوال سنة ٦٧٢ هـ / ١٢٧٤ (١) . فوجد ان اياه قد  
قام له بمظاهرة اخرى في يوم ختان اخيه نجم الدين خضر في يوم عيد الفطر (٢) .

وفي ٢٤ محرم سنة ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ ارسل الظاهر الامير بدر الدين الخزندار  
من دمشق الى القاهرة ليعود بالسعيد و ببعض الامراء الى دمشق . وفي سادس صفر  
زوجه من فازية خاتون ابنة الامير سيف الدين قلاوون . وفي ربيع الاخر سنة ٦٧٥ هـ فعل  
له العرس في القاهرة في مظاهرة كبيرة اذ استمر العرس بضعة ايام مدت فيها الاسطة  
وتبارى فيها الجنود في الميادين . وتزاحم الناس للتفرج ، واقامت الزينات ووزعت  
الذخ والهبات . وكان الهدف من تزويج ابنه بابنة قلاوون تثبيت مركز ابنه من بعده (٣)

هكذا نرى ان الظاهر كان يعد العدة لاستبقاء السلطنة في ذريته . لكن حلمه  
لم يتحقق . صحيح انما استطاع ان يورث ابنه السعيد السلطنة لكنها لم تدم في ابنائه  
السعيد وبدر الدين سلامش من بعده فبر سنوات قليلة . لقد كانت محاولته هذه  
تهيدا لغيره من بعده . فقد استطاع قلاوون من بعده ان يبقي السلطنة في ذريته  
نحو من ثلاثة اربع القرن .

- 
- (١) المقريزي ، السلوك ، ص ٥٩١ ، ٦١٢ .
  - (٢) ابن الغرات ، ج ٧ ، ص ٦ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٦١٢ .
  - (٣) ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ٩ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٢٣٩ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ابن الغرات  
ج ٧ ، ص ٥١ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٦١٩ ، ٦٢٣ ، ابن تغرى بردى ، النجوم  
الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، ابن اياس ، ج ١ ، ص ١٠٩ ، لكن موعد الزواج  
منه هذا الاخير سنة ٦٧٣ هـ .

## ثانيا - القوات المسلحة :

فني الظاهر بيبيرمر بنواتها المسلحة عناية كبيرة • وهذا طبيعي • وهو يعود الى سببين اساسيين هما ان حياة الممالك نفسها كانت عسكرية في طبيعتها • فمنذ ان يؤتى بالملوك صغيرا ، يوضع في مدرسة خاصة ، تدعى طباقا ويشرف عليه راس نوبة طواشي فيحفظه القرآن ويلقنه الكتابة والشرعة وبعض الفقه ، حتى اذا ما قارب البلوغ اخذ بتدريبه تدريبا عسكريا • والملوك في هذه الفترة خاضع لنظام دقيق حتى انه لا يسمح له بالخروج الى المدينة الا في اوقات معينة • وكان تدريبه يمر في مراحل مختلفة حتى اذا ما استكملها اعتق واعطي السلاح والحق بالممالك السلطانية وقد تميز هذا النظام من امثاله بدقة التنظيم المتناهية •

والسبب الثاني الذي حدا بالظاهر للافتناء بالجيش مثل هذه العناية الكبيرة هو ان الاوضاع التي كانت تحيط به حتمت عليه ان يعنى بتنظيم قوات مسلحة وابقائها على استعداد دائم ، وفي مستوى عال من التدريب • وفي مثل هذا الجو كان لابد له من ان يكثر من شراء الممالك ومن ان يتشدد في اختيار جنوده وتدريبهم احسن تدريب •

وقد نشأ الظاهر بيبيرمر نفسه هذه النشأة العسكرية • وكان نفسه ايضا ، فيما يبدو ، جنديا وقائدا منذ فطرته • ومنذ معركة المنصورة اخذ يبدي عناية خاصة بجماعته من الجند • ولما فر الى بلاد الشام اكتم الذين لحقوا به وعني بشؤونهم برقم ضيق ذات يده • ولما استولى على السلطنة جمع شمل الممالك ورد عليهم ما كانوا خسروه في مدة التشرد وتفقد اولاد من ماتوا منهم ونسراهم ما يحتاجونه (١) •

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ٢ •

## اقسام الجيش المملوكي :

كان الجيش المملوكي بصورة عامة يتألف من ثلاثة اقسام هي :

اولا : المماليك السلطانية وهم فئتان : الفرانجي او فرق السلاطين الصابئين ،  
ومشتروات السلاطين الدائم ويسمون بالاجلاب . ومنهم يرشد الخدم والحرس الخاصية . وهم  
ما نسميهم اليوم بالجيش النظامي الدائم .

ثانيا : مماليك الامراء وهم ابتداء الامراء المحتالين . والى جانب هؤلاء مكان  
البادية والقبائل التي يطمعها السلطان (١) .

ثالثا : اولاد الناس وهم اولاد الامراء ومنهم المجندون من المماليك الذين تألموا  
ونلاحظ ان السكان الاصليين لم يخطرطوا في الجيش . ثم ان كل فرفة من هؤلاء  
كانت مستقلة عن الثانية ، ولا تختلط بها .

## عدد الجيش المملوكي :

نم جيش السلطان التامر حده اقسام الثلاثة جميعا . وليس وانما تماما عدد  
جيشه من كل فئة من الفئات الثلاث . بيد اننا نستطيع ان نحدد الفئة الاولى بما يقارب  
الاثنى عشر الفا منهم في مصر وثلاثين في دمشق وثلاثين في حلب . وقد قيل  
ان التامر رفع عدد جيوشه الى اربعة اضعاف ما كانت عليه عهد الملك الناصر نجم الدين  
ايوب وبذلك بلغت اربعين الفا (٢) . اما الارمنون العا فالارجح انها مجموع الجيوش من  
الفئات الثلاث اثناء الحملات الحربية . وتعدينا استعراضاته العسكرية فكرة عن ان جيشه كان ضخما .

---

(١) المقرئ ، الخطط ، ج ٣ ، ص ١٣٩ .

(٢) ابن تليكر الكتبي ج ١ ، ص ١٦٩ ، المقرئ ، السوك ، ص ٦٣٨ ، الخطط ، ج ٣ ، ص  
١٤٢ - ١٤٥ ، ابن تليكر بردى ، النجوم ، ج ٧ ، ص ١١٧ ، بولياك ، ص ١٦ ، وسيد  
نדרها هذا بمئة عشر الفا .

ولما سئل الظاهر في استعراض سنة ٦٦٢ هـ ، ما اذا كان الجيش الذي يستعرضه هو كل

ما عنده من قوات ، اجاب انه جيش القاهرة وحدها (١) .

وكان الجيش موزعا على المدن الكبيرة في مصر وبلاد الشام ، وفي القلاع الداخلية

وفي الشفور .

وكان للامراء رتب تبدأ برتبة اميرمئة ، وهي العليا ، ثم امير طبليخاناه فامير

مشرية ، فامير خمسة . وكان عدد امراء المئة اربعة وعشرين اميرا وعدد امراء الطبليخاناه

ثلاثين اميرا (٢) .

### نفقات الجيش :

ولم تكن نفقات الجيش ثابتة ، ان انه لم يكن للجند مرتبات ثابتة . فالعمال

السلطانية نفقتهم على السلطان بالدات . اما جنود امراء الاقطاع فنفقتهم من الاقطاعات

التي يمنحها السلطان لهؤلاء الامراء . واما نفقة الفئة الثالثة فمما يرثونه من اباائهم ويزيد

على هذا ، للنفقات الثلاث ، ما يعطونه من مكاسب الحرب ، ومن هبات وخلع فسي

المناسبات المختلفة . ولئن لم يكن لدينا ما يدلنا بدقة على مقدار نفقات الجيوش المملوكية

مهد الظاهر ، فانه موسعنا ان نقرر انها كانت كبيرة جدا . وهنالك روايات قد تلتفي ضوءا

على هذا ، . الاولى ان المظفر قطز جمع نحو ستمائة (٣) الف دينار لحملته على التتر في

مين جالوت خلال بضعة اشهر . والثانية ان الظاهر خصص نحو مليون دينار (٤) لتجهيز

مشرية الاف جندي في حملة على العراق ، والثالثة انه انفق نحو ٦٠٠ الف دينار (٥) في

حملته سنة ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م ، على البيرة ، والرابعة انه فرض مليون (٦) درهم على اهل

دمشق للاسهام في حملته الاخيرة في اسيا الصغرى .

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ١١٣ ، ٢ — راجع ص ١٢٧ ادبائه وملحوظات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

(٢) المقرئ ، الخطط ، ج ١ ، ص ١٨٧ . ٤ — ص ٨٧ ، ١٧٤ . ٥ — الذهبي ج ٢ ،

ص ١٣٣ — ٦ — المقرئ ، الملوك ، ص ٦٤٠ .



وفي الخطط (١) فصل عن جيوش الدولة التركية ، اشار فيه الى كيفية تأمين نفقات الجيوش المملوكية فقال ان السلطان كان يحدد للامير ثلث الاقطاع ويجعل الثلثين لاجناده وان اقطاع امير المئين المقدم يتراوح بين ثمانين الف دينار ومئتي الف دينار وان اقطاع امير الطبلخانة من ٢٣ الى ٢٠ الف دينار . اما الاجناد فادنى اقطاع الواحد منهم ٢٥٠ دينار .

ونقل القلقشندي عن ابن مبد الظاهر ، ان نفقات السلاح خائاه كانت تتراوح ما بين ٧٠ و ٨٠ الف دينار (٢) .

### قيادة الجيش :

كان السلطان الظاهر نفسه القائد الاعلى للجيش . وهو مطلق التصرف في شؤون الحرب والسلم يعاونه في ذلك مجلسان - مجلس السلطنة او المشور المؤلف من اتاكك العماكر والخليفة والوزير وفضة المداهب وامراء المئين ، ومجلس الامور الخاصة وهو برئاسة امير من امراء المئين ، ومهمته بروتوكولية . وقد نظم الظاهر هذين المجلسين بحيث كانت كلمته هي العليا (٣) .

وكانت الفئة الاولى - الممالك السلطانية - مقسمة الى ثلاثة اقسام يسمى ثلثها الاول جيش الزحف . ثم يتبعه الثلث الثاني فالثلث اذا لزم الامر . (٤) . وكان الظاهر يعطي قواده تعليمات دقيقة مفصلة عند الهجوم ، وقالبا ما كان يسجلها في رسالة مختومة ويعطيها للقائد ويأمره الا يفتحها الا في مكان معين (٥) .

---

(١) المقريزي ج ٣ ص ١٢٩ ، ١٤٥ - ٢ - القلقشندي ، ج ١٣ ، ص ٤٧٧ .  
(٢) القلقشندي ، ج ٣ ، ص ٤٨١ ، ج ٤ ، ص ٤٥ ، ج ٥ ، ص ٤٥٥ ، ابن تغري بردي النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٨٥ ، حسن ، ص ١٦٨ ، وقد عرف الفاطميون المجلس الثاني وقد كانت له عندهم صلاحيات واسعة - ٤ - ملحوظة ٢ ، ص ١١٧ لهلاء .  
٥ - ابن مبد الظاهر ، ص ١١٩ - ١٢٠ ، المقريزي ، السلوك ، ٥٢٣ - ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، الخطوط ج ٢ ، ص ١٤١ .

### خطته في معاملة الجنود :

كان الظاهر يعامل جنوده معاملة طيبة اثناء السلم وفي المعركة . فقد عين لهم يوم الخميس من كل اسبوع لاستماع شكاويهم ، وكان يعنى بترتيب اخبازهم حتى لا يكون مجال للتذمر .

اما في الحرب فقد كان يضع نصب اعينهم هدفا يستجلبهم كحصرة الاسلام ويشدد على ذلك ويدعو له بقوة حين يتدمر الجند . كما فعل اثناء الدفاع من البيرة ، سنة ٦٦٢ هـ وكان لا يعرضهم الى مخاطر لاداعي لها .

### لباس الجيش واملحته :

كان الجندى يضع الكتوة الصفراء على راسه ، ويرتدى الغباء الابيض الضيق الاكمام من الفطن البعلبكي . وقد يكون لونه ازرق او احمر (١) .  
اما الاسلحة ، فمنها السيف والرمح والترس والنشاب . واما الالات فالمجانيق والدبابات ذوات العجل ، والزحافات القطاطيع (٢) .

### الاستعراضات العسكرية :

وليس اادل على هذه العناية بالجيش من الاستعراضات الضخمة المؤثرة التي كان الظاهر يجريها ، ففي سنة ٦٦١ هـ امر الظاهر امراءه واجناده ان يعملوا العدد الكاملة لهم ولعماليتهم . فاشتغل الجميع بذلك حتى اذا صدف ان مرّ احد في سوق السلاح لم يقدر على العبور من كثرة الخيل والاجناد . ولم يعد لاحد شغل غير الاهتمام بعدته الحربية ، فارتفع سعر الحديد واجر الحدادين من جراء ذلك . ثم اجري الاستعراض وكان كل جندى يمر امام السلطان فيسأله هذا عن حاله حتى اذا تظلم احدهم من اميره اوجب انصافه (٣) .

(١) المفريزي الخطط ، ج ٣ ، ص ١٤١ - ٢ - المفريزي - السلوك ، ص ٤٢٥ .

(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ٨٨ - ٨٩ ، ١٠١ ، ١٠٢ .

وفي جمادى الاول سنة ٦٦٣ هـ ارسل الظاهر الامير سيف الدين بلبان الزيني امير علم الى بلاد الشام لتجهيز العلاع وعرض السكاكر في حماه وحلب وفي الثغور المختلفة . ووجب على الامراء استكمال العدة للجهاد وامر بحمل خزانه كبيرة من المال من دمشق الى البيرة لنفقات الدفاع عنها (١) .

وقد اجراء استعراض اخر في ذى القعدة من السنة نفسها فاعمد تعليماته بذلك منذ شعبان . فاهتم الامراء والجنود في القاهرة ودمشق وحلب وحماه حتى انه لم يبق لهم ما يشغلهم غير تأمين السلاح للاستعراض . وامر ان لا يلعب في يوم الاستعراض الا عدة الحرب .

وفي اليوم المحدد للاستعراض جلس السلطان في صفة بجانب دار العدل عند بزوغ الشمس وجاء الناس منذ الساعة الباكرة يتفرجون وامتلأت الساحات جنودا حتى كانت العين لا تقع الا على خوذ لامعة وانوار ساطعة وخيول تصهل وجنود تقبل واطلاب سائفة ومساكر متلاحقة . ثم امر السلطان كل امير ومقدم ان يعرض جنوده ومالكيه في يوم واحد . واستمر العرض يوما كاملا ، والجندى يجيب مما يسأل ، ثم ضاق الوقت فصاروا يمرون خمسة خمسة ف عشرة عشرة .

ومند المساء ركب السلطان بقاء ابيض وساق الى الدهليز ثم عاد الى القلعة ومنها الى ميدان العيد حيث جرى لعب القبق ورمي النشاب .

وفي اليومين التاليين اخذ يوزع هباته على الملوك والامراء والخواص وارساب المناصب والعمائم والوزراء والقضاة حتى تعجب الناس من كثرة ما بادل ، ثم ختم

الاستعراض بسماط في قلعة الجبل (٢) .

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ٩٨ ، المفريزى ، السلوك ، ص ٥١٠ .  
(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ١١٠ - ١١٣ ، ابن الفرات ج ٦ ، ص ٥٢ و - ٥٤ ، المفريزى

السلوك ، ص ٥١٢ ، ٥١٣ - ٥١٤ .

وقد كان السلطان الظاهر حريصا على المظاهر للتأثير على الناس • ففقد جاء بالسير حرود ( in Harod ) قسطلان يافا (١) لحضور الاستعراض ودعا رمل بركة لحضوره ايضا (٢) •

وفي اول سنة ٦٦٢ هـ / امر بالاستعداد لاستعراض عسكري عام اشبه بالاستعراض السابق (٣) •

### التدريب العسكري :

ومن مظاهر اهتمامه بالجيش انه رتب لعب العبق ورمي النشاب ، ليستمر بذلك تدريب الجنود وجعل من لعبة البول والصيد ميدانا للتدريب العسكري ايضا • وكان يقيم لذلك رحلات وحفلات خاصة • ففي سنة ٦٦١ هـ رتب لعبة العبق توفي سنة ٦٦٢ هـ اقام احتفالا لرمي النشاب ، بعد الاستعراض الكبير ، وفي محرم سنة ٦٦٢ هـ / ايلول ١٢٦٨ اقام احتفالا اخر خاصا برمي النشاب في ميدان الصيد ، ثم اتبعه بتدريب للجيش (٤) • وفي ربيع الحجة سنة ٦٦٩ هـ / تموز ١٢٧٠ لازم دار الصناعة لرمي النشاب • وكان يوجب على جنده ان يصنعوا النشاب بانفسهم •

وفي رمضان سنة ٦٧٢ هـ / ١٢٧٤ اقام احتفالا للعب العبق ورمي النشاب معا دام بضعة ايام • وانقسم الجيش فرقتين وقامتا بمانسبيه اليوم بالتدريب بالذخيرة الحية (٥) •

- 
- (١) ابن عبد الظاهر ، ص ١١١ ، ابن الغرات ، ج ٦ ، ص ٥٣ ق • - ابن عبد الظاهر ، ص ١١٣ ، ابن الغرات ، ج ٦ ، ص ٥٣ ق ، المقريزي ، السلوك ، ص ٥١٩ - ٣ - ابن الغرات ج ٦ قسم ٢ ورقة ٣٦ وورقة ٤٧ ، ٤٩ - ٤ - ابن الغرات ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٤٨ - ٤٩ •
- (٥) ابن عبد الظاهر ، ص ١١٢ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٥٧٣ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٦٠٢ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ابن ايام ج ١ : ص ١٠٣ ، والعبق خشبه عاليه في اعلاها دائرة يحاول الرماة ادخال السهم فيها لاحكام الرمي • وكان لرمي العبق ميدان خاص بالفاهرة هو الميدان الاسود وقد بنيت فيه مصطبة خاصة للسلطان في محرم سنة ٦٦٦ هـ ( المقريزي ، الخطط ج ٢ ، ص ١١١ ، نقلا عن السلوك ، ص ٥١٨ - ٥١٩ ملحوظة ٦ ) •

## القوات البحرية •

كانت القوة البحرية قد اهتمت في السنوات السابقة لمجيء السلطان الظاهر بيبرس واستخدم الامراء رجال الاسطول في الحواريق • لكن الظاهر امر في سنة ٦٥٩ هـ ان يعود الامر الى ما كانت عليه الحالة في عهد الملك الكامل ، وانشاء الشواني في الاسكندرية ودمياط ، واصدر تعليماته بضرورة العناية بالاشخاب • ويوم الاحد ١٩ رجب سنة ٦٥٩ هـ اجري استعراضا بحريا اشرف عليه هو والخليفة من جزيرة الروضة (١) •

ولما تحطم الاسطول الطاهري في غزوة قبرص ، اهتم ببناء اسطول جديد • وفي ربي الحجة سنة ٦٦٩ هـ تموز ١٢٧١ امر ببناء اربعين قطعة بحرية • وكان يشرف بنفسه على بناء الطرائد والسلاير والحواريق في دار الصناعة • ويوم الاحد ١٤ محرم سنة ٦٧٠ هـ ١٢٧١ نزل الى دار الصناعة لتدشين الاسطول الجديد • وفي سنة ٦٧١ هـ نصب مشيخة منجنيق على اسوار ميناء الاسكندرية لصيد الفرنج (٢) •

حقا ان الظاهر لم يهمل القوات البحرية الحربية ، لكنه لم يعن بها كما عني بقواته البحرية المسلحة •

وينبغي الان نختتم هذا الفصل قبل الاشارة الى وسيلة اخرى لجاء اليها الظاهر للدفاع وهي استخدام القبائل لحماية الطريق والمناطق الواقعة على التخوم ، او اسكان هذه القبائل في مناطق الخطر • وفي سنة ٦٦٧ هـ / ١٢٦٧ اسكن بعض التركمان فسي فلسطين واسكن البعض الاخر في كمرwan (٣) •

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ٣ ، المفريزي ، السلوك ، ص ٤٤٧ •

(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ٣ ، اليونيني ، ج ٢ ، ص ٤٥٤ ، ٤٦٦ ، المفريزي ، السلوك ، ص ٤٤٧ ، ٤٩٥ ، ٥٩٨ ، ٦٠١ ، ٦٠٨ ، بالخط ، ج ٣ ، ص ١١١ ، حاشية ١ •  
النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ١٥٥ •

(٣) المفريزي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٥١ ، راجع ص ٩٩ وما يليها من الاقارب •

### ثالثا - الادارة

عني مؤرخو الماليك عامة عناية كبيرة بتفصيل أسماء البلاد التي حكمها  
السلطان ، ثم يملأونها لائحة تسموها اربعة اقسام • قسم ملكه ، وقسم احتله من الحبشيين  
وقسم اخرا احتله من غير الحبشيين ، وكانت له فيها السلطة الكاملة ونعم رابع لم يستطع  
احتلاله بل قبل المشاركة في حكمه والمناصفة على غلاله •

تدبر الملك من مصر الى اليمن الى العراق واراض الروم والشوب •  
اي ان ملكه امتد من تخوم اسيا الصغرى في الشمال الى الجزيرة العربية  
والنوبة جنوبا اما شرقا فكانت الاراضي التي بارت بعد غزوات التتر جدا فاصلا بينه وبين  
الخلافتين فارسي • ولم تخضع له الجزيرة العربية كلها ولكنه كانت له مدانة مع صاحب  
اليمن ، وسيطرة على مكة والمدينة ، لتأمين حماية الكرك والنبوك ، والى الشرق الى اليمن (١)  
ودامت مدة حكم السلطان سبع عشرة سنة واثنين وتسعين يوما منذ جلوسه  
في ١٧ ذي القعدة سنة ٦٥٨ هـ الى وفاته في ٢٨ محرم سنة ٦٧٦ هـ •

---

(١) ملك دمشق وعجلون وبصرى ومركز والعلات وحمص وتدمر والرحبة وتل ياشرو صهيون  
وبلاطنس وقلعة الكهف والقدمومر والمينقة والعليفة والخابي والرافة والكرك والنبوك  
وحلب وشيزر والبيرة والنوبة وبرقة ، وقبصرية ، والقلعة ومصياف ، وقيسارية وارسوف وسفد  
واسيرة ويافا والشفيف وانطاكية ، وبخرا مر وحصن الاكراد وعكا وحلبا والقرين وعافيتا ومرقية  
ودرساك ودر كوش وربعان وبانياس والحزبان ودلويبا وشمش وكردنين وبزوية ، ومائس  
اتليم مصر ، وناصف الفرنجة على المغرب والخرمومر • (ابن عبد السلام ، ص ١١٨ ، ابن ابي  
الفنائيل ، ص ٢٨١ / ٢٨٢ ، المنزلي • الملوك ، ص ٦٣٨ ، ابن تغري بوردى ، النجوم  
الزاهرة ، ج ٢ ، ص ١٨٦ - ١٨٨ ، ١٩٠ •

وطبيعي ان ادارة هذه البلاد الواسعة في وقت كانت الاخطار محدقة بها، تتطلب مقدرة كبيرة كالتى تحلى بها الخاسر. لكن هذا لا يلغي ولا بد من جهاز ادارى معين ولا بد لهذا الجهاز الادارى من اسم معينة يقوم عليها .

وينبغي ان ننتبه هنا الى ان الممالك ورثوا ادارة سابقة ولم يكن بوسعهم ان يستبدلوا بغيرها بسرعة. ثم ان طريقة مجيئهم الى السلطة حتمت عليهم ان يضيفوا للادارة السابقة اشكالا واسسا جديدة اقتضتها الظروف من جهة واقتضاها كونهم اتركا عرفوا في مواطنهم السابقة نوعا تريا وفارسيا من الادارة من جهة ثانية . ويدلنا على هذا تركيب اسمائهم من مقاطع تركية وفارسية وروسية. وقد اتبع الظاهر قاعدة ملوك التتار واحكام جنكزخان في الهسق والتورا (١) .

وقد تنبه ابن تغرى بردي لذلك فقال "ان الملك الظاهر هذا هو الذى ابتداء في دولته بارباب الوظائف من الامراء والاجناد وان كان بعضها قبله فلم تكن على هذه الصيغة ابدا . اى ان الظاهر احتفظ باسماء وظائف سابقة لكنه غير صلاحياتها من جهة وسلمها لجنود من جهة ثانية ، ثم انشأ وظائف جديدة منحها لرجال السيف .

(١) اليسق تركية ومعناها الترتيب والتورا تركية ايضا ومعناها المذهب . واصل كلمة اليسق هو سي يا . وسي فارسية معناها ثلاثة وسا مغولية معناها ترتيب . اى ان الكلمة تعنى الترتيب الثلاثي الذى اوصى به جنكزخان ابناؤه الثلاثة . ثم حرفت العامة الكلمة فقالوا "سياسة" ثم حذف الترك "سي" وحولوا "سي" الى "يسق" (ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص ٢٦٨ - ٢٦٩، وج ٧، ١٨٢ - ١٨٣) .

(٢) ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة ج ٧، ص ١٨٣ .

### مقابلة الادارة الظاهرية بالادارة الايوبية من حيث الاسم العامة .

كانت الادارة عهد الايوبيين ترتكز على قيام سلطان وراثي مركزه مصر ، ويتبع له الامراء الانقطاعيون من سلالة . وكان هؤلاء الامراء ذوي صلاحيات واسعة في اقاليمهم . وظلت الادارة المملوكية تحت سلطان مركزه مصر لكنها اختلفت عن سالفتها في انها كانت اكثر حزما واكثر مركزية فقد كان الظاهر يتطلب تنفيذ اوامره بسرعة وبدون تردد . وكان دائما مسيطرا على الادارة . فعند سنة ٦٦٦ هـ / لم يبق ببلاد الشام امارة مستقلة استقلالها داخلها عن السلطنة الا حماه فاستطاع بذلك ان يمنح ادارتها نسجا وتوازنا ضروريا بينهما .

ثم انه لم يكن للسلطان الظاهر سلالة كما كان لصالح الدين الايوبي تضعف من سلطانه وتشل يده . ولم تكن السلطنة المملوكية وراثية من حيث المبدأ ولو شاء الظاهر ان يفعلها كذلك ، من حيث الواقع . اضاف الى هذا ان السلطنة الايوبية كانت تابعة لخلافة مركزها بغداد لها صفة السيادة الشرعية عليها ولها قوة عسكرية . بينما كانت السلطنة المملوكية تابعة شكلها لخلافة وهمية من صنعها مركزها القاهرة .

### السلطان الظاهر وموظفوه .

كان السلطان على راس الادارة المملوكية . وكانت له صلاحيات وسلطات واسعة كان في الحقيقة ، اولا بين زملاء — prius inter pares — ولكنه كان عظيما بينهم . مهابة لا يجسرون على الدخول عليه بدون اذن (١) . وبلغ من هيئته ان كان البعض يخشون الدخول عليه ولو ماؤنين (٢) .

---

(١) المقرئى بالسلوك ، ص ٦٢٢ .

(٢) اليونيني ، ج ١ ، ص ٤٩١ ، عندما استدعى عز الدين الدمياطي وعلي الدين الركني اليه لارسالهما لدمشق لافتتال طبرص .



وكان السلطان يعين كبار موظفيه كالنواب والوزراء وكتاب السر والمحتسبين ونظار الدواوين

وكان له حق عزل أو لا الموظفين ساعة يشاء ، وله حق النظر في الحسابات .

وكان الى جانبه امراء اربعة امراء الحنة (١) وامراء الاربعين او امراء الطبليخاناه (٢)

وامراء العشرة (٣) وامراء الخمسة .

وكان السلطان الظاهر رديف الحراقة لموظفيه ونوابه جميعا . فديد في محاسبتهم ،

سريعا في محاسبتهم او مكافأتهم وكان يطلع ورقة الصباح ، وهي نشرة يومية كان الوالي في القاهرة

يصدرها صباح كل يوم ذكرا فيها ما مر من حوادث . وكان يتنكر في الليل ويسير في شوارع

القاهرة ، ليراقب سير الامور . وفي سنة ٦٦٢ هـ كثرت الجرائم في خليج القاهرة اذ اختفى عدد

من الناصر ثم تبين ان امرأة حسنة تعبر الشباب العثريين ، حتى يوافوها الى بيتها فتقتلهن

وتستولي على ماله . فصرها السلطان وصر معاوينها (٤) .

وفي ربيع الاول من سنة ٦٦٣ هـ تبين للسلطان ان نواب الوالي في القاهرة لم يسجلوا

في ورقة الصباح حوادث سرقة ونهب . فشن المسؤولين عن الاهمال (٥) .

---

(١) عدد ٢٤ اميرا . وامير مئة مرتبة - امة ميعال امير مئة مقدم الف . اسماهم العاطميون  
الامراء المطوقين منسبة لاطواق الذهب (الفلشندي ، ج ٢ ص ٤٧٦ ، والمقرزي ، السلوك

ص ٢٢٩ ، الخطط ج ٣ ص ١٢٩ ، ونعم المذقة ، ملحوظة ١ ، الدكتور محمد مصطفى زيادة

(٢) امراء لهم الحق بدق الطبول . اسماهم الفاطميون " ارباب الذهب " كان عدد ٢٨ ثلاثين اميرا .  
ويرجع لمومنين التسمية الى ان - وارزمناء جاء الخليفة العباسي الناصر ببغداد ينزب اليهم  
النوبة . (الفلشندي ، ج ٢ ص ٤٧٢ و ج ٤ ص ٥ ، المقرزي ، الخطط ، ج ٣ ص ١٢٩

دموميين ص ( IIV )

(٣) المقرزي ، السلوك ، ج ٣ ص ١٢٩ ، ومنهم سداد الحولة والموظفين .

(٤) اليونيني ، ج ١ ص ٥٥٢ - ٥٥٣ ، ابن ابي الفضائل ، ص ١٢٥ - ١٢٦ ، المقرزي ، السلوك  
ص ٥٢١ .

(٥) اليونيني ، ج ٢ ص ٣١٨ ، ابن ابي الفضائل ، ص ١٢٩ .

وفي ذي الحجة سنة ٦٦٤ هـ أمر بتسمير جماعة من الناصب أيضا (١) وتجول في القاهرة ذات ليلة في ذي الحجة سنة ٦٦٣ هـ فوجد جنديا عري امرأة وراح يضربهما في مركز الوالي ولا يجروا الوالي على معاقبته • فاجب انزال العقاب الشديد بالمجرمين (٢) •

وكان سريعا في معاقبة الوالي اذا علم منه شذوذا او تفصيلا • ففي شوال سنة ٦٦٠ هـ امر باعتقال ملاء الدين طيبرس الوزيرى نائب السلطنة بدمشق ، لانه اساء السيرة مع اهل دمشق ومكن العربان من شراء الغلال من دمشق مخوف اهلها من هجوم التتر حتى بيعت الموجودات باثمان بخسة وبيعت الجمال باسعار عالية ، وامرى النائب اثره اعتبره السلطان غير مشروع (٣) •

ولم تكن جولاته السرية تقتصر على القاهرة • فكثيرا ما كان يتنقل بين القاهرة والاسكندرية ودمشق وحماه وحمص سرا لاطلاع على حقيقة الحالة فيها (٤) • ففي ذي القعدة سنة ٦٦٢ هـ خرج بجولة تفتيشية في الجهات الغربية من مصر (٥) • وفي رجب سنة ٦٦٢ هـ غادر دمشق الى خربة الموصى بالقاهرة سرا على خيل البريد ثم عاد الى دمشق والناصر يظنونهم مريضا (٦) • وفي محرم سنة ٦٧٠ هـ قصد الكرك سرا ونقل نائبها الى حصن الكرك وعين فيها نائبا جديدا ، ثم واصل السير سرا ، حتى وصل حماه (٧) •

(١) اليونيني ، ج ١ ، ص ٥٥٣ ، وج ٢ ، ص ٢٣١ ، ٣٦٣ ما بين ابى الفضائل ، ص ٤٧٣ ، المقرئى بالسلوك ص ٥٤٠ •

(٢) ملحوظة ٣ ، ص ١٢٩ •

(٣) ابن عبد الظاهر ص ٥٨ ، اليونيني ج ١ ، ص ٤٩٠ ، ٤٩١ ، وج ٢ ، ص ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٩١ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢٢٤ ، ابن ابى الفضائل ص ٩٤ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٤٧٢ •

(٤) المقرئى ، السلوك ، ص ٥٨٣ •

(٥) المصدر السابق ، ص ٥٥٥ ، و ٥٢١ ، ٦ — ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ٥ ، اليونيني ج ٢ ، ص ٤٠٨ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٤١ ، ورقة ٦٤ ، المقرئى

السلوك ، ص ٥٧٤ ، ٥٧٨ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٤٥ •

(٦) ابن ابى الفضائل ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، وابى الفرات ، ج ٦ قسم ٢ ورقة ٩٩ ، المقرئى السلوك ، ص ٥٩٥ ملحوظة ٣ ص ١٢٩ أدناه

واتبع مع موظفيه ونوابه سياسات أساسها الثقة من جهة والمراقبة والتفتيش من جهة ثانية والمكافآت والمعاقبة من جهة ثالثة . كان يعمل على استقرار الإدارة ، لذلك " كان كل من ولاه . . . في مملكة أو عمل أبقاه ولم يغير عليه ولا عزله " . فانه لم يغير انتخابه حتى مات هذا سنة ٦٧٢ هـ . ولم يول الوزارة غير واحد هو صاحب بها ، الدين بن حنا (١) .

وقل ان غير نائبا من نوابه في مصر . لكنه كان على غير ذلك في بلاد الشام فقد كان كثير رحلات التفتيش فيها . وكان يكثر من تغيير النواب والولاة والنادة العسكريين وقد قيل انه امر بكتابة ٨٠ مرسوما لاجراء تنفلات بين نوابه وموظفيه في يوم وليلة سنة ٦٧٠ هـ (٢) .

لقد كان الظاهر يلعب الدور الاول في ادارته . ففي زمن السلم كان يقوم الى الصلاة صباحا ، ثم يخرج الى باب دهلزيه فيأتيه الناس ليحكم لهم في قضاياهم ويعلم على كتبهم (٣) وفي زمن الحروب كان يشرف على الاستعدادات الحربية ، ويقود الحملات بنفسه . وهكذا نجد ان السلطان الظاهر جمع في ادارته بين مبادئ ثلاثة اساسية هي حمن اختيار الموظفين ، والثقة بهم بموافقتهم ومحاسبتهم بحزم وشدة (٤) .

### لقب السلطان .

كان صلاح الدين اول من تقلب بالسلطان في مصر ، ثم تبعه المالكي واتخذ الظاهر لقباً له بعد مقتل قطز ، ثم لقب " قسيم امير المؤمنين " فصار اسمه الكامل كما يلي :

- (١) اليونيني ج ١ ، ص ٤٣٩ ، ج ٢ ، ص ٩٢ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٧٩ ، المقرئ ، السلوك ص ٥٩٩ ، ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٠٣ ، ١٠٨ ، ١٧٩ ، وقد دعاه الظاهر " يا ابي " ابن شاكر الكتبي ، ج ١ ، ص ١٥٢ ، ١٥٤ .
- (٢) المقرئ ، السلوك ، ص ٥٩٩ .
- (٣) ابن عبد الظاهر ، ص ٧٠ ، ١٢٠ ، ١٢٨ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٤٨٧ .
- (٤) ابن عبد الظاهر ، ص ١٠٢ ، ابن ابي الفضائل ، ص ١٣١ ، ٢٠٤ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٤٥٩ ، ٥٤٠ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٦٤٠ ، ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٤٥ .

• السلطان الملك الظاهر السيد الاجل الكبير ، العالم العادل ، المجاهد المرابط ،  
المؤيد المظفر المنصور ، ركن الدنيا والدين ، سلطان الاسلام والمسلمين ، سيد الملوك  
والسلطين ، قاتل الكفرة والمشركين ، ناصر الحق ، مغيث الخلق ، ملك البحرين ، صاحب القبلة  
خادم الحرمين الشريفين . محي الخلافة المعظمة ، ظل الله في الارض ، نسيم امير المؤمنين ،  
بيبرس من عبد الله الحمالي (١) . اما الدولة فسميت " المملكة الاسلامية " حينما او " الممالك  
الاسلامية " حينما اخر .

#### السلطان السلطانية

كان السلطان يقيم في قلعة الجبل مع رجال حاشيته ورجال البلاط . وكانت له فيها  
خزانته واهراؤه ومطابخه واصطبلاته . وكانت الى جانبها دور للماليك الامراء ومساكن الاجناد  
وكانت شوون النصر منظمة تنظيما دقيقا ، يسال عنها موظف كبير ومعه معاونون يختص كل  
واحد منهم بشان من شوونه (٢) .

#### الموظفون

وينقسم الموظفون في السلطنة المملوكية الى قسمين ذوي الوظائف العسكرية وذوي  
الوظائف المدنية . وقد حصر القلقشندي الوظائف العسكرية في ٢٥ وظيفة (٣) . ومد  
الوظائف الديوانية اي وظائف حملة الاقلام فكانت تسعا ومنها الوزارة وكتابة السر ونظير  
بيت المال (٤) .

وفيما يلي موجز لبعض هذه الوظائف :

---

(١) نقلا من على ابراهيم حسن ، ص ١٥٧

(٢) القلقشندي ، ج ٤ ، ص ١٥ .

(٣) القلقشندي ، ج ٤ ، ص ١٦ ، ١٨ - ٢٣ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٨ .

الركاب خاناه ، وفيها امطبلات للبخال والسباع والفيلة وخيل البريد ، والموانع خاناه ،  
والشراب خاناه ، راضعت خاناه ، والعراش خاناه ، ودار الضيافة (١) ، والزمام دار (٢)  
والخازندار الكبير (٣) ، والامتدار (٤) ، والخزان ملار (٥) ، والهمدار (٦) ، واميسر  
الشكار (٧) .

وهناك المطبخ خاناه ، ولها مهتار مسؤول عن ادوات الحوسبي (٨) . والحاجب .

وقد جدد الظاهر هذا المنصب ليحكم بين الجند في حوزن الاقلام ، ويامر فيهم ، وينف

مع السلطان عند المنظر في المطالم ، لا ان يحجب الشامر عن الدخول اليه ، كما كان في بعض العهود

(١) عرفت هذه الوظائف في عهد الفاطميين تحت اسماء اخرى . الفلقشندی ج ٣ ص ٤٨٢  
وما بعدها وج ٤ ، ص ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، المنري ، الخياط ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٢) ومعناها ماسك البفجة ، الفلقشندی ، ج ٤ ، ص ٢١ .

(٣) مسؤول عما يجذب للبيوت السلطانية ، ومعه معاونون يدعى كل واحد منهم خازندار ينسب  
الى المهنة التي يقوم بها ، كخازندار المنفاد اذ كان مسؤولا عن الامثلة ، وخازندار  
العين لم ضبط الدخول والخروج . وهو امير مطبخ خاناه . الفلقشندی ، ج ٤ ، ص ٢١ ، ج ٥ ،  
ص ٤٦٢ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٨٤ ، دموبين ص ( LI )

(٤) امير مئة . ومهمته الشاربي امور " السلطانية على اختلاف وظائفها وانواع وظائفها " من  
احوال السباط والمطبخ والمشراب ومراجعة الاطباء والبيوت السلطانية الطمست خاناه والغراش  
خاناه ، والامطبلات ونفقت الامراء السلطانية . الفلقشندی ج ٤ ، ص ٢١ ، ج ٥ ، ص  
٤٥٤ ، ٤٦٠ ، دموبين ص ( LXII )

(٥) وهو كبير الخدم مكلف بالسباط السلطاني في الافراح والاعراس ومعه معاونون منهم الساقسي  
والمرقدار والمهتار . الفلقشندی ، ج ٥ ، ٤٥٤ ، ٤٦٩ - ٤٧٠ ، ابن تغري بردي  
النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٨٤ .

(٦) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٨٤ ، الفلقشندی ، ج ٤ ، ص ٢٢ .

(٨) الفلقشندی ، ج ٤ ، ص ١٣ ، ص ١٥ ، دموبين ، ص ( LIII ) . وقد عرفت  
هذه الوظيفة في عهد الفاطميين .

السابقة واللاحقة (١) . وراس النوبة ، وقد احدثها الظاهر ، لأول مرة في مصر ، وهي في التنرية ببول . ومهمة راس النوبة رئاسة العماليك السلطانية والفصل في خصوماتهم ، واعتقال من يريد السلطان اعتقاله . وهو امير مئة ، ومعه ثلاثة من امراء الطبلخانة (٢) . والدوادار ، وقد كانت وظيفة يليها مدني متعم ، اورجل من رجال القلم يحمل للسلطان الدواة ويحفظها ، لكن الظاهر رفعها الى مركز مرموق يليها امير عشرة (٣) ، وامير اخور وهو الناظر في امور الاصطبلات ، وخيل البريد ، والركائب المعدة لقطع المسافات البعيدة . وكان الظاهر اول من انشا هذه الوظيفة . وكان يختار من امراء المئة ويعاونه نفر يختارهم بنفسه من امراء العشرة ومنهم السراخور المسؤول عن العلف (٤) . وهي في الاصل مغولية باسم " اق طشى " (٥) ، والمهمندار بمهمته استقبال الضيوف والسفراء والوفود وتعيين مركز كل منهم (٦) .

وهناك ايضا امير السلاح من امراء المئة ، وهو مسؤول عن الاسلحة والمسلحين ويحمل للسلطان سلاحه في الحفلات العامة (٧) وامير المجامر المسؤول عن الطبابة والادوية .

- 
- (١) الفلقسندی ، ج ٤ ، ص ١٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٨٣-١٨٤
  - (٢) الفلقسندی ، ج ٤ ، ص ١٨ ، ج ٥ ، ص ٤٥٥ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١١٥
  - (٣) ١٨٤ ، ١٨٥ ، جويدو ان الايوبيين عرفوها ولكنهم لم يهتموا بها .
  - (٤) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ .
  - (٥) الفلقسندی ، ج ٤ ، ص ١٨ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ .
  - (٦) العزيزى ، السلوك ، ص ٣٤٨ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٨٥ .
  - (٧) الفلقسندی ، ج ٣ ، ص ٤٨٨ ، عرفه الفاطميون باسم " نائب صاحب الباب " و ج ٤ ، ص ٢٢ .
  - (٨) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ .

يجلسون على راس ميسرة السلطان (١) • وأمير العلم وهو المسؤول عن الاعلام وقت نرب  
الطبول وائناء السفر (٢) ، وساحب الجناب الكريم ، وهو اول من يدخل على السلطان  
واخر من يخرج من حضرته • ويحضر تعيين المؤلفين والحلافة وتحليفهم اليمين (٣) •  
اما كتابة السلطنة فاحياها الظاهر لكثرة تنبيهه عن القاهرة (٤) •  
واخيرا هنالك ثلاث وظائف ديوانية هامة هي الوزارة وكتابة الانشاء وديوان  
المالية • وكانت كتابة الانشاء تحت اشراف كاتب الانشاء ومعه موظفون من طبقتين اولاهما  
طبقة الرئاسة والثانية هي طبقة كتاب الدست وكتاب الدرج (٥) • وهي ما نسميه اليوم بوزارة  
الخارجية • وكان ديوان المالية مقسما الى دواوين لكل منها اختصاصه ومداخيلها  
وكل ديوان مسؤول عن ناحية معينة من الميزانية (٦) •

- 
- (١) المصدر السابق ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ •
  - (٢) القلقشندي ، ج ٤ ، ص ٢٢ ، ج ٥ ، ص ٤٥٦ ، د موبين ص ( FIII )
  - (٣) حمزة ، ص ٥ •
  - (٤) القلقشندي ، ج ٤ ، ص ١٦ ، ج ٥ ، ص ٤٥٣ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٦٤٢ •
  - (٥) القلقشندي ، ج ١ ، ص ١٢٧ •
  - (٦) ويعزو بولياك ذلك (ص ٥) الى الصعوبات المالية •

وهناك الوزير ، كان منصب الوزارة لأول بين مناصب رجال العلم لا يليها امير عسكرى وكان للظاهر وزيران ، احدهما ، وزير دائم يبنى في القاهرة واخر يدعى وزير الصحة يرافقه في حملاته ورحلاته . وكان الوزير محترما حتى ان رؤساء مصر والقاهرة والامراء كانوا يمشون في خدمته عندما يعين في منصبه (١) .

وهكذا نجد ان الظاهر احتفظ بالوظائف العديدة ، بوجه الاجمال ، ولو انه فيتر صلاحيات بعضها واستحدث وظائف جديدة لكنه على كثرة الوظائف ، حدد لكل وظيفة صلاحيتها واختصاصها بوضوح (٢) . ونجد ايضا ان الظاهر قسم الادارة الى فئات ثلاث اولاهما تتعلق بالشؤون المنزلية الخاصة بموئائتهما حلقة وصل بين هذه الفئة والفئة الثالثة . اما هذه فهي الادارة العامة الداخلية والخارجية .

وكان لكل موظف شعار خاص به يدعى رنكا يحفر على انيه او تحفه او زجاجة او قطعة معدن . وكان للظاهر رنك هو الاسد (٣) ، وعلامة يضعها على مناشيره هـي " المستعان بالله " (٤) . وهناك نحو خمسين رنكا عرفت حتى الان (٥) .

وقد استعان الظاهر على الادارة بجيش عني به منظمه ، ووزعه على الفروع الداخلية والخارجية والتفوق الواقعة على الحدود (٦) .

(١) اليونيني ، ج ١ ، ص ٤٣٩ ، ج ٢ ، ص ٩٢ ، ابن ابي الفضائل ص ٤٢١ . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٠٣ ، ١٠٨ ، ١٧٩ ، راجع ص ١٢٩ ، ملحوظة ١ . وكان وزير الصحة الاول فخر الدين بن حنا حتى ٢٤ شعبان سنة ٦٦٨ هـ حين استبدله باخر . اليونيني ج ٢ ص ٤٣٢ . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٥٠ وقد جعل السنة ٦٦٩ هـ .

(٢) الفلقشندى ، ج ٤ ، ص ٦ .  
(٣) بولياك ، ص ٣١ ، ٥ — حسن ص ١٦٨ ومنها الكاسر ، والمقلمة ، والفامور والبقجة ، والخونجة ( المنضدة ) ، وعصا البولوى وزهرة اللوتس ، والصولجان والنسر .

(٦) انظر ص ١١٦ اعملا ملحد يث من الجيش .



## البريد

وقد عني الظاهر بترتيب البريد منذ ان رقي السلطنة لان سلطانها كان يعتمد الى حد بعيد على بريد سريع وامين لا يخفي عنه " شيئا من المتجددات ولا يطوى حالة من الحالات " ولتأمين هذه السرعة رتب البريد خيلا كانت في مراكز بين القاهرة والمدن الكبيرة الاخرى • وكان في كل مركز سواقون لا يتحركون الا بمرسوم سلطاني • ووضع في كل مركز جميع ما يحتاجه المسافرين • وقد كانت خيل البريد هذه صلة الوصل بين اجزاء السلطنة بحيث استطاع ان يجرى موكبا في القاهرة ودمشق في اسبوع واحد (١) • وكان الظاهر يستطيع الانتقال بين دمشق والقاهرة مرتين في الاسبوع • وكانت هذه الرحلة لا تستغرق اكثر من يومين وسبع ساعات فقط • وقد جاءه خبر انقصار نوائه في البيرة سنة ٦٦٣ هـ الى يبنى في اربعة ايام (٢) • وكانت الاخبار تصله من سائر نواحي المملكة مرتين في الاسبوع، وكان على كاتب الانشاء ان يبلغه اخبار التتر والفرنج كل صباح ومساء ، حتى استطاع ان يسيطر على المملكة من قلعة الجبل •

## التجسس والعناية باستطلاع الاخبار

والى جانب البريد كان المظاهر عدد من المخبرين يطلعونه على الاخبار الداخلية والخارجية • وهناك عدد من القصص تدل على دقة اطلاعه على ما كان يحدث في سلطنته او على حدودها (٣) •

- (١) ابن عبد الظاهر ، ص ٣٢ • المنري ، السلوك ، ص ٤٤٦ ، ٤٤٧ • ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة مج ٧ ، ص ١٨٦ • ابن ايامس • ج ١ ، ص ١٠٨ •
- (٢) ابن عبد الظاهر ، ص ١٢٠ - ١٢١ •
- (٣) راجع ص ١٢٧ اعلاه •

وقد لاحظنا من اعتقالاته الامراء انه كان شديد العناية بالاطلاع على الاخبار السياسية الداخلية . واضيف هنا قصة عن اطلاعه من اجتماع عدد من الامراء في دار احدهم لانتقاد السلطان فسمّر احدهم وكحل عيني الآخر ونطح يده ورجله ، ثم منع الاجتماعات اطلاقا (١) .

ثم هنالك اخبار التتروقد كان له جواسيس في بلاطهم بفارس (٢) ، ولد لك علم بفدوم رسل التتر الى المعيث . واستطاع ان يعلم بمجيء جواسيس التتر الى مصر عن طريق سفير فسد عليهم الطريق واعتقلهم (٣) . وعلم ان ملك الكرج تنكر في زي راهب وجاء الى سمر فعا فافسا . وهنا علم به بدر الدين الخازندار فقبض عليه وارسله الى القاهرة (٤) وعلم ايضا بمجيء جاسوس الى البيرة سنة ٦٦٥ هـ فاعتقه واعدمه (٥) .

وهناك قصة سلمان بن المؤيد بن عامر العفرياني المعروف بالزوين الحافظي . فقد كان كالفرقة الطافية على وجه الماء على حد تعبير هولاء ، من كثرة ما تنقل في خدمة الاسياد حتى استقر عند هولاء . وبني اخوه بخدمة الظاهر . واوز هذا للاح ان يتصل باخيه ويرعبه بالعودة ، فاطلع الزوين الحافظي هولاء على الرسالة واستادنه بمكانه امراء الظاهر ليشير فيه سوء الظن بامرائه ، فرفض هولاء اول الامر ثم عاد فرفض بعد الحاج . ووصلت رسالة الزوين الحافظي الى مصر فتسلمها الظاهر ورد عليه شاكرًا ما فعله حتى لايشير شكوك هولاء . وبعث الرسالة مع جماعة احتالوا حتى اوصلوها لهولاء سرا ، فاعدم هولاء الزوين الحافظي (٦)

---

(١) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٣١٧ ، ابن ابي الفضائل ، ص ١٣٠ ، ١٣١ ، ٢ - ( Floquet )  
النهج الجديد ، ص ٣٧٢ ، ملحوظة ٣٠٣ يرى ان مسلمي فارس كانوا ميوّنا للظاهر على

المعول وان امير سميح كان جاسوسا له . - ٣ - ابن عبد الظاهر ، ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٤) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٦٤ ، ٥ - ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٢ ، ٦ - اليونيني ، ج ٢ ص ٢٢٤ ، ٢٣٨ ، ابن ابي الفضائل ، ص ١٢٩ ، المقرئى السلوك ، ص ٤١٩ ، ٤٢٣ ، ٤٢٥ .

كانت مصر معسومة الى وجهين ، البحري والغربي ، بالإضافة الى القاهرة والاسكندرية

(١) وكان كل وجه مقسما الى نواحي واعمال .

وكانت بلاد الشام خمس (٢) نيابات هي الكرك (٣) وحلب ودمشق (٤) وحماة وحلب . وكانت الادارة في كل من هذه النيابات على قرار الادارة في القاهرة ، فمع النائب موصون عسكريون ودينيون ومدنيون (٥) وكانت اراضي هذه النيابات موزعة انطاعات على امرائه .

(١) عني الظاهر بالاسكندرية وذهب اليها اكثر من مرة للتفتيش ، او للصيد او لمراقبة الاعمال اصلاحية والاجراءات الدفاعية في الميناء ، ففي شوال سنة ٦٦١ هـ قصدها للصيد واهتم بامر مياهها . وفي ربيع القعدة اجري فيها استعراضا عسكريا ووزع الهدايا والهبات ثم لعب بالكرة . وذهب لزيارة الشيخ الشاطبي والشيخ العباري — وجمريد ار العنل فيها ثم عاد الى القاهرة في ١٨ ربيع القعدة . وفي صفر ٦٦٨ هـ قصدها مرة اخرى ومعه ابنه وذهب اليها سنة ٦٧٣ لبناء ما تهدم من منارها . (ابن عبد الظاهر ، ص ٨٤ ، ٨٦ ، ٩٨ ، اليونيني مج ١ ، ص ٥٤٣ ، ج ٢ ص ١٩٦ ، ٤٣٠ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٦١٦ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة مج ٧ ، ١٤٧) هذا بالإضافة الى المنشآت التي انشأها فيها — ٢ — لم يكن هذا التقسيم الاداري لبلاد الشام ثابتا . وكان اول تغيير هام فيه بعد وفاة الظاهر هو احداث نيابة طرابلس بعد فتحها سنة ١٢٩١ هـ — ٣ — عني الظاهر بالمدن الكبيرة في سلطنته ، كالاسكندرية والقاهرة في مصر والكرك وحلب ودمشق وحماة وحلب ودمشق وحماة في بلاد الشام . ومعاملته لكل منها تصلح ان تكون بحثا مستقلا وقد تناولت علاقته بها باختصار في امكنه اخرى وينبغي ان اشير الى مثل هذه المعاملة للبقية هنا . فقد تسلم الظاهر الكرك في ٢٣ جمادى الآخرة سنة ٦٦١ هـ بعد ان تسلم الشويخ بناها الصليبيون في ربيع الحجة سنة ٦٥٩ هـ وعني بهما عناية خاصة ان كان يمر بهما في كل رحلة الى بلاد الشام او الحجاز وفي صفر سنة ٦٧٣ هـ اقام في الكرك ١٣ يوما للكشف احوالها ثم جاءها سنة ٦٧٤ هـ . كانت الكرك هامة لموقعها ولانها مركز للسيطرة على العربان (ابن عبد الظاهر ص ٤٨ ، اليونيني ج ٢ ، ص ٤٦٧ ، ابن أبي الفضائل ص ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٩٨ ، ٥٤٤ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٦١٤ ، ٦٢٤ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٤٤ ، ١٦٤) — ٤ — كان لدمشق مركز خاص في الدولة الظاهرية وقد كانت اهم نيابة بين نياباته ، وقد جعل فيها بلاطه في بلاد الشام . كان ياتيها مرة او مرتين في السنة موتكا لا تقضي سنة بعد تسلمها من علم الدين منجر من غير ان ياتيها . كان في السنوات الاولى من سلطنته يعني باختيار النواب المخلصين القادرين موعامب من عبيد التصرف ، كما فعل بعلاء الدين طيبر من الوزير ، ثم عني ايضا بتخفيف المصائب الاجتماعية ، كالسيول والمجاعات ، وعني بالانشآت فيها ايضا . لقد كانت ، دمشق تصلح ان تكون بستانا لمصر ولا شك ان احسن ما في البلاد البساتين كما يقول القاضي الفاضل (حمزه ، ص ٢٤٩) لكن عفايته بها كانت عسكريا بالدرجة الاولى . وفي القسم الثاني من سلطنته ، حين اخذت حروبه مع الصليبيين والتتروالي ، وحين انتقل ميدان الصراع الى اسيا الصغرى فآخذ يرهقها بالضرائب الباهظة حتى ضعفت بساتينها وانعدمت ثمارها (ابن عبد الظاهر ، ص ٦٠ — ٦١ ، اليونيني ، ج ٢ ، ٣٨٧ ، ٤٥١ ، ابن أبي الفضائل ، ص ٥٣٩ ، ابن شاذان الكتيبي ، ج ١ ، ص ١٧٤ ، ابن الفرات ، ج ٧ ، ص ٨٥ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٥٤٩ ، ٥٨٣ ، ٥٩٦ .

وكان الى جانبه والنيابات ممالك وفلاحة مستقلة عن هذه الولايات ، تابعة للظاهر

راسا مثل شيزر .

### خصائص هذه الحكومة ونوعها :

كانت لهذه الحكومة خصائص بارزة هي سلطان نشيط ، على راس جيش منظم مدرب ، ويريد سريع صادق ، يعاونه عدد كبير من المماليك الانصار ، جنودا وامراء ، يطبق مبداء العتاب والثواب بينهم ، شديد في احكامه ، سريع في تنفيذها ، يعتمد التحوى والرهاب ويمنع الاجتماعات ، ويراقب الجميع بدقة . اما الهيكل الادارى فمزيج من عناصر فاطمية وايوبية قديمة ومغولية مستحدثة .

اما نوع هذه الحكومة فلم يسمي بتعيينه بالامر السهل .

اول ما يلفت النظر انها حكومة اجنبية لم يشترك في وظائفها الا المماليك . اما سكان البلاد الاصليون فلم يشتركوا فيها (١) .

وقد شبهها ( G Wiet ) بحكومة مصر (٢) وشبهها على ابراهيم حسن

بالحكومة الاستبدادية المنيرة (٣) وجعلها عبد اللطيف حمزة الحكومة المدنية العسكرية (٤) .

ولكن ما لنا نحاول ان نضع لهذه الحكومة صفات حديثة وقد حدد لها الظاهر بنفسه في وصية

لابنه السعيد ؟ قال السلطان الطاهر : انك صبي ، وهو لا الاكابر يرونك بعين الصبي ،

فمن بلغاك عنه ما يشوش عليك ملكك ، وتحفت عنه ذلك ، فاضرب عنه ، في وقته ولا تعتله .

ولا تستشرا احدا في هذا . واعمل ما امرتك به والا ضاعت مصلحتك \* (٥) .

---

(١) ولعله ظريف ان نذكر هنا انعزت على زنوك للنساء ما قد يوحي باشتراكهن بالحكم .

ولكن يبدو انهن لم يشتركن بالحكومة . واما الزنوك فلهن كانت لبا ثهن وازواجهن .

(٢) ( G Wiet ) ص ٣٤ ، المقدمة . - ٣ - حسن ، ص ٤٢ . - ٤ - حمزة ، ص ٤٥ .

(٥) ملحوظة ، ٥ ، السلوك ، للمفريزى ، ص ٦٤١ ، منقولة من ابن واصل ، مفرج الكروب ، ص ٤٤ .

يتبين لنا من هذا ان الغاية الاولى من هذه الحكومة هي استمرار السلطنة في درية  
الظاهر . ومثل هذا الاستمرار يستتبع الدقة والحزم والمراقبة . حتى اذا تحقق السلطان ان احد  
يعمل لهدم هذه الغاية الاسلامية ضربت رقبته . ولا فائدة من اعتقاله او استشارة احد في شأنه .  
وهذه هي الخطة التي سار عليها الظاهر . حتى كان الامراء يخشون الدوم اليه اذا دعاهم .  
لعد كان الظاهر يرى ضرورة نصرته الاسلام ، ولكن نصرته لا تكون الا على يديه . ولذلك ارى انها  
حكومة شخصية ، تستهدف اول ما تستهدف ابقاء السلطنة في شخص معين او في سلالة معتمدة  
في ذلك على طبقة من الرقيق المجلوب من الخارج متعاونه معه على استغلال البلاد .  
بالدرجة الاولى ، متخذة نصرته الاسلام شعارا ، لاجئة الى اية وسيلة للاحتفاظ بهذه السلطنة  
في هذه السلالة ازا المعاليك والسكان الاصليين معا . وانها حكومة عسكرية دقيقة التنظيم مع  
ذلك . هنالك جماعة من المعاليك ، منظمون تنظيما عسكريا استولوا على بلاد ، فتظموا ادارتها ،  
بما لهم من احسان اصيل بالحكم ، على حد قول ( Diet ) ( ١ ) ، في سبيل تأمين  
الفوت والسلطنة . وساعدهم في ذلك ان الفرنجة والترك كانوا يحتلون بعض بلاد الشام ،  
فاتخذوا حماية الاسلام شعارا في هذا الصراع .

#### الغضاء :

ادرك الظاهر اهمية الغضاء منذ البدايه وادرك ان تثبيت سلطانه يعتمد على له نظاما  
مقبولا من الغضاء . وقد كان لرجال الغضاء والعلماء نفوذ كبير . وللمذكر هنا موقف الغاضي  
ابن عبد السلام منه عند المبايعه ( ٢ ) .

---

( ١ ) ص ٣٤ ، مقدمة .

( ٢ ) راجع سياسة الظاهر الدينية ، ص ١٠٨ اعلاه .

ويتبين اهتمام السلطان الظاهر بالتنظيم القضائي من رسالة وجهها للقاضي ابن بنت الاعز عند توليته القضاء وقد جاء فيها : نفوض اليه الحكم العزيز بجميع الديار المصرية . . . لما علم فيه من فضل ما زالت ثماره تجني ومسا عجميدة ما برح الى الخلائق محمنا . . . فليباشر هذا المنصب الذي اضحى ظل شرفه وارفا . . . وليول من القضاء من يحيى من العدل سننا ويميت من الباطل بدما . . . وليتفقد امر العسودل الدين امسبحوا على الحقيقة عدولا من المنهج القويم راغبين عن المحامد بما ياتونه من كل صنف ذميم ، ولا يترك منهم الا شاهدا كان على المعاييب غائبا او متورعا . . . واموال الايتام والاقواف فلا يباشرها الا من كان لمباشرتها اهلا ومن يتحقق ان يكون عليها قفلا . . . واهض مزيمتك في اقامة منار الشريعة بعد العقود . . . (١) .

بقي المذهب الحنفي سائدا في مصر حتى اواخر القرن الهجري الرابع / الميلادي العاشر حين اخذ المذهب المالكي ينتشر لكن قيام الدولة العبيدية قضى على المذاهب السنية واكتفى بالقضاء الشيعي . ثم جاء صلاح الدين ففضى على القضاء الشيعي واكتفى بتولية القضاء الشافعي . واستمرت الحال على هذا الموال حتى جاء الظاهر (٢) .

في ١٠ جمادى الاولى سنة ٦٥٩ هـ استمدى الظاهر القاضي تاج الدين عبيد

الوهاب المعروف بابن بنت الاعز وعرض عليه القضاء ، واراد القاضي التنصل فتشدد في

شروطه ، لكن الظاهر قبلها لثقت به واجابه اليها وعينه قاضي القضاء وعزل برهان الدين الخضر بن الحسن بن علي المنجاري واعتقله عشرة ايام ثم افرج منه وعينه قاضيا على الوجه القبلي من مصر فقط - ثم عزلها ثانيا في رمضان سنة ٦٦٠ هـ لانماطل فيما طلبه منه السلطان اما تاج الدين فبقي قاضي قضاة حتى توفي في ١٧ رجب سنة ٦٦٥ هـ (٣) وعين مكانه قاضي

(١) نقلها سرور (ص ١٣٨) عن النويري ، نهاية الارب ، ج ٢٨ ، قسم ١ ، ص ٨ - ١٢ .

(٢) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٢٤ ، - ٢ - اليونيني ، ج ١ ، ص ٤٤١ ،

٤٥٩ ، ج ٢ ، ص ١٥١ ، ١٥٢ ، ابن شاكر الكتبي ، ج ١ ، ص ٥٣٥ ، المقريزي ، السلوك ، ص

٤٤٨ ، ٤٧٢ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، ورقة ٥ ق . السيوطي ، حسن المحاضرة

ج ٢ ، ص ١١١ .

احدهما للوجه البحري ، وثانيهما للوجه القبلي ، (١) .

وفي دمشق عزل السلطان الفاضلي نجم الدين بن سني الدولة في ٨ ذي الحجة سنة ٦٥٩ هجرية وعين مكانه شمس الدين بن خلكان . وكان له ان يقضي " في جميع بلاد الشام من العرش الى سلميه يستنيب فيها من يراه لذلك اهلا " وكان له فوق ذلك ان ينظر في شئون الاوقاف والمدارس والبيمارستان (٢) .

وفي ذي القعدة سنة ٦٦٠ هـ عزل السلطان تاج الدين في مصر حق استنابة من يراه مناسبا من المذاهب السنية الاربعة للقضاء . وهذا هو ما كان سمح به لابن خلكان في السنة الماضية . وبذلك تم التعديل الاول لنظام القضاء في مصر وبلاد الشام (٣) . اما التعديل الثاني ، وهو الاهم ، فقد وقع سنة ٦٦٣ هـ . كان القضاء شافعيًا بيد ابن بنت الامز فجعله في ذي الحجة في هذه السنة على المذاهب السنية الاربعة في مصر ، وفي محرم من السنة التالية ، في بلاد الشام . فصار يعين قاضيا للمالكية وقاضيا للحنفية وعاندا للحنبلية ، وبني ابن بنت الامز للشافعية في مصر . ولندكر هنا ان الظاهر كان سنة ٦٦٠ هـ قد اجاز لتاج الدين استنابة من يريد في الاحكام من مدرسي المالكية (٤) .

ولهذا التعديل دوافع ، ولا ريب ، ولكنها ليست واحدة عند المؤرخين . فقد كثرت القضايا بحيث لم يعد قاضي واحد يستطيع ان يفصل فيها كلها ، ثم كثر النصارى المنتمون الى المذاهب السنية المختلفة . فوجب الاكثار من عدد القضاة على المذاهب المتعددة لتسهيل امور النصارى . قد يكون هذا دافعا معقولا . ولكن هنالك دافعا اخر هو ان الامراء الظاهرية لم يكن يروقهم ان يكون على راس القضاء رجل واحد كابن بنت

---

(١) المبرزى ، السلوك ، ص ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٢ — ابو شامة ، ص ٢١٥ ، اليونيني ، مج ١ ، ص ٤٦ ، وج ٢ ، ص ١٢٤ . ابو الفداء ، مج ٣ ، ص ٢٢٣ ، ٢ — ابن عبد الظاهر ، ص ٨٩ ، وقد خلا بين هذا التعديل والتعديل التالي ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٤٩٦ ، ج ٢ ، ص ٥٢ . المقرئ ، السلوك ، ص ٤٧٢ ، ٥٠١ . ابن ايامر ، ج ١ ، ص ١٠٣ — ١٠٤ . ابن الفرات ، ج ٦ ، ورقة ٥ ق .

لم يكن يعرفهم ان يكون على راس القضاء رجل واحد كـ ابن بنت الاعز ، يدق ويتوقف في تنفيذ الاحكام ربما يتحقق الضميمة . ويرى ان الامير جمال الدين ايدى العزيزى ، بعد احتكاكات بالقاسى ، اقترح على السلطان تعيين قضاة من المدارس الثلاثة <sup>الاخيرة</sup> ~~الاولى~~ <sup>الاولى</sup> ~~الثالثة~~ <sup>الثالثة</sup> لانتاج الدين (١) . وبذلك يكون الظاهر قد كسر احتكار الشافعية للقضاء . وانصف نفوذها في الدولة (٢) . ويظهر ان هذا التعديل لم يكن مرضيا للجميع فندرى العزيزى ان السلطان ، لرجل رآه في منامه : ما رايست اند على منورة قضاة اربعة وقيل لي فرقت الكلمة (٣) .

اما الجيش فكان له قضاء مستقل . وكان قاضيهما يجلس بدار العدل الى جانب السلطان وهو دون بقية القضاة . وفي سنة ٦٦٢ هـ انفى حق الحوسى بالاستيلاء على موجودات اليتيم (٤) . وفي سنة ٦٦٣ هـ اجاز للامير ان يعين مسودا عدولا في الجيش تسمع اقوالهم ليشهدوا بوجاهة الجنود الذين يموتون في ساحات القتال (٥) .

واذا احتماه الكبير بالقضاء فقد كان طبيعيا ان يبني دار عدل . وفي سنة ٦٦١ هـ انشاء دار عدل تحسنت الطعة بالعاهرة (٦) ، ثم رتب دار السعادة بدمشق دارا للعدل (٧) .

وكان السلطان الظاهر يحضر الى دار العدل كلما سئلت له الفرية . والامثلة على ذلك كثيرة . فقد حضر الى دار العدل في رجب سنة ٦٦٠ هـ مطالبيا باسترداد بثمن

- (١) ابن عبد الظاهر ، ص ٨٩ ، ابن ابي شامة ، ص ٢٣٥ ، وقد جعل تعيد التعديل في دمشق في جمادى الاولى سنة ٦٦٣ هـ ، اليونىي ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ ، العزيزى ، السلوك ، ص ٥٣٨ — ٥٣٩ ، ٥٤٣ ، ٦٤٠ ، ابن عمري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٢١ — ١٢٢ — ١٣٧ السيوطي حسن المحاضرة ج ٢ ص ١١١ ، وكان ابن بنت الاعز مدنى بفسخ شراء السدار الموقوفة ولو لم يتمكن البائع من رد الثمن يرفض تسليم ريع اوقاف الرسول صاحب المدينة بعبارة انه لا يثق به مع ان الظاهر كان يريد ذلك ، ورفض شهادة احد الامراء . .
- (٢) السيوطي حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١١١ ، ( F Sadeque ) ، ص ٢٠ — ٢١ — ، العزيزى ، السلوك ، ص ٦٤٠ . ودرات فاطمة بادق . فيه امتثالا من العزيزى على السلطان . — ٤ — ابن الفرات ، ج ٦ قسم اول ورقة ٤٤ ق .
- (٥) الطولوندى ، ج ٤ ، ص ٣٦ ، العزيزى ، السلوك ، ص ٥٣٦ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، ورقة ٧٧ و — ٦ — العزيزى السلوك ، ص ٤٠١ . — ٧ — ابن عبد الظاهر ، ص ٣٣ ، العزيزى ، السلوك ص ٥٤٩ ، ٥٣٨ .



كان حفرهما في عهد عز الدين ايبك • ولم يسمح للفانسي ان يدف له لانه جاء متفانيا •  
ووقف الى جانب خصمه (١)

وحضر دار العدل في رجب سنة ٦٦١ هـ واوصى بعدم استيلاء الوصي على اموال  
خاندانشيته حتى لا يضيع مال اليتيم وامر بفتح اموال اليتامى والتحقيق مع الاوسياء (٢) •  
وفي ذي القعدة سنة ٦٦١ هـ كان في الاسكندرية فحضر دار العدل فيها (٣) •  
وحضرها ايضا في محرم سنة ٦٧٢ هـ • ثم اوصى نائبه فيها ان يحضر دار العدل اثنا •  
فيا به ليقضي بين الناس :

وهناك امثلة اخرى غير هذه الحضوره دار العدل • ويتبين منها جميعا ان الظاهر  
كان دينا في محاكماته • فقد زعم رجل في بداية سنة ٦٦٢ هـ ان شيخ الحنابلة يتمنى  
زوال دولته لانه لم يجعل المحابلة نصيبا في مدرسته الدارعية في مصر ، فتعق من الامر  
ووجد انه ادم يدس على الشيخ فعاقبه (٤) • وجاءه رجل في نفس السنة وادعى ملكيسة  
بستان سمودر منه في ايام عز الدين ايبك فدنى الظاهر برد البستان له بعد ان اتى  
المدعى باوراق تثبت دعواه (٥) •

وكذلك كان السلطان دينا في مرافعة النساء • ففي صفر سنة ٦٦٠ هـ اعتقل الفانسي  
برهان الدين السنجاري ثم عزله (٦) وفي سنة ٦٦٩ هـ عزل الفانسي

- (١) ابن عبد الظاهر ، ص ٢٥ - ٢٦ : اليونيني ، ج ١ ، ص ٤٨٨ ، ج ٢ ، ص ١٥٤ •
- (٢) ابن عبد الظاهر ، ص ١٠١ ، والمقرئى ، السلوك ، ص ٥١٢ ، وقد جعل المقرئى تاريخ  
هذا التعديل سنة ٦٦٢ هـ - ٣ - المقرئى ، السلوك ، ص ٥٠٠ •
- (٤) ابن عبد الظاهر ، ص ٩٠ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٥١٣ •
- (٥) ابن عبد الظاهر / - ٦ - راجع ص ١٤٠ اعلاه •

شمس الدين بن خلكان في دمشق (١) واجرى تحقيقا مع قاضي اتهم في سنة ٦٢٠ هـ .  
 بان لديه ودائع لتجار مات بعضهم فتبين للمسلطان صدق التهمة ، فاعتقل القاضي وصادر  
 داره (٢) . وهنالك نصته مع الشيخ خضر . فقد اعتقله في سنة ٦٢٤ هـ لكثرة الشكاوى  
 عليه ، مع انه كان اشيرا عنده ، وحقق فيما نسب اليه وابناه معتقلا وتوفي بالمعتقل (٣) .  
 لكن تدابير هذه لم تحل دون وقوع المظالم لاسيما في دمشق . وقد صدف ان  
 كان فيها ثلاثة قضاة اسم كل منهم شمس فقبل فيهم :

اهل الشام استرابوا	من كثرة الحكماء
اذ هم جميعا شهور	وحالهم في ظلام

وتبل ايضا :

بدمشق آية قسـد	ظهرت للناس اماما
كلما ولي شمس	قاضيا زادك ظلما (٤)

وكان للقضاة لباس خاص مميز يختلف باختلاف الرتب . فقد كان كل من القاضي  
 والعالم يلبس عمامة شاش كبيرة ويرسل بين كتفيه ذوابة تمتد حتى اخر سرج دابته ، او كان  
 يلبس الطيلسان موز الذوابة . اما قاضيا الحنفية والشافعية فتميزا بلبس طرحه تستسر  
 العمامة وتنسدل على الظهر . ولا يجوز للقاضي ان يلبس الحرير ولا الالبسة الملونة فسي  
 المنزل (٥) .

---

(١) المقرئى ، السلوك ، ص ٥٩٦ ، هو القاضي شمس الدين الحنبلي ، وقد ذكر ابن الفرات  
 (ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٩٢ - ٩٦) الكثير من سيرته .  
 (٢) المقرئى ، السلوك ، ص ٦٠٣ ، - ٣ - راجع ص ٩٨ ، اعلاه .  
 (٤) ابوشامه ص ٢٣٦ - ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ١٣٧ .  
 (٥) القلقشندي ، ج ٤ ، ص ٤١ .

## الفصل السادس:

### بيبرس في علاقاته الخارجية - قسم اول

- عندما تسلم الظاهر بيبرس السلطنة وجد نفسه امام عناصر مختلفة تتحد للقضاء عليه . وهي القوات الصليبية والقوات المغولية وما يتبع هاتين المجموعتين من قوات محلية مساييرة لهما خوفا منهما او حقدا على الظاهر ، كدولة السلاجقة وكدولة الارمن . وطالما عملت هذه القوى للاتحاد في محاربة السلطان بيبرس . وكان طبيعيا امام هذا الواقع ان يتبع السلطان الظاهر سياسة تؤدى الى شق الخصم من ناحية ، والى انشاء كتلة من المؤيدين تناصره ، والى تقوية جيشه . يكون الدعامة الاولى في هذا الصراع . اما الجيش فالحديث عنه في مكان آخر . واما شق الخصم فواضح من محالفته مع القمياق ومحاولة التحالف مع الاشكرى . واما كتلته التي انشأها فكانت القوات المملوكية محورها . ولتأمين هذه الكتلة فقد سائر بعض المواقع الصليبية في بلاد الشام في البداية ، ثم انشأ صداقة مع صاحب اليمن ، واخيرا احتل بلاد النوبة .

وقد يسهل علينا ان ننظر الى هذا الصراع على اساس ديني . ولا سيما اذا تذكرنا ان السلطان الظاهر كان دائم الاشارة الى ان هدفه هو نصرة الاسلام ومقاومة خصومه . ولكنني ارى ان هذا الصراع كان سياسيا قبل كل شيء . آخر . ان بيبرس لم يقاتل النتر (١) لانهم مالوا للمذهب المسيحي النسطوري ، ولم يقاتل الصليبيين لانهم نصارى . الحرب بين

---

(١) كان المغول متساهلين دينيا . ويبدو ان الاكثرية كانت بوذية مع ميل للنصرانية النسطورية . E. Blochet ، النهج السديد ، ص ٣٧٢ ، ملحوظة ٣ ، و ص ٣٧٣ . R. Grousset ج ٣ ، ص ٥١٩ . ويرى الاول ان العدا " بين البوذية والاسلام قديم مستحكم . لكن المقریزی ( السلوك ، ص ٢٠٥ ) يقول انهم " كانوا لا يدينون بدين الا انهم يعترفون بالله تعالى من غير اعتقاد وشريعة " .

السلطان والتتر سياستقي حفيتهما . ومبعث هذا الصراع حماية الدولة المملوكية الناشئة من خطر مداهم . لقد استطاع المماليك ان يرجعوا التتر الى ما وراء الفرات وما هم يهددون الصليبيين بالابادة ، فطبيعي ان يعتمد التتر للثأر وان يعتمد الصليبيون للدفاع ، وطبيعي ان ينتهج بيبرس سياسة تمنع تكتل هاتين القوتين ، او تضعف هذا التكتل بحال حدوثه . ان توسع المغول نحو الغرب ادى بهم الى الاصطدام بالمماليك ، فكانوا الحلفاء الطبيعيين وكانت الخصومة سياسية في طبيعتها . ان المغول لم يقوموا بحرب دينية على المماليك (١) . وحالف الظاهر بيبرس المغول القبشاق ، وليسوا كلهم مسلمين ، ومحاربه ايلخانات فارمر وهم مسلمون ، لما ينبغي ان يكون الصراع دينيا .

ولنستعرض الان هذه العلاقات :

#### ١- التتر - المرحلة الاولى :

في مطلع القرن الهجرى السابع الميلادى الثالث عشر ، بدأ ظهور التتر بشكل يوشعر في تاريخ الخلافة العباسية ، في الجهات الشمالية من بلاد الصين ، جنوبي فري بحيرة بايكال . ثم اتحدت القبائل التركية والتتية واخذت تزحف الى الغرب (٢) وكانت خلال هذا الزحف تتصل بالاوروبيين لتضع الخلافة بين شقي الرحى (٣) . وفي سنة ٦٥٤ هـ عظم امر التتر وتواترت الانباء بفصد العراق والزحف نحو بلاد الشام وبينما كان التتر يزحفون الى الغرب بقواهم المنتصرة هذه كانت الخلافة فسي بغداد

- 
- (١) ( R Grousset ) ج ٣ ص ٥٦٢ ، ملحوظة ١ .  
(٢) المفريزى ، السلوك ، ص ٢٠٤ : ( W Barthold ) مادة ( "Tatar" ) الموسوعة الاسلامية مجلد ٤ ص ٧٠٠ ، ٧٠٢ .  
(٣) كما جرى سنة ١٢٤٥ مع البابا كلمنت الرابع ( Clement IV ) و ١٢٤٧ مع اينوسنت الرابع ( Innocent IV ) وسنة ١٢٥٢ مع لويس التاسع ( P Grousset ) مجلد ٣ ص ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢٥ .

بيد المستعصم بالله الذي كان "سهل الاخلاق ٠٠ خفيف الوطأة ٠٠٠ مستضعف الرأي، ضعيف البطش، قليل الخبرة بامور المملكة، مطموعا فيه، غير مهيب في النفوس ٠ ولا مطلع على حقائق الامور ٠ وكان يخفض جيشه، ويهمل تحذيرات صاحبي الموصل واربل له، ويعني بجمع المال ويسماع الاغاني والتفرج على المساخرة" محاطا باصحاب "مسئولين عليه وكلهم من ارازل العوام، الا ابن العلقمي، مما حال دون وصول الاخبار الصحيحة اليه (١) ٠

وفي محرم سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ كانت الجيوش التتارية تحاصر بغداد من الجهة الغربية بقيادة بايجو، ومن الجهة الشرقية بقيادة هولاءكونفسه، ونشبت معركة عنيفة اسفرت عن استسلام الخليفة لهولاءكونفي ٤ صفر / ١٠ شباط ونهاية الخليفة والخلافة العباسية في بغداد (٢) ٠

- 
- (١) ابن الطقطقي، الفخرى، ص ٢٤٢، ويؤيده في ذلك اليونيني، ج ٢، ص ٨٦، ٢٥٤ — ٢٥٦، ابو الفداء، ج ٣، ص ٢٠٢، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٥، ٤٨، ٦٤ ٠
- (٢) ابو شامة، ص ١٩٩، ابن الطقطقي، الفخرى، ص ٢٤٤ — ٢٤٥، اليونيني، ج ١، ص ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٩ ٠ ابن الفوطي، ص ٣١٩، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٣ ٠ ابو الفداء، ج ٣، ص ٢٠٢، ٢٠٣ ٠ الذهبي، ج ٢، ص ١٢٠ ٠ المقرئ، السلوك، ص ٤٠٧ — ٤٠٩، وهو وابو شامة يجعلان مقتل الخليفة في سادس صفر، ابن تغري بردي النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٥ — ٤٨ ٠ ٥٠ ٠ ولا بد من الاشارة هنا الى ان جميع المصادر باستثناء ابن الطقطقي يجعل ابن العلقمي الخائن الذي خامر مع هولاءكون ولعب الدور الاول في اسقاط الخلافة، بينما يجعله ابن الطقطقي الوحيد الذي "كان من اعيان الناس وعقلاء الرجال ٠ وكان مكفوف اليد مردود القول يترقب العزل والقبض صباح مساء" (ص ٢٤٢) والذي كان يشير على الخليفة "بالتيقظ والاحتياط والاستعداد" لمعرفته بحقيقة الواقع (ص ٢٤٤) ٠ وينفي عنه المخاينة ويثبت ذلك بان هولاءكون لم يكن ليستخدمه لو كان مخامرا لقله الثقة به (ص ٢٤٧) ٠ ثم تنتهي حياته عند ابن الطقطقي (ص ٢٤٧) بمرض بينما يختلف المؤرخون الآخرون فيما اذا كان اهين ام اكرم على يدي هولاءكون قبل موته ٠ اما استسلام الخليفة فيقال فيه انه عائد لانخداعه بان هولاءكون متعدد لتزويج ابنته بابي بكر بن المستعصم بالله ٠ واما كيفية نهايته فقبل انها اختناق او اغراق بالماء او فرس في الكيس او تغطيس ببساط ٠

وانتشر الذعر بين الناصر واخذوا يغادرون بغداد طلبا للنجاة • واعتبر سقوط

الخليفة داهية اصابت الاسلام لا افزع منها ولا ادهى (١) •

ثم توافد الملوك على مولايك يعلنون له الالفة ، ثم عين مولايك الامير على بهادر

شحنه ببغداد وعين فيها الصدور والنظار والنواب (٢) •

وبعد هذه الترتيبات اندمجت جيوش التتري ثلاثة اتجاهات • فعمد مولايك

مران وحاج مراد بن ومياقاريسن حتى استسلم صاحباهما • واندفع سندعون نحو الموصل

والجزيرة وسنجار • فاستسلمت الموصل وقتل صاحبها وهرب ابناء الى العاصفة ، ركب صاحبها

الجزيرة وسنجار الى دمشق فاعلمه • واتجه سقوط بن مولايك نحو حلب وارسل اليها رسالة

يطلب فيها قبول شخصين مغوليين في المدينة والقلعة حتى اذا انهزم الناصر سلاح الدين

يوسف كانت حلب لهما واذا انهزمت الجيوش التتري كان الراي لاهل حلب ، فرفض الناصر

ودخل التتري حلب سنة ٦٥٨ ، كانون الاول ١٢٥٩ واعطوا السيف في رصاص

ابنائها • اما القلعة فلم يدخلوها حتى ربيع الاول •

---

(١) اليونيني ج ١ ص ٨٥ • وام تنفذها حملات جيوش الماليك في مصر عندما كانوا

يخارسون المماليك والبحرية عند العباسية (عن اليونيني ، ج ١ ، ص ٨٩) •

(٢) اليونيني ج ١ ، ص ٨٩ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٥ • ابن الفواري ، ص

٣٣٢ ، ٣٤٧ ، المغرزي ، السلوك ، ص ٤١٠ •



وكانت معركة عين جالوت في رمضان ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م ثم معركة حمص في  
محرم سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠ وتراجع التتر بعدها عبر الفرات (١) .

(١) كان سيف الدين قطز قد ولي السعيد علاء الدين بن بدر الدين لؤلؤ نائبا على حلب  
واقطع بعض امراء العزيزية والناصرية ارضا بجوارها . فاما السعيد السيرة حسبي  
ابنهم الناصر الجند . ولما قتل السلطان قطز استعمل التتر العرمة وعاودوا الهجوم  
الى البيرة في ذي الحجة سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م فارسل نائب حلب نجدة صغيرة  
الى البيرة ابادها التتر فغلب الامراء من السعيد واعتلوه في ١٦ ذي الحجة ونفوه  
الى قلعة مجاورة وولوا عليهم الامير حسام الدين الجوكندار . وفي هذه الغزوة  
انتقم التتر حلب وبدلوا الامان لاهلها وهرب حسام الدين الى حماه لتحذيره فاساء  
به الضن ثم ضرب امير حماه ايضا لما تحقق الخبر . وهناك التتر بامانهم لاهل حلب  
واعملوا السيف في رقابهم .

وعند حمص جمعت قوات حمص وحلب وحماه وهي نحو الف واربعماية جندي مقابل  
سنة الاف المتتر . فانتصرت قوات المدن الثلاث وتراجع التتر ودخلوا حلب مرة ثالثة  
ودعوا الناصر للانقسام حلبيين وامراة . فالت كل جماعة ان السلامة في العرمة الاخرى  
ولما تم الانقسام ضرب التتر اعناق الاعراب وتناقموا الحلبيين اسرى فيما بينهم .

ثم استطاعت قوات فخر الدين الحمصي وعلم الدين منبجر الحلبى من قبل  
الظاهر ان تستعيد حلب في اواخر سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م وبعد ذلك سارت حلب  
مركزا هاما بالنسبة لمقاومة التتر والغشاة على الفرنجة ومهاجمة اميا الصغرى . استبد  
سارت منطلقا للدفاع والهجوم معا (ابن عبد الظاهر ص ٣٢ - ٣٤ - ٤٣ ، ابو شامة ،  
ص ٢١٢ . اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٧٥ ، ٤٣٤ ، ٤٣٦ ، ٤٣٩ ، ٥٥٤ ، ج ٢ ، ص ٣  
٧ ، ٨٩ ، ٩٣ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ٤١٠ ، ٤٦٩ .  
ابو الغداء ، ج ٣ ، ص ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩ . ابن ابى الغضائى ص ٧٠  
٧٢ - ٧٤ ، ٧٧ ، ٨٠ - ٨١ ، العزيزي ، السلوك ، ص ٤٣٩ - ٤٤٠ ، ٤٤٢ ، ٤٦٣ ،  
٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٥٨٣ . ابن تغرى بردى ، النجوم مج ٧ ، ص ١٠٤ (٠) .



وبهذا اختتمت المرحلة الاولى من التوسع التتري نحو الغرب ، وفيها تعدد على التتري ان يسيطروا على بلاد الشام . فلجأوا الى خطة المناوشة والهجمات التخريبية المحدودة فسي مرحلتهم الثانية .

اما السلطان الظاهر فوجد ان الوسيلة الفضلى لمقاومة التتري هي في الجمع بين الوسائل الدبلوماسية والعسكرية معا . كانت للتتري ثلاث دول متناصرة في الصين والعشاق وفارمو . وقد كانت عدائته موجهة الى الايخانات فارمو فلا بد ان اباد من مبادء القبشاق . وقد استمرت المفاوضات بين الظاهر وبركة خان نحو من سنتين ادت الى تحالف بينهما ونزع الايخانات بين شقي الرحى (١) .

### المرحلة الثانية :

انتهت هذه المرحلة بوفاة مولاكو سنة ٦٦٤ هـ (٢) / ١٢٦٥ م . وقد جرت فيهما عدة مناوشات بدأت سنة ٦٦٠ هـ حين اجموا الموصل باتباء طلب فارمل السلطان الظاهر الجيش للقائهم بمبيت بجماعة اخرى حرو الاعشاب في طريق التتري فتوفي الزحف (٣) .

وفي سنة ٦٦١ هـ اجم التتري طعة الروم فبعث نائب البيرة ، الحد الفاصل بين الايخانات والمماليك ، والمرشد لتحركات التتري ، يعلم السلطان بذلك (٤) وفي محرم سنة ٦٦٣ هـ ، بينما كانت القوات المملوكية متفرقة في الحراي ، وبينما كان الظاهر في المييد عند التتريواتهم عند البيرة ، طنا منهم ان المماليك لن يستطيعوا جمع جيوشهم لصد هجم . واكن السلطان سرعان ما جرد نحو اربعة الاف جندي بقيادة بدر الدين الخزندار وامر بتجريد اربعة الاف اخرى بقيادة عز الدين ايسان . وسار الجيشان في ٤ ربيع الاول ،

(١) انظر ص ١٦٦ وما بعده ما دناه . - ٢ - قال ابو الفداء ( ج ٤ ، ص ٢ ) والمقريزي ، السلك ، ص ٥٤١ ، وابن ابي الفاضل ( ص ١٤٥ ) ان الوفاة وقعت سنة ٦٦٣ هـ ، ولو انهم لم يتفقدوا حول اليوم الذي مات فيه . وقال ابن تغري بردي ( النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ١٤٥ ، ٢٢٠ ) والد هبي ( ج ٢ ، ص ١٢٨ ) ان وفاته كانت سنة ٦٦٤ هـ ، اليونيني سنة ٦٦٤ هـ ، السلك ، ج ٢ ، ص ٣٥٧ ، ٣٦٠ ، - ٣ - ابن عبد الظاهر ، ص ٥٨ ، ما بوشامه .

وارسل الى المنصور ما كتب عنه ايناسم الى الجيشين الاولين ، فتراجع التتر عن البيرة  
مع انهم كانوا قد نصبوا عليها ١٧ منجنيقا .

وتابع الظاهر سيره حتى وصل مييذا وهنا جاءه الخبر بتراجع التتر ، فمسر بذلك ، وارسل  
الى البيرة الالات والمدعة والجند والمؤونة ما يكفيها احصاء عشر سنوات (١) .  
لم تكن هذه المرحلة اولى ولكن السلطان الظاهر افاد منها كل الافادة . فقد وجد  
فيها متسعا من الوقت للاستعداد ، ولحقه التحالف مع بركة - ان ، والمقناة على المنيش ،  
والمقناهم مع الفرنجة في جنوب بلاد الشام الموقوف على الحياض في المراع المقبل (٢) .  
والمقناهم مع الفرنجة في جنوب بلاد الشام الموقوف على الحياض في المراع المقبل (٢) .

### المرحلة الثالثة :

بدأت هذه المرحلة بارتفاع اباغا الى السلطنة الايلخانية سنة ٦٦٤ هـ / ١٢٦٥ م . وهي  
المرحلة الثالثة والنهاية في المراع بين بيبرس والتتر . وقد كانت اطول احراراً واعنفها  
واكثرها تعقيدا . فقد كانت بين طرفين من حيث الاسم ، ولكنها تناولت السلاجقة والارمن  
والصليبيين والاوربيين ، وفي الواسع ، وجرت معاركها في شمالي بلاد الشام ، وفي  
اسيا الصغرى ايضا .

وتتميز هذه الفترة بما يلي :

اولا : محاولات جديدة للمقناهم بين التتر والاوربيين المعيام بحملات مشتركة على المماليك .  
ثانيا : اتصالات بين اباغا والسلطان الظاهر ، للمقناهم في الظاهر ، ولالامراء في الحقيقة .

---

(١) ابن عبد الظاهر ص ١١٩ - ١٢٠ ، أبو الفتح ص ٢٢٢ ، اليونيني مج ٢ ، ص ٣١٨ ، ابن ابي  
الفضل ص ١٣١ - ١٣٢ . ابن الغرات ج ٦ ، ص ٤٦٠ - ٤٦١ ، والمقريزي ، السلوك ، ص  
٥٢٣ - ٥٢٥ ، ٥٤٣ . وهنا في مييذا د . ب المصيد وتفتطر وانهم وجدوا ، وجاءه صاحب  
ياقا بهدايا . ( المقريزي ، السلوك ، ص ٥٢٤ ) .  
(٢) ( F Sadeque ) ، ص ٤٦ - ٤٧ .

ثالثاً : ميل الاشكرى (بيزنطية) الى التتر صراحة .

رابعاً : الحملات العسكرية العنيفة في بلاد الشام وفي امسيا السمرى .

على انه ينبغي ان نعلم هذه المرحلة الى قسمين امتد الاول منهما الى سنة ٦٧٤ هـ وامتد القسم الثاني منهما حتى وفاة السلطان الظاهر . وقد اعتبرت الحنتيسن الاخيرتين جزءاً من هذه المرحلة الثالثة لعلاقتها الوثيقة بما جرى خلال السنوات العشر الاولى منها ، بين الظاهر والتتر . ولان المعارك فيهما كانت امتداداً للمعارك السابقة . واعتبرت فيهما مميزتين عن السنوات العشر الاولى لان المعارك فيهما جرت خارج اراضي السلطنة المملوكية ، ولان الظاهر ، فيها يخيّل الي لم يقم بها المجرد الدفاع فقط .

وفي ذى الحجة من سنة ٦٦٤ هـ ارسل اباقا هدية ورسالة للظاهر ببيبرس يعرض فيها المصالحة (١) ولكن هذه المحاولة فشلت . فعقد اباقا الى وسيلة اخرى لمجابهة خطر المماليك وهي الاتصال بالفرنجية للتحالف معهم وعاد الى مهاجمة بلاد الشام . وفي ٦٦٥ هـ ، افارت فواته على الرحبة ونهبت وخرت (٢) . وفي صفر سنة ٦٦٦ هـ افارت فواته على حلب لكنها تراجعت امام استعدادات الظاهر (٣) ثم اتصل بالبابا لعقد حلف لمحاصرة المماليك وما لاحت له تباشير نجاح هذه الخطة حتى ارسل للظاهر رسالة مع جماعة من التتر ومن اصحاب سيمر يهدده فيها ويندد باصله ثم يدعو له عقد الصلح فرد الظاهر على ذلك بالمطالبته بالعراق والجزيرة وبلاد الروم وبلاد الشام (٤) .

---

(١) اليونيني ج ٢ ص ٤٦٧ . المقرئى ، السلوك ص ٥٥٣ . ابن تغرى بردى النجوم ، ج ٧ ص ١٥٥ ، ١٥٦ - ٢ - ابن الفرات ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٥ - ٣ - ابن الفرات ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ١٣ ، المقرئى ، السلوك ص ٥٦٤ - ٤٠ - ابن الفرات ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٢٩ ، ٤٠ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٥٧٤ . ابن تغرى بردى النجوم ، ج ٧ ص ١٥٤ .

وبعد الاتفاق مع الفرنجة على ان يهاجموا ساحل بلاد الشام ، قامت قوات اباقا في شهر  
٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م بهجوم على حلب . فارسل الظاهر علاء الدين البندقداري الى شمالي  
بلاد الشام ليحول دون وصول الجيوش الفرنسية القادمة من سيجر عبر البحر ، وسار بنفسه الى  
حماه في ربيع الاول ، ورد هجوم من الفرنجة عكا على جينين وسفد ، وواصل السير الى دمشق  
ودخلها في ٧ ربيع الاخر . وشملت هذه الحملة المشتركة لسرعة تحركات الظاهر من جهة  
ولانعدام الانسجام والتوقيت المناسب بين القوات التركية والفرنجية . زد الى هذا ان الحملة  
التي كان لويصال التاسع يهيئها المشرق ، انخرقت الى تونس . ولعل الممدمة ايضا قد افسى  
انتصار الظاهر ان ربحا ثبت على سفن القوات الفرنسية فاغرقتها (١) .

وعاد الظاهر الى القاهرة . وفي محرم سنة ٦٧٠ هـ بدأه بجولة تفتيشية في بلاد الشام  
فمر في الكرك ثم دخل دمشق في ١٢ محرم ، ثم قصد حماه في ١٦ محرم وعاد الى دمشق في ٢٦ منه  
ثم جاء الخبر بان اباقا امر البيروانيه بجمع بلاد الشام بعشرة الاف جندي . وفي ربيع الاول  
وشملت هذه القوات عينتاب وعق حليم فاشاع الظاهر اخبار الزحف التركي بصورة تويسية  
ليهرب السكان ، وتراجعست حاميته ليتوغل الحزول اعلاه يستدرجهم الى الداخل فيبيدهم  
وما ان انتصف ربيع الاول حتى كانت نواته بقيادة بدر الدين بيسرى والمسنر الغاراني وبعض  
جيوش العربان تف امام التتر تردا على اعقابها . ووصل بقواته الى البيرة ودخلها فـ  
٢٥ جمادى الاخرة .

اما التتر فتراجعوا عبر الغرات ، لكنهم عادوا الى مهاجمة حران في ٢٥ رمضان فردهم  
مرة اخرى ثم عاد الى دمشق والقاهرة فدخلها في ٢٣ محرم سنة ٦٧١ هـ . ثم عاد الى دمشق  
في ٢٩ منه وبقي فيها حتى ٥ جمادى الاولى .

---

(١) المقريزي ، الملوك ص ٥٨٤ — ٥٨٥ .

ورأى ابافا نفسه عاجزا عن متابعة الحملة لاسيما وقد تحرك الفشاق والجفط الى  
(١) فعاد الى مفاوضة الظاهر مرة اخرى . فارسل اليه في نهاية ٦٢٠ هـ ، بواسطة البروانساء  
يدعوه اليه لعقد الصلح . ثم اسفرت هذه الاتصا لات عن ارسال وفد من قبل الظاهر الى ابافا  
المفاوض . وطلب الوفد الظاهري استعادة ما استولى عليه ابافا من بلاد المسلمين فرفض  
ابافا واقترح استمرار الوضع الراهن . ثم حصلت مشادة بين الطرفين فعاد الوفد الى دمشق  
في ١٥ صفر ٦٢١ هـ (٢) .

ولما فشلت المفاوضات عاد التتر الى الهجوم مرة اخرى . ففي ٥ محرم ٦٢١ هـ  
كان السلطان في دمشق فعلم بحركة التتر الى الرحبة فذهب الى القنبر فعاد التتر الى البيرة .  
وهنا قصد السلطان القاهرة ووصلها في ١٣ منه واصدر تعليماته للاستعداد للدعاب الى  
بلاد الشام ، ثم كتب الى نوابه وامرائه في بلاد الشام ليتجهزوا . وفي ١٥ منه اجري تمارين بحرية  
وفي يوم الاربعاء ١٩ منه ساق الى بلاد الشام . ومرة اخرى اعاد ابافا المحاولة لعقد الصلح  
اذ ارسل وفدا يدعوا الظاهر الى استنابة من يشاء للمفاوضة فرفض وتابع استعداداته وتدريباته  
واجري استعراضا عسكريا في ظاهر دمشق حضره الوفد التتري ثم عاد الوفد في ٤ ربيع الاول سنة  
٦٢١ هـ .

وفي ٥ جمادى الاول سنة ٦٢١ هـ كانون الاول ١٢٢٣ نزل التتر على البيرة  
ونصبوا عليها المجانيق وسدوا معاير الفرات . وامام هذا الهجوم جهز الظاهر الامير فخر  
الدين الحمصي الى جهة حام وجهاز علاء الدين الحاج طيبرمر الوزير الى جهة اخرى  
نحو الفرات ، وارسل جماعة الاستطلاع اخبار التتر فعملوا ان عددهم نحو ثلاثة الاف جندي .

(١) ابن ابي الفضائل ص ١٤٥ ، ابن الفرات مج ٦ قسم ٢ ، ورقة ٣٨ ، ٧١٠ ، المقرئى ، السلوك  
ص ٥٤١ .

(٢) اليونيني ج ٢ ، ص ٤٦٧ ، ٤٧٢ ، باب الفداء ج ٤ ص ٧ ، ابن الفرات مج ٦ قسم ٢ ورقة ٩٠ ،  
٩١ وورقة ١٠٠ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٦٠٠ .

وفي ١٨ جمادى الاولى اتبع الظاهر الجيوش الثلاثة بجيش رابع بقيادته ومعه نحو عشرة مراكب صيادين مفككة جهزها في بحيرة حمص محمولة على جمال . ووصل الفرات فوجد التتر مرابطين على الشاطئ " المقابل فانزل مراكبه في النهر ليصنع منها جسرا وشحنها بالجنود وتراموا مع التتر بالنبال والنشاب حتى استطاع فلاوون ان يخوض الفرات ومعه عدد من الجنود وعدة وافرة ثم تبعه بدر الدين بيسرى الشمسي في جمع اخر من الجند . ثم التقى الجنود بانفسهم على الفرات وعاموا فيه " الفارمر الى جانب الفارمر وهم متما مكون بالاعنة ومجاديفهم رباحهم — وعلى خيولهم الحديد " واجتازوا النهر حشودا لا افرادا ثم انتشروا ياء سرون وينهيسون . ولم يجدوا للشراثر افظن الظاهر ان التتر يكمنون له . فلم يتبعهم ، بل اكتفى بالامتلاء على البيرة وكان جيشه قد لاقى مشقات كبيرة في هذه الحملة .

ثم منح نائب البيرة هبات وخلعا واموالا . ووزع العطايا على اهل البلد وزاد عدد جنود الحامية ، ثم نقل راجعا الى دمشق ، فالقاهرة (١) .

وفي محرم سنة ٦٧٢ هـ / تموز ١٢٧٣ م عرف السلطان ، وهو في القاهرة ، ان ابافسا توجه الى بغداد بجيش كبير ينوي اقتحام بلاد الشام . فاعلن الظاهر النعير العام . اذ اوجب على الجميع ان يتهيأوا للحرب ، ثم توجه الى دمشق فوصلها في ١٧ سفر / ايلول حيث علم ان التتر تراجعوا بعد ان علموا بوفاة البابا غريغورى العاشر واستحالة قدوم حملة صليبية مؤيدة لحملته من الشرق . فعاد الظاهر الى القاهرة . ثم عاد التتر للهجوم مرة اخرى في جمادى الآخرة سنة ٦٧٢ هـ ، فبعث السلطان الامير ميسى بن مهنا فتراجع التتر ظنا منهم انه السلطان وفي جمادى الآخرة سنة ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ ، عاود التتر الهجوم على البيرة ، فتاهب السلطان ملاقاتهم فوصل الى حمص حيث علم انهم عادوا (٢) .

(١) ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ٧ ، الذمى مج ٢ ، ص ١٣٤ ، ابن ابى الفضائل ، ص ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ، ابن ابى الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ١٠٠ — ١٠٣ ، المقريزى ، السلوك ، ص ٦٠٤ ، ٦٠٧ ، ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ ، ٢ — ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ١٥٩ ، الذهبى ج ٢ ، ص ١٣٣ ، ابن ابى الفضائل ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، المقريزى ، السلوك ، ص ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦٢١ .  
( F Sadeque ) ، ص ٦٣ .

وفي السنتين الاخيرتين من حكمه كانت الاصطدامات في آسيا الصغرى . هنا كان السلطان الظاهر قد اخذ يطمح باحتلال آسيا الصغرى، بعد ان عقد هدنة مع الفرنجة في بلاد الشام، وبعد ان فشلت محاولات التفاهم بين التتر والاوروبيين لتطويقه . لم يكن الدفاع هو العامل الذى حدا به لهذه الحملات الاخيرة وانما هو عامل التوسع .

وفي رمضان سنة ٦٧٥ هـ / ١٢٧٧ ، استناب السلطان الامير اسنقر الفارقاني في خدمة ابنه الملك السعيد وترك لهما خمسة الآف جندي، ثم خرج في ٢٠ منه الى المنزلة حيث عيّد العيّد . وفي ١٢ شوال غادر المنزل الى بلاد الشام ومعه وزير الصحة وكبار الامراء ووصل دمشق في ١٧ منه، ثم دخل حلب في اول ذى القعدة، ثم غادرها الى حيلان، من قرى حلب وجعلها قاعدة للهجوم على بلاد السلاجقة . وهنا امر نور الدين علي بن مجلي نائب حلب ان يتوجه الى نهر الساجور في منبج ويقيم على الفرات ليحول دون عبور التتر الى بلاد الشام . وهنا ايضا انضم اليه ابن مهنا لنصرته، ورد غزوة تترية واسر عددا ضخما من التتر (١) . وفي ٣ ذى القعدة قسم السلطان جيشه قسمين قاد احدهما بنفسه وقاد سنقر الاشقر القسم الآخر . وذهب السلطان الى كينوك او الحدث الحمراء في آسيا الصغرى، وكان احد قواده قد افتحها له سنة ٦٧١ هـ (٢)، ثم الى ككصو فاقجار بند وملكها كلها . اما سنقر الاشقر فاصطدم بنحو ثلاثة الآف جندي تترى وانتصر عليهم في ٩ ذى القعدة (٣) .

---

(١) ابن الفرات، ج ٦، قسم ٢، ورقة ٤٩ — ٥٠، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٦٦ — ١٦٧ . ٠ — ٢ — المقرئى، السلوك، ص ٦٠٨ . ٠ — ٣ — ابن الفرات، ج ٦، قسم ٢، ورقة ٥٠ — ٥١، وهو ينقل عن ابن عبد الظاهر وصفا دقيقا لطريق الحملة : المقرئى، السلوك، ص ٦٢٨، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٦٧ — ١٦٨ .

ولم يكن هذا الانتصار سوى بداية حملة استغرقت نحو من شهر . وبعد هذه المعركة احتشدت قوات الروم السلاجقة والترك عند نهر جيحان . فأرسل السلطان طليعة من جيشه تستكشف مكان العدو . فوجده في محراء ابستين منتظما في أحد عشر طبعا ، في كل منهم ألف فارس . وفي العاشر من ذي القعدة استقدم الجيشان وكانت الجيوش القتيرة تنقص ، وجرت معركة تنيفة ترجل فيها ورمز الترك وقاتلوا قتالا عنيفا . لكن الجيوش الظاهرية انطرتهم المتراجع والمجور الى المرتفعات المجاورة حيث حاطت بها قوات السلطان الظاهر وبادتها ، وفر البرواناء و السلطان السلاجقة ( ١ ) .

وجرد السلطان سنقر الاشقر لمطاردة الترك ، فزحف نحو نيسرية الروم ومعه كتاب امان لاهلها . ثم احقه حتى وصل العاصمة السلجوقية في ١٥ ذي القعدة فرحب به سكانها . وفي يوم الجمعة ، ١٧ منه ، وضع على راسه جترني سلجوق ودخل دار السلطنة وجلس على عرش السلاجقة ، ثم دخل الجامع للصلاة وخطب باسمه في جوامع نيسرية السبعة ( ٢ ) . وهنا وصلت رسالة تهنئه من البرواناء الفار يعدة فيها بالعودة اليه بعد ١٥ يوما لكن الظاهر لم يامن له . وفي ٢٠ ذي القعدة عاد الظاهر نحو بلاد الشام . وفي طريق العودة جرد جيشا بقيادة طيبر من الوزير لمهاجمة الرمانه الارمنية لان يشوم ناصر الروم في موقعه ابستين ثم واصل سيره الى ابستين وجمع بعض قتلى جيشه حتى اذا جاء اباغا الى الساحة توهم ان يتساي المماليك ليسوا كثيرا . ثم سار الى الدريند فحاصه وانساكية فحلبه حتى وصل دمشق في ٥ محرم سنة ٦٧٦ هـ . وما كان يدخل دمشق حتى علم بقدوم اباغا الى اسية الصغرى ، وتهايا لغمد بلاد الشام ، فعاد الى الاستعداد لملاقاته . ولكن اباغا تراجع ( ٣ ) .

- ( ١ ) ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ٩ ، ١٠ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٥١-٥٢ ، المقرئى السلوك ص ٦٣١ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٦٧-١٧٠ .
- ( ٢ ) ابو الفداء ، ج ٤ ص ١٠ ، مالدحى ، ج ٢ ، ص ١٢٣ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٥٢-٥٦ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٦٢٨ - ٦٣١ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٧٢ - ١٧٣ ، ابن اياس ، ج ١ ، ص ١٠٩ .
- ( ٣ ) ابن الفوطي ، ص ٣٨٩ ، ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ١٠ ، مالدحى ، ج ٢ ، ص ١٣٤ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٢٥٧ - ٢٧٥ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٥٦-٥٩ ، ورقة ٦٠ ، المقرئى السلوك ، ص ٦٣١ - ٦٣٣ ، ٦٣٥ ، ابن بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٧٣ - ١٧٤ ، ابن اياس ، ج ١ ، ص ١٠٩ .



وهنا ينبغي ان نسأل سؤالاين وهما : ما هو السبب المباشر لهذه الحملة ؟ وما هي فوائدها ؟ السبب الحقيقي للحملة هو استمرار الصراع بين السلطان الظاهر والتتر . اما السبب المباشر فهو ان البرواناء ، اتصل بالسلطان الظاهر سنة ٦٧٢ هـ يدعوه لاحتلال بلاد الروم ثم عاد فطلب من السلطان تأجيل حملته ، فاتصل امراء سلاجقة الروم بالسلطان الظاهر يدعونه لاحتلال بلادهم ويعدونه بالمعون . فعقد السلطان مجلسا عسكريا قرر فيه مهاجمة بلاد السلاجقة (١) وهكذا يكون السلطان قد هاجم فيصيرية بناء على دعوة من بعض ابنائها .

ولئن كانت زيادة الحملة قد برهنت عن ذراية عسكرية من حيث سد معابر الغرات الى بلاد الشام ، وارسال فرق استطلاعية قبل الهجوم ، وعدم اخذ اع بوعد البرواناء (٢) بالعسودة اليه بعد ١٥ يوما فان نتائج هذه الحملة لم تكن شيئا بالنسبة لما تكبدته فيها من نفقات ومشقات . وخسائر بالارواح ، لعلها لم تكن اقل من خسائر التتر . اليوم من المعقول ان نقول ان نتائج كانت اكبر من تلك التي التتر فعدت الى اخفاء هذه الحقيقة بدفن القتلى ؟ اما دخوله فيصيرية وجلسه على عرش السلاجقة فمن سبيل "المرجلة" الفارغة . لم يكن يكفيه انه رد التتر عن البصرة ، فلا داعي بعد ذلك لتحويل ميدان القتال الى اسية الصغرى . انما كان يتوقع البقاء في بلاد الروم ؟ است احس بذلك ممكنا وقد احس بريدك فور دخول فيصيرية ، فعد الى الانسحاب ، تاركا العاصمة السلجوقية للانتقام التتري . وعرب ان اباما واسل زحفه على بلاد الشام في صفر ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ فمادا كان يحدث والسلطان مريض مقيم منه ، والجيش لا يزال متعبا ؟ وكانى بابن ابي الفخائل يعتبر هذه الحملة معامرة لا فائدة منها (٣) . وما هو المفريزى يقول ان الخوف والندم ظهرا عليه وهو في فيصيرية لتوريط جيوشه في بلاد الروم (٤) . ثم ان ( E Blochet ) يرى ان الحملة كانت حماة لان الروم انفسهم لم يكونوا متفهمين على دعوته (٥) .

- 
- (١) اليونيسي ج ٢ ، ص ٣٤٧ ، ٤٠٤ ، ٤٠٦ ، ابن ابي الفخائل ، ص ٢٤١ - ٢٥٧ ما بين الغرات ج ٦ قسم ٢ ، ورقة ٣٤ ، المفريزى ، السلوك ص ٦٢١ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ .  
 (٢) معنى الكلمة . الحاجب ، وهو لقب يدوب التتر عند السلطان السلجوقي ، وقد ادسب سليمان الدين البرواناء هذا دورا هاما في هذه المعركة . انظر ١٨٣ ادناه .  
 (٣) ابن ابي الفخائل ، ص ٢٤٢ - ٢٤٤ . - ٤ - المفريزى ، السلوك ، ص ٦٢٣ .  
 (٥) ( E Blochet ) النهج الجديد ، ص ٣٨٧ .

والى جانب هذه الحروب المتواصلة بين ليلخانك فارس والارمن والسلاجقة الروم من جهة  
والظاهر بيبرس من جهة ثانية ينبغي ان لا ننسى علاقات اخرى بين الطرفين تتناول لجوء الكثيرين  
من التتروالسلاجقة الى الظاهر بيبرس . ففي ٢٧ ذى القعدة سنة ٦٦٠ هـ جاء الى دمشق  
نحو ٢٠٠ فارسي نزلوا معهم نساؤهم واولادهم هاربين من جيش هولاء الكوالمهزم امام جيش بركة (١) .  
ويوم الخميس ٢٤ ذى الحجة من السنة نفسها جاء الى مصر جماعة تترية مستأمنة فاكروهم  
الظاهر ومنحهم اقلعات كثيرة . ثم اخذ اللاجئين يتواترون جماعة اثر جماعة حتى خشي السلطان  
منهم وحذرهم . ففي رجب سنة ٦٦١ هـ علم ان طاعه بيرة منهم قادمة اليه فخرج لملاقاتهم  
بالسلاح حتى اذا كانوا خصوما حاربهم واذا كانوا اصدقاء اكرمهم . ولانوا اصدقاء . فانعم  
عليهم وتزوج بنت مقدمهم كرمون (٢) .

وفي محرم سنة ٦٦٢ هـ وصلته جماعة اخرى مستأمنة من بغداد . وفي جمادى الآخرة ايضا  
جاءه بعد امراء العراق فرارا من هجوم هولاء كوعلى بغداد . وفي سنة ٦٦٧ هـ بعد سلطنة  
ابنه بلاء ته دفعة اخرى (٣) . وفي صفر ٦٧٢ هـ وصله الامير شمس الدين بهادر امير طشت  
جلال الدين خوارزمشاه فاكروهم (٣) . وفي ١٧ محرم سنة ٦٧٥ هـ جاءه وهو في دمشق  
عدد كبير من الممولى والسلاجقة لخلافهم مع البرواناء وتأمره عليهم عند ابعا (٤) .

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٨ .

(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ٨٦ — ٨٨ ، ١٠٥ — ١٠٦ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٥٣٤ ، وج ٢  
ص ١٩٥ ، الذهبي ، ج ٢ ص ١٥٦ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٥٠١ ، ٥١٥ . ابن تغري  
بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٩٠ .

(٣) ابن عبد الظاهر ، ص ١٠٥ — ١٠٦ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٦ .

(٤) المقريزي ، السلوك ، ص ٦١١ ، ابن أبي الفصائل ، ص ٢٣٩ — ١٤٤ .

القبشاق فرع من المغول استوطن الاصقاع الجنوبية من روسيا . ويدعون بالقفجاق ايضا .  
اما المورخون الفرنجة فيدعونهم بالقبيلة الذهبية .

كان بركة خان (١) (١٢٥٦ - ١٢٦٦) اول سلاطينهم المشهورين وقد اعتنق الاسلام واختلف مع هولاكو، وكانت عاصمته سراي شرقي ستالينغراد (٢) . وفي سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦١ كان بركة خان قد اعلن اسلامه . وفي سنة ٦٦٠هـ وقعت الحرب بين بركة خان وهولاكو لاستيلاء بركة من تاسيس دولة الايلخانات بفارمروا شتمناع عن اعطاء القبشاق نصيبهم من الاسلاب (٣) . فكان طبعيا بعد هذا ان يتصل السلطان بيبرس بركة خان للدعوى معا على هولاكو .

وفي محرم سنة ٦٦١هـ ارسل السلطان الظاهر الفقيه مجد الدين والامير سيف الدين كشيريك برسالة وهدية الى بركة . وفي الرسالة حضر على الجهاد وعرض لما يقوم به في سبيل الاسلام واخبره باحياء الخلافة (٤) . والتقى وفد الظاهر في القسطنطينية بوفد من قبل بركة خان فعاد مجد الدين مع وفد بركة خان الى السلطان الظاهر، وتابع سيف الدين سيره الى بركة خان .

(١) كان " خفيف اللحية كبير الوجه في لونه اصفرار ، يلف شعره عند اذنيه . في اذنه حلقة فيها جوهرة ثمينة لبسه لباس ياتو عليه قباي خلطائي ، وعلى راسه سراقوق وحياصه من ذهب مجوهرة . وفي وسطه سولق بلعاري اخضر وفي رجله خفا حمراء . بلباد ابيض وليم في وسطه سيف . وفي حياصته قرون معوجة معممة بذهب . . . . جاله على تخت مرخي الرجلين على كرسي . لان به وجع النقرس " يستقبل السفراء في خراكة وعنده ٥٠ او ٦٠ اميرا ومعه زوجته . (اليونيني ، ج١ ، ص ٥٤٢) .

(٢) اليونيني ، ج٢ ، ص ٣٦٤ ، ابو الفداء ، ج٤ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٥٦١ ،  
W.Barthold مادة Bereke نقحها J.A.Boyle في الموسوعة الاسلامية ،  
الطبعة الجديدة ، مجلدا ، ص ١١٨٧-١١٨٨ .

٥٣ ابن عبد الظاهر ، ص ١١٦ ، اليونيني ، ج١ ص ٤٨٧ ، ٥٣٦ ، ج٢ ، ص ١٦١ - ١٦٢ ،  
الذهبي ، ج٢ ، ص ١٢٦ ، ابن ابي الفاضل ، ص ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٢٠ ، المقرئ ،  
السلوك ، ص ٣٩٤ - ٣٩٥ ، ٤٦٥ ، ٤٧٣ ، ابن تغر بردن ، النجوم الزاهرة ، ج٧ ،  
ص ٢٢٢ ، D'Oshosson ص ٣٧٧ .

(٤) ابن عبد الظاهر ، ص ٥٩ - ٦٠ ، ١١٣ ، ابن الفرات ، ج٦ ، ص ١١٩ ، المقرئ ، السلوك  
ص ٤٧٩ - ٤٨٠ .

ووصل وفد بركة خان القاهرة فخرج سنة ٦٦١ هـ / ١٢٦٣ عبر الاسكندرية ومعه رسالة مضمونها ان بركة خان " محب للدين وان هذا العدو يعني هولاكو قد تعدى على المسلمين واستولى على بلادهم . وقد رايت ان تفصده ، من جهتك وانصده من جهتي ونصده مدمة واحدة فنفتله او نظرده من البلاد . ومتى كانت واحدة من هاتين اعطيتك ما كان في يده من البلاد التي استولى عليها " (١) .

هذا ما كان يريد الظاهر .

ثم واصل الوفد الظاهري برئاسة سيف الدين كشرىك سيره الى بركة وفاد من عند بركة خان ومعه وفد اخر . وفي جمادى الاولى من سنة ٦٦٠ هـ ارسل الظاهر وفدا ثانيا الى بركة خان يعلن موافقته على ماورد في رسالته اليه ، ثم وصله وفد بركة في ردى القعدة سنة ٦٦٢ هـ والظاهر ينهيا للاستعراض العسكرى الكبير (٢) فحمل له دعوة باللوق (٣) وانعم على اعضاءه بهدايا سنية .

وردا على ذلك جهز السلطان وفدا من اعضاءه الامير فارس الدين افوش المسمودى الى بركة خان برسالة وهدية . وكانت الرسالة في سبعين ورقة بغدادية تحتوى على ايات واحاديث ترمب بالجهاد وتصف كثرة جند مصر ، ثم توافق على مقترحات بركة خان . وكانت الهدية تتضمن الحيوانات الغربية كالزرافة والفرد والمهجين والخيول العربية والحمير المصرية الوحشية والخدم والاحباش والجوارى والمشاعل والشمعدانات الفضية والحصر العبدانية والامتنعة والسياب وما الى ذلك مما لا يحصى كثرة (٤) .

- 
- (١) ابن عبد الظاهر ص ٨١ ، اليونيني ج ١ ، ص ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، وج ٢ ص ١٩٤ ، ١٩٥ ، ابن ابي الفضائل ص ١١٠ ، ١١١ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، ص ١٢ و .
- (٢) ابن عبد الظاهر ص ٦٠ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ابو شامة ، ص ٢٣٢ ، المترى ، السلوك ص ٥١٧ ، ٥٣٨ .
- (٣) وهي بساتين ومزروعات ليس فيها البنية الا ما عمره القاضي الفاضل ، ثم بنى الظاهر فيها الدور وانزل فيها القتر الوفود والمستامين ( المترى ، الخطط ج ٢ ، ص ١١٧ ، السلوك ، ص ٤٧٤ ، ٤٧٥ .
- ملحوظة ١ - ٢ .
- (٤) ابن عبد الظاهر ، ص ٨٢ ، ٨٣ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٥٣٤ ، ٥٣٧ ، ج ٢ ص ١٩٦ ، ١٩٧ ، ابن ابي الفضائل ، ص ١١١ ، ١١٢ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، ص ٣١ ، ٣٢ ، المترى ، السلوك ، ص ٤٩٥ .

وفي ١٧ رمضان سار وفد السلطان من القاهرة الى العسطنطينية • وكان الاشكرى  
فائبا من عاصمته في حرب مع الفرنجة ، وعنده وفد من قبل هولاء ، فسار الوفد الطاهرى  
اليه فاكتم اعضاءه • ووعدهم بالمساعدة عندما يعود الى العاصمة • فعادوا الى العسطنطينية  
لكنه استمر يماطلهم سنة وثلاثة اشهر • فاستادنه الوفد بمواصلة السير الى بركة خان اوبالعودة  
الى القاهرة • فادن لاحد الاعضاء بالعودة الى القاهرة واحتجز البقية وبينهم الامير فارس  
الدين افوش المسعودى ، نحو سنتين آخرين حتى هلك اكثر ما كان معه من الحيوان وفسد  
البقية (١) •

وفي هذه الفترة هاجم بركة خان العسطنطينية فهرب الاشكرى واستنجد بالامير فارس  
الدين فقال هذا لعدم العيشاق ان الاشكرى صديق للظاهر ، واعطاء وثيقة بانه باي عنده  
الاشكرى برضاء • ثم انسحبت الجيوش العيشاقية • وهنا سمح الاشكرى للوفد الطاهرى بمواصلة  
السير الى بركة خان ومعه رسالة تعهد فيها بغرامة سنوية معينة مقابل الصلح (٢) •

ثم سار الوفد الى بركة خان مارا على ساحل السودان فالتزم حتى استقبله مندوب بركة  
خان وانزل اعضاءه منزلة حسنة حتى كان يوم المائدة مع بركة خان • دخل اعضاء الوفد عليه  
بموجب الاداب المتبعة في بلاطه وثبتت الرسالة واعجب بها ، ثم اكرمهم واكرمهم

---

(١) ابن عبد القاهر ، ص ٨٢ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٥٣٨ ، ٥٤٠ ، ج ٢ ، ص ١٩٦ ، ابن ابي  
الفضائل ، ص ١١١ - ١١٢ • ابن الفرات ، ج ٦ ، ص ٤٧ ، ص ٥١ •

(٢) اليونيني ، ج ١ ، ص ٥٣٨ ، ج ٢ ، ١٩٧ ، ابن ابي الفضائل ، ص ١١٤ • ابن الفرات ،  
ج ٦ ، ص ٤٧ و - ٤٧ ق •

زوجته ايضا ، وسألهم عن سبب التأخير ، وعني بالاسئلة عن مصر ، ثم كتب رسالة الى  
الظاهر ، وسيروندا بصحبته الى الظاهر (١) .

وكان طبيعيا ، عندما علم الظاهر بتأخير هذا الوفد عند الاشكرى ، ان يرسل وفدا  
اخر الى بركة في رمضان سنة ٦٦٣ (٢) .

وتوفى بركة خان في رجب سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م . وخلفه ابن اخيه منكوتر وفي صفر  
من سنة ٦٦٦ هـ ارسل الظاهر اليه يعزيه بوفاة عمه بركة خان ويعرض عليه استمرار التحالف  
بينهما لمجابهة ابا قافا فقبل (٣) .

وفي سنة ٦٦٨ هـ هاجم منكوتر القسطنطينية (٤) وفي السنة التالية جاء الى الظاهر  
رسالة من زعماء القبشاق يؤيدونه ويعلنون الولاء له فاجابهم السلطان مؤكدا استمرار الجهاد (٥)  
وفي ذي القعدة سنة ٦٧٠ هـ وصل رسل منكوتر الى الظاهر بدمشق عبر بلاد الاشكرى ،  
فالبجر حيث استولى عليهم مركب من المتشابهين وادخلهم عكا ، فاجب صاحبها تسييرهم الى  
السلطان بموجب حلف مع الظاهر . لكن المتشابهين لم يردوا الاسلاب فامر السلطان بمصادرة  
تجارهم في الاسكندرية . وكان مع الرسل رسالة مضمونها وعد برد جميع ما استولى

---

(١) اليونيني ، ج ١ ، ص ٥٣٩ ، ٥٤٢ ، ج ٢ ، ص ٣٦٢ ، ابن ابي الفضائل ، ص ١١٨ ، ١١٩  
ابن الغرات ج ٦ ، ص ٥٢ و ٥٢ ق اما الاداب المتبعة لديه فهي الدخول على اليسار  
حتى تؤخذ الرسائل فينتقل الوفد الى اليمين ، والجلوس على الركبتين والتجرد من السلاح  
والعدة وعدم دوس معتبة الخرقة ، وعدم حمل قوس او نشاب وعدم اكل الخبز او شرب الخمر  
في الخرقة (اليونيني ، ج ١ ، ص ٥٤٢) واعتذر فارمر الدين عن تأخره بان الاشكرى اخره  
فابرز له بركة خان الوثيقة التي سلمها لمقدمه ولما عاد فارمر الدين الى القاهرة في جمادى  
الآخرة سنة ٦٦٥ هـ اعتقله السلطان وصادر امواله (اليونيني ، ج ١ ، ص ٥٣٩ ، ج ٢ ص  
١١٧ ، ١١٨ ، ابن ابي الفضائل ص ٤٥٦) - ٢ - المفريزى ، السلوك ، ص ٥١٤ ، ٥١٧ ،  
٥٢٨ - ٣ - اليونيني ، ج ٢ ، ص ٣٦٣ ، ٣٦٤ . ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ٤ ، ابن الغرات  
ج ٦ ، رقم ٢ ورقة ٣٤ ، المفريزى ، السلوك ص ٥١٧ ، ٥٦١ ، ٥٦٣ - ٤ - ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ٦  
- ٥ - ابن الغرات ج ٦ ، رقم ٢ ورقة ٧٣ - ٧٤ .

عليه بيت هولاكو من بلاد الاسلام مقابل نجدة بيت بركة لاستئصال شاة بيت هولاكو .

واجاب السلطان الظاهر على الرسالة بالقبول (١) .

وفي رجب سنة ٦٢٤ هـ بعث السلطان الظاهر بوفد ورسالة الى منكوتر (٢) . ومع ان المصادر لاتشير الى مضمون الرسالة ، فالارجح انها ذات علاقة بحملة بيبرس على بلاد الروم وارمينيا .

وهكذا نرى ان العلاقات بين بيبرس والتمتر كانت عدائية مع ايلخانات فارس في عهدى هولاكو وابنه اباقا ، وودية مع القشاق في عهد بركة خان وابن اخيه منكوتر .

### ٣ - الكرج ،

في رجب سنة ٦٦٦ هـ قاد رسول الظاهر من بلاد الكرج بجوابه مضمونه تاييد الظاهر والقشاق وعداء ايلخانات فارس (٣) .

### ٤ - السلاجقة :

احتلت القوات التتارية بلاد الروم سنة ٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م وابقى هولاكو ركن الدين بن غياث الدين سلطانا على البلاد لكنه جعل معه مقيما من قبله (٤) . وفي سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م . اختطف الاخوان ركن الدين وعز الدين فكان الخلاف فرصة للسلطان الظاهر للتدخل . ولما ايد المتمركن الدين ايد السلطان الظاهر عز الدين فارسل هذا رسالة له يتنازل فيها عن نصف بلاده واستنجد به على اخيه ، فارسل الظاهر جيشا لغمرته (٥) ولكن عز الدين لم يستطع

---

(١) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٤٧٤ ، وابن ابي الفضائل ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٦٠٧ والمتشابهين عند ابن ابي الفضائل ، هي البيسانيين ، عند اليونيني ولعلها نسبة الى بيزا .

(٢) المقرئى ، السلوك ، ص ٦٢١ . (٣) ابن الغرات ج ٦ ، قسم اول ورقة ٧٧ وج ٦ ، قسم ٢ ورقة ١٧ وج ٧ ، ص ٥ .

(٤) اليونيني ، ج ١ ، ص ٨٦ ، ( E.I. "Seljuks" ) مجلد ٤ ، ص ٢١٢ .

(٥) ابن عبد الظاهر ، ص ٥٠ ، ٥١ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٤٧٠ .

مع ذلك ، الوفوف امام اخيه الدي ينصره التتر المحظون . فهرب عز الدين الى انطاكية  
ثم الى القسطنطينية (١) .

ثم ساءت العلاقة بين الحقيم التتري معين الدين سليمان البرواناه وركن الدين فاتصل  
البرواناه بالظاهر يدعووه الى بلاد الروم . ثم ذهب الى اباغا بناء على طلبه ، ولما عاد الى  
قيصرية ، دب الخلاف بينه وبين السلاجقة الذين كانوا اتصلوا بالظاهر معه ، فحاربهم  
ثم ادى هذا الى ندم السلطان الظاهر في اواخر سنة ٦٢٥ هـ في حملة الى بلاد الروم (٢) .

### ٥ - ارمنييا :

كانت ارمنييا دولة صغيرة ناشئة تريد تثبيت اقدامها في زمن مضطرب وعاصمتها ميس  
مدينة كبيرة ذات اسوار على جبل مستطيل ولها بساتين ونهر صغير \* وكان طبيعيا بعد  
امتداد سلطان التتر الى بلاد الروم ان تنشئ هذه الدولة صداقة التتر . لذلك زار ملكها  
هيثم ( ١٢٢٦ - ١٢٢٠ ) الخان التتري الاعظم في نراقوم سنة ١٢٥٥ ، واعلن ولائه له .  
وطبيعيا بعد هذا ان يرى الظاهر في هذه الدولة عدوة له .

وكأن هذه الدولة الصغيرة الناشئة كانت تطمح بشمال بلاد الشام لذلك كانت  
منذ اوائل القرن الهجري السابع /الميلادي الثالث عشر تغير على مدن بلاد الشام الشمالية  
واتخذت انطاكية حليفها ، قاعدة لهذه الغزوات على بلاد الشام . ففي شوال سنة ٦٦٠ هـ /  
١٢٦٢ م . افارت قوات ارمنييه على منطقة حلب فنهبت القوعة وسرمين ( او سلمين ) وجبل ببلون ،  
فردم نائب الظاهر في حلب وامر بعضهم وارسلهم الى القاهرة فوسطوا .

---

(١) اليونيني ، ج١ ، ص ٤٥٨ ، ج ٢ ، ص ١١٤ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، المفريزي ، السلسوك ،  
ص ٤٢٠ ، . وبخصوص الرسالة للظاهر راجع ابن الفرات ج ٦ قسم ١ ص ٢٢ق - ٢٢و

(٢) راجع ص ١٥٢ ، وما يليها .



وفي صفر من سنة ٦٦١ هـ • جمع الكفور • يشوم جيشا آخر وافار على الجومة والعمق وجبل

ليلون ومعرة مصرين وسرمين والغوغة بدلالة رجل من اهل الغوغة واسر عددا من ابناء الغوغة • وهرب البقية الى دار الدعوة حيث نجوا وكاد القائد يقتل (١) •

وفي هذه السنة ايضا زحفت جيوش عيوش على سلاجقة الروم لتأييد التتر • وهنا فسي عاصمة السلاجقة تحالف عيوش والسلاجقة والتتر على محاربة المماليك (٢) •

وفي ربيع الآخر سنة ٦٦٢ هـ / ١٢٦٤ م هاجم عيوش عينتاب ومعه نحو الف جندي فصدته جيوش حمص وحماه • فاستجار بالتتر فارسلوا له نجدة من سبعماية فارم لكن الثلوج والامطار حالت دون وصول النجدة في الوقت المناسب • وفي جمادى الآخرة من السنة نفسها جرد جيشا جديدا لمهاجمة حمص والبصر • بعض جنوده البسة تترية ليوقع الخصوم ان التتر في نجدة • لكن قوات الظاهر ردت • بعد ان كبده خسائر جسيمة (٣) •

كان الظاهر في هذه الفترة يحاول تصفية خصومه الاقربين من فرجة وارمن استعدادا • للمصراع المنتظر مع التتر • لذلك رأى انه لابد له من حملة تاديبية على سيمر ويبدو ان الكفور كان هادن الظاهر عند تسلمه العرش على خراج تم راج يمس له بتأديته • وفي ١٩ شوال سنة ٦٦٤ هـ / ١٢٦٦ م بعد احتلال صفد • فمد دمشق ودخلها يوم الخميس في اول ذي القعدة • وهنا جاءه رسل سمحوب سيمر بهدية ورسالة المصالحة فرفض الهدية والرسالة واراهم رؤوس قتل اتى بهم من قزوة على عكا (٤) • لقد جاءت محاولة السلم هذه متأخرة فكان طبيعيا ان تفشل • •

(١) اليونيني ج ١ ، ص ٤٩٦ و ٥٣١ ، ج ٢ ، ص ١٥٥ ، ١٩١ - ١٩٢ ، الذهبي ، ج ٢ ،

ص ٨٠ - ٨١ ، ابن ابي الفضائل ص ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ٢ - ابن عبد الظاهر ص ٩٧ •

(٢) ابن عبد الظاهر ص ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ والمقرئى السلوك ص ٥١٠ ، ٥١١ •

(٤) ابن الفوطي ، ص ٣٥٥ ، اليونيني ج ٢ ، ص ٣٢٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، لكنه يجعل تاريخ الحملة

سنة ٦٦٣ هـ ، ابو الفداء ج ٤ ، ص ٣ ، المقرئى السلوك ، ص ٥٥١ ، ٥٥٩ ، و"شذرات

تاريخية من صحائف منسيه" لمؤلف مجهول ، نشر الاب شيخو في المشرق عدد ١٨ سنة ١٩٢٠

ص ٦٠٢ • •

عند ذلك اخذ هيثوم يستعد للحرب • وفي ٣ ذى القعدة سنة ٦٦٤ هـ تحرك جيش  
الظاهر بقيادة الامير اقصنقر الفارغاني ومز الدين بيدفان المعروف بسم الموت وفلاوون الالفي  
نحو الشمال ودخلوا قتيقيا في ٢٢ ذى القعدة واسروا عددا كبيرا من الارمن بينهم ابن هيثوم  
وقتلوا منهم عددا كبيرا ايضا بينهم شقيق لهيثوم • ثم انتشر الجيش المملوكي الى جهة بلاد  
الروم والمصيصة وادنه واياص ودرسوس حتى وصلوا سيمس في ذى الحجة ، حيث كان صاحب حماه  
ينتظرهم ثم قفلت قوات الدار راجعة الى بلاد الشام فخرج من دمشق يلانيها محتفيا بها (١) •  
وفي سنة ٦٦٥ هـ ارسل هيثوم رسالة الى الظاهر في صدد يدعوه للمصالحة • ولكن  
الظاهر رفض مرة اخرى (٢) • يبدو ان الظاهر لا يريد ان يصالحه الا بعد ان ينص جناحيه لذلك  
لم يرض بعقد الصلح مع هيثوم الا بعد ان احتل انطاكية سنة ٦٦٦ هـ • ان وجد هيثوم نفسه  
مرفعا على التنازل عن دريساك وبهسننا ومزبان ورعنان وشيخ الحديد والدوب ، وهي قلاع  
اعطاها له التتر عند احتلال بلاد الشام • ووعده ايضا بالتدخل لدى اباغا لاطلاق سراح الامير  
شمس الدين منقر الاشقر الذي اسره التتر عند دخول حلب ، مقابل اطلاق سراح ايفون بسن  
هيثوم وابن اخيه وغلماهما الماسورين سنة ٦٦٤ هـ • وحاول هيثوم التملص من تنفيذ المعاهدة  
لكنه اضطر لتنفيذها لانقاذ ابنه من الاسر • وتسلمه في رمضان سنة ٦٦٦ هـ • وتم الصلح ببسن  
الظاهر وهيثوم ثم منحه بهسننا اقطاعا منه له (٣) •

---

(١) ابن الفوطي ، ص ٣٥٥ ، اليونيني ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ ، ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ٣ ، ابن ابى الفضائل  
ص ١٥٥ ، ٢٣١ و ٢٣٢ ، المقريزي السلوك ، ص ٥٤٩ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ابن تغرى بردى النجوم  
ج ٢ ص ١٤ ، ابن اياص ج ١ ص ١٠٤ • (٢) • المقريزي السلوك ص ٥٥٩ •  
(٣) اليونيني ، ج ٢ ص ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ابن الفوطي ، ص ٣٥٥ ، ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ٥ ، ابن ابى الفضائل  
ص ١٥١ ، ١٥٢ •

وبقي المملح نحو سبع سنوات • ففي اواسط سنة ٦٧٢ هـ كتب الظاهر الى نائبه بخطب  
ان يستعد لغزو سيمس ، وبالفعل ذهبت بعض طلائعه الى موعش ثم عادت (١) • اما الظاهر  
فاستتاب الامير شمر الدين اقسنقر الفارقاني بالديار المصرية وتوجه الى بلاد الشام في ٤  
شعبان ٦٧٢ ، فدخل دمشق في ٢٩ منه ثم تصد حمص وحماه في رمضان • وجند عساكرهما  
وعربانهما • ثم وجه نسما من جيشه الى البيرة ليسد معاير الغرات على التتر • وساق بنفسه  
على راص القسم الاخر الى سيمس مارا بدرساك فالدرند فباب اسكندرونه واستولى على ايماسر  
وادنه ومصيحه وهاجم عرسومر ، ودخل سيمس في رمضان ٦٧٢ هـ اذار ١٢٧٥ • واباد الكورن  
من الارمن وغنم الغنائم الكثيرة ، لكن جيوشه لاقى مشقات كبيرة • وفي ٢٠ شوال عاد بجيشه  
الى بلاد الشام حتى ادا وصل عمق حارم اعاد توزيع جميع المكاسب بين جنوده • ثم ذهب  
الى دمشق فدخلها في ربي الحجة ٦٧٢ هـ / حزيران ١٢٧٥ ، فالى القاهرة فدخلها في  
جمادى الآخرة سنة ٦٧٤ هـ : كانون الثاني ١٢٧٦ م (٢) •

ما هو سبب نفذ المملح ؟ وما هو سبب الحملة ؟ يقول ( ..... ) ان الظاهر  
كان يريد هذه الدولة ان تبقى فقيرة ضعيفة (٣) ولكنه يبدو لي ان مداخلات السلطان الظاهر  
في بلاد الروم جرته الى مثل هذه الحملة • وقد كتب البرواناء للسلطان الظاهر يحرضه على غزو  
سيمس عام ٦٧٢ هـ على ان ينجده لفتح بلاد الروم في العام التالي (٤) ويبدو لي ايضا ان  
السلطان الظاهر اصبح بحاجة الى مواصلة الحروب • كانت لديه قوات عسكرية كبيرة ينبغي  
عليه ان يجد لها متنفسا •

- 
- (١) ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ٩ ، المقريزي السلوك ، ص ٥٦٨ - ٥٧٠ ، ٦١٦ ، ابن الترات ج ٦  
نسم ٢ ، ورقة ١ مو ٢٩ ، ٣٠ ،  
(٢) ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢٢٥ ، ج ٤ ، ص ٩ ، الذهبي ، ج ٢ ، ص ١٣٢ ، ابن ابي الغضائيل  
ص ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ابن الغرات ، ج ٧ ، ص ٢٥ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٦١٦ ، ٦١٨ •  
(٣) ( G. Miet ) ، ص ٤٢٤ •  
(٤) ابن ابي الغضائيل ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٨ •

٦ - بيبرس والاشكري :

كان الظاهر والاشكري ميثائيل باليولوغوس خصوما للفرنجة ، ثم ان الصداقة بين السلطان الظاهر والقيساق تحتم على الاشكري ان يميل الى مصادقة الظاهر لينجو من هجمات القيساق .  
ويزيد في ضرورة هذا ان مظالم التتر والسلاجقة في بلاد الروم لا يمكن ان تتحقق الا على حساب الامبراطورية البيزنطية . من هنا يتوقع المرء ان يجد الاشكري الى جانب الظاهر بوجه عام ولكن الواقع هو ان العلاقات بينهما لم تكن كذلك . فقد كان الاشكري يناور بين المماليك والتتر ليوهم كل طرف انه ليس خصمه .

وقد بدأ الظاهر بايفاد الرسل والهدايا الى الاشكري لمصادقته . وفي سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م ارسل اليه وفدين . وكان اولهما بطريك واساقفة كان الاشكري قد طلبهم للنصارى الملكانيين في بيزنطيه . وعاد هذا الوفد في رجب . وثانيهما يحمل هدية فيها زرافة وتحف غريبة ورسالة تقرأها الاشكري احدى عشرة مرة . وعاد هذا الوفد في شعبان . وارسل الظاهر ايضا الادوات والالات اللازمة لترميم جامع في بيزنطيه مبني في سنة ٥١ هـ (١) .

وفي رمضان سنة ٦٦١ هـ اخرج الاشكري رسل الظاهر بيبرس الى بركة . ولما علم الظاهر بذلك جمع الاساقفة وابزلهم نسخ يعين الاشكري له على حمن الجوار ثم اطلعهم على تصرف الاشكري ازاء وفده الى بركة . فاجمعوا على ان عتاب مثل هذا العمل هو الحرم . فارسل الظاهر لالاشكري رسالة مع راهب يعلن فيها استعداد له لمساعدته المتفاهم مع بركة وقد كان هذا هاجمه سنة ٦٦٢ هـ وادى هذا الى مساعدة فارس الدين المسعودي للرحيل الى بركة (٢)  
هنا يمكن ان نعتبر ان العلاقات الودية بين الطرفين قد انتهت . كان الاشكري في طريق التفاهم مع هولاء ولذلك اخرج وفد الظاهر الى بركة (٣)

- 
- (١) ابن عبد الظاهر ص ٥٠ ، المقرئ ، السلوك ص ٤٦٩ . - ٢ - ابن عبد الظاهر ص ٢٨ .  
٥٠ و ٥٣ ، والمقرئ السلوك ص ٤٧١ ، ٤٧٢ .  
(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ١٠٥ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٥١٤ ، و ٥٢٨ .  
(٣)

وفي سنة ٦٦٢ هـ ، وسع الخرق بين الطرفين ، اد ان الاشكرى اعتقل عز الدين كيكاموس  
اللاجي\* اليه بعد خلافه مع اخيه ركن الدين حول سلطته السلاجقة ، بتهمة التآمر مع امراء  
بيزنطيين لقلب الاشكرى من الحكم (١) . وعز الدين هذا صديق للظاهر ، واعقب الاشكرى  
هذا التدبير بان ارسل في رجب سنة ٦٦٣ هدية للظاهر كانه يحاول اصلاح الحال . واستمر  
في مناورته السياسية هذا بان ارسل هدية ايضا الى هولاء في نفس السنة . وادت المفاوضات  
مع التتر الى عقد تحالف بينهما والى تزويج ابنه بابنة الاشكرى لتوطيد هذا التفاهم ، مما جعل  
العلاقات مع الظاهر سيئة (٢) .

وبهذا التفاهم بين الاشكرى وايلخانات فارس من جهة ، والتفاهم بين الظاهر وبركة من  
جهة ثانية اخذ القيشاق يهاجمون العسطنطينية ، دخلوها سنة ٦٦٨ هـ مما حمل الاشكرى  
ان يكون اشد حذرا في علاقاته الخارجية وفي سنة ٦٦٧ هـ اتصل بالظاهر ، ثم لم يبعد  
يتدخل في الحروب التي جرت بين الظاهر والتتر والسلاجقة والارمن . حتى انه في سنة ٦٧٠ هـ  
ارسل للظاهر وفدا وقابله السلطان بالمثل (٣) وتبادلا الرسائل سنة ٦٧٤ هـ ايضا (٤) .

وهكذا نجد ان السلطان الظاهر قد استطاع ان يصد التتر بسياسته التي وضعها  
لنفسه ان نجح بشق الخصوم المغول وبمحالفة قسم منهم وبانشاء جبهة متناسكة بوجه عام  
مدعومة بقوات مملوكية كبيرة ، لقد كانت معاركه مع التتر تجري في بلاد الشام في المرحلة الاولى  
لكنه استطاع ان ينقل ميدان المعركة الى بلاد الروم الموالية للمغول . ولعل قدرته في هذه  
المعركة الطويلة تنجلي على احسن وجه حين نجح في الحؤول دون قيام تحالف بين القوات  
التترية والقوات المملوكية المحلية والاروبية . وبهذا مهد السبيل للسلطنة المملوكية بعده ان  
تقضي على ما تبقى من المراكز المملوكية في بلاد الشام وان تقف بوجه الزحف التتري التالية .

---

(١) ابو الفداء ، مج ٣ ، ص ٢٢٨ ، المفرزى السلوك ، ص ٥٢٢ ، - ٢ - المفرزى ، السلوك  
ص ٥١٤ ، ٥٢٧ .

(٣) ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٢٦ ، المفرزى ، السلوك ، ص ٥٨٨ ، ٦٠٧ ، - ٤ -  
المفرزى ، السلوك ، ص ٦٢١ .

بيبرس في علاقاته الخارجية ، قسم ثان

٧ — الصليبيون .

يمكن النظر الى علاقاته مع الصليبيين من زاويتين ، الزاوية الدينية المبدئية والزاوية

السياسية العسوية . ولكن السلطان الظاهر لم يميز بين الناحيتين . لم يكن عنده منان

لصليبيين في بلاد الشام . لقد كان مسلما ينادي بحماية الاسلام والمسلمين من المعتدين ،

وينصرة الاسلام والمسلمين على المعتدين .

كان السلطان بعد هذا مولد دولة المماليك . وكان يرى في الصليبيين خصوما سياسيين

لهذه التولية الناشئة . فمعركته اذا معهم معركة لباية . ولم يكن يهمه في ذلك انه قضى

عليهم نفوة عسرية وسياسية فعالة بعد معركة المنصورة . ولم يكن ينسى ان الصليبيين عيون

للمغول على الجيوش المغولية . ونسي ان لوي التاسع اتصل بعز الدين ايبك التركماني سنة ١٢٥٢

للتحالف معه على الناصر صلاح الدين يوسف صاحب دمشق وحلب ، وكان يحسب ذلك تدخلا منه

في شؤون المنطقة . ونسي ان الفرنجة في جنوب بلاد الشام اهدوا قلنار في حربه مع التتر

وعرضوا عليه المساعدة العسكرية . ونسي ان بعض الصليبيين حاربوا التتر وان الكنيسة حرمت

بوهمند لتحالفه مع التتر . (١)

---

(١) المقريزى ، السلوك ، ص ٢٨٣ ، R.Grousset ، ج ٢ ، ص ٥٠١ ، ٥٢٦ E.Blochot  
النهج السديد ، ص ٢٧٢ — ٢٧٣ ، جوزف نسيم يوسف ، ص ١٢٨ .

لقد كان الظاهر يستهدف في حروبه مع الصليبيين شيئا واحدا هو ان يببدهم ابادة تامة فير مفرق بين الناحية السياسية والناحية الدينية وفي هذه الناحية اختلفت سياسة الظاهر عن سياسة صلاح الدين الايوبي . وقد كان هذا ينبغي القضاء على الصليبيين كقوة سياسية عسكرية محتلة لكنه لم يكن يرى بأسا من التعامل معهم كأفراد او كمستوطنين .

ولم يكن السلطان الظاهر يستطيع القضاء عليهم جميعا مرة واحدة . فكان لابد من ضرب مراكزهم واحدا بعد واحد . وكان لابد له ايضا في هذه المعركة من ان يمنع عنهم الامدادات من اية ناحية . لذلك ينبغي ان نذكر هنا ان تحالفه مع القباقي حال دون معونة ابلخانات فارس والدول الصليبية ، بصورة جدية منتظمة ، ولذلك ايضا انشاء محالفات مع بعض دول اوربا كصقلية ورافونه وجنوى واستطاع بذلك عزل الفرنجة في بلاد الشام .

لما تسلم الظاهر ببيبرم السلطنة سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ كان الصليبيون يسيطرون على الشريط الساحلي من بلاد الشام . وبعد صراع دام استمر سبعة عشر عاما خاضه هذا الشريط وقصر بحيث لم يبق للصليبيين عند وفاء الظاهر الا بعض ما بين عكا وطرابلس .

مرت علاقات الظاهر بالدول الصليبية في ثلاث مراحل . ففي السنوات الاولى من سلطنته حتى نهاية سنة ٦٦٢ هـ / ١٢٦٣ كان يعاهد الدول الصليبية على الصلح ليتسنى له القيام باستعداداته العسكرية والسياسية ، في الداخل والخارج ، ليعود لمحاربة الدول الصليبية بعد ذلك . ثم كانت المرحلة الثانية وفيها احتل موقعين هامين هما بيساريسية وصفد ، ثم كانت المرحلة الثالثة وفيها حطم التحالف بين التتار والدول الاوروبية عن طريق البابا ، واحتل مواقع صليبية هامة كانتاكية وحصن الاكراد ، وانحرفت الحملة الصليبية الاخيرة الى تونس . وقد احلانا مع بعض الدول الاوروبية . فاستكان الصليبيون في بلاد الشام بعد ذلك الى الهدوء والحياد .

وبرزت الناحية الاقتصادية في هذه الحروب بشكل واضح . ادعم بعض الصليبيين

الى محاربة الممالك اقتصاديا . وفي سنة ٦٥٨ هـ زوروا الدراهم في يافا جاعلين نسبة الفضة فيها الى النحاس بنسبة ١٥ الى ٨٥ بالمئة مما احدث الرعب بين الناس . ولما اخرجوا هذه النقود للتدخل منها بشراء البضائع تزايدت الاسعار وانقرضوا واستغنى اخرون (١) . ثم حاولت بعض الدول

الصليبية منع التعامل التجاري مع المماليك بالآخشاب والحديد لأنها مفيدة في الصناعات العسكرية .

هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية قامت علاقات السلطان الظاهر مع جنوى على التبادل التجاري . وكانت التجارة الهدف الأول من تبادل السفارات السياسية مع صقلية . حتى أراغون فقد رأت نفسها ، بعد فشل المعونة العسكرية لها ، مضطرة لعقد تحالف تجاري مع المماليك . ثم أن بيروت لعبت دورا كبيرا في المبادلات التجارية عبر البحر المتوسط . فقد وجه السلطان الظاهر إلى بيروت اهتماما خاصا .

والى جانب الحملات العسكرية العنيفة فقد كانت في هذا الصراع ، في مرحلتيه ، حملات صغيرة استكشافية استهدفت منها الطرفان التخريب والالها .

أما ميدان هذا الصراع فكان بلاد الشام بصورة رئيسية ولكنه امتد في مرحلتيه الثانية إلى تونس وأسيية الصغرى . وقد ظن الصليبيون أن مهاجمة تونس تمهد السبيل لاحتلال مصر ، وقد أعلن السلطان الظاهر عزمه على مساعدة تونس لصد الصليبيين في محرم سنة ٦٦٩ هـ ، كما أن حملاته على أرمينيا كانت ذات علاقة بالحروب الصليبية أيضا .

ونلاحظ أن السلطان الظاهر قد قاد الدفة في هذه الميادين بحنكة ومهارة . وما أن كانت سنة ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ حتى كان الصليبيون في بلاد الشام قد أصبحوا ضاعفين لسه أو محايدين في حروبه مع التتار والأرمن والسلاجقة . لقد كالت الضربات القاضية للصليبيين في بلاد الشام بحيث أنه استطاع ، بعد سنة ٦٧٠ هـ أن ينقل ميدان الصراع مع التتار إلى أسيية الصغرى . ومع أنه لم يحتل عكسا وطرابلس فإنه كان قد أضعفها حتى أن احتلالهما لم يتأخر بعده غير سنوات معدودة .



وهناك نتيجة هامة أخرى لحروب الظاهر مع الصليبيين . لقد مهد السلطان الظاهر السبيل امام سياسة انعزال وانسغلاق . الا يمكن القول ان انقطاع هذه المنطقة عن اوروبا يعود الى حد كبير ، الى مثل هذه السياسة التي انتهجها السلطان الظاهر ؟ احسب ان السلطان الظاهر حين كان يعمل لابطاد الصليبيين في هذه المنطقة ، كان يعمل ايضا ، ولو عن غير ادراك ووعي ، لعزل هذه المنطقة . ولنذكر هنا ان الحملات الاوروبية للاستكشافات الجغرافية بدأت في هذا القرن .

### المرحلة الاولى

ثابت يد السلطان مغلولتين في الصنتين الاولى من حربه بالصورات الداخلية . وبان الفرنجة يرسلون اليه والى نوابه شتى الشكاوى من غبن لحق بهم من استمرار الهدنة التي جرت بينهم وبين السلطان قلزم سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ ويطلبون منه زرعين ، وبها جمعون بعض القرن وبأسرون سكانها ويستولون على ماشيتها .

ولما انتظمت الامور للسلطان الظاهر في دمشق وحلب واعتقل المغيث ، تفرغ الظاهر للفرجة وجاء الدور في جمادى الاولى سنة ٦٦٢ هـ . وكانوا قد تذكروا من شروط الهدنة وطلبوا زرعين بحجة ان السلطان ايبك كان قد وعدهم بها (١) . ولم يأت الفرنجة لاستقباله فارسل قوات هاجمت عدليت وقيسارية واستردت ما كان الفرنجة سلبوه منها وانفذ قواته زرعاً ثان للفرنج (٢) . وهنا جاء ، نواب المراكز الصليبية في جنوب بلاد الشام للاجتماع به والتسليم عليه واتوا معهم بهدايا .

ثم زعموا انهم لم يعرفوا بقدومه فرد عليهم ان جهل قدوم جيش كبير مثل جيشه يشبه عليهم التقصير والخفلة ، ثم عاد وقبل الهدايا منهم واصدر تعليماته لقواته ان لا يتركوا في زرع للفرنج وان لا يتعرضوا لما شيتهم (٣) ثم طلب السلطان منهم ان يعرضوا عليه قضاياهم .

(١) ابن الفرات ، ج ٦ ، ص ١٦ S. Runciman ج ٣ ، ص ٣١٧ .

(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ٤٥ - ٤٦ ، ٦٨ ، المقريزى ، السلوك ، ص ٤٦٤ ، ٤٨٠ - ٤٨٤ ، ص ٥١٣ .

(٣) ابن عبد الظاهر ، ص ٦٧ ، ٦٨ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، ص ١٧ ، المقريزى ، السلوك ، ص ٤٨٣ .

قال ( ١ ) السلطان ، ما تقولسون ؟

قالوا ، نتمسك بالهدنة التي بيننا .

قال لهم لا كان هذا الكلام قبل حضورنا الى هذا المكان ، واتفاق الاموال التي

لوجرت لكنت بحارا ؟ ونحن لما حضرنا الى ها هنا ( ٢ ) ما آدينا لكم زرع ولا غيره ، ولا نذهب

لكم مال ولا ماشية ، ولا اسرلكم اسيرا ( ٣ ) .

ثم راح السلطان يعدد مبالغات الفرنج المهدنة فقال : انتم منعتم الجلب والميرة  
عن العسكر (وحرمت خروج شي من الغلات والاعنسام وغير ذلك ، ومن انفرد من فلان العسكر  
اسرتموه ؟ ) وسيرتم الينا بدمشق نسخة يمين - حلفنا عليها وسيرنا نسخة يمين من عندنا لم تحلفوا  
عليها ، وعلمتم انتم نسخة حلفتكم عليها وشرط اليمين الاولى تتعلق بالثانية . وسيرنا الاسارى  
الى نابلس ومنها الى دمشق ، وما سيرتم انتم احدا ، وكل بيت يحيل على الآخر ( وما سيرنا  
الاسارى الا ونا بالعهد واقامة الحجة عليهم ) . وسيرنا كمال الدين بن شيت رسولا يعلمكم  
بوصول الاسرى ، فلم تبعثوا احدا ، ولم ترحموا اهل ملتكم الاسرى وقد حملوا الى ابواب بيوتكم  
كل ذلك حتى لا تبطل اشغالكم من اسرى المسلمين عندكم . واموال التجار شرطتم القيام بمسا  
اخذتموه منها ، ثم قلتم ما اخذت من بلادنا وانما اخذت في انطرسوس وحمل المال الى خزانة  
بيت الديوية والاسرى في بيت الديوية ، فان كانت انطرسوس ماهي لكم فالله يخفق ذلك . ثم انا  
سيرنا رسلا الى بلاد السلاجقة الروم وكتبنا اليكم بتسفيرهم في البحر ، فاشرتم عليهم بالسفر  
الى قبرص ( فاسافروا بكتابكم وامانكم ) \* فاخذوا وقيدوا وضيق عليهم ، واتلف احد هم على ما ذكر .

---

( ١ ) النص في ابن عبد الظاهر وابن الفرات والمقريزى واحد الا في بعض عبارات ليست نصي

ابن عبد الظاهر ولا ابن الفرات وضعتها بين معكوفين .

( ٢ ) ساقطة . لما حضرنا الى ها هنا ، من ابن الفرات ، ج ٦ ، ص ١٧ و .

( ٣ ) ابن عبد الظاهر ، ص ٦٨ ، المقريزى ، السلوك ، ص ٤٨٤ .

هذا مع احساننا الى رسلكم (وتجاركم ، والوفاء احد اركان الملك ) . وجرت عادة الرسل انها لا تؤدى ، وما زالت الحرب قائمة والرسل تتردد ، (لوما القدرة على الرسول بشي . يسكن فيظنا ) فان كان هذا بخير رعاكم فانه نفس في حرمكم ، واذا كان صاحب جزيرة قبرس من اهل ملتكم يخرق حرمكم (ولا يفي بعهدهم ولا يحفظ دمامكم ولا يقبل شفاعتكم ، فاي حرمة تبقى لكم و اى دمام يوثق به منكم و اى شفاعاة تقبل عند المسلمين والفرنجية ؟ ) ، وهل كانت الطوك الماخية تقي النفوس والرجال والاموال الا بحفظ الحرمة ؟ (١) ( وما صاحب جزيرة قبرس ملككم ولا صاحب حصن منيع ، ولا قائد جيش كبير ولا هو خارج عنكم . بل ) اكرتعلباته في عكس الساحل ، وله عندكم المراكب والتجار والاموال والرسل ، وايس هو منفرد بنفسه ، وعنده الديوية وجميع البيوت والنواب مقيمون عنده . وعنده كنديافا وغيره . فلو كنتم لا تؤثرون ذلكم كنتم تفتن جميعكم عليه واحتظتم على كل ما يتعلق به واصحابه واسترحتم من هذه الغنيحة ، وكنتم الى ملوك الفرنجية والى البابا فعله . (واذا قلتم صاحب قبرس لا يسمع منكم ولا يطيعكم ، فادالم يسمع منكم صاحب قبرس . وهو من اهل ملتكم ، فمن يسمع منكم ؟ وهل لهذه التقدمة الا الامر والنهي ؟ ولا سيما وانتم تقولون ان امورك دينية ، ومن ردها عصي المعبود ، ويغضب عليه المسيح فكيف لا يعص المعبود ويغضب المسيح على صاحب قبرس ، وهو ددر امركم واغوى بكم وبيع فولكم وكنا لو اشتهينا اخذنا حقنا منه ، وانما الحق عندكم نحن نطلب منكم وانتم تطلبون منه ) . \* وانتم في ايام الملك الصالح اسماعيل (٢) اخذتم صغد والشقيف ، على انكم تجدونه على السلطان الشهيد الملك الصالح نجم الدين ايوب . وخرجتم جميعكم في خدمته ونجدناه وجرى ماجرى من خذلانه وقتلكم واسركم واسر ملوككم واسر مفديكم ، وكل احد يتحقق ماجرى عليكم

(١) في ابن عبد الظاهر (ص ٦٩) ، وهل كانت الطوك تقي النفوس والاموال الا لحفظ الحرمة ؟

(٢) هم الملك الصالح نجم الدين ايوب ، وصاحب دمشق لفترة .

من ذهاب الارواح والاموال . وقد انتفضت تلك الدولة ولم يؤخذكم السلطان الشهيد عند فتوحه البلاد واحسن اليكم فقابلتم ذلك بان رحتم الى الريد افرنسر ، وساعدتموه وانتم صحبته الى مصر ، حتى جرى ما جرى من القتل والاسر . فاي مره وفيتم فيها لمملكة مصر ام اى حركة اطلحت فيها ؟ . وبالجملة فانتم اخذتم هذه البلاد من الملك اسماعيل لاعانة مملكة الشام ، وطاعة ملكها ونصرتة ( والخروج في خدمته وانفاق الاموال في نجدة . وقد صارت بحمد الله مملكة الشام وفيها لي وما انا محتاج الى نصرتكم ولا الى نجدتكم ، ( ولم يبق لي عدو اخافه ) فردوا ما اخذتموه من البلاد فكروا اسرى المسلمين جميعهم ، فانسي لا اقبل فير ذلك " (١) .

واجاب مقدم الاسبشارية ، صاحب ارسوف ، متدمرا من شدة شروط الهدنة . فقال له السلطان انه نقض العهد ان بدأ ببناء ريش . فرد صاحب ارسوف ان الغاية من بناء الريش هي حماية الصعاليك ثم اضاف الى ذلك ان امورا " قد بلعنا سوف تسمعونها : ورفض السلطان حجته وقال ان البلاد لا تحفظ بالخنادق وانما بحسن الجوار وبذل الاحسان وكف الاذى والسيف والعزم . اما بخصوص ما عناه من قدوم التتر فعبيره ، بان الفرنجة يختبئون وراء الاسوار بينما يخرج المماليك لملاقاتهم (٢) .

وامام هذا الكلام بهت الفرنجة وقالوا :

— نحن لانقض الهدنة ، وانما نطلب مراحم السلطان في استصحابها واستدامتها (٣) ونحن نزيل شكوى النواب ( ونخرج من جميع الدعاوى ) ونفك الاسرى ( ونستأنف الخدمة ) فرد السلطان : كان هذا قبل خروجي من مصر في هذا الشتاء ووصول العساكر الى هنا .

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ٦٨ ، ٧٠ ، ابن الفرات ، ج ٦ ص ١٧٠ و ١٨٠ ق . المنري ، السلوك ، ص ٤٨٤ ، ٤٨٦ ، (٢) ابن عبد الظاهر ، ص ٦٨ ، (٣) استصحابها و ، في ابن عبد الظاهر ، ص ٧٠ ، وابن الفرات ، ج ٦ ص ١٨ و .

فرد السلطان : كان هذا قبل خروجي من مصر في هذا الشتاء ووصول العساكر

الى هنا .

وهكذا نجد السلطان الظاهر ينطلق في معاملة الفرنجة من اساسين هما ،عداوتهم لمصر اولا ونكثهم بوعودهم ثانيا . انه لا يجتمع بهم للمفاوضة هذه المرة ،ولكن ليسرد لهم تاريخ علاقاتهم بمصر وبلاد الشام في الامر القريب ، وليؤكد لهم ان معايشتهم مستحيلة وان استرجاع ما استولوا عليه من بلاد الشام امر لا بد منه .

القضية عنده سياسية قبل كل شيء . صحيح ان الموجة الاولى من التتر كانت قد تقلصت ، ولكن الخطر لا يزال ماثلا لذلك لم يرد القلاع الصليبية مراكز مؤامرات وتجسس . وهو ينفي ان تكون القضية دينية بقوله ان الدين يقضي عليهم بالوفاء بالعهدود . واخيرا فان الظاهر حريص على الهدوء والسلامة لان ذلك ضروري للتجارة . وانتهى المؤتمر او بالاحرى انتهى بيان الظاهر (١) ثم اصدر امره باخراج المندوبين من الوطاق ولم يسمح لهم بالمبيت فيه (٢) .

ثم اراد ان يؤكد للفرنجة انه اقوى منهم وانه يستطيع التغلب عليهم والثأر منهم فراح يرسل حملات صغيرة ثأرية تخريبية على مراكزهم . فارسل الامير علاء الدين طيرس لتخريب كنيسة الناصرة ، ثم ارسل جيشا آخر ليقحم ابواب عكا وسار بنفسه على مراعي الجيوش الفرنجية واستولى على الكثير من ماشيتهم وعاد به الى دهليزه (٣) . وقبل مغادرة الطور ضرب على ايدي العابثين المفسدين بيد من حديد اذ الزم الفلاحين في بلاد الساحل ان يحملوا الى بيت المال " جنابات " عما اخذوه من قتلى لاوارث لهم او اسلاب جهل مالكيها . وذلك لانهم كانوا يحملون اخباره الى الفرنجة (٤) .

---

(١) يقول S.Runciman (مجلد ٣ ، ص ٣١٧) ان المفاوضات انقطعت بسبب رفض اعادة الاسرى المسلمين . (٢) ابن عبد الظاهر ص ٧٠ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٤٨٧ . (٣) ابن عبد الظاهر ، ص ٧٠ ، لهو الفدا ، ج ٣ ، ص ٢٢٧ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، ص ١٨ ، المقريزي السلوك ، ص ٤٨٧ S.Runciman ، ج ٣ ، ص ٣١٧ (٤) ابن عبد الظاهر ص ٧٠ المقريزي السلوك ص ٤٨٨

### المرحلة الثانية :

وفي سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ بدأت المرحلة الثانية من صراع السلطان الظاهر مع  
المليبيين . فقام بحملة عنيفة احتل فيها قيسارية وعثليث وارسوف ومغد .

في رمضان سنة ٦٦١ هـ هاجم الظاهر قيسارية ونهب بلادها واسر بعض سكانها  
وقتل بعضا اخر واجبر مندوبها ان يحملوا الفرنجة على رد ما كانوا قد استولوا عليه من الاسرى  
والمواشي في قارة سابغة (١) .

وفي محرم سنة ٦٦٣ هـ حين كان الظاهر وبعض امراؤه في رحلة صيد في اوسيم بلغه  
الخبر بنزول التتر على البيرة ، فارسل جيشا لصددهم ثم تبعه بجيش في ربيع الاخر ومصر في  
فرزة في ٢٠ منه ثم في يبنسى في ٢٦ منه ثم ماق للعوجاء حيث اقام بضعة ايام . ولما كان  
بعض امرائه يذهبون الى الصيد في عابة ارسوف حيث تكثر السباع ، ليخدع الفرنجة ، ماق الى  
ارسوف وقيسارية في حملة استطلاعية ثم استدعى الجيش والات الحصار من دمشق وامر جنده  
بصنع عدة منجنيقات وسلالم حتى اذا تمت استعداداته هاجم قيسارية في ٨ جمادى الاولى  
على حين غفلة وحاصر بها بجند مستعملا المجانيق والدبابات ورمي النشاب وارسل  
بعض جيشه في تجاريد للغارة على بيسان ومكا المحوول دون ندوم نجدات لقيسارية .

وكان السلطان يشترك بنفسه في الهجوم فهو حينما يربط في اعلى كنيسة تجاه  
القلعة وحينما اخرعتشي دبابه ذات عجل ويسير الى السور ليرى القوب ، ثم ليقا تل حينما  
ثالثا . وفي منتصف جمادى الاولى ، اذار ١٢٦٥ ، استسلمت القلعة ودخلها السلطان

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ١٠٣ و ١٠٤ .

وفي منتصف جمادى الاولى / اذار ١٢٦٥ ، استسلمت القلعة ودخلها السلطان وامراءه وجيشه (١) وفي سنة ٦٦٩هـ / عندما علم بقدوم حملة لويس التاسع الى تونس جاءها هـا الظاهر وهدم اسوارها (٢) .

كان الظاهر هاجمها في رمضان ٦٦١هـ . وفي ١٦ جمادى الاولى . بعد احتلال قيسارسة ارسل نرقتين من جيشه لمهاجمة حيفا . وارسل فرقة اخرى لدك الملوحة . ثم هجم بنفسه على عثليث (٣) وخربها في يوم واحد وعاد (٤) .

وبعد العودة من عثليث رأى الظاهر ان يهاجم ارسوف (٥) وفي مستهل جمادى الآخرة نزل عليها وجمع حولها الاحطاب تلالا ليجعل منها ستائر وحفر سربين من خندق القلعة الى خندق المدينة ، لكن الفرنجة احرقوا الاحطاب ولاقت القوات المهاجمة المشقة حتى ان الظاهر كان بنفسه يجر المجانيق ويرمي بالاسهم ، ويضرب بالقطاعة ويداه مجرحتان ثم حشد الفقهاء والمتعبدين والنساء الصالحات لسقي الماء في المعركة ، واطلق الرواتب للجميع حتى لا يكون لاحد شغل في غير الحرب . ثم تداعى احد الابراج وتسلمت القوات المملوكية الاسوار ورفعت الاعلام ثم منحت الامان للفرنج فاستسلمت القلعة في رجب ٦٦٣ / نيسان ١٢٦٥ . ولم يتعرض لما في القلعة من غلال وذخائر وانما سرح الاسرى المسلمين وهدم السور (٦) ، وصارت ارسوف فيها بعد موعى خصبا ينزلها الظاهر في طريقه الى بلاد الشام (٧) .

(١) ابو شامه ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، اليونيني ، ج ٢ ، ص ٣١٨ ، ٣١٩ ، ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ٢ — ابن ابي الفضائل ، ص ١٣٢ — ١٣٣ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، ص ٦٧ و ٦٨ . المقريزي ، السلوك ص ٥٢٤ — ٥٢٨ . (٢) ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٧٤ — ٧٥ . (٣) تقع للجنوب من الكرمل وقد اسسها الداوية سنة ١٢١٨ . R. Grousset ج ٣ ، ص ٦٢٤ . (٤) المقريزي ، السلوك ص ٥٢٧ — ٥٢٨ . (٥) مبنا صغير للشمال من حيفا . سماها الصليبيون Azotus احتلها صلاح الدين منهم سنة ١١٨٧ / ٥٨٣ ثم استعادوها ١١٩٢ / ٥٨٨ . (٦) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٣١٨ — H.A.R. Gibb, E of I., Art<sup>n</sup> Arsof, (new ed) Vol. I ص ٦٦٢ (٧) ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ٣١٩ ، ابن ابي الفضائل ، ص ١٣٢ ، المقريزي ، السلوك ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ . (٧) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٣١٩ ، ابن ابي الفضائل ، ص ١٣٣ .

ثم عاد الى فيسارية وامر بكتابة البشائر الى القاهرة والى النواب فتزينت القاهرة  
لذلك (١) . ثم اخذ يعد الترتيبات الادارية اللازمة بعد الفتح . فتحقق من الارض الصالحة  
للزراعة في فيسارية وارسوف وطلب قاضي دمشق وعدولها ووكيل بيت المال وبعض الفقهاء  
والائمة وامر بتوزيع البلاد على الامراء المجاهدين الذين فتحوها . ثم كتبت التواقيع بذلك  
وامضيت من السلطان والوزير والخزندار وصاحب ديوان الجيوش ومستوفي الصحبة ثم وزعت  
على مستحقيها . ثم كتب كتاب تليك شرعي جامع ووزعت نسخة على الجميع وكان فيه حمد لله  
وشكره على النصر الذي احرزته جيوش الحماليك على التتر والفرنجة ، وفخر بهذه القوات  
المظفرة " البانية الهادمة والناصرة الراحمة " واشادة بالسلطان ومآثره " حتى خرج  
الامر العالي . . . . ان يملك امراءه وخواصه الدين يذكرون . . . . ما يعين من البلاد والضياع  
ليبقى ذلك فيهم " للولد وولد الولد (٢) .

وبعد استكمال الهدم ، والتليك غادر ارسوف الثلاثة ١٢ رجب ٦٦٣ هـ الى عسره  
ثم رحل الى مصر فخرج ابنه الملك السعيد والاتاك عز الدين الحلبي نائب السلطنة للفائه  
فاجتمعوا به عند بركة الحجاج ويوم الخميس ١١ شعبان دخل القاهرة والاسرى بين يديه ،  
وشفها حتى خرج من باب زويلة ، ثم سعد الى قلعة الجبل وبعد ان استراح ، استعرض مع  
الامير عز الدين الحلبي والمصاحب بها ، الدين بن حنا ما حصله في الخزائن ثم خلع على  
جميع رجاله فلم يترك اميرا او موظفا او مقدما او مفرديا ما واحدا من خواصه ومآثر حاشيته  
ثم احسن الى رسل بركة وكتب الى اليمن والقسطنطينية بالخبر ووزع الصدقات على الفقراء (٣) .

---

(١) المقرئى ، السلوك ، ص ٥٢٣ .

(٢) ابن ابي الفضائل ، ص ١٣٧ - ١٤٤ . اليونيني ، ج ٢ ، ص ٣١٨ . المقرئى ، السلوك ،  
ص ٥٢٧ ، ٥٢٠ - ٥٢٢ .

(٣) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٤٧١ . المقرئى ، السلوك ، ص ٥٢٤ - ٥٢٥ .



في ٢ رجب سنة ٦٦٤/١٢٦٦ بينما كانت جيوش اباغا في حرب مع جيوش القيساريين التي غزت فارس، أصدر ال احر تسليماته لولاثة ليحضرها الامراء للفرز، فتملكوا في طلبه اوامره فارسل سلاحيه اليه الي سائر اعمار مصر وعلقوا الولة المتأوين في ايديهم ثلاثة ايام (١). ثم عين عز الدين ايدمر الحلي نائبا عنه في القاهرة والد الحبيب بن الدين وزيراً في دمة ابنه السعيد، ثم خرج في اول شعبان ابدأ بلاد الشام. غادر القاهرة ونزل في بركة النحب حيث وزع تسليماته للفرز التي كان قد حياها على صفد (٢). ومنها عين الامير ايدغر العزيزي والامير سيف الدين قنوق من ماضي على الجنود ومعهما امراء آخرون. وفي ٣ شعبان سارت الحيوث الثلاثة. فساد السلاطين بسببه الي غزه فالحلير فالتقدروا يد جيسيه الاخرين في مهاجمة عكا ثم تركهم ياتون اباغا في حركاتهم وبقوا عند عين جالوت ينتدروا عودتهم. اما الجيشان الآخران فزحفا على الساحل يبتشان فسادا ونهباً في منافة عكا وصور وسيدا وعمره وداربلر وحلبا والقيساريات وحصن الكراد وعشليم وارسوف وجبل عاملة والقريين. ثم عاد الجيشان في نهاية شعبان بفنائم لا تحصى (٣).

كانت الغاية من هذه الحملة الداعية لترويع الصليبيين ونزع الذعر والفوضى في قلوبهم لنقل حركتهم فالبند نجاحا اكيدا في ذلك حتى ان اهل عكا اعذوا بقتل دشون في عدد ضئيل. لكن الدار بدا بمحاصرة صفد في ٨ رما ان / تموز ١٢٦٦. واتى باله انير من دسيرة على الجمال وعلى اكتاب الاسراء والاداء واسهم بذاته بجرا الاخشاب لا يتعمد ولا يمل حتى تنبذ المجانيق ورمي القلعة بها في ٢٦ رما ان. لكن الجيوش الفرنجية مهددة للحصار حتى

- (١) الميرزى السلوك ص ٥٤٥. — ٢ — في Saphet عند الفرنجة، كانت هناك امدادية وفي منافعها حوالي عشرة الاف فرج في نحو ستين قرية.
- (٢) الميرزى السلوك ص ٥٤٥، وابن تغربر برد، النجوم الزاهرة ج ٧، ص ١٢٨.
- (٣) اليونيني، ج ٢، ص ١٢٧، والميرزى السلوك ص ٥٤٥. ابن تغربر برد، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٢٨، وفي هذه الرسالة منع النصارى من دخول الليل (الميرزى السلوك ص ٥٤٥). اما القرن فلعلها القرين احدى قرى دمشق.

اقترح بعض امراء الظاهر ان يتراجعوا لاسيما وقد اعار اهل عكار على الشقيف • وهنا اغتصر السلطان ان يعد الحجارين العشرة الاول بمكافآت مالية واقتل الدين اشاروا بالمصالحة ودام القتال حتى ١٤ شوال ومع ذلك فان الفرنجة لم يستسلموا بل ان امراء الظاهر اخذوا يشعرون بالتعب ويذهبون الى صوابينهم للاستراحة • فذهب السلطان اليهم وضرب بعضهم بالدبابيس وسجن البعض الاخر • ثم عمد الظاهر الى حيلة لشق المدافعين من صند بان منح الامان لساكني الاصليين من المسيحيين دون الفرنجة عند ذلك ضعف شان المدافعين من القلعة ففاوضوه على الامان والصلح •

وكان شرط الصلح ان لا يحمل المستسلمون سلاحا ولا لامة حرب ولا شيئا من الفضيات وان لا يتلوا شيئا من ذخائر القلعة ، وان يخضعوا للتفتيش عند الخروج ، حتى اذا وجد مع اى منهم شيء من ذلك انتقض العهد • فقبل المدافعون بذلك واجلس السلطان الامير سيف الدين كرمون التتري مكانه في دست المططنة لشبهه به وافهم لرسل صند يمين الامان (١) • وفي ١٨ شوال / ٢٩ تموز ركب السلطان الظاهر الى باب صفلواخذ الفرنجة يميرون والجنود المماليك يفتشون فوجدوا معهم اسلحة وفضيات واسرى مسلمين فوضع رجال الحامية في خيمة تحت الحراسة وعددهم نحو الف في فارص ثم ضربت رقابهم جميعا الا اثنين اسلم احدهما واميدا لآخر للفرنج ليخبر بما شاهد •

ثم دخل الظاهر المدينة والقلعة فولي الامير مجد الدين الطوري ولاية القلعة والامير عز الدين العلاني نيابة المدينة والامير علاء الدين الكبكي مقدما للجيش ، ثم جمع امراء وجنده في اليوم التالي وشكرهم على ما بذلوه من جهود واعتذر اليهم عما بدر منه من قسوة نحوهم مبررا ذلك برفقته في حثهم على الهجوم ووعد بعدم اللجوء الى ذلك مرة اخرى •

---

(١) وفي راي ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ١ ، ص ١٠٤ ، و ، ان الامان لم يكن حفيقة •

وبقي السلطان في صفد الى آخر شوال وامر بعماريتها ونقل الذخائر اليها وكان يقوم بذلك بذاته فتشبه البقية به . ونقلوا الزرد خاناه الى القلعة في ساعة واحدة . ثم اقطع امراءه البسلام وامر بيناه جامع في القلعة وآخر في الرياض . وقرر لحاميه القلعة نفقة شهرية قيمتها ٨٠ ألف درهم نقرة ووزع الاسلاب والغنائم على امرائه . ثم اخذ يدعو الناس من دمشق للسكن في صفد (١) ولعل اهتمامه بصفد راجع الى انه سيجعلها قاعدة للهجوم على الفرنجة فسي الساحل .

وبينما هو منهمك في هذه الترتيبات جاء رسل عكا يطلبون منه ان يسمح لهم بنقل اجساد الشهداء . فقرر الثأر من اهل عكا . واحتفظ بالرسول عنده . وفي صبيحة اليوم التالي هاجم اهل عكا وهم خارجون من المدينة لقضا حوائجهم . ثم عاد الى الرسل وقال لهم انه اوقع في عكا شهداء وكفى اهلها مؤونة نقل شهداء صفد .

ثم قصد دمشق ونزل قلعتها فاستقبلته المدينة باحسن زينة (٢) .  
ثم امر بالزحف على سيس .

اما اسباب نقمة الظاهر على صفد فقد نتبين بعضها في ما ذكره ابن العجي في رسالته لابن خطلكان واصفا المعركة اذ قال : . . . صفد التي باء باثمها حاملها على النصرانية وسلطها بالنكاية على البلاد الاسلامية . . . كم استبيح بسببها للاسلام من حمى وكم استرق الكفار بواسطتها مسلمة من الاحرار ومسلما ، وكم تسرب منها جيش الفرنج الى بلاد المسلمين فحازوا مغنما وقوضوا معلما (٣) .

(١) ابو شامة، ص ٢٤٠ . اليونيني، ج ٢، ص ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤٣، ٣٦١ . وهو يجعل الفتح سنة ٦٦٣ هـ وفيه (٣٣٨ - ٣٤٢) نصر لرسالة كمال الدين احمد بن العجي لابن خطلكان يصف فيها معركة صفد وصفا مبالغا فيه ، يبرز فيه شجاعة الفاتحين المسلمين ويندد بهزيمة النصارى المدافعين . ابن ابي الفضل، ص ١٤٨ - ١٥١ ابن الفرات، ج ٢، قسم ٢، ورقة ١١ - ١٢، المقرئى، السلوك، ص ٥٤٥ - ٥٤٨، ٥٥٩ . ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٣٨، ١٣٩، R. Grousset ج ٣، ص ٦٢٦، ٦٢٧ . S. Runciman ج ٣، ص ٣٢١ - ٣٢١ . وهو يتساءل ماذا كان المفاوض من قبل حامية صفد قد خان الحامية . (٢) ابن ابي الفضل، ص ١٤٨ - ١٥١، المقرئى، السلوك، ص ٥٥٩ .  
(٣) ابو شامة ص ٢٤٠ . اليونيني ج ٢ ص ٣٤٠ .

وهنا نتساءل ما اذا كان يصح ان نعتبر فعلة الظاهر باهل صفد قدرا بالامان . ومرة اخرى انقل انه ينبغي الا ننظر للقضايا السياسية بمنظار اخلاقي شخصي . ان مهاجمة الظاهر لصفد تنمى مع خطته في القضاء على مراكز الصليبيين العسكرية ، لاسيما ما كان منها بشكل خطرا على سلطانه . كادت صفد تقهره فلا يجوز ان يبقى على اهلها وحاميتها باى ثمن كان وباية وسيلة كانت . ان نية القضاء على صفد كقوة عسكرية واضحة عند الظاهر منذ ان هاجم القلعة ، وان نية الغدر بسكان صفد الفرنج واضحة ايضا منذ ان كلف شبيب الامير كرمون التترى باعطاء اليمين خداما المستأمنين ولكن ينبغي لنا ان لانسى ان الظاهر اعطى امانين لاهل صفد - اولهما لنصاراها من السكان الاسلاميين وثانيهما للفرنجة وقد حثث بالثاني اما الاول فلم يعدله (١) .

وصارت صفد مركزا لعمليات الحربية القادمة . وقل ان جاء بلاد الشام ومصر بعبادى ان يعمرج عليها . ففي جمادى الآخرة سنة ٦٦٥ هـ جاء بلاد الشام ومصر بصفد وامر بعماريتها . وفي رجب سنة ٦٦٥ هـ واتى معه بالبنائين والتجارين واقام فيها مدة طويلة حتى جدد ما تخرب منها . اثناء عمليات الفتح وبنى ابراجا جديدة ايضا وجعل المسؤول المباشر عن عمارتها سيف الدين الزينى ، واوجب على الامراء المساهمة في بنائها واسهم بذلك بنفسه وحفر حولها خندقا وعمل له ابوابا سرية . ثم كتب عليها العبارة التالية :

” ولقد كتبنا في الزبور من . . . بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون (الاية) . امر بتجديد هذه القلعة المحروسة وتحسينها وتكلمة ” وتكمل ” عمارتها وتحسينها من بعد ما ” خلصها من ايدى ” اسره ” الفرنج الملاعين ورداها

---

(١) ويدولى ان استعمال المنريزى كلمتي النصارى والفرنجة ذو مغزى في هذا السبيل . راجع ابن الفرات ج ٦ ، قسم اول ، ص ١٠٤ و ١٠٥ ، ص ١٨٤ املاء .

الى ايدى المسلمين ونقلها من مسكن اخوة الداوية الى مسكن اخوة المؤمنين " حوزة الداوية الى حوزة " فاعادها للايمان كما بداها اول مرة وجعلها الكفار " المكفار " خسارة وحسرة . ولم يزل بنفسه يجتهد ويجاهد حتى عوض عن الكنائس بالجوامع والبيع بالمساجد وبدل الكفر بالايمان والناقوس بالاذان والانجيل ووقف بنفسه التي هي اعز النفوس حتى حمل تراب خنادقها وحجارتها منه بنفسه ومن خواممه على الرؤوس ، سلطان الاسلام والمسلمين . . . سيد التتار ، فاتح الفلاع والحصون والامصار وارث الملك سلطان العرب والعجم والتتارك اسكندر الزمان صاحب القرآن ابو الفتح بيبيرمر نسيم امير المؤمنين ( ١ ) .

وفي ذي القعدة من سنة ٦٦٤ هـ استولى الظاهر على هونين وتبنين والرملة فجعل هذه الاخيرة عملا ولق عليه واليا من قبله ( ٢ ) .

وفي محرم سنة ٦٦٤ هـ / ١٢٦٥ م هاجم الفرنجة طبرجة لكنهم قلبوا على امرهم ( ٣ )

---

(١) اليونيني ج ٢ ، ص ٣٦٩ . المفريزي ، السلوك ، ص ٥٥٨ ، ٥٦٣ . وقد نقلت النص عن سرور (ص ٨٣) وهذا بدوره نقلها عن مخطوطة النويري (ج ٢٨ نسيم اول ص ١٣٦) وهي موجودة في السلوك (ص ٥٦٣) لكنها تختلف ببعض الكلمات وقد اشرت اليها بخط تحتها للدلالة انها ليست في نص النويري ، واهتدت الى كلمات السلوك حين تختلف بمعكوفين مغيين . وبعد كلمة سلطان يجعلها المفريزي (ص ٥٦٣) : " السلطان الملك الظاهر ابو الفتح بيبيرمر . فمن صارت اليه هذه القلعة من ملوك الاسلام ومن سكنها من المجاهدين فليجعل له نصيبا من اجره ولا يخله من الترحم في سر وجهه . فقد صار يقال عمر الله سرحها بعد ما كان يقال بحمد الله فتحها والعاقبة للمتقين الى يوم الدين " .

(٢) المفريزي ، السلوك ، ص ٥٥ .

(٣) ابن الفرات ج ٦ ، نسيم ٢ ، ورقة ١ .

### المرحلة الثالثة :

ثم كانت المرحلة الثالثة • وفيها ، كما قلنا سابقا ، حطم التحالف الذي كان بين اباقا والبابا كلمنت الرابع ( Clement IV ) وخلفه البابا فرغورى العاشر ( Gregory X ) سنة ١٢٦٧ و ١٢٧٤ ، وبوهند صاحب طرابلس واباقا • وكان على الفرنجة بموجب هذا التحالف ، ان يقوموا بناوشات محلية شهى الظاهر ريثما يحتل التتر البيرة ويستعد الاوروبيون لحملة صليبية منظمة فبادر الظاهر لاحتيال المواقع الصليبية الهامة قبل وصول النجدات التترية وقبل وصول النجدة الاوروبية الى مكاء ايضا • ولما وصل ادوارد الاول ملك انكلترا • الى مكاء سنة ١٢٧١ وجد الصليبيين هناك قد خضعوا للسلطان وعقدوا صلحا معه (١) • وكذلك استطاع السلطان الظاهر باتصالاته بصقليه ان يحول الحملة المتوقعة الى تونس • وقد حاله الحظ ايضا بوفاء البابا فرغرى العاشر ، فاستحال بعد ذلك تحضير حملة صليبية • وفي هذه المرحلة احتل ياقا والشقيف وبانيا مر وانطاكية وعسقلان وحمص — الاكراد ومكار والفريسن •

ياقنا : يبدو ان علاقات السلطان الظاهر بياقا كانت جيدة في البداية • ففي سنة ٦٥٩ هـ ، اتصل كند ياقا به في طريقه الى دمشق واعلن ولائه له وسلمه العوجاء ، فكتب الظاهر له منشورا بها (٢) • ومنع جنده من تخريب زرعها • لكنه عاد فهاجمها

---

(١) ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٩٠ ، ( R. Broussat ) ج ٣ ، ص ٦٦٠ ،  
( F. Sadeque ) ص ٦٢ ،

(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ٤٦ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ١٤ ، المقرئى ، ص ٤٦٤ •

سنة ٦٦١ هـ ، بحجة انها آوت عددا من الفرنجة الهاربين ولم يقبل عذر صاحبها ولا هداياه .  
ثم احتلها في ٢٢ جمادى الآخرة سنة ٦٦٦ هـ / ١٢٦٨ وعوض على اهلها خسائرهم وسمح  
لمن شاؤ منهم ان ينتقل الى عكا . ثم هدم القلعة ، وامر ببناء الجوامع فيها ورتب فيها حرس  
الساحل ثم اتى ببعض التركمان واسكنهم فيها لحمايتها (١) .

الشقيف (٢) : بقي في يافا حتى يوم الاربعاء ١٢ رجب سنة ٦٦٦ هـ / ١٢٦٨ م  
ثم قرر احتلال شقيف ارنون . فامر جيشه بالسير نحو دمشق . وسلم قواده رسالة شرط ان  
لا يفضوها قبل الوصول الى بانياس . فسار القواد حتى بلغوا بانياس حيث فضوا الرسالة  
فوجدوا فيها امرا بمحاصرة قلعة الشقيف . فباشروا ذلك يوم الثلاثاء في ١٨ رجب فنصبوا  
عليه ٢٦ منجنيقا وشدوا عليه الحصار لكن القوات الفرنجية لم تستسلم فعمد الظاهر الى  
حيلة يسرتها له رسالة من اهل عكا للقوات الفرنجية في الشقيف يدعونهم للمقاومة والاصطبار  
امام هجمات المماليك ويلفتون انظارهم الى نقاط ضعف في الحصن . فكتب الظاهر رسالتين  
احدهما للوزير في القلعة يحذره من القائد واثنيهما للقائد يحذره من الوزير . فكان هذا  
سببا في الخلاف بين الطرفين . ثم ان الظاهر استفاد من اشارات اهل عكا لنقاط الضعف  
في الحصن وشدد الهجوم فاحتل الباشورة في ٢٦ رجب وهنا رضي المدافعون عن القلعة  
بالاستسلام مقابل الامان على حياتهم . فدخل القلعة يوم الاحد ٢٩ منه . وسمح للنساء  
والاولاد بالرحيل الى صور واخذ الرجال اسرى وعين الامير صارم الدين قايمار نائبا على  
القلعة ثم عين فيهد قاضيا وخطيبا .

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ١٠٣ . اليونيني ، ج ٢ ، ص ٣٧٤ ، ٣٧٥ . ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ٤ ،  
ابن ابي الفضائل ، ص ١٦١ — ١٦٢ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ١٤ — ١٥ . المقرئ  
السلوك ، ص ٥٦٤ — ٥٦٥ . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٤١ — ١٤٢ .

(٢) قلعة على مرتفع حصين مشرف على نهر اللباني بين صيد ومرجعيون تعرف بشقيف ارنون  
وهذا تصحيف لـ Arnould . يعرفها الفرنجة باسم قلعة Beaufort

وهدم العلعة القديمة ثم عين الأمير سيف الدين بلبان الزينى لبناء ما كان متهدما منها  
منذ ٦٥٨ هـ ، ولما تم الترميم نقل إليها الزرد خاناه والذخائر ووضع فيها حامية ووزع فيهم  
مبلغا ضخما من المال (١) .

وفي عاشر شعبان ٦٦٦ هـ ، أرسل الظاهر أكثر الحملة إلى دمشق ثم عزم على مهاجمة  
بانياس (٢) ، بنفسه فجهز الأمير عز الدين أوغان والأمير بدر الدين الأيدمرى في جيشين  
مختلفين لحفظ الطرقات على العرجة . واتجه إلى منطقة طرابلس فشن عليها العارة فقطع  
أشجارها وخرب براها وهاجم طرابلس بالذات ثم اتجه إلى حصن الأكراد وهاجم بانياس من  
ثم قصد حماه وأقام به واعد العدة لمهاجمة انطاكية (٣) .

انطاكية (٤) : اعتبرها السلطان عدوا له لان أميرها بوهمند ذهب على رافرفة من  
الخيالة لمناصرة جيش هولاكو يوم دخوله دمشق (٥) . ثم انها مركز للصليبيين ، مريحة  
في انحيازها إلى التتر ، خصم المماليك . لذلك بدأت غزواته على انطاكية وأعمالها منذ سنة  
٦٥٩ هـ . ففي هذه السنة كانت جيوشه تحارب البولي في حلب ، فذهب في عارة على انطاكية  
وفي السنة التالية أيضا أغار شمس الدين الرومي وصاحبها حمص وحماه على انطاكية وأحرقوا  
ميناءها . وفي سنة ٦٦٤ هـ ، حين كانت جيوش الظاهر عائدة من غزوة سيصم ، غارت جيوشه  
عليها وضيقت عليها الحصار لان صاحبها أغار على حمص (٦) .

---

١١ اليونيني ج ٢ ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ . ابن أبي الفضائل ص ١٦٤ ، ١٦٥ ، ابن الغرات ، ج ٦ ،  
قسم ٢ ، ورقة ١٦ - ١٧ . المقرئى ، السلوك ، ٥١١ - ٥٦٥ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ،  
ج ٧ ، ص ٤٧ ، ١٤٢ . (٢) مدينة قديمة جنوب اللاذقية تعرف باسم ( Banias )  
كانت للاستتارية منذ ١١٨٦م / ٥٧٢ هـ ، وقد دخلها فلاوون سنة ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥م  
( Thomine JS "Banias" EI new ed. ) ج ١ ، ص ١٠١٦ - ١٠١٧ . (٣)  
ابن أبي الفضائل ص ١٦٥ - ١٦٦ . المقرئى ، السلوك ، ص ٥٦٦ . ابن تغرى بردى ، النجوم  
الزاهرة ج ٧ ، ص ١٤٢ . (٤) احتلها العرب سنة ١٦ هـ / ٦٣٧ ، استردها البيزنطيون  
سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٩م وبقيت بأيديهم حتى سنة ٤٧٧ هـ ثم دخلها الصليبيون سنة ٤٩١ هـ /  
١٠٩٨م وبقيت تحت حكم سلالة بوهمند ( Bohemond ) النورمانية حتى  
استعادها السلطان الظاهر . (٥) ( Bohemond ) ، ص ٣٩ (٦) ابن عبد الظاهر  
ص ٥٥ ، ابن الفوطي ، ص ٣٥٥ . اليونيني ، ج ٤ ، ص ٤٩٩ . أبو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢٢٢ ،  
المقرئى ، السلوك ، ص ٤٧٢ .



واخيرا فرد السلطان احتلال انطاكية . فسم جيوشه ثلاثة انعام ناد احدها بنفسه . وبعد ان قام العثمان الاخران بهجمات على قرى مجاورة التفت الجيوش الثلاثة على انطاكية في اول رمضان سنة ٦٦٦ هـ / ١٢٦٨ وحاصرتها من جميع الجهات حتى استحالت نجد تدها وتضايفت المدينة لراى اهلها ان لا بد من المفاوضة لكن السلطان رفض شروطهم وشدد الحصار عليها . وفي ١٤ رمضان تسلى جنود الظاهر اسوار المدينة من جهة الجبل ونزلوا اسوانها . فاخذ اهلها يفرون امام العاتحين لكن السلطان وضع الحراس على ابواب المدينة كي لا يفرو ولا ياخذوا معهم شيئا مما في المدينة والبلعة . كان في المدينة نحو مئة الف من السكان اسروا جميعا ووزعوا على الامراء والاجناد الاعدد سمح له بالدهاب الى طرابلس ، ثم احرفت انطاكية حتى استولى الناصر على كميات كبيرة من حديد ابوابها ورماسها . وقد بلغت الغنائم اكادسا هائلة حتى لم يكن لدى السلطان وقت كاف لعددها فاخذ يوزعها على امرائه واجناده بالظلمات ، وبلغ عدد العلما والجواري والنساء ما اقتضاه يومين لتوزيعه وقد قيل ان عدد القتلى بلغ نحو ١٧ الف قتيل (١) . اما البلعة فلم يتسلمها الا في اليوم التالي بعد اعطاء اهلها الامان (٢) .

وبعد هذا كان على السلطان ان يقوم بالترتيبات الادارية ، فسلم البلعة لبدر الدين بيليك الخزندار والامير بدر الدين بيسرى الشمسي . ثم كتب الى نوابه في بلاد الشام ومصر يبلغهم خبر النصر ثم كتب الى بوهمند صاحب طرابلس وانطاكية يبلغه الخبر ايضا . قال له : قد علم العومص الجليل المبجل المعزز الهام الاسد الشرفام بيمنند فخر الامة المسيحية رئيسر الطائفة النمرانية كبير الملة العيسوية الهمة الله رشده وتر في الخير قصده وجعل النصيحة

(١) اليونيني مج ٢ ، ص ٢٨٢ ، ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ٤٤٥ . وابن ابي الفضائل ص ١٦٦ - ١٦٧ و ١٧١ ، ابن الفرات ، ج ٦ قسم ٢ ، ورقة ٢٦ - ٢٧ و ٢٩ . المقرئى ، السلوك ، ص ٥٦٧ - ٥٦٨ . وابن تغرى بردى ، النجوم ج ٧ ص ١٤٢ ( R. Brunschwig ) ج ٣ ص ٦٤١ .

(٢) ابن ابي الفضائل ، ص ١٧١ - ١٧٢ .

محفوظة عنده ما كان من قصدنا طرابلس وفزونا له في مقر الدار وما شاهده بعد رحيلنا من اضراب العمائر والاعمار وكيف كتبت تلك الكتاب على بساط الارض ودارت الدوائر على كل دار وكيف كيف حصلت تلك الجزائر من الاجساد على كل ساحل البحر كالجزائر وكيف نزلت الرجال واستخدمت الاولاد وتملكت الحرائر • وكيف مطعت الاشجار ولم نترك الا ما يملح لافواه المجانيق ان شاء الله والاستاير وكيف نهبت لك ولرعيك الاموال والمواشي وكيف استغنى الفقير وتاهل العازب واستخدم الخديم وركب العاشي ، هذا وانت تدار نذر المغشبي عليه من الموت وادنا سمعت صوتا قلت فزعا على هذا الصوت وكيف رحلنا من عندك رحيل من يعود واخبرناك وما كان تاخيرك الا الى اجل معلوم معدود وكيف فارقنا بلادك ولا بقيت بها ماشية الا وهي لدينا ماشية ولا جارية الا وهي لدينا جارية ولا سارية الا وهي في ايدي المعاول سارية ولا زرع الا وهو محصود ولا موجود لك الا وهو مفقود • ولا منعك تلك المفاتر التي هي في رؤوس الجبال الشامخة ولا تلك الاودية التي هي في التخوم مخترمة وللعقول خارقة • وكيف سقنا منك ولم يسبقنا الى مدينتك انطاكية خبر وكيف وصلنا اليها وانت لاتصدق اننا نبعد عنك وان بعدنا فنسعود على الاثر • وما نحن نعلمك بما تم ونفهمك بالبلاء الذي عليك قد علم • رحلنا عنك من طرابلس يوم الاربعاء ٢٤ شعبان (٦٦٦هـ) ونزلنا انطاكية في مستهل رمضان وفي حالة النزول خرجت عساكرك الى المبارزة فكسروا وتناصروا فما نصروا واسر من بينهم كندا سبطي فقال في مراجعته افرانك ودخل الى المدينة وخرج هو وجماعة من رهبانك واعيان اعوانك فتحدثوا معنا فرايناهم الى ارايك؟ من اتلاف النفسوم بالعرض الفاسد وان رايهم في الخير مختلف وقولهم في الشر واحد • فلما رايناهم قد فات منهم الفوت وانهم قد قدر الله عليهم بالموت رد دناهم وقتلنا نحن الساعة لكم نحاصرو هذا هو الاول في الانذار والاخر فرحبوا وهم متشبهين بفعلك ومعنفدين انك تدرهم بخيلك ورجلك وفسي بعض ساعة مرشان المرشان وداخل الرب الربان وبان البلاء للقسطلان وجاءهم الموت من كل مكان • وفتحناها بالسيف في الساعة الرابعة من يوم السبت ١٤ رمضان وقتلنا من احتوته لحفظها والمحاماة عنها وما كان احد منهم الا وعنده شبي من الدينيس فما بقي احد منا الا وعنده شبي منهم ومنها وبعد هذه المكاتبة لا ينبغي لك ان تكذب

لنا خبرا كما ان بعد هذه المخاطبة يجب ان لا تسأل بعدها مخبرا (١).

وباحتلال انطاكية اخذت الحصون المحاذرة تستسلم للظاهر \* فتسلمت جيوشه بغراس

ودربسا - ودركوز وليمير وكفر دوين وجر سفدان وارسوز بخير سرية (٢) \* اما السير

بين حارم وانطاكية، فمولحت مناصفة وفي جمادى الاولى سنة ٦٧٤ هـ حاصرها حتي

اضطر تسليمها لها ونج ولتسليمها في ٢٢ منه واستسلمت بلادها في اوائل ايام التالي (٣)

ثم استسلمت جبلة بعد ذلك (٤).

عسقلان : (٥) في ٧ صفر سنة ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ م \* بعد علمه بخبر انهزام حملة تونس،

غادر الظاهر القاهرة بجيش صغير وهدم سور عسقلان (٦).

صور : حضر مندوبها اجتماع الطور \* وفي رمضان سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م عقد صلح

لشهر سنهات علي ان يكون لصور ٦٦ قرية محاذرة لها مقابل دفع ١٥ الف دينار خيرية دية

(١) ابن ابي الفائل، ص ١٦٧ - ١٧١، ويؤيد هذا ان يوجد عند كان في خرابه ولم يعلم به غير  
انطاكية الا من رسالة الازر \* ويقول E. Blochet انه قابل هذا الخبر من النوير  
فوجدتهما متساويين الا في احدى نسختي \* ابن الفراء، ج ٦، قسم ٢، ورقة ٢٧ - ٢٨،  
وهناك اختلافات توجب بان ابن ابي الفائل اختراعه، وان ابن الفراء يقول ان يمينه  
عرف خبر احتلال انطاكية من هذه الرسالة \* (٢) ابن الفراء، ج ٦، قسم ٢، ورقة ٢١ - ٢٢  
انظر ملحوظة ٤ ادناه \*

(٣) ابن الفراء، ج ٦، قسم ٢، ورقة ٢٢ ورقة ٤٤ و ج ٧، ص ٣٣، ٤٠ (٤) المونيني، ج ٢،  
ص ٣٨٤، ابو الفداء، ج ٤، ص ٥٥ \* ابن ابي الفائل، ص ١٧٢ \* ابن الفراء، ج ٦،  
قسم ٢، ورقة ٢٩ R. Grousset ج ٢، ص ٦٤١ المقريزى، السلوك، ص ٥٦٨،  
٥٧٠، ٦٢١ \* ابن تغري بردى، النجوم، ج ٧، ص ١٤٣، ١٤٤، ١٦٥.

(٥) احتلب الصليبيون سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٢ م وحملوها من القلعة حوم علي منوة \* استعادها الصليبيون مرة ثانية \* B. Lewis  
مادة عسقلان، الموسوعة الاسلامية طبعة جديدة، جز ١ ص ١ - ١١.

(٦) المونيني، ج ٢، ص ٤٤٣ \* ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٤٣ \* ابن ابي  
الفائل، ص ١٨٤، ابن الفراء، ج ٦، قسم ٢، ورقة ٤٣ - ٤٤، المقريزى، السلوك، ص ٥٦٠.

قتيل ، وتعلم الاسرى المسلمين (١) . ولكن الاحتكاكات استمرت ، وفي رمضان سنة ٦٦٢ هـ / تموز ١٢٦٨ م ، هاجم الظاهر صوره وذهب من اعمالها الكثير لان صاحب صوره اعتقل تاجرا دخل مدينته (٢) . وهاجمها مرة اخرى في اواخر السنة حتى انعد الملح في شوال ٦٦٩ هـ على ان يكون لصور عشرة اعمال فقط وان يكون للسلطان خمسة . اما بقية الاعمال فمناصفة (٣) .

### حصن الاكراد .

كان هذا الحصن للاستتار . وقد صالحهم السلطان ورفعوا الغنائم عن الاسماعيلية وحماه وشيزر واقاميه (٤) . ثم هاجمه الظاهر في طريقه لاحتلال انطاكية سنة ٦٦٦ هـ . لكنه لم يفتحوا حين اتصل به وفد من حاميته للمصالحة طلب منهم دية عن جندي قتلوه له . وكأنه لم يشا انداك اثاره هذه الحامية وهو مقبل على محاصرة انطاكية . وفي جمادى الاولى سنة ٦٦٨ هـ اتجه السلطان الى قلعة المرب وفي ٣ جمادى الآخرة هاجم حصن الاكراد بمئتي فارس وكسر جماعة من حاميته خرجت له . ثم تغير وضعه في سنة ٦٦٩ هـ . ففي جمادى الآخرة استناب عنه الامير شمس الدين اتسفر الفارابي في القاهرة وفي ١٢ منه خرج الى دمشق مصطحبا معه ابنه والخزندار في قيادة قسم من الجيش وفادروا دمشق في جولة هجومية على جبلة واللاذقية والمرب ومرقية والقيعات وحلبا وصافيتا والمجدل وانطرسوس في الساحل الشمالي من بلاد الشام ، على ان يجتمع الجيشان في مكان معين .

واجتمع الجيشان حسب المقرر واتجها نحو حصن الاكراد . وفي ١٩ رجب سنة ٦٦٩ هـ نصبت المجانيق عليه واشتد الحصار حتى خرق سور الاول بعد يومين ، اما السور الثاني ففي ٧ شعبان وفتح السور الثالث في ١٥ منه ، بعد قتال عنيف سقط فيه عدد كبير من القتلى .

(١) المقرئى ، الملوك ، ص ٥٥٩ .

(٢) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٤٠٨ . ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة . ج ٧ ، ص ١٤٧ .

(٣) المقرئى ، السلوك ، ص ٥٩٥ .

(٤) ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٧ .

اما اهل الطلعة فاستسلموا في ٢٥ منه ولم تنفع محاولة عكا لنجدته بعد ان منحهم الظاهر الامان وسمح لمن شاء منهم ان يتوجه الى طرابلس .

وبعد احتلال الحصن اجرى الظاهر الترتيبات الادارية اللازمة فعين الامير عز الدين الافيم لعمارته والامير عز الدين الموصلبي نائبا عنه في المدينة . وعين فيه قاضيا وخطيبا وجعل كنيسته جامعا تمام فيه الجمعة . وكتب ايضا لنوابه يخبرهم بالواقع ثم كتب لرئيس فرسان الاسبتار الفريراوك يعلمه بالفتح ويتمنى عليه ان لا يعاند العذر . وكان الظاهر يعود الى طلفده كما فعل في ذي الحجة من السنة ٦٢٠ هـ . جاء لمراقبة عمارته وتحصينه (١) .

عكار : بعد عقد معاهدة مع صاحب طرابلس ، تمت الظاهر صافيتا ، وهي على معاهدة معه منذ شعبان سنة ٦٦٦ هـ . ثم عادرها في ٤ رمضان سنة ٦٦٩ هـ / ١٢٧١ وادن لصاحبي حصن وحماه بالعودة الى مدينتهما . اما هو فزحف باتجاه حصن عكار حتى اشرف عليه في ١٧ منه . وفي ٢٢ رمضان نصب عليه المجانيق واخذ يرميه بشدة بينما نائنته الحامية بقوة . وفي ٢٩ منه قبلت الحامية تسليم التلعة مقابل السماح لمن شاء من افرادها ان يذهبوا الى طرابلس .

وفي ٤ شوال عاد الظاهر الى مخيمه في برج صافيتا ووصلته رسالة من صاحب طرابلس

يلتمس ابقاء التلعة له فرفض لانه تكبد الخسائر الكثيرة لاحتلالها (٢) .

- (١) اليونيني ، ج ٢ ص ٤٤٤ - ٤٤٥ و ٤٧٣ . ابن تغري بردي ، النجوم ، ج ٢ ص ١٥٠ - ١٥١ ، و ١٥٣ . ابو الفداء ج ٤ ص ٦٦٠ . ابن أبي الفضائل ص ١٨٥ - ١٨٧ ، ١٩٧ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٦٧ ، ورقة ٧٦ - ٧٧ ، ويجعل تاريخ الهجوم ٩ رجب . المقرئ السلوك ، ص ٦٠٣ . السلوك ٥٩١ ، ملحوظة ٣ وسور ص ٩٠ - ٩١ .
- (٢) اليونيني ، ج ٢ ص ٣٨٢ ، ٤٤٨ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ابو الفداء ، ج ٤ ص ٧٤ ، ابن أبي الفضائل ص ١٩٠ ، ١٩٧ - ٢٠١ ، ابن الفرات ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٧٥ ، و ٧٨ - ٧٩ ، . المقرئ السلوك ، ٥٦٧ ، ص ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ١٥٢ .
- ١٥٣ . وباحتلال عكار مال ابن عبد الظاهر : ان سلطان البرايا  
 ضم الاعداء رعبا  
 حصن عكار منيع  
 زاده الله سعاده  
 وله بالنصر عاده  
 هو عكا وزياده

القرين : في ١١ شوال رحل الى دمشق ووصلها في ١٥ منه . وفي ٢٨ منه

نازل قلعه القرين واحتلها بعد قتال عنيف في ٢ ذى القعدة سنة ٦٦٩هـ / حزيران ١٢٧١  
وأمن اطفالها ونساءها . وامر بهدم القلعة .

وفي ٢٦ ذى القعدة امر بالعودة الى مصر فمر على كركانه في منطقة عكا ثم على الصالحية  
ودخل القاهرة في ١٥ ذى الحجة سنة ٦٦٩هـ . وبذلك تمت حملة استغرقت نحو من سنة  
وكلفت ١٨٠ الف دينار عينا (١) .

بيروت : اتصل صاحب بيروت بالظاهر وهو في دمشق سنة ٦٥٩هـ وانعقد الصلح

بينهما . ثم حضر مندوب صاحب بيروت مؤتمر الطور . ومع ان الظاهر لم يعقد صلحا مع الصليبيين  
عامة في هذا المؤتمر فانه كان يدرك ان لبيروت وضعها خاصا . ففي سنة ٦٦٢هـ / ١٢٦٣ —

١٢٦٤ توفي صاحبها Jean II D'Ibelin من غير ان يعقب ذكرا يرثه . وخطبت ابنته

ووريثته ايزابيلا لملك قبرص هيوج الثاني ثم مات هذا وعمره ١٤ عاما . وفي رجب سنة ٦٦٥هـ

ارسلت ايزابيلا وفدًا للظاهر في صفد . تعتذر له عن اعتقال اخيها لبعض التجار ومصادرة

اموالهم وبضائعهم وتعد بالتعويض عليهم عما فقدوه . وفي شعبان من السنة التالية اطلق

سراح التجار وردت اموالهم . وفي رمضان سنة ٦٦٧هـ / جاء رسول صاحب بيروت الى الظاهر

ومعه اسرى مسلمون فاطلق سراحهم في الحال . وفي عام ٦٧١هـ / ١٢٧٢ تزوجت ايزابيلا من

Edmond L'Etranger فوضع هذا زوجته واماره بيروت تحت حماية السلطان . ولما توفي

الزوج انتقلت المدينة لحماية الظاهر بصورة نهائية ورسمية (٢) .

---

(١) اليونيني ، ج٢ ، ص ٤٥٣ ، ابن الفرات ، ج٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٨١ ، ابن تغرى بردى ، النجوم  
الزاهرة ، ج٧ ، ص ١٥٣ : راجع مصادر ملحوظة ٢ من الصفحة السابقة .

(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ٤٦ ، ابن الفرات ، ج٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٧ ، ورقة ١٧ — ١٨ ، و ج٧ ، ص ٣٥ ،  
المقريزي ، السلوك ، ص ٤٦٤ ، ٥٦٦ ، ٥٨٠ : ومحمد مصطفى زيادة ، ملحوظة ١ ، ص ٥٥٩ ، السلوك .

يبدو ان العلاقات <sup>بين</sup> بيروت والظاهر كانت ودية عموما . وقد كانت هذه المدينة هامة  
من الناحية التجارية .

بقيت مدينتان هما طرابلس وعكا وينبغي ان نتحدث عن علاقاتهما بالسلطان الظاهر  
بصورة اكثر تفصيلا ، ولو اننا اشرفنا اليهما في معرض الحديث عن مدن اخرى .

طرابلس : كان الظاهر يبرمر يرى في بيموند صاحب طرابلس وانطاكية العدو  
الاكبر له بين امراء الفرنجة لانه كان يتلقى النجدات من اوروسا ويعين التتري عزواتهم  
على بلاد الشام . وكثيرا ما كان يعوم بعزوات تخريبية على مدن بلاد الشام . كما فعل منسة  
٦٦٢ هـ / ١٢٦٥ بحمص .

لذلك كان الظاهر يجهد لاحتلال طرابلس . وقد هاجمها مباشرة لكنه عجز عن  
احتلالها فعمد الى خطة احتلال القلاع المجاورة لها . وفي سنة ٦٦٤ هـ ، ارسل جيشه  
من سفد ليعبر بحملة ترويع وتخریب ، وفي سنة ٦٦٦ هـ ، هاجم طرابلس بعد احتلال انطاكية  
وفي سنة ٦٦٩ هـ هاجمها في طريقه لمهاجمة حصن الاكراد . واحد دخل عند الحصن أصبحت  
المنافذ الى طرابلس بيد السلطان الظاهر . وبعد فتح حصن الاكراد كتب له العامر رسالة  
هدده فيها وقد بد به ثم ارسل اليه ميذا ورسالة فيها ازدراء لخشيته من الخروج الى  
الحميد . وفي شوال سنة ٦٦٩ هـ / ١٢٧١ هاجم السلطان طرابلس ، فوجد صاحبها ان لا بد  
من المفاوضات .

واجتمع الوفدان الظاهري والفرنجي المتفاوض فطلب الوفد الظاهري ان يتنازل بوهمند  
له عن نصف اعمال طرابلس ، وان يدفع له نفقة الحملة العسكرية ، وان يسمح له بانشاء  
دار وكالة لجمع الزكاة . فرفض بوهمند . ووجد الظاهر نفسه مضطرا للتساهل لعدد الصلح  
امام تهديدات التترواخيرا انعقد الاتفاق على مايلي :

١ - عرفه وجبيل واعمالهما لبوهمند على ان تكون الاولى " حده من السلطان " له .

(٢) نصبت غزوات اندلسوس والمغرب ومانسار للسلطان والنصب الآخر للدواوية والاستقرار.

(٣) قربنا بارين وحمص القديمة للسلطان وحسده .

(٤) مدة العقد عشر سنوات وعشرة اشهر وعشرة ايام .

وفي سنة ٦٧٣ هـ / ١٢٧٥ توفي بومند . وفي ٢٨ محرم من السنة التالية عقدت معاهدة

صلح جديدة مع صاحبها الجديد على ان يدفع للظاهر مبلغ عشرين الف دينار (١).

وبعد انعقاد الاتفاقية، رأى صاحبها المرقب (٢) واندرسوس التعاقد مع الظاهر تفاديا

لهجمات المتكررة عليهما . وفي امر رد ان وقعت اتفاقية على المئاة لخمسة سنوات و عشرة

اسهر وعشرة ايام، تأكيداً للاتفاقية مع بومند . ثم ارسل الى اخر نائبين من قبله الى القلعة (٣)

#### عكـا:

داحم السلطان الآخر بيجرس عكا اكثر من مرة اثناء سلطنته لكنه لم يستطع احتلالها

كان لا يستطيع ان ينسى انما آوت لوزير القامه سنة ١٢٥٠ . لكن هذه الهجمات ادت الى

انحسار المدينة بحيث استطاع السلطان الاسرف طين بن قزوون ان يحتلها بعد ١٥ سنة

من وفاة الدار والى اشغالها برد الزمان عنهما فزاد على مديد المعونة المحددة من

المراكز الصليبية الاسرى . غير ان هذا ينبغي ان لا يعني ان العلاقات بين العماليه عكا

كانت علاقة حرب باستمرار، حقا ان حقد الواحد منهما على الآخر كان يسير تصرفاته ان الثاني

ولكنها عرفا فترات هدوء ومهادنة .

(١) اليوناني، ج٢، ص ٣٨٢، ٤٥٠ . ابو الفداء، ج٤، ص ٣، ابن ابي الفائل، ص ١١١ — ١١٥ .

ابن الفرات، ج٦، قسم ٢، ورقة ٢٠ — ٢١، ورقة ٧٦ . الميريز، المسود، ص ٥٦٦ — ٥٦٨،

٥٩١ — ٥٩٣، ٦١٩ . ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٧، ص ١٤٢، ١٤٣، ١٥٢ .

C. Cahen ص ٧١٥ . (٢) هي *Castrum Merghatum* عند الصليبيين .

(٣) اليوناني، ج٢، ص ٤٤٨ . ابن ابي الفائل، ص ١٨٦ . الميريز، المسود، ص ٥٦٠،

٥٨٦، ٥٩٢، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٧، ص ١٤٨، ١٥١ .



في اوائل سنة ٦٦٢ هـ/ اغارت الحساكر المملوكية على السواحل ووصلت ابواب عكا (١).

وليلة السبت ٤ جمادى الآخرة استناب السلطان الامير شجاع الدين النبل الممندان في دهلزيه في منزلة الخور ثم سار بنفسه الى عكا فوصل اعمالها عند الصبح ثم حاربها من ناحية البر، ثم حاصرها بحصنه برحا غربا من عكا حتى المنزلة ثم رجع الى دهلزيه في الخور (٢). وفي اليوم التالي عاد الى مباحمة عكا مرة اخرى، بعد ان استكملت فوجا اراغامية قد حفرت عند الفل حول تل الفل ووجدت مناور في الخور، كن حصنه اقتمح الخندق والقل فانهمز حند عكا واقتلوا ابواب المدينة (٣). وهكذا اثبت لاهل عكا انه غير عاجز عن تحديهم في عقر دارهم. لكنه لم يكن يقصد احتلال المدينة، وانما كان يقصد تحديهم وحسب.

وصعد السلطان ببعض جيشه الى تل الفل وهدم بعض الابراج المجاورة.

وفي اوائل سنة ٦٦٣ هـ/ نوفمبر ١٢٦٩ استغل الفرنجة في عكا انشغال الناصر بمعارية

الممولى فاغاروا على بيسان. وفي ذى الحجة من السنة التالية امر الاهر بالقيام بنارة ثارية على المراكز المسيحية. فاغار جيشه على نسيحا وقتل نحو مئتين واستولى على الكثير من المواشي لان الفرنجة كانوا قد سقطوا اربعة من المسلمين المحتقلين (٤). وفي رجب من سنة ٦٦٥ هـ/ ١٢٦٧ علم وهو في صفد ان بعض الفرنجة في عكا يترحون غداة الى ارض الخور. فهاجمهم فقرر مفاحتهم. وفي الليل امر جماعة من حنده وزحفوا الى ابواب عكا. وما ان خرجت الفرنجة حتى فتت بهم حنده فتكا ذريسا. ثم اعاد الكرة في السر التالي اي ا، فاحرق الاشجار واسر بعض الفرنجة ثم عاد الى صفد (٥).

(١) ابن عبد الظاهر، ص ١٠٠ (٢) ابن عبد الظاهر ص ٧١ (٣) ابن عبد الظاهر

ص ٧٢، والمقريزي، السلوك، ص ٨/ ٤٠ (٤) المقريزي السلوك، ص ٥٥٠ F. Sadeque

ص ٥٤ (٥) ابو شامة، ص ٢٤، ابن الفرات، ج ٦، قسم ٢، ورقة ٦، المقريزي السلوك

ص ٥٥٨ و ٥٥٩

وفي سنة ٦٦٦ هـ / ١٢٦٨ م ، رأى اهل عكا انه لا بد من مصالحة السلطان . فغلب  
 ١٣ شوال سنة ٦٦٦ هـ وحمل رسولهم الى السلطان ومعه هدية لمفاوضته حول الصلح . وتم  
 الاتفاق بين فرنجة عكا والظاهر على ان يكون السلطان نصف مدينة عكا وبلاد الكرمل ،  
 والمناطق الجبلية من صيدا ، وان تبقى حيفا وثلاث قرى من اعمالها للفرنجة . ووافق الطرفان  
 بعد ذلك على اطلاق الاسرى وان يبقى الصلح لعشر سنوات ، ثم ارسل الظاهر القاضي محيي  
 الدين بن عبد الظاهر والامير كمال الدين بن شيت الى صاحب عكا ليخلف لهما عيسى  
 الاتفاق فوصلا عكا في ٢٠ شوال / تموز ١٢٦٨ واجتمعا بصاحبها واسرا بنه على تعليمات  
 من السلطان ، على الجلوس على كرسيين ببالة صاحب المدينة ، وعلى تسليم رسالة الظاهر له  
 بالذات . ولما لم يوافق صاحب عكا على الشروط التي كان يرسله قبلوا بها ، فقد عاد الوفد  
 الظاهر من فيران يتم الصلح (١) .

ثم عادت المناوشات بين الطرفين . واشاع الفرنجة في عكا وفاة السلطان (٢) . وحمل  
 الظاهر دمشق في ربيع الاخر سنة ٦٦٨ هـ . وعلم ان جنود عكا يهاجمون جنده المراكبيين  
 بجوار صفد والشفيف فامر بالزحف على عكا بجيش من ١٥ الف جندي . وقسم الجيش الى  
 فرق زحف بعضها الى عكا على ان يتراجع امام جيش عكا اذا هاجمته جيوشها بينما كمن  
 الظاهر ببعض جيشه الاخر لابطاد جيش عكا اذا انخدع بالحيلة . وجرى كما توقع الظاهر  
 فاستطاع ان يكسر الاعداء ويأسر منهم عددا كبيرا . ولعل وسول جيش من اراكون المناصرة  
 عكا في هذه الفترة انقذها (٣) .

- 
- (١) ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٣٣ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٥٧٤
  - (٢) ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٤٣ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٥٧٨ ، ٥٧٩ .
  - (٣) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٤٣١ . ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٦٦ - ٦٧ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٥٥٩ ، ٥٨٠ ، ابن تعري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ١٤٧ (١٤٨) .
- ج ٢ ، ص ٦٥ .

وفي اوائل ربيع الاول سنة ٦٦٩ هـ علم الظاهر ان فرنجة عكا اعدوا نحو مئة اسير مسلم فنار لذلك باعراق عدد من اعيان اسرى عكا في البحر (١) . وبينما كان عائدا الى مصر بعد فتح حصن الكراد من سنة ٦٦٩ هـ نزل على كرادنه في يوم الاثنين ٢٦ ربي العدة وسار بعسكره حتى اشرف على عكا ثم عاد فواصل طريقه الى القاهرة . فدخلها الخميس ١٣ ربي الحجة . وهنا هاجم اهل عكا الشافور واحرقوا الغلال (٢) .

وفي سنة ٦٧٠ هـ نام فرنجة عكا وعثيث بهجوم على نابون بناء على اتفاق مع التنسر واخذوا عددا من الاسرى واستولوا على كثير من العنائم . ولما علم الظاهر بذلك اعتقل القواد والمسؤولين عن الدفاع وارسل جمال الدين اقوش الشمسي يطارده المهاجمين حتى استردوا الاسرى والعنائم واستولى على بعض ماشية الفرنجة واشف موه ونسبهم (٣) .

وفي شعبان سنة ٦٧٠ هـ / ١٢٧٢ بعد انقطاع الامل بوصول حملة لويصر التاسع الى الشرق سار الظاهر الى بلاد الشام وخيم بين بيسارية وارسوف ثم اغار على عكا لترويض اهلها وتخريب زرعها . لكن جنوده تضايقوا بسبب الامطار .

وهنا وجدت عكا انه لا بد من المصالحة . وفي ٢١ رمضان ارسل الظاهر وفد الى عكا وانعقد الصلح بين الظاهر وعكا لعشر سنوات ثم خرج اهل عكا يتفرجون على موات الظاهر المسلحة تقوم بمنارات عسكرية (٤) . ومع ان الظاهر شغل فيما بعد بمهاجمة السلاجقة في آسيا الصغرى فان عكا بقيت هادئة .

- (١) ابن ابني الفضائل ، ص ١٨٤ .
- (٢) المقريزي ، السلوك ، ص ٥٩٦ . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٥٣ .
- (٣) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٤٦٨ . ابن الغرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٨٩ . المقريزي ، المسلك ، ص ٦٠١ . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٥٧ .
- (٤) ابن الفوطي ، ص ٤٧ . اليونيني ، ج ٢ ، ص ٤٧١ . المقريزي ، السلوك ، ص ٦٠١ . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٥٧ .

قبرص : لم تقتصر حروب الظاهر بيبرس على المواقع البرية وحسب ، وقد اعد الظاهر الاسكندرية لتقوم بدورها في رد الصليبيين وخرّب ميناء دمياط لكي لا يستعملوها مرة اخرى للنزول الى البر المصري .

وكانت قبرص مركزا للصليبيين خطرا عليه لاسيما وقد كان صاحبها يذعن باستعادة ما احتله من مدن الصليبيين في بلاد الشام . لذلك اتسمت علاقات الظاهر بقبرص بالحقد والعداء .

في محرم سنة ٦٦٥ هـ ارسل صاحب قبرص نجده الى عكا لتهاجم طبرية (١) . ولكن سقوط انطاكية بيد السلطان الظاهر جعل صاحب قبرص على مفاوضة السلطان . ويبدو انها لم تسفر عن نتيجة . وفي رجب سنة ٦٦٨ هـ . علم الظاهر ان الفرنجة استولوا على سفينتين بالاسكندرية . وفي ٥ شوال علم انهم يتجهون للمعرد الى عكا . وهاجموا الاسكندرية مرة اخرى واستولوا على مركب تجارى فيها . فعصم الظاهر الاسكندرية واتخذ التدابير الاحتياطية لرد اي عدوان . ثم نصب دمياط وبني جسر بين الجزيرة والجزيرة وبني فيها حتى عرف بانحراف الحملة الى تونس (٢) .

وبسبب وضع قبرص الجغرافي لم يكن السلطان يستطيع مفاومتها ، لكنه بعد هاتين المحاولتين سرر مهاجمتها . وفي شوال سنة ٦٦٩ هـ / ١٢٧١ م ارسل الاسكندرية ورئيس دمياط بتجهيز اسطول وقدم عليهما جمال الدين بك بن حصون وهاجموا قبرص في اسطول من ١٧ شينيا وذلك ليشعل صاحب قبرص عن نكرة عكا . ودخلت الشوانسي الجزيرة ليلا وهاجست الريح وانكسر الشيني ثم تبعته الشواني الاخرى من غير ان تدري بما حدث للشيني الاول حتى تحطم ١١ شينيا واسر بحارتها وعددهم نحو ١٨٠٠ .

---

(١) المقرئى ، السلوك ، ص ٥٥٥ .

(٢) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٤٣١ - ٤٣٣ . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة مج ٧ ، ص ١٤٨ .

## وهرب رئيس الاسكندرية والمقدم (١) .

وفي ١٠ ذى القعدة وحملت رسالة من نائبه في القاهرة يخبره فيها بالكارثة . فسكر السلطان الظاهر بالله على ان الكارثة لم تكن اعظم . ثم جاءه رسول صاحب قبرص فخبره بما جرى للاسطول شامتا به فرد عليه السلطان بانه احتل في حملته ١٤ حصنا من الصليبيين . ثم كتب لصاحب قبرص رسالة ارعد فيها وابرق (٢) . ثم بشره بفتح القلاع والحصون الصليبية ، وجعل فتح هذه اهم من الاستيلاء على الخشب والحديد وهذه بيننا اسطول جديد (٣) .

وفي ذى القعدة سنة ٦٦٩ هـ عندما احتل الظاهر العرين ، بعد فشل حملة قبرص جاءه رسول من صاحبها يطلب منه الرجيل عن العرين وتسليم بعلبك ونابلس مقابل الصلح بين الطرفين . فرفض الظاهر العرين وهذه باخذ كل حصون الصليبيين اولا بأول (٤) . وفي سنة ٦٧٣ هـ استطاع الظاهر استعادة بعض كبار الاسرى من قبرص اد ان بعض امرائه استطاعوا رشوة حراس السجن في فكوا فاطلقوا سراحهم (٥) .

وهكذا نجد ان العلاقة بين الظاهر وقبرص كانت عدائية . ولكن كون قبرص جزيرة حال دون مهاجمتها جديا . وقد اسفرت محاولة احتلال قبرص عن الفشل .

(١) اليوناني ، ج ٢ ، ص ٤٥٤ . ابو الغداء ، ج ٤ ، ص ٧٧ . ابن ابي الفضائل ، ص ١٩٩ . ابن الغرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٨٢ ، المقرئى المارك ، ص ٥٩٤ . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٥٤ .

(٢) ابن ابي الفضائل ، ص ١٩٩ . ٢٠٠ . المقرئى السلوك ، ص ٥٩٤ . (٣) ابو الغداء ، ج ٤ ، ص ٧٧ . ابن ابي الفضائل ، ص ١٩٩ . المقرئى ، المارك ، ص ٥٩٤ . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٥٥ .

(٤) ابن ابي الفضائل ، ص ١٩٩ . ابن الغرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٨٢-٨٣ . (٥) ابو الغداء ، ج ٤ ، ص ٦١٥ . المقرئى ، السلوك ، ص ٦١٥ .

## ٨ - الدول الأوروبية - صقلية ، جنوى ، اراغون ، اشبيلية :

لقد عمل الظاهر في علاقاته الخارجية على عدة جبهات . لم يكن الحيدان العسكرى وحده كافيا لتوطيد النفوذ وقد كان يعلم ان التتريين يملكون بالصلبيين في بلاد الشام وبالأوروبيين المحصول على نجدات لذلك عمد الى مصادمة صقلية وجنوى . فكان هذا كافيا للحوار دون وصول نجدات عسكرية الى عكا وانطاكية والتتر ، عدا انه كانت لهذه العلاقات فائدة تجارية .

وفي سنة ٦٥٩ هـ قرر الظاهر ايفاد رسول الى صقلية . وبالفعل فانه ارسل الحواري ابن واسل مندوبا منه الى منفريد بن فردريك امير صقلية حاملا هدية ورسالة فيها عرض المتعاون والصدقة . وفي سنة ٦٦٢ هـ رمضان ، كتب امير صقلي للظاهر يقول ان الملك شارل شقيق لويس التاسع امره ان يستجيب لاوامر الظاهر مما كانت . وكان شارل عدا هو الذي حول الحملة الصليبية الاخيرة الى تونس (١) .

وفي جمادى الاولى سنة ٦٧٠ هـ ارسل روجر صاحب صقلية للظاهر وفدا يستهدف فيما يبدو والمشفاعة بصاحب عكا لكن الغاية الحقيقية كانت الناحية التجارية . وقد كانت بينهما معاهدة تجارية منذ ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م .

امام جنوى والبندقية فكانت العلاقات تجارية بالدرجة الاولى . وقد رغبت هذه ان تبيعه الاخشاب والحديد لبناء السفن ووضع الاسلحة ، وان تبيعه الرقيق المجندية (٢) .

- 
- (١) يبدو ان النواد الصليبيين اختلفوا حول الخطة . اراد شارل العسطنطينية والعدو مراده . بينما ارتأى آخرون ان فتح تونس يمهّد السبيل لغزو مصر من البر . ( F. Sadoulet ) ج ٣ ، ص ٦٥٩ ، ( F. Sadoulet ) ج ٣ ، ص ٦٥٩ .
  - (٢) ابن عبد الظاهر ، ص ١٠٤ ، اليوناني ، ج ٢ ، ص ١٢٥ . ابن ابي الفضائل ، ص ١٢١ - ١٢٢ المنريزي ، السلوك ، ص ٦٠١ : F. Grousset ج ٣ ، ص ٦٥٩ ( F. Sadoulet ) ص ٦٠ ، ( S. Runciman ) ج ٣ ، ص ٢٢٥ .

وفي سنة ٦٢٤ هـ • تبادل الرسل (١) •

واما اراعون فكانت علاقاتها بالظاهر سيئة • وكانت تواصل ارسال العدد لعكا

كما جرى في ربيع الاخر سنة ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م لكن جيموملك اراعون رأى بعد مصالحته

عكا والظاهر ، ان يتصل بالسلطان لعدد معاهدة تجارية • وفي سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٧٦ تبودلت

الوفود والهدايا حتى تم الاتفاق على التبادل التجاري (٢) •

وكانت للمعاهدة تجارية مع اشبيلية منذ سنة ٦٦٩ هـ (٣) •

يبدو لي ان الظاهر اصاب نجاحا كبيرا في هذا الميدان • فهو من جهة ، عزل

الصلبيين في الشرق ، وحال دون التحالف مع التتر ، ثم استطاع من جهة اخرى ان يعيد

المعاهدات التجارية وامن بذلك الموارد المالية المنظمة الضرورية له من الناحية العسكرية •

اسباب نجاح الظاهر على التتر والصلبيين :

لارباب الظاهر ، فيما يبدو اصاب نجاحا باهرا في حروبه مع التتر والصلبيين اما

اسباب ذلك فهي :

(١) جيشه المنظم تحت قيادته واخلاص العادة له والمبادرة الى تنفيذ اوامره على الفور •

(٢) وجود قادة ماهرين اكفاء يحيطون بالظاهر •

(٣) محالفته مع العشق والدويلات الاوروبية لاسيما صليبيجنوى ، مما ادى الى توزيع

نوى خصومه والحيلولة دون اتحادهم •

(٤) انقسام التتر الى ايلخانات فارصو وجعطاي وقبشاق متنافسين •

(٥) انقطاع المدد العسكري من اوروبا للصلبيين والتتر •

---

(١) المقرئى ، السلوك ، ص ٦٢١ • (٢) المقرئى ، السلوك ، ص ٥٨٥ •

(٣) المقرئى ، السلوك ، ص ٦٢١ ، وملاحظة الدكتور محمد مصطفى زيادة ، ملحوظة

٢ ، ص ٦٢١ ، في السلوك ، للمقرئى •

٩ — بيبرس واليمن :

كانت علاقات الظاهر باليمن علاقات ود وصداقة • يدل على ذلك ان التجار كانوا يأتونه مرتين في السنة • وكان التجار واصحاب الاموال يامنون المعروف في اراضي سلطنته بسبب عدله والامن السائد في البلاد (١) •

وفي سنة ٦٦١ هـ جاء رسل صاحب اليمن بهدية الى الامراء والخواص في مصر فاستقبل الظاهر الرسل وسمح لهم بتوزيع الهدايا على امرائه وخواصه (٢) •

وفي اواخر سنة ٦٦٥ هـ كان الظاهر قد انتصر على التترو والصليبيين في معارك عديدة فارسل اليه صاحب اليمن هدية فيها عشرون فرسا وعليها لامة حرب ، وفيل وحمار وحشي ابيض واسود ، وذيول وصيني ، وتحف ، ورسالة يطلب فيها محالفته مقابل الخطبة له في بلاد اليمن • ولما عاد الظاهر من دمشق في صفر سنة ٦٦٦ هـ اجتمع بالرسل في جمادى الاولى ثم رد على صاحب اليمن بهديه ورسالة وافق فيها على طلبه •

ولما حج الظاهر الى مكة سنة ٦٦٧ هـ اتصل بصاحب اليمن وحرضه على الاسهام في محاربة التترو • وفي ذى الحجة سنة ٦٦٩ هـ وفي رجب سنة ٦٧٤ هـ ارسل صاحب اليمن هدايا للظاهر (٣) •

وهكذا قامت العلاقات بين الظاهر وصاحب اليمن على التهادى وتبادل التأييد المعنوي من ناحية ، وعلى تأمين مرور التجار من ناحية ثانية • واذا لم تكن الناحية الاولى ذات اثر فعال فلا ريب ان الناحية الثانية كانت ذات اثر بارز في حياة الممالكة الاقتصادية عامة • ولعل هذا هو ما دفعه لتوطيد سلطانه على النوبة •

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ٥٤ (٢) ابن عبد الظاهر ص ٨٨ ، والمقريزي ، السلوك ص ٥٠١ •  
(٣) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٣٧٤ • ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ١٢ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٥٦٤ و ٥٩٥ و ٦٢١ • ابن خفري بردي ، النجوم ، ج ٧ ، ص ١٤١ •



١٠ — الحبشه :

وكانت بلاد الحبشه على علاقه ودية مع الظاهر بيبرس . ويبدو ان الظاهر لم يتفرغ للبلاد الواقعة جنوب مصر الا بعد ان كان قد وجه ضربات قاصمة للصليبيين وحال دون التحالف التتري الاوروبي . ففي سنة ٦٧٢ هـ . ارسل ملك الحبشه عن طريق صاحب اليمن رسالة للظاهر بيبرس تحدث فيها عن كثرة جيوشه وعن وجود المسلمين والنصارى فيها وعن استعداداته لمناصرته ويعلن له الخضوع ويصف له حسن معاملته للمسلمين الوافدين عليه ثم يطلب منه مطرانا لبلاده . فرد عليه الظاهر مخاطبا اياه " بصدق الملوك والسلاطين (١) " .

---

(١) ابن ابي الفضائل، ص ٢١٩ — ٢٢٢ و ٣٨٣ — ٣٨٥ . ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٣ .  
القلقشندي، ج ٨، ص ١١٩ — ١٢٠ . المقرئ، السلوك، ص ٦١٥، ٦١٦ . لكن هذا  
الاخير يجعل تاريخ الرسالة سنة ٦٧٣ هـ .

شخصية الظاهر بيبرس ومنشأته

تناولنا حتى الان حياة الظاهر العامة في حروبه وخططه في داخل سلطنته وخارجها . ويجب علينا هنا ان نتناول نواحي اخرى من حياته لنستكمل وصف شخصيته وتحديد ها ، ولنستطيع ، بعد ذلك ، ان نحدد مكانته .

اولا - حياته الخاصة :

تزوج الظاهر خمس نساء ، هن الشهزورية التي تزوجها في الكرك ، لما كان فارا من وجه عز الدين ايبك ، ثم عاد فطلقها لما تسلطن (١) . ثم بنت الامير سيف الدين نوكاى التتري ، ثم ابنتي الامير سيف الدين كراى التتري (٢) . ثم ام الملك السعيد بركة خان (٣) ثم ابنة حسام الدين بركة بن دولة خان التتري (٤) .

وكان له ثلاثة ابناء وسبع بنات (٥) وكان السعيد اكبر ابنائه الذكور . ويبدو ان العلاقة بين الظاهر وابنه هذا ، كانت اوثق منها بولديه الاخرين . كانت علاقة ابوة وزمالة في وقت واحد . وقد تحدثنا عن علاقاتهما الرسمية اما الناحية الابوية فلها تنضح بقوة لنا في الحادثة التالية : في ٢٢ ربيع الاول سنة ٦٧٣ هـ كان الظاهر وابنه السعيد عائدتين من الشوبك وصرع السعيد في الطريق طيرا فليل له : لمن تدعى ؟ فقال : لمن ادعوا بحياته ومن اتقرب الى الله بدعواته ، الذي حسبي افتخارا ان اتول والدي ، ومن يتمرن لسرع اعدائه ساعدي ؟ وهناتقدم الظاهر منه وقبله (٦) .

- 
- (١) المقرئى ، السلوك ، ص ٦٤٠ . وابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٧٩ .  
(٢) ابن ابي الفضائل ص ٢٩١ . المقرئى ، السلوك ، ص ٦٤٠ - ٦٤١ (٣) المقرئى ، السلوك ص ٦٤٠ - ٦٤١ وابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٧٩ . (٤) ابن ابي الفضائل ص ٢٩١ والمقرئى ، السلوك ، ص ٦٤٠ . وهنالك ان ركن الدين بيبرس تزوج من خوارزميه حين انضم اليهم على الملك الصالح نجم الدين سنة ٦٤٣ هـ . (المقرئى السلوك ، ص ٣٢٤) لكنه ليبر السلطان الظاهر بيبرس . (٥) ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٧ ، ص ١٧٩ . (٦) المقرئى ، السلوك ، ص ٦١٥ . وقد تسلطن السعيد سنة ٦٧٦ ثم خلع سنة ٦٧٨ هـ . حين تولى السلطنة اخوه بدر الدين سلاش ، ثم خلع في نفس السنة وتولاها فلاوون . ولم يتول نجم الدين خضر السلطنة .

كيف كان الظاهر يفضي اوقات فراغه ؟ او هل كانت لديه اوقات فراغ يفضيها بصورة ما ؟ ان المعلومات التي لدى لا تحوي بوجود اوقات فراغ . وانما تصور لنا الظاهر دائم الحركة من ميدان تدريب الى ميدان تدريب اخر ومن لعبة العبق الى الرمي بالنشاب . . . . لم يكن لديه فراغ يلهو فيه . هنالك قصص عن بعض امراءه يفضون جلسات يتندرون فيها بشرســون ويتماجنون . ولكن الظاهر كان يتجنب مثل هذه الجلسات . والواقع انه كان يمنعها (١) .

ويبدو انه كان للظاهر انواع اخرى من التسلية هي اللعبة التي نسميها اليوم بالبولو والسباحة ولعب الكرة وركوب الخيل والصيد . وقد احب هذه الهواية الاخيرة حبا جما ومارسها بصورة متواصلة حتى اننا نستطيع ان نقول ان رحلات الصيد كانت استعراضات مصغرة . كان يقوم برحلات الصيد في كل مناسبة اذ انه جمع فيها بين التسلية الشخصية والتدريب العسكري له ولجنوده . ولا يتخلل عن رحلة الصيد حتى حين يكون في طريقه الى معركة او في رحلة تفتيشية في سلطنته (٢) .

وكانت البلاد ، فيما يبدو ، مليئة بانواع الحيوانات للصيد . اما امكنة الصيد فكانت تروجه واوسم والصالحية وبركة زيزاء في الغالب .

وفي محرم سنة ٦٦١ هـ . خرج يتصيد في اوسم ثم تصد البركة . وفي ربيع الاخر من السنة نفسها خرج الى بلاد الشام ولما وصل غزة خرج في حلة سيد ومعه ثلاثة الاف فارس (٣) . وفي شوال من السنة نفسها توجه الى تروجه ثم دخل البرية للصيد (٤) وفي صفر

---

(١) انظر سياسته نحو الخمر . . . ص ٢٢٤ اذنا ملحوظة ٣ .  
(٢) اليونيني ، ج ٢ ص ٣٣٧ والحفيزي السلوك ص ٦٠١ . (٣) ابن عبد الظاهر ص ٦٥٥  
والحفيزي ، السلوك ، ص ٤٨١ . وفي هذه الرحلة تفنن الاميران سمير الدين منقصر  
الرومي وسيف الدين ملاوون فعني السلطانان بهما حتى نفيا . (٤) ابن عبد الظاهر  
ص ٨٤ .

سنة ٦٦٢ هـ ذهب الى اوسيم ثم الى الغربية جامعاً بين الرعية بالميد والرعية يتفقد احوال

الرعية • وبعد التحقيق باحوال الناصر وشكاويهم توجه الى منزلة ابن عسود وتنيد (١) •

وتبين لنا عنايته بالميد من انه ما ان فرغ من الاستعراض العسكري سنة ٦٦٢ هـ حتى قصد

الاسكندرية للميد (٢) •

وفي محرم من السنة التالية قصد اوسيم والعباسية للميد • وفي هذه الرحلة ادعى

له جماعة من الميادين (٣) • وفي هذه السنة ، حين ذهب لبلاد الشام بامداد البيسر

لصد التتر مر قريباً من ميداً للميد فتفطر به الغرض وانهم وجده وانسلخ جلده • وبقي

في يبنى ريشا شفي • وهنا جاءه خبر تراجع التتر (٤) •

وفي ربيع القعدة من سنة ٦٦٤ هـ ، خرج الظاهر للميد في جرد معلولاً ووصل الى

اقاميه (٥) •

وفي محرم سنة ٦٦٥ • خرج الى بركة زبلا للميد فسقط عن فرسه وانكسرت رجله (٦) •

واحب الظاهر السباحة لمسافات طويلة • وقد بلغ من سن سباحته انه جرفي النيل

بسطة كبيرة فونها اميران بفرسيهما (٧) • واحب لعب الكرة حتى انه عين ليا كل يوم سبت

وثلاثاء (٨) •

اما ولعه بركوب الخيل فكان شديداً • ولا غرو في ذلك فالنيل ضرورة عسكرية •

وهكذا نجد ان الظاهر كان راغياً من الدرجة الاولى ، الى جانب كونه جندياً •

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ٩٢ • (٢) ابن عبد الظاهر ، ص ٩٢ • (٣) ابن عبد الظاهر ، ص ١١٨

والقريزي ، السلوك ، ص ٥٢٣ • ويفهم من هذا انه كانت عادة الصيادين ان ينسوا بين

مبتدئين وهواة • وكان المبتدئون ينتمون او يدعون الانتماء لحد الهواة • (مستطفي

زيادة ، حاشية ١ ص ٥٢٣ من السلوك القريزي ) • (٤) ابن عبد الظاهر ، ص ١٢ •

(٥) القريزي ، السلوك ، ص ٥٤٩ •

(٦) ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ١ - ٢ • (٧) القريزي ، السلوك ، ص ٦٠٨ •

(٨) ابن عبد الظاهر ، ص ٨١ •

## ثانيا - هيئة الظاهر :

كان الظاهر طويل القامة ، اسمر اللون ، حسن الوجه ، في عينيه زرقة ، وفي احداهما نقطة صغيرة . وكان مستدير اللحية يغلب عليها البياض . وكان جمهور الموت (١) . وكان يتمتع بقوة جسمية كبيرة توحى بها المشقات الكثيرة التي تكبدها في حروب . وهذه الصفات اساسية لنالوشنا ان ننحت المظاهر تشالا . ولكن يجب ان نحيط على ان تظهر في التمثال صفات اخرى ليست واضحة كهذه . وانما يجب ان نطمسها تلمسا .

## ثالثا - صفات الظاهر :

كان الظاهر شجاعا ، شديد الشجاعة ، وتدلل على ذلك موافقه الكثيرة في مختلف المعارك التي خاضها . فقد كان كالاسد بين الاشبال الخادرة (٢) . ثم انه كان ذا انفة وابطاء محبا للمخلصين له من امراء . لكنه كان الى ذلك سريع الغضب ، عسرفا عجولا (٣) . وكان سخيا جدا . فما كادت تمر سنة الا ويتصدق فيها بالمبالغ الطائلة وبالاتسعة الكثيرة وبالخلق الوافرة . ولندكر هنا معاملته لامرائه المخلصين والتخلصي لابنائهم من نصيب الادارة من ثروات المتوفين منهم (٤) . وكانت للسلطان الظاهر هيئة وحرمة في نفوس امرائه وفي نفوس خصومه ايضا . فبعد كان يهودى دفن مصافا في قلعة جعبر عندما تصددها التترو لما تراجعوا اخذ اليهودى ادنا من السلطان للعودة الى جعبر لنهب امواله فسمح له ولما رآه بعض الاعراب وعرفوا انه مادون من الظاهر ساعدوه على استعادة امواله وحموه حتى وصل حماه (٥) .

---

(١) المقرئى ، الملوك ، ص ٦٣٧ وابن ايامر ج ١ ص ١١٠ . (٢) ابن عبد الظاهر ص ٢٠  
(٣) المقرئى ، الملوك ، ص ٦٣٧ وابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة مج ٧ ، ص ١٨٠ . (٤)  
المقرئى ، الملوك ، ص ٥٩٥ ، ٥٩٨ . (٥) ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٧ ، ص ١٨١ .

وقيل ان كتبغا التترى اشار الى شجاعته في حديث له مع بعض امراءه وخزاعمه (١) .  
ومر تجار اعجام بسيمس في دريقهم الى مصر فاستولى ماحبها على بضائعهم فتهدد به الظاهر  
فافرج عنهم . وكان يعطي التجار توافيع منه ليمروا في بلاد فارمر وكرمان والقبشاق وكانت  
هذه التوافيع تحتم (٢) .

وفي رى الحجة سنة ٦٦١ هـ ، ضرب احد امراءه دلالا حتى مات فغضب السلطان  
ولجأ الامير الى سيف الدين فلاورن لانناده . فعمد هذا الى دفع مبلغ من المال لورشة  
القتيل ليقولوا ان اباهم مات قننا وفدرا . فعرف الظاهر بالحيلة وغضب لكنه كان مضطرا  
للسكوت امام المخرج الشرعي (٣) .

وينبغي الانسى هنا انه كان فيه استعداد التبع . فسمت الى تربي منازل  
الملك نفسه (٤) .

والى جانب هذه الصفات ينسب اليه المؤرخون مفة الندر . وقد اشرفنا الى ما فعله  
بالمعيث وبحامية مفد . ولكنني لست ارى في هذا عدرا بالمعنى الاخلاقي . لقد قلت ان  
الظاهر كان يبني دولة ، وكان مصمما على ازالة جميع الععبات امامه . فهل يصح مع هذا ان  
نصمه بالعدر ؟ ماذا كان المعيث يفعل به لو نجح في مقاومته ؟ لقد كانت المملوحة  
التي يعمل من اجلها هي التي تحتم عليه تصرفاته . وادا نظرنا اليوم الى ما يجرى في بعض انحاء  
العالم باسم العدالة لما جازلنا ان نعتبره قادرا .

واخيرا ينبغي ان لانسى ان ملامح الشر كانت شوح عليه منذ الصغر . ولذلك  
اشارت ام ماحب حماه على ابنها ان لا تشتريه . ولعلها الملامح التي طبعتها على وجهه فساوة  
التشرد والنخاسة .

(١) ابن عبد الظاهر ص ١٥ - ٢ - ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٧ ، ص ١٨٠ .

(٢) المقرئى ، السلوك ، ص ٥٠ - ٤ - ابن عبد الظاهر ص ٢ .

## رابعاً - منشأته :

عني الممالك بوجه عام بالانشاء والتعمير (١) . وبهنا هنا ما كان منها في عهد الظاهر بيبرس . وقبل ان اذكر هذه المنشآت ينبغي ان اسجل الملاحظات التالية :

اولاً : كان القسم الاكبر من هذه المنشآت ذا صبغة عمرانية ودينية وقد كان اكثرها في مصر .

ثانياً : كان القسم الاكبر من المنشآت في بلاد الشام ذا صبغة عسكرية .

للظاهر بيبرس من الآثار الحسنة الكثيرة ما لم يبق مثله في زمن الخلفاء وملوك بني ايوبي مع انه كان منهمكاً في الحروب الكثيرة (٢) . وقد تعددت انواع المنشآت فكانت مدارس وجوامع . واسسيلة وارمطة (٣) وبالقطع ينبغي ان لا ننسى بناء القلاع .

فما ان تسلم الظاهر السلطة حتى عهد للامير جمال الدين بن يغمور بترميم ما تهدم من قلعة جزيرة الروضة . فقام الامير بذلك ورمم ما كان تخرب من قاعاتها ثم فرق ابراجها على الامراء قلاوون وعز الدين الحلبي وعز الدين اوغان ويدر الدين بيسرى . واوجب على كل منهم ان ينسج فيها اصطبلاته ومنازله (٤) .

وفي سنة ٦٦٥ هـ ، شيد برجاً في قلعة الجبل . وعمر فيها دار الذهب . وبنى في رحبة الجوارح قبة عظيمة لها ١٢ عموداً من رخام ملون . واسكن في هذه القبة رجال حاشيته وامراءه . ثم عمر فيها طبقين على رحبة جامعها . وانشأ برج الزاوية المجاورة لباب القلعة . واخرج منه رواشين وبنى عليه قبة مزخرفة السقف ، وشيد بجواره طباقاً لسكن الممالك .

---

(١) لخصها ابن شاعر الكتبي ، ج١ ، ص ١٦٨ — ١٦٩ . (٢) ابن كثير ، ج١٣ ، ص ٢٧٦ . ابن تغري  
بردي النجوم ، ج٧ ، ص ١٨١ . — ٣ — ابن عبد الظاهر ، ص ٢٩ . المقرئ ، السلوك ، ص ٤٤٦ .  
ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٧ ، ص ١٩٢ . (٤) ابن عبد الظاهر ، ص ٢٩ . المقرئ ،  
السلوك ، ص ٤٤٦ .

وفي رحبتها بنى دارا كبيره لولده السعيد فيها ١٦ عقدا .  
وبنى بظاهر القاهرة دورا واصطبلات للامراء ليعبد الممالك عن القاهرة وعن سكانها .  
وبنى لابنه حماما في سوق الخيل وميدانا في البورجي غرس فيه النخيل وبلغت نفقاتها  
١٦ الف دينار .

والى جانب ذلك بنى مناظر وقاعات ومبوتات كثيرة (١) واكمل بناه دار عند باب السر  
الذى يفتح على سوق الخيل وجعلها دارا للدعوات التي يقيمها للامراء (٢) .  
وفي اواخر سنة ٦٦١ هـ امر ببنا دار العدل تحت قلعة الجبل (٣) .  
وفي سنة ٦٦٦ هـ بنى قرية الظاهرية عند العباسية (٤) .

كانت له في بلاد الشام ومصر ٤٦ قلعة (٥) وكان طبيعيا ان يباشر بالانشاءات ذات  
الصيغة العسكرية ، بحكم الظروف التي كان فيها . وقد بدا ذلك في بلاد الشام .  
امر ببنا مشهد في عين جالوت عرف بمشهد النصر تخليدا لذكرى صد الزحف المغولي (٦) .  
رسم بترميم ما خربه التتر من قلاع الشام كقلعة دمشق التي كان التتر هدموا شرازيقها ورووس  
ابراجها فجددوها ودهن سقفوها وبني فيها منظره وقلعة النصل وقلعة عجلون وقلعة صرخد  
وقلعة بصرى وقلعة بعليك وقلعة شيزر وقلعة الصبيه وقلعة شميمش بجوار حمص ، وقلعة حمص ،  
فتم اصلاحها جميعا " ونظفت خنادقها ووسعت ابراجها وشحنت بالعدد وجرّد اليها الممالك  
والاجناد وخزنت بها الغلات والازواد " ثم جدد اسوار حصن الاكراد وعمر قلعتها (٧) . وفي  
جمادى الآخرة من سنة ٦٦١ هـ ، ثم بنا برج في قارا . وامر ببنا برج آخر اكبر منه لحفظ  
الامن والدفاع ضد الفرنجة المجاورين (٨) .

---

(١) ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ١٩١ (٢) المقرئى ، السلوك ، ص ٥٤٤ (٣) ابن عبد  
الظاهر ، ص ٩٠ (٤) المقرئى ، السلوك ، ص ٥٦٤ . ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٩٥ .  
ابن اياس ج ١ ، ص ١١٢ . (٥) ابن ابي الفضائل ص ٤٦٦ . (٦) ابن عبد الظاهر ص ٢٩ المقرئى ،  
السلوك ٤٤٦ و ٤٦٥ . (٧) ابن عبد الظاهر ص ٣ . المقرئى ، السلوك ص ٤٤٦ . ابن تغري بردى  
النجوم ، ج ٧ ، ص ١٩٦ . ابن اياس ج ١ ، ص ١١١ . (٨) ابن عبد الظاهر ص ١٠٠ ، المقرئى السلوك  
ص ٥١ . وقد جعل تاريخ قلعة قارا سنة ٦٦٢ هـ .



وامر ايننا ببناء اسوار الاسكندرية وخصص لذلك نفقات شهرية وبنى مربعا  
لكشف البحر في ثغر رشيد وامر بردم بحر دمياط كي يضيق ويتعذر دخوله على السفن •  
وفي سنة ٦٦٢ هـ ارسل من ينظف خليج الاسكندرية وفي رمضان من السنة التالية وجه اميرا الى  
بحر اشموم ثم تبعه في ٢ شوال لتتبينه مما تجمع فيه من الحول وتترك فيه عددا من السفن •  
وفي صفر سنة ٦٦٤ هـ دأب الى الاسكندرية للمشاركة في حفره ثم عرق فيه المراكب ليستحيل  
على سفن العدو الدخول اليه (١) •

امر بتجديد عمارة ثغر دمياط وبنى وجدد فيه سلسلة الحديد من البر الى البحر ،  
وردم الناحية التي تدخل منها مراكب الفرنجة (٢) •

وفي دولة مصر قلعة العمودين • وفي السويس بنى قلعة ايضا (٣) •  
وهدم قلعتي فيسارية وارسوف وبنى قلعة في فافون بدلا منهما (٤) • وفي الكرك  
هدم برجين صغيرين ثم جدد بناءهما (٥) •

وجدد باشورة في قلعة صفد وعمر فيها ابراجا وبدنات ثم انشأ في القلعة  
مهرجبا كبيرا مدرجا وبنى عليه برجاً بلسغ مئة ذراع (٦) •

وجدد ايضا بناء قلعة الصبيبة وكان التترند هدموها (٧) •

- 
- (١) ابن عبد الظاهر ص ٤٩ - ٣٠ • المنري السلوك ص ٤٤٦ ، ٥١٠ ، ٥٣٧ ، ٥٤٤ •  
القلقشندي ج ٣ ص ٤٠٤ • اليونيني مج ٢ ص ٣٢٢ • (٢) ابن ايام ج ١ ص ٨٧ •  
(٣) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ١٩٢ • (٤) ابن الفرات مج ٦ قسم ٢ ورقة ٤ ،  
المنري ، السلوك ص ٥٥٧ •  
(٥) ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٩٥ • (٦) المصدر السابق ، ص ١٩٥ •  
(٧) المصدر السابق ص ١٩٥ •

وفي منتصف سنة ٦٦٤هـ / شباط ١٢٦٦ م ، كلف السلطان جمال الدين محمد بن نهار  
ومحمد بن رحال والى نابلس والاغوار ببناء جسر سلطاني (١) على نهر الشريعة ، في الغور .  
وتم بناءه في رمضان سنة ٦٧١هـ . لكن اركانه تزعزعت . فاعيد اصلاحه بعد جهد جهيد  
اذ ان الماء كانت تحول دون ترميمه حتى صدف ان توقفت عن الجرى في ٨ كانون الاول سنة  
١٢٦٧ زمتنا كافيا بسبب هبوط قطعة كبيرة من الارض المجاورة فيه فتم اصلاحه ثم عادت الماء  
للجى كالعادة (٢) .

- وانشا جسورا اخرى في الغور والماحل (٣) .
- وبني جسرا في كل من القليوبية ودمياط (٤) .
- وبني جسرا بين قلعة الصبية والمدينة (٥) .

لم يحصر الظاهر نشاطه العمراني في مصر في ميدان معين . وقد تناول شتى  
العيادين العلمية والدينية والزراعية .

(١) الجسور نوعان — سلطانية وبلدية . الاولى عامة جامعة للبلاد ينفق عليها من الديوان السلطاني  
تحت اشراف كاشف الجسور . والبلدية منها يتولاها المقطعون من اموال اقطاعاتهم (زيادة حاشية  
٣ السلوك ص ٦٣٨ . القلقشندي ج ٣ ص ٤٤٨ . المقرئى الخطط ج ٣ ص ١٦٥) . (٢) اليونيني  
ج ٢ ، ص ٣٤٦ . المقرئى ، السلوك ، ص ٥٤٤ . ابن تغرى بردى النجوم ، ج ٧ ، ص ١٤٠ — ١٤١ ،  
لكن تاريخه محرم سنة ٦٦٥هـ : M.Clement Ganneau, JA., 8eme Serie, Tome X, Nov. Dec. 1887 pp509.  
صدر الامر ببناء الجسر عام ٦٦٤هـ وتم بناءه سنة ٦٧١هـ . ولا يزال باقيا لليوم وعليه  
اسم المهندس والسلطان في اربعة اسطر : بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على سيدنا محمد  
وصحبه اجمعين . امر بعمارة هذا الجسر المبارك مولانا السلطان الاعظم الملك الظاهر ركن الدين  
بيبرس بن عبد الله في ايام ولده مولانا السلطان الملك السعيد ناصر الدين بركة خان اعز الله انصاره  
وغفر لهما وذلك بولاية العبد الفقير الى رحمة الله علا الدين على السواق غفر الله له ولوالديه في  
شهر رمضان سنة احدى وسبعين وسبعماية : ملحوظة ٦ ص ١٤٠ — ١٤١ من النجوم ج ٧ ، ابن تغرى  
بردى . (٣) ابن تغرى بردى النجوم ، ج ٧ ، ص ١٩٥ (٤) المقرئى ، السلوك ، ص ٦٣٨ و ٦٣٩ .  
ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٩٢ .  
(٥) ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٧ ، ص ١٩٥ .

ولعل اروع ما بناء في مصر هو المدرسة المعروفة باسمه بين القصرين . فقد بدئ  
ببنائها في ربيع الآخر سنة ٦٦٠ هـ وانتهت عمارتها في سنة ٦٦٢ هـ . وكان لهذه المدرسة  
اربعة ايوانات وفيها خزانة كتب تحتوى على امهات الكتب في مختلف العلوم . ثم بني بجوارها  
مكتبا يتعلم فيه الايتام القرآن . وبني فيها سقاية ماء .  
وتقع هذه المدرسة بجوار قبة الملك الصالح نجم الدين . وكان لهذه المدرسة باب  
جميل من النحاس ، حسن الصنع مثقن الزخرفة منقوش عليه اسم الملك الظاهر وسنة ٦٦١ هـ .  
ثم رتب فيها مدرسين للمذاهب الشافعية والحنفية والمالكية دون الحنبلية . ورتب  
شيخا للتدريس الحديث ، ومقرئين لاقراء القرآن وخصص لهم جميعا طعاما وكسوة .  
وابتدأ التدريس فيها في ١٣ صفر سنة ٦٦٢ هـ وقد حضر حفلة الافتتاح السلطان  
والوزير ابن حنا واستاذ الدار ابن يغمور وعدد من الامراء والاعيان . والقى الشعراء قصائد هم  
احتفا بهذه المناسبة ( ١ ) .  
في رجب ٦٦٢ هـ بلغه ان على المشهد الحسيني جامعاً بقرية موضع للقصر . وكان  
مكان الجامع قد بيع وارسل المبلغ للديوان فامر الظاهر برد المبلغ وبناء المسجد ( ٢ ) .

---

( ١ ) احتلت المدرسة قاعتي الخيام واللوتس في قصر الفاطميين الذي استولى عليه الظاهر باسم بيت  
العال . والقصران احدهما قصر بناء كافور الاخشيدى وثانيهما بناء جوهر الصقلي . ابن عبد الظاهر  
ص ٢٩ ، اليونيني ج ١ ص ٥٥١ — ٥٥٢ و ج ٢ ص ٢٣٠ ، ابن ابي الفضائل ص ٤٦٦ ، ابن الفرات ج ٦  
قسم ١ ، ص ٣٧ ق ٣٨ و ، المقرئى ، السلوك ص ٥٠٣ و ٥٥٦ ، الخطط ، ج ٢ ص ٤٠٠ ، ابن تغرى بردى  
النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ١٢٠ ، ١٢١ .  
Margoliouth, D.S., Cairo, Jerusalem, and  
Damascus, three chief cities of the Egyptian Sultans,

Dodd, Mead & Coy, N.Y. 1907 ص ٢٢ — ٢٣ ، F. Sadeque ص ١١٤ ملحوظة ٢ ،

وينبغي ان نلاحظ ان التواريخ بشأن بناء المدرسة وافتتاحها ليست كلها واحدة .

( ٢ ) المقرئى ، السلوك ، ص ٥١١ — ٥١٢ .

وفي جمادى الآخرة من سنة ٦٦٤ هـ بدي بناء جامع الظاهر في ميدان قراقوش بالحسينية بجوار مدرسته وانفق عليه ما يزيد على مليون درهم . وسبب بنائه كثرة الزوار لزواية الشيخ خضر هناك .  
 شرع في بنائه في ربيع الاول سنة ٦٦٥ هـ ودشنه بحضور الوزير في ٨ ربيع الآخر . وجلبت له الاخشاب وحجارة الرخام وغيرها من ادوات البناء من سائر انحاء السلطنة . وزينه بنقوش حتى صار احسن مثل للمساجد الفخمة التي بنيت في عهد المماليك البحرية .  
 ثم رتب له اماما حنفيا (١) .

وفي هذه السنة اجري ترميمات هامة في الجامع الازهر (٢) .  
 وانشأ في مصر عدة جوامع اخرى (٣) وفي سنة ربيع الآخر سنة ٦٦٩ هـ تم بناء جامع المنشية واول ما اقيمت فيه خطبه الجمعة كان يوم ٢٨ ربيع الآخر (٤) .  
 شيد قناطر السباع على الخليج (٥) .

وفي سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م بوشربينا قنطرة على بحراي المنجا . وفي محرم سنة ٦٧٧ هـ اعيد فتح البحر (٦) وفي السنة التالية تمت القناطر فكانت عجيبة في بنائها مثقنة (٧) وبنى قناطر كثيرة منها قنطرة منية السرج والقصير على بحراي اش ذات سبعة ابواب وفي الجسر الموصل الى دمياط ذات ١٦ قنطرة وعلى خليج الاسكندرية (٨) . وامر بتكملة عمارة بئر اللبون

---

١ ابن الفرات، ج٦، قسم ٢، ورقة ١ و ٢ . المقرئ، السلوك ص ٥٥٦ و ٥٨٨ . ابن تغري بردي  
 النجوم الزاهرة ج ٧، ص ١٩٢ . اليونيني ج ٢ ص ٣٦١ . ابن أبي الفضائل ص ١٦١ . حسن ص ٤٢ .  
 ويسمى ايضا جامع العافية وهو الان خرب ويسمى مكانه ميدان الظاهر . (٢) ابن الفرات ج ٦، قسم ٢  
 ورقة ٤ . (٣) ابن تغري بردي النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٩٢ . (٤) اليونيني، ج ٢، ص ٤٤٣ . ابن  
 تغري بردي النجوم الزاهرة ج ٧، ص ١٥٠ . (٥) المقرئ، السلوك، ج ٢ ص ١٤٦ (٦) ابن الفرات، ج ٦،  
 قسم ٢، ورقة ٨، المقرئ، السلوك ص ٥٦ و ٥٧٣ و ٦٣٩ . وكان قد انشئ في عهد الامر بالله الفاطمي  
 تحت اشراف ابي المنجا شعبا اليهودي فعرف باسمه (المقرئ الخطط ج ٢ ص ٣٨١ - ٣٨٢، وابن تغري  
 بردي النجوم ج ٧ ص ١٩٣) (٧) اليونيني ج ٢ ص ٤٣٢ و ٤٣٣ . المقرئ، السلوك ص ٦٣٩ . ابن تغري  
 بردي النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٤٨ و ١٤٩ . والنهية من العمل في القناطر كانت ٦٦٩ هـ عند اليونيني  
 وابن تغري بردي (٨) المقرئ، السلوك ص ٦٣٨ وابن تغري بردي النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٩٣ .

بجوار الاسكندرية في شعبان سنة ٦٦٢ هـ (١) .

وحفر خلجانا كثيرة منها خليج الاسكندرية . وبحر اشميم ، وترعة الصلاح وخورسنا ،

والمحامدى ، والكافورى ، وبحر الصمصام وسردوس وبعض ترعة ابي الفضل (٢) .

وبالقياس عمر " قبة رفيعة مزخرفة (٣) .

وفي سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م امر بعمارة القناطر بجسر شبرامنت من الجيزة احيا للاراضي

التي لم تكن تصلها الماء (٤) .

وفي سنة ٦٦٦ هـ / ١٢٦٧ م ، امر ببناء قرية الظاهرية عند العباسية (٥) .

وتناول نشاطه العمراني ببلاد الشام نواحي مختلفة منها الناحية العسكرية والدينية

والتعليمية والاجتماعية فقد نالت دمشق حظا كبيرا من عنايته . فقد بنى فيها مدرسة عرفت

باسمها ايضا (٦) . وهي من ابداع ابنية الشرق بحجارتها الملونة ونقوشها بالفسيفساء المذهبة

والملونة البديعة الممثلة نباتات مشبكة واشجارا وابنية واشكالا هندسية (٧) . وفي رمضان

سنة ٦٦٣ هـ شرع بتبليط قسم من الجامع الاموى وجدد بعضه ، وامر بترميم حائطه الشمالي

وجدد مشهد زين العابدين ، وبنى فيه بركة ماء . وفي اوائل سنة ٦٦٤ هـ جدد بناء حوض

في شرقي القناة باب البريد (٨) .

وفي سنة ٦٦٥ هـ انشأ القصر الابلق في الميدان الاخضر على نهر بردى ، وكان بناؤه

بالرخام الابيض والاسود . وكانت البساتين تحيط به من كل جانب (٩) .

وبنى فيها حماما خارج باب النصر وجدد بناء ثلاثة اصطبلات . ورمّ شعت مغارة الدم (١٠) .

---

(١) ابن عبد الظاهر ص ٩٣ . (٢) ابن عبد الظاهر ص ٢٨ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٦٣٩ . ابن تغرى  
بردى النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٩٣ . وبحر الصمصام هو بحر الصمصام في السلوك ، ص ٦٣٩ . (٣)  
ابن تغرى بردى النجوم ج ٧ ص ١٩٢ (٤) ابن عبد الظاهر ص ٢٩ المقرئى السلوك ص ٤٤٦ (٥)  
ابن الفرات ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ١٣ (٦) ابن كثير ج ١٣ ص ٢٧٦ وابن تغرى بردى النجوم ج ٧ ص  
١٩٥ - ١٩٦ . ابن اياس ج ١ ص ١١١ (٧) مقال محمدى اعمال المجمع العلمي العربي "مجلة المجمع  
ج ٢ ص ٢٢٠ . (٨) ابو شامة ج ٢٣٧ ومصادر الملحوظة السابقة (٩) ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة  
٨ المقرئى السلوك ص ٥٦١ (١٠) انظر ملحوظة ٦ .

وفي سنة ٦٦١ هـ اعز الظاهر ببنا خان فيها وجي له بباب من القاهرة كان على دهليز قصر من قصور الفاطميين . ووقف عليه غلات بساتين في امكنه مختلفة من بلاد الشام لتصرف على اطعام ابنا السبيل واصلاح نعال المسافرين . وبنى له طاحونا وفرا (١) وفي سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م ، امر باصلاح قناة المياه (٢) .

في صفر سنة ٦٦٦ هـ / ١٢٦٧ م ، امر ببنا مسجد الخليل (٣) .

وفي سنة ٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م ، تم بنا صخرة بيت المقدس (٤) . ثم جدد جامع الرملة وقبر

جعفر الطيار وقبر نوح في الكرك (٥) .

وفي قاقون بنى جامعا وحوضا لابنا السبيل (٦) وغير كنيسة صفد الى جامع وانشأ فيها رباطا (٧)

وانشا في الصبية دارا لنائبه فيها ومنارة لجامعها (٨) .

اما قارا فجعل كنيستها جامعا .

وفي ربيع الآخر سنة ٦٧٠ هـ / ١٢٧٠ كان الظاهر في حلب فبنى دارا شمالي قلعتها ثم

اضاف دارا اخرى اليها (٩) .

وفي المدينة المنورة اتم عمارة مسجد الرسول . ثم جعل للضريح درا بزيئا ولون سقوفه

بالذهب وميضر جدرانه وبنى فيها مستشفى جهزه بالادوية والاطباء (١٠) .

---

(١) اليونيني ج ١ ص ٥٥٤ وج ٢ ص ٢٣١ - ٢٣٢ . المقرئى السلوك ص ٤٩١ ، ٥٢١ . ابن تغرى بردى النجوم ج ٧ ص ١٢١ و ١٩٤ . جعل اليونيني التاريخ سنة ٦٦٢ هـ (٢) ابن الفرات ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٨ . (٣) المقرئى السلوك ص ٥٦٣ ، ٥٦٥ . ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٩٤ . (٤) ابن عبد الظاهر ص ٢٨ . المقرئى السلوك ص ٦٠٨ . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٩٤ (٥) ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ . ابن كثير ج ١٣ ص ٢٧٦ . (٦) ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٩٥ (٧) ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٩٥ . (٨) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٩٥ . (٩) اليونيني ج ٢ ، ص ٤٦٨ . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٥٦ . (١٠) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ج ٧ ، ص ١٩٤ .

وهكذا يبدو لنا ان السلطان الظاهر لم يكن يكتفي بسماع معدعة السلاح وحسب ،  
وانما كان يعنى الى درجة كبيرة بالناحية العمرانية ، كانه كان يحب ان يسمع رنة  
الادوات البانية ايضا . " بنى . . . . . ما لم يكن في ايام الخلفاء المصريين ولا ملوك  
بنى ايوب من الابنية والرباع والخانات والقواسير والدور والمصاجد والحمامات . . . . . حتى  
انتشرت عمائره " من قريب مسجد النين الى اسوار القاهرة الى الخليج وارضى الطبالة  
واتصلت العمائر الى باب المقسم الى اللوق الى البورجي ، ومن الشارع الى الكبر وحجرة  
بنى فيحة الى تحت القلعة ومشهد السيدة نفيسة الى السور العراوني " (١) وكذلك  
عني بالبناء في بلاد الشام . ولكننا نلاحظ انه لم يمت بالناحية الزراعية في بلاد الشام .

---

(١) ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ١٩٥ و ١٩٦ و ١٩٧ . منار الكيش  
نصرا نشأها الملك الصالح نجم الدين ايوب على جبل يشكر بجوار الجامع الطولوني  
مشرفة على برك وساتين وعلى النيل . بفيت منازل ملكية حتى . . . سنة ٧٦٨ هـ .  
( النجوم ج ٧ ص ١١٩ ملحوظة ٢٠ ) .

## الفصل الثامن .

### حول المجتمع المملوكي في عهد الظاهر .

ليس المقصود هنا ان اتناول المجتمع المملوكي في عهد السلطان الظاهر . ومثل هذا البحث لا يصح في فترة لم تتجاوز سبعة عشر عاما لم تكن كافية ليتبلور فيها المجتمع المملوكي . ولكنني رأيت ان اضع هنا بعض ما عثرت عليه وبعض ما استنتجته ، حول هذه الناحية ، اثناء مطالعاتي (١) .

كان المجتمع المملوكي يتكون من عناصر مختلفة اكثرها عددا هم السكان الاصليون . وهناك الاكراد والتركمان . لكن المماليك كانوا فوق هؤلاء جميعا ولو ان عددهم كان يقل عن عدد السكان الاصليين بكثير . واحسب ان عددهم (٢) لم يكن يزيد عن بضعة وعشرين الفا . وعن هؤلاء ساقصر حديثي الآن .

وقد تميز المجتمع المملوكي هذا بصفات هامة هي :

اولا - كان المماليك طائفة منفصلة عن حواليتهم من السكان وظلوا كذلك ولم يختلطوا بالسكان الاصليين ، ولا سمحوا لهؤلاء بالاختلاط بهم ولم يتزوجوا من بنات السكان الاصليين الا نادرا ، بل كانوا يتزوجون الرقيقات .

---

(١) وقد تناول D. Ayalon المجتمع المملوكي من ناحية العلاقات بين الاستاذ ومماليكه في دراسة صغيرة بعنوان *L'Esclavage du Mamelouk* وهو يرى ان معلوماتنا عن حياة المملوك ونشاطه اثناء استرقاقه ليست كافية . لكنها اوفر حين تتناول اثر الاسترقاق في علاقات المماليك بالاستاذ . وقد كانت الفرقة تبقى بعد وفاة السلطان ، الى ان يموت جميع اعضاءها وقل ان تذوب في فرقة اخرى لسلطان آخر . (٢) لا تشير المصادر بصورة واضحة الى عدد المماليك . وانما هناك تلميحات حلتني الى مثل هذا التقدير . فقد ذكر المقرئ (السلوك ، ص ٥١٤) ان عدد مماليك الظاهر كان كبيرا جدا حتى انه كان يعتق ثلاثين نسمة كل ليلة من ليالي رمضان . وجاء في النجوم الزاهرة ، (ج ٧ ، ص ١٧٩) انه " كان للملك الظاهر اربعة الآف مملوك مشتريات امراء و خاصكيه واصحاب وظائف " . ولنذكر هنا ان عدد امراء المئة في مقدمي الالف ، كان ٢٤ اميرا من ان عدد الجنود كان ٢٤ الفا على ابعد تقدير . راجع المقرئ ، الخطط ، ج ٣ ، ص ١٤٢ وما بعدها .



ثانيا - تميز المماليك الجدد عن ابناء المماليك القدماء - اولاد الناصر -  
ثالثا - لم يسمحوا للسكان المسلمين بالانخراط بالجندية ، بل سمحوا للمثليين منهم  
بالاشتغال بالاعمال الادارية ، ووجهوهم للعمل في الشؤون الزراعية والصناعية والتجارية .

كان التجنيد محصورا بالارقاء الجدد .

رابعا - انقسم المماليك فيما بينهم ، على رزم اتحادهم ازاء السكان المسلمين . وقد كانوا  
كتلا متناوئة تحارب الواحدة منهم الاخرى . كان انتسابهم الى استادهم بالدرجة الاولى  
ولم اجد انهم انقسموا على اساس اصولهم . لكن مثل هذا الانقسام ، على هذا الاساس الاخير  
كان لا بد له من الظهور في دور المماليك الجراكسة .

خامسا - كانت رابطة المملوك باستاذه وثيقة في حالتي الضراء والسرء . والواحد منهما  
خشد اسي الاخر ويستولي على موجوداته عند وفاته (١) . وقد يصل المملوك الى اعلى مرتبة لكن  
اسمه يظل مربوطا باسم استاده . ولا تنقطع هذه الصلة بوفاة الاستاد .

سادسا - الترفي من مرتبة الى اخرى مفتوح للجميع ، لكنه بني على المقدرة الجسدية  
والعسكرية ، وعلى الحنكة في التآمر والعدو . وكان مماليك السلطان امحاب الاسبقية في  
الترفي منهم نواة الجيش متى اعدوا ادخلوا في حرمه . ولا اعتبار بالاسل ولا الموطن ولا  
للنشاة .

سابعا - كثر الفقراء ودور العاهات في هذا المجتمع فكان لا بد للظاهر من العناية  
بهم وجمعهم في امكة خاصة ، لاسيما في اوقات المجاعات . ولعل هذا هو ما جعل الناصر  
يكثّر من انشاء الخانات والاقواف (٢) .

---

(١) ابطال الظاهر هذه العادة سنة ٦٦٢ هـ . انظر ص ١٤٢ اعلاه .

(٢) المتريزي ، السلوك ، ص ٥٥٢ .

ثامنا — لم يكن للمرأة احترام في هذا المجتمع • وقد شدد المماليك وضيقوا عليهم •  
تاسعا — كان المماليك ازدواجيين في حياتهم • فهم في حياتهم الخاصة " لا يتورعون عن  
اتيان اشنع المنكرات والتعسف في اذى الخلق واهراق الدماء بلا اكتراف بابطال المبادئ الانسانية  
" لكنهم على عكس ذلك في الحياة العامة يتمسكون " بقواعد الدين الحنيف من حيث الصلاة والزكاة  
وتشييد العمائر الدينية ( ١ ) •

كان عصرهم عصر انحلال خلقي • ومع ان بذور هذا الانحلال كانت موجودة من قبلهم فانها  
ثمنت في عهدهم • " واخبار الاسراف في صنع الخمر وشربها وانتشار الزنا وتعاظم المخدرات  
والشذوذ الجنسي " كثيرة تدلنا على ذلك حلقاتهم الغنائية المتعددة • وقصة الوليمة النسي  
اقامها لاجين بن عبد الله الامير حسام الدين الجوكندار العزيزي مشهورة ( ٢ ) •  
وقد عمد الظاهر الى كبح هذه العيوب ومحاربتها • ولذلك اصدر عدة مراسيم ( ٣ ) •

---

١) على ابراهيم حسن، ص ٢٥ • ( ٢ ) اليونيني، ج ٢، ص ٣٠٠ — ٣٠٣ • توفي الامير سنة ٦٦٢ هـ •  
( ٣ ) حرم السلطان الظاهر الحشيشة والخمر لاسباب دينية وعسكرية وراقب تنفيذ هذا التحريم • ففي  
سنتي ٦٦٢ هـ و ٦٦٣ هـ حرم المذر واغلق بيوته ومنع النساء من التزيين بازياء الرجال • وفي ذي  
القعدة من السنة التالية الغى ضمان الحشيشة وادب اكلبيها ( المقرئى السلوك ٥٥٠، ٥٥٣ ) واعاد  
اعلان هذا المرسوم سنة ٦٦٥ هـ • ومنعت النساء من العمل في الحانات حتى انه امر بصلب ابن  
الكارزوني في حالة سكره وعلق الكاس والجرة في عنقه ( ابن شاکر الکتي، ج ١، ص ١٧٠ — ١٧١،  
المقرئى، السلوك ص ٥٥٣، ابن اياس، ج ١، ص ١٠٤ ) وخاف الناس وامتنعوا عن الشرب حتى قال  
الشاعر

مات يا قوم شيخنا ابليس وخلا منه ربه المأوس •

وفي سنة ٦٦٧ هـ امر بازالة الخمر والغا بيوت النساء والخواطي ( المقرئى، السلوك ٥٧٨ ) وفي سنة  
٦٦٨ هـ قام بحملة تفتيشية على حانات الشرب والمواخير • وفي سنة ٦٦٩ هـ اعاد اعلان تعليماته مرة  
اخرى وفي سنة ٦٧٠ هـ امر " باراقة الخمر وازالة المنكرات " وفي سنة ٦٧١ هـ وفرض ان يمنح المغنيين  
خلعا وهدايا • وفي سنة ٦٧٤ هـ شفق ملوكا شرب الخمر ( ابن عبد الظاهر ص ٩٠، اليونيني، ج ٢  
ص ٤٥٤، الذهبي، ج ٢، ص ١٢٩ — ١٣٠، ابن شاکر الکتي، ج ١، ص ١٧٠ — ١٧١، ابن الفرات،  
ج ٦، قسم ٢، ورقة ٤٣، ٨٣، ٨٦، المقرئى السلوك ص ٥٠٣، ٥٢٥، ٥٥٠، ٥٥٣، ٥٩٥، ٥٩٧، ٦١٢،  
الخطط ج ١ ص ١٨٨، ج ٢، ص ١٠٤، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٥٤، ابن اياس،  
ج ١، ص ١٠٤ — ١٠٧ ) •

للحد منها ، لكن كثرة اصدار المراسيم تدل على انه لم يوفق الى حد بعيد للتخفيف عليها .  
وقد انتشرت من بعده .

عاشرا - كان هذا المجتمع هرميا في شكله فاعده السكان الاسليون فالعماليك الارماء  
ورامه السلطان . ولكن طبقات هذا المجتمع كانت متميزة الى حد بعيد ، لاسيما بين  
الاطلس والادنى الامة السيد بالحمود . فيوجد ارناء مدماء فوق مدماء ولكن الحجرة  
في هذا المدماء ليست مشدودة بعضها الى بعض .

#### الحالة الاقتصادية العامة .

وهنا ايضا لنسعى معايا ان نتحدث عن الحالة الاقتصادية العامة في فترة  
وجيزة كفترتنا هذه . ولكنه لابد من تسجيل بعض ملاحظات سريعة من خلال ما عثرت عليه  
في المصادر . وقد يكون هذا نواة لدراسة مقبلة اكثر شمولا ، تتناول عهد العماليك كله .

كانت مصادر الثروة في عهد الظاهر اربعة انواع هي .

اولا - علات الارض المدطعة للامراء والخواص والاجناد . وقد كان قسم منها  
يعود الى الاهراء السلطانية بالانحافة الى العلة التي تعود اليها من اراضي الملكانية .  
ثانيا - الضرائب التي تؤخذ من التجار كالعشر على التجار القادمين الى مصر  
وعلى المرور في شوارعها ورسو السفن فيها . وقد كانت مصر طريقا للموافل التجارية بين  
الهند واوروبا .

ثالثا - الضرائب العادية كالخراج والزكاة والجزية والجوالي والضريبة على المعادن

وعلى تركات الموارث • ومحصول دار الضرب (١) •

رابعا - المصادرات والاستخراجات • وقد كثر عدد في عهد الظاهر • وهناك امثلة

منها • ربا بن الفخاري في ١٠ شعبان سنة ٦٦٦ هـ حتى الموت بعد اخذ موافقة الخليفة

على تسليم امواله للمسلطان (٢) • ومنها مصادرة اموال شيخ حنبلي في ٢ شعبان سنة ٦٧٤ هـ

ومصادرة اموال الواسي على يد الشيخ • والدافع للمصادرة هي التهمة بالندح في الدولة (٣)

خامسا - الضرائب التي كانت تفرض على الناصر عامة في الظروف الاستثنائية • وقد

كان يصادر الدواوين ويجبي الاموال متاعفة من الرعية ، لاسيما جوالي النصارى • وكان

يصادر ارباب الاموال (٤) •

وبلغت مداخيل السلطان الظاهر ارباما كبيرة ولا ريب ، يدل على ذلك ما تقدم على

الحملات العسكرية الكثيرة • وكذلك كثرت الثروات الخاصة وبلغت ارباما خيالية (٥) •

وكان دخل الملوك ، ايا كانت رتبته ، من عدة اقطاع بالدرجة الاولى • انظر الى ١٠٨

ما كان يعطى له قبل الحملة او بعدها ، وعند انتقال السلطنة ، وهو ما يسمى بنفقة البيعة ،

او ما يوزع عليه في مناسبات خاصة من لحوم وكسوة وعليق وزياد وجمال •

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ٢٤ ، العنقدي ، ج ٣ ، ص ٤٥٢ ، ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ،

ج ٧ ، ص ١٩٨ • (٢) اليونيني ج ٢ ، ص ٣٧٤ ، (٣) اليونيني ج ٢ ، ص ٤٧٠ •

(٤) ابن عبد الظاهر ، ص ٢٤ ، العنقدي ، ج ٣ ، ص ٤٥٢ ، المزيدي الملوك ، ص ٦٤ ، ابن

تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٩٨ •

(٥) ابن شاذكر الكتبي ، ج ١ ، ص ٣٧ •

وكانت النفقات تبعا لذلك ، كبيرة ايضا . فهناك النفقات في البيوت السلطانية وقد بلغت نحو نصف مليون دينار في احدى السنوات . والنفقات على الجيش ، وايضا على الماليك من بناميكات ، وقد كانت تبلغ نحو ٢٨٠ الف دينار في السنة ، ونفقات دوز الحبوب واولادهم ، ثم المزارع للفقراء والمستحقين في العمور ، والطعام والنفقات والكسرات والهدايا حتى بلغ ما ينفقه السلطان في سنة نحو مليون وستماية الف دينار وحوالي ٣٠٠ مركب مسن الغلال (١) . هذا غير ما كان الامراء ينفقونه .

وعلى فكرة هذه النفقات فقد كان الطاهر عريما ان لا يخل بالتوازن بين الدخل والنفاق . ولذلك عين امينا خازنا لبيت المال وكان يتشدد في جمع الضرائب ريثما اكتمل المصادرة والتهديد بالاحراق والخراب بالحقار (٢) . ركان يشرف بنفسه على ذلك كسبي لا يخل بالتوازن . وقد رايناه يقوم بتحملات على الاعراب لاجبارهم على الدفع .

وكانت في عهد انواع من الدراهم هي الكاملة والنسامرية والياقية . وقد ضرب نقودا باسمه فيها ٧٠ بالميئة فضة و ٣٠ بالميئة نحاسا روض عليها اربعة الامدراحتين مع الدراهم الاخرى في مصر وبلاد الشام (٣) .

- وكان طبيعيا ان يعنى النظم بمصادر الثروة الداخلية كالزراعة والصناعة والتجارة .
- وقد كان السكان الاصليون يعملون بالزراعة والصناعة بالدرجة الاولى .

(١) ابن عبد الظاهر، ص ٢٤، ٩٠، ابن شاذان الكتبي، ج ١، ١٧٠، التلغندي، ج ٣، ص  
٤٥٢ - ٤٦٣، الحفريزي، السلوك، ص ٥٠٦، ٦٣٩، ٦٤٠، ابن تيمية بردي، النجوم  
الزاهرة، ج ٧، ص ١١٧، ١١٨.

(٢) ابن الفرات، ج ٦ قسم ٢، ورقة ٥، الحفريزي السلوك، ص ٥٦٢، ٥٦٣، ٦٤٠.

(٣) الحفريزي، كتاب النقود الإسلامية، ص ١٥.

### الزراعة •

كانت ارانسى مصر في عهد الظاهر موزعة بين السلطان والامراء والاجناد • كانت للسلطان اربعة فراسخ وكان الباقي موزعا بالتساوى بين الامراء والاجناد • اما في بلاد الشام فقد اختلف التقسيم • وقد راينا الظاهر يقطع الارض على امراءه بعد فتح قيسارية •

وعني الظاهر بالزراعة عناية خاصة وولى بالحفاضة على المزروعات والاشجار التيسيع والخلجان والفنات والغنائم والجسور كما يتبين مما ذكرناه في فصل سابق عن انشاءات هذا الرجل (١) •

### الصناعة •

وعني ايضا بالصناعات المعدنية ، تدل على ذلك حديثه لبركة خان (٢) • وهناك ايضا صناعة الادوية وصناعة السفن ، والنسيج والزجاج والالات الحربية (٣) • ولعلنا لا نعدو المواب اذا قلنا ان الصناعة كانت حرة بصورة عامة كما نستدل من الاسواق الخاصة بالادوات الحربية ، وخرنية كما نستدل من الاثار •

### التجارة •

وفي عهد الظاهر نشطت الحركة التجارية • وقد عمل على ذلك بنفسه فعقد المعامدات التجارية مع محلية وقشتالة وارفونوا البندقية وجنوى وسيلان واليمن ونجست اسواق مصر بمختلف انواع البضائع (٤) •

ولتشجيع التجارة كان يعنى بالحفاضة على سلامة الطرق التجارية من البحر الاحمر فالبحر المتوسط عبر مصر (٥) ولذلك وجه عناية للاستيلاء على بيروت •

---

(١) الفصل السابع  
(٢) ابن تعري القضايل ص ١١٢  
(٣) المنري السلوك ، ص ٥١ و ٥٥٦  
(٤) القلقشندي ج ١ ص ٢٤ ، المنري ، السلوك ص ٧١٣ ، وعاشر ص ٢٠٩  
(٥) القلقشندي ج ٣ ص ٤٦٨ •

## المجاعات:

ولئن كانت الزراعة والصناعة والتجارة مزدهرة في عهد الظاهر، ولئن كانت العداخيل كبيرة والنفقات كثيرة فإن هذا لا يعني أن الناصر عامة كانوا في خير. فقد كثرت المجاعات في عهد العماليك عامة، وكان منها في عهد الظاهر عدد كبير وتعود أسباب هذه المجاعات إلى سوء معاملة العماليك البحرية كأفراد الناصر وإلى كثرة الضرائب المدرونة عليهم، وإلى استغلال التجار والمستولين أخبار الحروب والأرجافات بالزخوف والرجية، وإلى العيش في غرب النفود (١) وإلى الحركات الداخلية (٢) وأخيرا إلى فتح النيل (٣).

وفي سنة ٦٦٠ هـ امتد الغلاء ببلاد الشام عامة، ومات الكثيرون من الجوع (٤) وفي ربيع الآخر سنة ٦٦٢ هـ غلت الأسعار في مصر فلجأ السلطان إلى خطة التسعير لمكن الحالة ازدادت تازما فجمع الفقراء ووزع بعضهم على الأمراء وأمر الأمراء السلطانية ببيع ٥٠٠ أردب كل يوم بكميات قليلة، واستبقى لنفسه بعضا منهم لأطعامهم (٥). ثم اتى بعض التمسود المزيفة كالناصرية وعهد إلى تخفيض مبلغ نعمان غرب النفود (٦). ثم أمر بالحاء الضرائب (٧).

- (١) حدث علاء عام ٦٥٨ هـ (أن الفرنجة غدروا نغودا يافيه مشوشة فيها ١٥٠ / ١٠٠ فنة فكان الناصر يخرجونها بكثرة فالتخلص منها فيقع الغلاء) (أبو شامة، تراجم ص ٢١١) والنفود التي ندرت في عهد الكامل تغيرت فصار الدرهم منها ٢٤ فلسا بعد أن كان ٤٨. (المقريزي، أفاة الامة، ص ٦٩ - ٧٠)
- (٢) تحركات منجر الحلبي والبرلي (ابن عبد الظاهر ص ٣٤) (٣) كما في سنة ٦٦١ و ٦٧١ و ٦٧٢ هـ ابن ايامر ج ١ ص ١٠٣ و ١٠٨ (٤) اليونيني ج ١ ص ٤٩٩، ج ٢ ص ١٦٢، (٥) ابن عبد الظاهر ص ٩٤ - ٩٥. اليونيني ج ١ ص ٥٥٥، ج ٢ ص ٢٣٢. المقريزي الملوك، ص ٥٠٦ - ٥٠٨. ابن تغرى بردى، النجوم ج ٧ ص ٢١٣ - ٢١٤ وابن ايامر ج ١ ص ١٠٣. (٦) ابن عبد الظاهر ص ٩٥. المقريزي، الملوك، ص ٥٠٨ (٧) المقريزي الملوك ص ٥١٤.

وكانت الحالة العامة في السنوات الأولى من عهد الدار سيئة حتى أنه أُلغِيَ إعلان

الاعفاء من الرسوم في رمضان سنة ٦٦١ هـ / ١٢٦٢ م وفي ذر الحجة سنة ٦٦٣ هـ (١) /

١٢٦٥ م.

وبكذا نستطيع القول إن المعاملة وعددهم لم يتجاوز العشرين الفا كانوا طبة  
تحكم البلاد على هواها وتستغل حيراتهم، كأنها مركة يقتسم أفرادها المنتوجات  
فيما بينهم بأشراف السلطات وتظل كثرة السكان تحت رحمتهم.

### معاملة النصارى:

كانت معاملة الملوك الدار ببيس للنصارى الاصليين من سكان البلاد عنيفة بوجه  
عام. أما تحليل هذا فليس بالشئ البسيط. قد يسهل فهم عدائه للنصارى الصليبيين  
الغزاة، ولكن المعاملة التي لقيها النصارى من سكان البلاد الاصليين، على يديه، بعد  
حسن علاقته مع الحبشة باستمرار ومع الاسكندرية، احيانا، لا يمكن ان يفسر الا بأنه تأثر  
بموقفه من الفرنجة من جهة وتغذية لمصادرة اموالهم من جهة ثانية.

وفي جمادى الآخرة سنة ٦٦٣ هـ وقع حريق في المطالبه في القاهرة، فاسترق ٦١ دارا

جامعة بينها ربع فرج لاسراف المدينة وربع العادل الموقوف على الساقية.

وانهم الظاهر النصارى واليهود بذلك وفي ١٨ من ابريل التمس عليهم خمسين وبنوهم

---

(١) ابن عبد الظاهر، ص ١٠٤. اليونيني، ج ٢، ص ٣٢٤.



في جورة وحولهم الاحطاب المشتعلة، لكن راهبا يعمر - بالحبر وعدا النار بالتعوير عن الحرائق بنصف مليون دينار فعفا عنهم (١) .

وفي ذي الحجة سنة ٦٦٤ هـ / ١٢٦٦ خرج الظاهر من دمشق لملاقاة جيشه عائدا من غارة ناجحة على سير فمر في قارا فنهبها وقبض على الراهبان ووسطهم واخذ اهل البلد الى ظاهرها وضربت رقابهم جميعا واسر منهم نحو الـ رجل وامرأة وولد . ثم احرقها وخرب كنيستها ثم حولها حماما . واستبدل سكانها بتركمان . وسبب ذلك ان اهل قارا كانوا يطفون التجار واهل النياح ويستولون على اموالهم وينهبونهم اسرى للفرنجة (٢) .

وفي سنة ٦٦٦ هـ احضر الظاهر الراهب (٣) وطلب منه المال كله فرفض هذا تأديته دفعة واحدة لانه يسعف به المصادر والمعوذين فامر السلطان بتعذيبه حتى مات وهو بظاهر القلعة . ثم افترق فقهاء الاسكندرية بسرعة مقتله لان في اعماله ما قد يؤثر على ضعاف النفوس من المسلمين .

- 
- (١) ابن شاکر الکتابي ج ١ ص ١٥٩ . ابن تغري بردي النجوم ج ٧ ص ١٤٠ . اليونيني ج ٢ ص ٣٢٠ - ٣٢٢ . ابن ابي الفضائل ص ١٣٥ - ١٣٧ . المقرئ السلوك ص ٥٣٥ . ابن اياس ج ١ ص ١٠٩ . على انه ينبغي ان اتوه دنا بشدة لاجل اولها ان المقرئ يقول انه " اشيع ان ذلك من النصارى " مما يوحي بانه لم يكن متأكدا من الرواية .  
وثانيهما ان المبل ٥٠٠ الذي عند ابن ابي الفضائل واليونيني وهو مسون القاعد المقرئ . وثالثها ان الذي من دفع التعوير هو المارة عند المقرئ ، لا الراهب المعروف بالحبر . ثم ان اليونيني وابن ابي الفضائل يتفقان على ان الراهب كان يستد من هذه الاموال لمساعدة الذين يحاربونهم من سائر الطوائف " اما النويري (نظرا عن E. Blochet ، النهج السديد ص ٣٥٦ و ٤٧٦) فيقول ان المرائر سببها النصارى في مقاومتها لما فعله الظاهر بالفرنجة ببلاد الشام . (٢) اليونيني ج ٢ ص ٣٤٤ - ٣٤٥ . ابو الفداء ج ٤ ص ٤٠٤ . ابن ابي الفضائل ص ٤٩٥ - ٤٩٧ . ابن القرات ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٧٨ . المقرئ السلوك ص ٥٥٢ - ٥٥٣ . (٣) كان كاتبا ثم ترهب . مصادر ملحوظة ٢ ص ٢٣٠ . واليونيني ج ٢ ص ٣٩٠ .

## بسيبرس والعلم والادب :

لم يكن الناصر ليخفل أهمية اثر المدارس في تثبيت سلطانه وفي القضاء على المذاهب الدينية المعارضة . لذلك لم تكن تستهمل سنة ٦٦٢ هـ / ١٢٦٢ حتى دسّن المدرسة الناصرية بباب القصرين يوم الاحد ٥ صفر . وفي هذه المناسبة القيت قصائد كثيرة، لم يبق لنا منها الا القليل .

ثم بنى الى جانبها خزانة كتب حليلة، وبنى ايضا مكتبا قرر لمرممه من الاستقام خبزا بوميا وكسوة لفصلي الصيف والشتاء (١) .

وكذلك بنى في دمشق مدرسة ثانية عرفت بالناصرية ايضا . وهي المعروفة بالمدرسة الظاهرية الحوانية بحوار الجامع الامون . وقد كان دار والدا صلاح الدين الايوبي . ثم صارت دارا للعقيقي فمدرسة وترية للسلاطان الناصر (٢) . ويبدو ان الممالك عامة زادوا عدد المدارس عن الايوبيين (٣) .

اما الناحية الادبية، فارى ان اسجل عنها بعض ملاحظات .

اولا : كان في عهد الناصر عدد من الشعراء لكنه لم يؤثر عن احدهم مجموعة كبيرة عن الشعر ليضعه في ملف المهابت زهير مثلاً . وقد توفي هذا سنة ٦٥٦ هـ . ولهؤلاء الشعراء نثف محفوظة في المجموعات التاريخية .

ثانيا : قيل هذا الشعر بمناسبة الانتصارات العسكرية على الفرنجة او التتر او الارمن وهي مقطوعات قصيرة قل ان تجاوزت الابيات القليلة . فلو احذنا ما اثر لنا من شعر عن انتصارات

---

(١) ابن عبد الظاهر ص ٩١ - ٩٢ . المقرئى السلوك ص ٥٠٤ .  
(٢) النعماني، الدارس في تاريخ المدارس مطبوعات المحمع العلمي العربي بدمشق . سنة ١٦٤٨ هـ، ج ١ ص ٣٤٨ - ٣٤٩ .  
(٣) القلقشندي، ج ٣، ص ٣٦٧ .

صلاح الدين في " كتاب الروضتين " كان غلما بالنسبة لما اثر لنا من شعر عن انتصارات  
الظاهر . ويقول ابن تغرى بردى ان عددا من الشعراء نظموا الشعر بمناسبة حملة الظاهر  
الاخيرة الى آسيا الصغرى لكنه لم يحفظ لنا الا قصيدة واحدة (١) ، واكبر مجموعة من الشعر  
قيلت في مناسبة ظفر الظاهر ذكرها ابن شاعر الكتبي (٢) وهي ايضا قليلة .

والثالث : ان القسم الاكبر من الشعر المأثور عن عهد الظاهر بغير من قاله ابن عبد الواهر  
كاتب انشائه . فهل ان بقية الشعراء لم يقولوا فيه شعرا ام انه شائع كله ؟ وحين مات  
الظاهر لم يرده الا كاتب انشائه ابن عبد الواهر ، بنسيدة طويلة حفظ ابن الفراء القسم  
الا وفر منها (٣) .

اما الشعر فكان تسمين اوليها الرسائل المتبادلة بين السلطان وولاته والدون الانبيية  
وهي ركيكة ضعيفة عموما الا ما كتب له ابن عبد الواهر . ومراجعة " ذيل مرآة الزمان "  
لليونيني تعطينا صورة عن المستوى الشعري الذي كان سائدا في هذه الفترة اما ما كتبه  
ابن عبد الواهر فمجموع تتوفر فيه المحسنات اللغوية . واما الادب في هذه الفترة فكان  
تقليدا يعوزه الابداع ، ولذلك استعان المؤلفون عن ذلك بالحجج فصار المؤلفات مجموعات (٤) .  
وهنا يبدو لي ان عهد الظاهر كان عهد تواجد سلاسل وتثبيت اركان فلم يكن فيه  
مجال للنشاط الادبي . انه لم يستطع ان يتفرغ في هذا الميدان اذ كان كالدن تركه صلاح  
الدين الابوي .

- 
- (١) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٧، ص ١٧٠ .
  - (٢) ابن شاعر الكتبي ج١، ص ١٦٣ - ١٦٤ .
  - (٣) ابن الفراء ج٧، ص ٩٠ - ٩٢ .
  - (٤) E. Blochet النهج السديد ص ٣٦٧ .

وفاة الظاهر بيبرس ومكانته - خاتمة

كان الظاهر بيبرس في غزوته في آسيا الصغرى سنة ٦٧٥هـ / ١٢٧٧م وانتصر في هذه الغزوة، ثم عاد الى حلب فدمشق حيث توفي عصر يوم الخميس ٢٨ محرم سنة ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م ، بعد مرض استمر ثلاثة عشر يوما وقد تجاوزت سنه الخمسين سنة وبعد ملك دام ١٧ سنة وشهرين واثنين عشر يوما (١) .

نهار الخميس الواقع في ١٤ محرم سنة ٦٧٦ / حزيران ١٢٧٧ جلس السلطان يشرب القفز . وفي اليوم التالي احس بحرارة في بطنه وتقيأ ثم ركب الى الميدان بعد الصلاة وعاد الى القصر الا بلى آخر النهار . وتزايدت الحرارة في احشائه واستعمل دواء لم يشربه عليه طبيب فترأيد الالم . واستدعى الاطباء فاعطوه دواء ولما لم يفده هذا الدواء وصفوا له دواء آخر فزاد في اسهال معدته فتضاعفت الحمى ورمى دما ثم مات .

هذه هي العناصر الاساسية لقصة وفاته ويتفق عليها المؤرخون جميعا (٢) .

ليس في مثل هذه القصة شيء غريب . رجل جندى يرهو نفسه ويشرب القفز . ثم يشعر بالحمى ويموت . ولكنه لم يكن بد من نسج اسطورة حول وفاته .

غزا الظاهر آسيا الصغرى ومعه الملك القاهر بهاء الدين عبد الملك بن المعظم عيسى بن العادل ابي بكر ايوب قابلي هذا بلا حسنا في المعارك بحيث اخذ الناس يلتهجون باسمه بينما شعر الظاهر بالندم والخوف من توريط جنده في هذه الحملة . ثم ان

(١) الفوطي ص ٣٩٣ . المقرئ ، السلوك ص ٦٣٦ ، ابن تغري بردى النجوم ، وهي ٢٧ محرم في المصدرين الاولين ويذكر ابن الفرات التاريخ ويرجع ٢٧ محرم . (ج ٧ ص ٨٩) . وهي ٢٧ محرم عند ابن عبد الظاهر . (ابن الفرات ج ٧ ص ٨٨) .  
(٢) الفوطي ص ٣٩٢ - ٣٩٣ . ابو الفداء ج ٤ ص ١٠ . ابن الفرات ج ٧ ص ٨٨ . ابن ابي الفضائل ص ٢٧٦ - ٢٧٧ . المقرئ ، السلوك ص ٦٣٥ . ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ١٧٥ - ١٧٧ .

المنجمين، وقد اولى الظاهر بهم، قالوا ان ملكا سيموت بالسم بدمشق سنة ٦٧٦ هـ . ومات الظاهر بيبرس في هذه السنة فكان لا بد من ايجاد علاقة بين قول المنجمين والوفاة وكانت صلة الوصل بينهما حكاية الملك القاهر وتسميمه . ثم كانت بعد ذلك محاولة لتعليل التسميم .

شعر الظاهر بالحسد من القاهر بهاء الدين، اولعه اراد صرف النظر عنه بان اراد تسميم القاهر، فدعا للشراب معه واعد له سما ليدسه في كاسه . وكانت للظاهر ثلاث كاسات يشرب بها وحده ولا يسقي فيها معه الا من يختص بمكرمة . وحدث ان قام الملك القاهر لبعض حاجته فدرس السلطان السم في كاس امسكها بيده الى ان يعود القاهر . فلما عاد هذا ناوله اياها ليشرب وقام بدوره لبعض حاجته . فشرب القاهر ما في الكأس واعطاها للساقى . ولما عاد الظاهر كان الساقى قد اعاد من الكاسات وشرب الظاهر من احداها من غير ان يظن الى ان الساقى قد يكون خلط بين الكاسات من غير ان يدري . وللحال احس الظاهر بالتغير فعلم انه شرب بقايا السم الذى كان في الكاس .

هذه هي القصة التي تروى عن كيفية وفاة الظاهر نقلا عن اليونيني . وينفرد ركن الدين بيبرس الدوادارى في " زبدة الفكرة " بالقول بان التسميم يعود الى رغبة الظاهر في ان يصرف عنه ما قالته النجوم . ويشير ابو الفداء الى القصصين قائلا ان الظاهر نسي انه امر الساقى بالتسميم للملك القاهر وشرب بنفسه الكأس . وينفرد ابن ابي الفضائل بعدم الاشارة الى قصة التسميم ويرد الوفاة الى الاكثار من شرب القمز واضطراب المعدة . ويرى ابن الفوطي ان الظاهر " سم في الماء الذى يستعمله في الطهور " ثم يروى حكاية رغبته بتسميم امير اراد التخلص منه فسقاه القمز المسموم ثم شرب في ذات الكأس . اما المقرئى فلا يؤيد تعليلا على تعليل . لكن ابن تغرى بردى يؤيد حكاية التسميم خوفا مما قالته النجوم (١) .

---

(١) ابن الفوطى، ص ٣٩٢ . ابو الفداء، ج ١ ص ١٠ . ابن ابي الفضائل، ص ٢٧٦ — ٢٧٧ ، المقرئى، السلوك، ص ٦٣٥ — ٦٣٦ . ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٧٧ — ١٧٩ ، والحاشية رقم ١، ص ١٧٨ منه .

وروى ابن الفرات التعليقات المتعددة بشأن وفاة الظاهر فقال ان خاطر الشيخ الامام محي الدين النووي تغير عليه لنكته بوعدة له باعفاء اهل دمشق من جباية الاموال ومطالبته بجبايتها كاملة غير منقوصة . وقال ان شدة الفرج من نصره في آسيا الصغرى حملته على الاكثار من شرب القمز فاحس بتبعث . وقال ان حسده من القاهر ولوم هذا الاخير له لتورطه في حملة آسيا الصغرى جعل الظاهر يعمل على تسميمه . وكان التسميم بيد الظاهر نفسه . على رواية ، وبيد الساقى بامر منه ، في رواية اخرى ، ثم شرب الظاهر من ذات الكأس على جهل منه بحقيقتها فكان تسممه ومرضه وفاته .

نقل ابن الفرات حكاية التسميم عن اليونيني . اما عن ابن عبد الظاهر فنقل الكبير مما قاله هذا بشأن وفاة السلطان ولكن يبدو ان ابن عبد الظاهر لم يذكر شيئا عن حكاية التسميم . بل قال ان السلطان ركب عصر يوم الجمعة ١٤ محرم " في ميدانه كله مودع لاختدانه ومثرودا من رؤية موكبه وركوب حصانه ونزل والتات جسسه تلك الليلة بعض التيات واصبح واصبح وليس عنده ذلك الانبعاث (١) " .

وابن شداد ايضا لا يأتي على حكاية التسميم . وانما يبدو انه يجعل الاكثار من شراب القمز سبب المرض والوفاة . ويقول ان الاطباء ظنوه مسموما حين دفعه لما محتقنا (٢) .

ويقول S.Runciman ان بعض الاخباريين الفرنجة قالوا انه مات متأثرا بجراحه في المعركة (٣) . وهكذا يبدو ان حكاية التسميم والتسميم موضوع جدل ولعل نفيها هو الاصح . وقد سكت ابن الفرات والمقرئ عن نفيها او تأييدها . ولعل هذا السكوت معنى . ثم ان ابن عبد الظاهر وابن شداد لم يأتيا على ذكر مثل هذه القصة . وكذلك

---

(١) ابن الفرات، ج ٧، ص ٨٤ — ٩٠ .

(٢) ابن شاعر الكتبي، ج ٢١، ص ١٧٥ .

(٣) S.Runciman ج ٣، ص ٣٤٨ .

فعل ابراهيم الفاضل . واخيرا فان الدرة التي قيل ان التسميم حوّل بها ليست مما  
يتفنن ووسائل التآمر . انه لم يتخذ الحذر الكافي وقد عودنا السلطان ان يكون حذرا ،  
مبالغا في حذره . ثم ان توسع التآمر ان يحتقل الملك القاهرة اذا كان لا يد ما اقصائه  
ويتركه في محتقله يموت سبيًا فسيئًا . ثم ان مسئة التآمر بان يحول عنه ما يدوله المنعمون  
ليس منطقيا . لماذا يكون هذا التسميم الذي سموت في دمى هو التآمر منه ؟ ولعل  
منشأ حكاية التسميم يعود الى ان الاطباء ظنوا الظاهر مسموما .

ولما مات السلطان كنم نائب السلطنة الامير بدر الدين بيليك الخزندار موته وكتب  
للسعيد ابنه بعلمه بوفاة ابيه . ثم حملت الجثة على محفة في الليل كان انسحار مريد  
ونقلت من القصر الابلق الى قلعة دمشق . وقد حمل الجثة كبار الامراء امثال سيد الدين  
قلاوون وسمر الدين سنقر الاشقر وبدر الدين بيسر وبدر الدين بيليك الخزندار وعز الدين  
اقوس الافرم وعز الدين ابيك الحموي وسمر الدين سنقر الالفي وعلم الدين سنقر الحموي  
ثم غسلوه وحنطوه وتركوا الجثة بالقلعة . واسيع انه مريض . ثم سار الخزندار بالجيس  
بمحفة فارغة الى مصر .

ثم ان السعيد لما وصلت الرسالة فانه اسر الفرح تخليد للنار ثم ركب على عادته  
ثم وصل الخزندار القاهرة في ٢٦ صفر تحت السناجق الالهية . ولما تسلم السعيد  
الخزائن والحبر اعلن خبر الوفاة وعاج الحاجب : يا امراء ترحموا على السلطان الملك  
الظاهر . ثم حددت الايمان للسعيد . وفي اليوم التالي يوم الجمعة ٢٧ صفر دعا الخبايا  
للملك السعيد وصلوا على الملك الظاهر صلاة الغائب

كان الظاهر قد اوصى ان يدفن على الطريق السالكة قريبا من داريا • لذلك

كانت جثة الظاهر لا تزال في دمشق • فامر السعيد بسراة دار العقبى وحملها

مدرسة للشافعية والحنفية، وأنشأ فيها قبة لدفن الظاهر • وتم البناء في آخر

جمادى الآخرة • عندها ارسل السعيد الامراء الى دمشق، وفي ليلة الجمعة ٥ رجب

حملوا حدة السلطان من القلعة على الاعنار الى جامع امية حيث صلى عليها ثم حملت

ودفنت بقبة المدرسة (١) •

وهكذا انتهت حياة هذا الرجل •

وكان دابيعيا ان تترك وفاته اثر في الادب • وقد رثاه ابن عبد ال اهر بعدة مراث

نقل ابن الفرات احداها • ولعل اجمل ما قاله ابن عبد ال اهر فيه : وما حتم به سيرة

السلطان : نزل في قعره بالميدان الاحمر معتقدا ان الدنيا قد حطت في يده •••

واذا المنية قد نشبت ا اثرها ••• ووجه السرور قد قطب واو لمسب الحزن قد حطب ••

ورماح الخط وقد قالت لاقلام الخط امت في ليل الحداد من المداد والسيوف والقلوب

وقد قالت عند شق الحبوب نحن احق من بهذا المراد، والحدود وقد قالت لقصره الابل

ما كان بناؤك على هذه الصورة الا قالا بما يسود الحدار به عند الفجائع من السواد •••

فأى عين لم تبكه بدموع محارها حتى عيون الارز ازرقت لم بأس عليه وانحد لم يلطم

عليه ••• (٢) "

---

(١) ابو الفداء، ج ٤، ص ١١، ابن أبي الفخائل، ص ٢٧٦ - ٢٧٦، ابن الفراء، ج ٧،

ص ٨٩ • المقريزي، السلوك، ص ٦٤١ - ٦٤٢، ٦٤٦ • ابن تغري بردت النجوم

الزاهرة، ج ٧، ص ١٧٥ - ١٧٧ • ابن اياس، ج ١، ص ١١١

(٢) ابن الفرات، ج ٧، ص ٨٧ - ٨٨



والآن يبدو ان تناولنا سيرة هذا السلطان بتفصيل ارسلنا نحمد الى تقدير مكانته

واثره وان نقول الى اى حد كان مبدعا والى اى حد كان مقلدا في ما قام به (١) .

وقبل الادلاء برأى في شخصية السلطان اللاحر بيبرس ارسلنا استشر بما قاله المؤرخون

المحدثون والقدامى .

---

(١) لللاحر مكانة عريقة في القصر الشعبي . ولكنني لمستأنس بمقالة هذا الموهي هنا . وقد تناوله عبد الحميد يونر في مؤلف صغير عنوانه " اللاحر بيبرس في القصر الشعبي " (سلسلة المكتبة الثقافية، رقم ٢، الادارة العامة للثقافة، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دار القلم، مكتبة النهضة المصرية، بدون تاريخ) . ويرى عبد الحميد يونر ان السيرة " ترسم اللاحر بيبرس كما يحب الشعب " ان تكون، ويختار " صورة الشعب الذي تحكي ملامحه وقسماته " (ص ٥) . وهو يدرسها من ناحية ادبية وفنية . ويراها وثيقة " تطلع لدراسة المجتمع العربي الاسلامي " في عهدها (ص ١٧) . واللاحر بيبرس، في هذه القصة، " منقذ " يندفعه الشعب بغير اصرار (ص ١١) . وميزة هذه السيرة انها تعنى بيبرس قبل وصوله الى السلطنة (ص ٢١) .

والعالم العلم الذي يطعن السيرة، حيالي . والسلطان اللاحر فيها حاكم عادل يمتن بالدفاع عن رعاياه ، ويصانيتهم . واهمية هذه السيرة التاريخية في انما تعكس النداء التالي الذي كانت الجماعات الكبيرة من المسلمين تتقبله في العصور الوسيطة المتأخرة R.Paret مادة Baybars Romance ، الموسوعة العربية، الطبعة الجديدة، مجلد ١ ص ١١٢٦ — ١١٢٧ .

ويستدل من المصادر ان حياة اللاحر بيبرس كانت ذات اهمية استثنائية في عهده يدل على ذلك قتلوا الناس عليه يوم تفتتح عن فرسه في موسم سنة ٦٦٥ هـ . ويقتيد عند بركة زيرا، وفرحهم يوم ضربت البشائر بشفائه . ويدل على ذلك ايضا حكاية وجود صندوق عليه " كتابة اسم الملك اللاحر هذا وعنه " في غرفة تحت باب الروم . ووالانفا الفاطميين (المقريزي، السلوك، ص ٥٥٥ . ابن تيمر برون، النجوم الزاهرة، ص ٧٤، ص ١٦٢) .

هناك فئة قليلة لم تر له فائدة في كل ما قام به إذ أنه وراء أركان السياسة الخارجية والنظم الداخلية عن الدولة الأيوبية التي نشأت تلبية للسنن السوربال دار الصليبي (١) وهو الم يفرضه الرأى بحجة الحاجة للما لا نفاذه في سبيل الجهاد (٢) لكن اكثريه المسؤولين يتناولون هذا السلطان بتفعيل اوسع وينظر اليه من زوايا مختلفة • وقد رأيت استعراض هذه الاراء كما يلي :-

(١) سنة الدولة وإدارة : كان السلطان ال آخر اوان السلفين المماليك الاقوياء الذين " ابتنوا امبراطورية سامية الارجاء ممتدة الاطراف " ونقل من الى فئة السياسية من بغداد الى القاهرة وانما بتتبع الدواوين وقد ايدت انما كبار اموالين • تأسيس اول جيل ثابت في مرفق الصور الوسطى (٣) • واسار آخر الى امنية نشر مركز الدولة والتنظيمات الادارية (٤) • ونوه Muir بسنة الدولة المملوكية في عهد ال • حسن الفراء حتى النيل ومن آسيا الصغر حتى سواكن باستثناء بلاد الشام الصليبية وان انه وطد سلطانه بادارته الحكيمة واكتسب ثقة الناس بوسائله السريعة التي كان يلجأ اليها ويحسن معاملة مماليكه (٥) وهو في حلية حكم عمره من حيثت ريف الشؤون الادارية بحكمة ولباقة ومن حيث وضح الاهداف (٦) •

---

(١) عاشور، ص ٥١ •

(٢) رزق، محمود سليم، ج ١، قسم ١، ص ٣٤ •

(٣) عطيه، عزيز سوربان، مقدمة الدابة الثانية، دار ال في تاريخ المماليك لحنى ابراهيم حسن صفحة ج •

(٤) حسن، زكي ممد، مصر والحارة الاسلمية، نقلتها عن المصدر السابق ص ٤٢ •

(٥) Sir W. Muir ص XII و ٥، ١٤، ١٧، ١٨، ٣٠، ٣١، ٢٢٠ •

(٦) S. Runciman ، ج ٣، ص ٣٤٨ •

(٢) نشاطه ومقدرته : والدولة المملوكية فريدة من نوعها إذ استطاع جماعة عسكرية تتزايد باستمرار عن طريق الشراء ، أن تصود بلادا غنية لمدة تزيد عن القرنين . لاسباب عديدة منها ظهور الظاهر بيبرس في اول عهد هذه الدولة (١) وهو مثل رائع على النشاط الذي ادى الى الانتعاش السياسي ، غير المتوقع . ففي هذا السلطان الذي لامثيل لسه فرضت مصر سيادتها على الشرف ، على رغم الاضطراب الذي اعقب سقوط الخلافة العباسية والمحاولات التي قام بها الصليبيون والتتر للتحالف والمؤامرات التي حاكها الامراء الايوبيون والامراء المماليك ذوو المصالح الشخصية . لقد كان الظاهر عبقريا حين رحب باللاجي العباسي واعترف به خليفة فجنى من هذا العمل السيادة على الحجاز واستطاع بذلك ان يزعم ان مصر دولة اسلامية .

وكانت حياته سلسلة من الحملات العسكرية . ففي ١٧ سنة قام بثماني وثلاثين حملة عسكرية قاد منها ١٥ بنفسه . وكانت تسع منها ضد المغول ، وخمس ضد ارمينيا وثلاث ضد الاسماعيلية واحد عشر ضد الصليبيين . وقد قطع في هذه الحملات اكثر من اربعين الف ميل . ولقد كان نشيطا قبل السلطنة وظل كذلك بعدها (٢) .

(٣) القسوة والغدر : والظاهر بيبرس هو المملوك النموذجي في حسناته وسيئاته معا . ان اعمال الغدر والابتزاز والخيانة التي قام بها لوثت اسمه الذي كان ، لولاها ، نظيفا بصفته حاكما قام بخدمات كثيرة ، وبانشاءات دينية وعمرانية عامة . كان عادلا في ادارته لكنه كان يصفي الى الوشايات المريبة ويستهن بالحياة البشرية . وكان الغدر ابرز

---

(١) E. Blochet ص ٣٤٥ — ٣٤٥ و Sir W. Muir ص ٢١٥

(٢) G. Wiet ، مادة بيبرس ، الموسوعة الاسلامية ، الطبعة الجديدة ، ج ١ ، ص ١١٢٥ —

صفاته ، وكان لا يتورع عن اللجوء الى اية وسيلة لبلوغ اهدافه . والمثال على ذلك ما فعله بالمغيت بعد ان اقسم له الايمان المغلظة على امانه . لكنه اكرم عائلته (١) .

(٤) اثره : لقد كان ذا عقلية متفتحة بحيث انه ترك في المصريين اثرا ابعد مما تركه صلاح الدين . وكان له دور هام في تنظيم الجيوش المملوكية ، وكان لهذا التنظيم على اساس الولاء المذهبي ، اثر في تنظيم الجيوش الاوروبية في القرون الوسطى على نفس الاساس ايضا (٢) . وكان سببا رئيسيا مكن لجماعة عسكرية تتزايد باستمرار عن طريق الشراء ان تسود بلادا غنية لمدة تزيد عن قرنين (٣) .

ومجده اخرون حتى صار الظاهر بطلا وطنيا " حفظ وطننا المحبوب من غارات اعدائه " وبذلك اظهر " الحضارة المصرية بمظهر يعتبر نواة لنهضة دولة المماليك التي قامت عليها نهضتنا الحديثة من قريب او من بعيد " (٤) ، وصار عصر المماليك ، بفضل انشاءات الظاهر من ازهى عصور " تاريخ مصر القومي " (٥) .

وارى ان اهتم هذه المحاولة لجمع آراء المؤرخين بالظاهر برأين احدهما لستيفنس والاخر لكاهن . وفيهما موجز لجميع هذه الآراء . قال الاول :

كانت سلطته الظاهر بيمر بداية مرحلة جديدة في تاريخ الحروب الصليبية .

ان سياسته التي كانت عودة لسياسة صلاح الدين الايوبي ، كانت كذلك مبنية على نشاط متواصل وبعد نظر سياسي ، لكن الرجلين كانا متباعدين من حيث الخلق الشخصي . " لقد كان السلطان الجديد هو الرجل المناسب لاستغلال الوضع على افضل وجه " وهو شخصية فذة

(١) Sir W. Muir ، ص XII ، ٥ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٢٢٠ و F. Sadeque  
ص ٦٩ — ٧٣ ، و S. Runciman ج ٣ ص ٣٤٨ ، و R. Grousset ج ٣ ،  
ص ١٧ و ٣٠ من المقدمة (٢) F. Sadeque ٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ من المقدمة و ص ٦٩ — ٧٣ .  
(٣) E. Blochet ، النهج الشديد ص ٣٤٥ — ٣٤٦ و Sir W. Muir ، ص ٢١٥ .  
(٤) سرور ، ص ٧ . (٥) ملحوظة ٣ ص ٢٤٩ تطييب .

أخذ على عاتقه أن يستعيد بلاد الشام من الصليبيين • وكان المتوقع أن لا يلاقي صعوبات في ذلك بسبب ضعف الصليبيين، لكن حروبه مع شعوب أخرى والمصاعب التي صادفها في سبيل الاحتفاظ بممتلكاته جعلت هذه المهمة صعبة • وقد نجح في هذه المهمة بسبب صفاته الخاصة قبل كل شيء • أما الخيانة والقسوة اللتان صبغنا سيرته فأفادناه أنهما لم تسنحا لخصومه أن يكونوا خطرين عليه • وتمتع فهو ذلك بصفات حسنة أبرزها نشاطه المتواصل وسرعة حركاته السرية التي كانت تأخذ الخصوم على غرة • وكان جنديا شجاعا وقائدا قديرا وسياسيا ثاقب النظر • وكان يعنى بالفنون والآداب والبناء • ولم يكن يتمتع بحب أي طبقة من طبقات الرعية لكن الجميع كانوا يحترمون ويخافونه لشجاعته ونجاحه • كان يكفي فخرا أنه احتل انطاكية (١) •

وقال الثاني : السلطان الظاهر شخصية غريبة عجيبة • تدرج من رقيز إلى مرتبة السلطنة • فهو إذا شخصية نادرة في عصور الإسلام المتأخرة يجمع بين الغدر والقسوة والشجاعة والاقدام والاحتبال من جهة • لكنه ، يتمتع إلى جانب ذلك، بذكاء سياسي مقرون بالحزم والجرأة والحذر ، وباحساس دبلوماسي حاد ، وبمعرفة تامة بالشؤون العسكرية • وبالاختصار • فقد كان بيبيرس رجل دولة عظيما ، استطاع أن يستغل الظروف الناشئة من الغزو المغولي لإقامة دولة لعلمها أقوى دولة عرفها الإسلام (٢) •

ومن هذا الاستعراض، يتبين لنا أن المؤرخين الأقل منهم، اجمعوا على الاعتراف بشخصية الظاهر الفذة القوية وبما تشبهه الرائعة في الميدانين الداخلي والخارجي •

---

(١) Stevensán ، ص ٣٣٤ — ٣٣٥ ، ٣٤٦ •

(٢) C.Cahen. ، ص ٧١٣ •

ولكن المؤرخين المصريين يجعلون منه مثالا للوطنية، غايته الدفاع عن مصر، ومثالا للحاكم الصالح في تشجيعه الفنون والآداب، كانه قام بذلك عن وعي وادراك . وايدتهم في ذلك فاطمة صادق الى حد بعيد . وكأني بها تعتبر الولا للسلطان والولا للدولة شيئا واحدا . وكأني بها تراه موضوع ملحمة انسانية اشبه بقصة عنتره . ولم يشر هو ولا الى الناحية الخلقية فيه .

اما المؤرخون الغربيون، فاشاروا الى قدرته العسكرية والادارية، والى سعة نشاطه في مختلف الميادين، لاسيما في ميدان الحروب مع التت والصليبيين . لكنهم ابرزوا الناحية الخلقية السيئة عنده .

وقبل متابعة مناقشة هذه الآرا ينبغي ان اذكر آرا المؤرخين القدماء بالسلطان الظاهر .

السلطان الظاهر فارس، شجاع خبير بمداغل الحروب ومخارجها — عادل لا يسمح بوقوع مظلمه ، حلیم يهفو ولوانه قادر على غير الحلم والعفو، يرفض ان يستوى على شيء ليس له ، كريم يبذل بسخا على امرائه واجناده . وهو شخصية مشرقة لامعة، منقذة، تجمع افضل الصفات الانسانية وانبلها . كان عبدا فصار سلطانا . كان دائم النشاط والحركة ، محدد الاهداف، واضح الخطوات، يسهم بنفسه في تنفيذ التعليمات التي يوصي بتنفيذها (١) . ويتبين لنا من النصف التي لدينا من سيرة ابن شداد ان هذا ايضا يجارى ابن عبد الظاهر في النظر الى السلطان، ولوانه لا يمتنع عن اظهار مافعله الظاهر بخصوص الضرائب .

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ١ ، ٢٠ — ٢٧ .

وقال عنه شافعي بن علي بن عباس صاحب " المناقب السرية المنزعة من السيرة  
الظاهرية " انه احسن القيام باعباء المملكة واقام منار الاسلام وحارب الفرنج والتتر واحتل  
الحصون وكان مظفرا في جميع حملاته . ثم انه كان ماضي العزائم ، احرز الانتصارات المتواصلة  
على اعداء الله " ( ١ ) .

وكذلك امتدحه ابن الفوطي ( ٢ ) .

وقال ابو الفداء انه " كان ملكا جليلا شجاعا عاقلا مهيبا ( ٣ ) " وقال الذهبي عنه  
" انه البطل الهمام فارس الاسلام لبيت الحروب السلطان الكبير . . . . . اشتهر بالفروسية  
والاقدام ثم كان طليعة الاسلام يوم عين جالوت ( ٤ ) " ونقن ابن تغري بردى عنه انه  
قال ان الظاهر " كان خليقا بالملك لولما كان فيه من الظلم والله يرحمه ويغفر له  
فان له اياما بيضا في الاسلام ومواقف مشهورة وفتوحات معدودة ( ٥ ) .

وقال ابن ابي الفضائل ان الظاهر " كان شجاعا بطلا مقداما هماما عسوقا عجولا جبارا  
محبا للاموال كثير المصادرات للرعية والدواوين خصوصا لاهل دمشق . فانه كان يكرههم  
ويكرهونه وعزم مرتين على خلوها وتحريقها " ( ٦ ) .

وقال ابن كثير فيه انه " كان شهما شجاعا عالي الهمة مقداما جسورا معتنيا بامر  
السلطنة ، يشفق على الاسلام ، متحليا بالملك له قصد صالح في نصره الاسلام واهله ،  
واقامة شعائر الملك . . . . . " ( ٧ ) .

---

( ١ ) نقلها عن سرور ص ١٧١ . ورقة ١٣ أ - ب . ( ٢ ) ص ٣٩٢ - ٣٩٣ . ( ٣ ) ج ٤ ص ١١ .  
( ٤ ) دول الاسلام ج ٢ ، ص ١٣٤ . ( ٥ ) ابن تغري بردى النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٧٨ .  
( ٦ ) ابن ابي الفضائل ، ص ٢٨٣ . ( ٧ ) ج ١٣ ص ٢٧٥ و ٢٧٦ .

وقال المقرئى انه "كان من خير ملوك الاسلام " بوجه عام . وقد كان امراؤه يخافونه  
مخافة شديدة حتى لم يجسر احد ان يدخل عليه في مرضه بغير اذن . " وكان خفيف الركاب  
طول ايامه ، يسير على الهجن وخبول البريد لكشف القلاع والنظر في المعارك . فركب  
للعب الكرة في الاسبوع يومين يوما بمصر ويومًا بدمشق ( ١ ) .

وقال فيه ابن تغرى بردى انه اطال ترجمته لانه " مستحق لذلك لانه فرع فاف اصله ،  
كونه كان من حملة ممالك الصالح نجم الدين ايوب فزادت محاسنه عليه . . . . . وكان . . . . .  
ملكا شجاعا مقداما غازيا مجاهدا مرابطا خليقا بالملك خفيف الوطأة سريع الحركة يباشر  
الحروب بنفسه ( ٢ ) " .

واما رأى ابن الفرات فيه فواضح من انه كتب سيرته في جزئين ويعطى جزء . ومع انه  
يشير عادة الى الاراء المختلفة في الظاهر . عند اختلاف الرأى في عمل من اعماله ، فان  
الابع العام الذى يطبع سيرته هو اظهار هذا السلطان بمظهر الرجل القوى الذكى الذى  
يعرف كل شىء ولا تنفوته شاردة ولا واردة .

وقال ابن اياس عنه انه " كان شجاعا بطلا " اظهر من الشجاعة ما لم يسمع بمثله .  
وقال انه " كان ملكا عظيما جليلا مهيبا كثير الغزوات خفيف الركاب . . . . . وكان يلقب بابي  
الفتوحات في ايامه . . . . . وكان كريما سخيا على الرعية باسط اليدين . . . . . وكان محبا لجمع  
الاموال كثير المصادرات للرعية لاجل الغزوات والتجاريد . . . . . وكان كفوا للسلطنة منقادا  
للمشريعة يحب العلماء والصالحين ويحب فعل الخير وله بر ومعروف وآثار لا سيما ردة الخلافة  
لبني العباس . . . . . وكان من خيار ملوك الترك ( ٣ )

---

( ١ ) المقرئى السلوك ، ص ٦٣٨ و ٦٤١ . ( ٢ ) ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٧٧  
و ١٩٩ . ( ٣ ) ابن اياس ج ١ ص ٩٨ و ١٠٩ — ١١٠ .



وقال عنه النعماني ان "له فتوحات مشهورة ومواقف مشهودة، ولولا ظلمه وجبروته

في بعض الاحايين، لعد من الملوك العادلين" (١) .

ونستنتج من هذا ان المؤرخين القدماء رأوا في الظاهر شخصية ذات ثلاثة جوانب —

صفاته الشخصية العسكرية — ونجاحه في محاربة "اعداء" الله " — وصفاته الشخصية

الخلقية . فاثبتوا على قدرته الشخصية العسكرية وشجاعته واجمعوا على انتصاراته

على النجوم من تتر وفرنجة . اما الصفات الشخصية الخلقية فكان بين المؤرخين اختلاف

بشأنها، كما رأينا .

وهنا لابد من مناقشة هذه الآراء ، جديدها وقديمها ، قبل محاولة تكوين رأي بصدور

هذا السلطان .

لنأخذ الناحية العسكرية من جميع وجوهها — من حيث قدرته الشخصية وكفاءته

العسكرية وانتصاراته ، وأهمية هذه الانتصارات .

ويبدو انه لا مجال للجدال في كفاءته العسكرية وشجاعته وانتصاراته . بيد انه

يبقى لنا سؤالان : ماهي اسباب الانتصارات اولا وما هي أهمية هذه الانتصارات ثانيا ؟

لاريب ان انتصاراته تعود بالدرجة الاولى الى قدرته العسكرية وحسن تنظيم جيوشه

والى دبلوماسيته من جهة، والى ضعف خصومه الصليبيين والى تعذر اتفاقهم مع التتر

من جهة ثانية . لقد ابدى الظاهر حنكة ودراية في الميدانين العسكري والدبلوماسي ، ولكن

ينبغي ألا نستهمين بالناحية الاخرى، وهي ان خصوم الظاهر كانوا ضعافا من الناحية العسكرية

وضرب الصليبيين قبل ان تصلهم نجدات التتر والارمنيين .

---

(١) النعماني ، الدارس في تاريخ المدارس ، ج ١ ، ص ٣٥٠ .

اما اهمية هذه الانتصارات فكبيرة ولكن ينبغي الانبال فيها . يرى E. B. Pochet  
ان طرد الصليبيين كان اقل اهمية من صد الزحف المغولي . يعتقد ان انتصار عين جالوت  
لم يكن صدفة ، اذ ان المماليك استطاعوا النصر في المعارك التالية مرة بعد مرة (١) .  
هذا صحيح ويرى مؤرخ ان الحضارة العربية كان مصيرها الزوال لو قدر للتر ان ينتصروا  
في عين جالوت (٢) . وينالغ كذلك جمال الدين سرور في اهمية هذه المعركة التي انقذت  
"وطننا المحبوب" وحفظت الثقافة التي كانت اساس النهضة المصرية الحديثة (٣) . في  
هذا مبالغة كبيرة . ان معركة عين جالوت كانت هامة ولكنها لم تكن حاسمة . اليس في  
الانقسامات التترية عبر الفرات سبب هام لهذا النصر المملوكي ؟ ألم يكن بعض التتريشيين  
على كتيبا ، قائدهم ، ان لا ينازل قطز وعدة جيشه نحو المئة الف ؟ ثم هل كان دور الظاهر  
في هذه الحملة التي ادت الى نصر عين جالوت ، اعظم من الدور الذي قام به قطز .  
كلا ، قد كان قطز منظم الحملة وقائدها ، ولم يكن للظاهر اكثر من دور الجندي المنفذ  
بمقدرة ومهارة ، خطة القائد الحكيم .

وبعد فهل كان بإمكان التتر ان يبقوا في بلاد الشام فيما لو انتصروا في عين جالوت  
او ان يمتدوا الى مصر ؟ ان جوابي على هذا السؤال هو بالنفي . فبعد ان عاد هولاكو  
من حلب على اثر وفاة الخاقان الاعظم ، لم يكن بإمكانهم البقاء في بلاد الشام . لان عددهم  
كان قليلا ، نحو العشرين الفا ، ولان انقسامهم وراء الفرات ، حال دون وصول نجدات جديدة  
واذا تذكرنا ان التتر لم يستطيعوا قبل قرن ونصف من الزمن ان يتوغلوا في بلاد الشام ، كان  
لنا ان نحكم ان التتر كانوا قد وصلوا الى الحد الاقصى من امتدادهم في بلاد الشام .  
كان لابد للتر من التراجع لكن المماليك عجلوا فيه .

(١) E. B. Pochet (٢) ص ١٠ — ١١ .

النهج السديد ص ٣٦٦ . (٣) سرور ص ٧ .

وهنا اود ان اتساءل : الم يكن قدوم التتر هو الذى سهل للمماليك قيام دولتهم ؟  
هذا معقول جدا . فلولا انتصار التتر على الخليفة لما كانت مصر الملجأ البعيد المضمون  
جغرافيا للهاربين من التتر . ثم ان الناصر صلاح الدين يوسف كان في سبيل توحيد  
بلاد الشام لمقاومة التتر ، لولا اصطدامه بالمماليك وانشغاله بهم عن الخطر الاساسي .  
ثم ان قطز وعد الناصر بالنجدة ولكنه لم يجعل بها .

واما انتصاراته على الصليبيين فكبيرة حقا . ولكنه ينبغي لنا ان لانسى ان الصليبيين  
كانوا منقسمين ايضا وانه لم يكن بإمكانهم البقاء طويلا في هذه الحال . التتر لا يستطيعون  
مساعدهتهم والاروبيين لا يقدرّون ان ينجدوهم . ان احتلاله انطاكية وحسن الاكراد عمل  
عسكري مجيد عجل في القضاء على الصليبيين بحيث لم يبقوا بعده اكثر من خمسة عشر عاما  
حين سقطت عينا . آخر معقل لهم بيد الاشرف خليل . واذا كان الظاهر فعل اكثر من  
اضعاف الصليبيين فلماذا لم يستلعم ان يحتل عكا وهي اقرب اليه ؟ ولماذا قبل بالصلح  
مع طرابلس ؟ لقد كان يعلم ان القضاء على الصليبيين لا يمكن ان يتم دفعة واحدة فينبغي  
ان تصيب فيهم نقطة الضعف .

ثم اليس يحق لنا ان نساءل قليلا عن حسن تقدير الظاهر لنتائج بعض حملاته العسكرية ؟  
اليس يحق لنا ان نتساءل عن الفائدة التي جناها ، او توخاها ، من حملته الاخيرة على آسيا  
الصفرى ؟ ان فائدة هذه الحملة اقل بكثير من النفقات المالية والضحايا البشرية التي  
هدرت فيها . اتراه كان يتوخى احتلال آسيا الصفرى ؟ مثل هذا الحلم دليل على  
سوء تقدير لامكانياته العسكرية . ام اتراه كان يدافع عن بلاد الشام ؟ وهنا ايضا ارى ان  
السلاجة كانوا اضعف من ان يهددوا بلاد الشام . ام ان الحملة كانت ترتدى طابعاتظاهريا  
وحسب ؟ هذا ما يخيل الي . لقد كان يريد ان يرى خصومه انه يستطيع دخول

عواصمهم غير مبال بالثمن . وقد قال : « انه قام بتسبع حملات عسكرية ضد المغول كانت هجوما معاكسا ، الا حملته الاخيرة فقد كانت بدافع منه ( ١ ) . حقا لقد كان مستحقرا بالارواح البشرية .

وبعد فلماذا يكون النصر على التتر عملا سخما ؟ ان انتصاره على التتر حمى الثقافة العربية . ولكن هل كان الظاهر ينور حماية هذه الثقافة ؟ وهل كانت لديه مثل هذه المفاهيم ؟ وليربوسعي هنا ان اناقش في نوع الثقافة العربية التي ازدهرت بعد انتصاره على التتر . ينبغي لنا مثلا ان نقابل ما فعله ايلخانات فارس للثقافة لنرى ما اذا كان الظاهر بصورة خاصة ، والمماليك بصورة عامة ، ساقوا اسدا حديبا على الثقافة . ان المماليك حين حاربوا التتر والصليبيين ، كانوا يعملون للمحافظة على سلطانهم . ومع هذه الرغبة والعمل لتحقيقها ، تحققت بعد المنافع المادية لمصر وحسب .

ولناخذ الان ناحية ثانية هي الصفات الشخصية الخلفية . قد لا نستطيع ان ننكر ان الظاهر كان قاسيا عسويا عجولا ، وانه كان غدارا . ثم اتنا لن نستطيع ان ننكر انه كان سخيا كريما ايضا ، وانه كان حليما بارا احيانا اخر . بيد وانه كان يجمع حقا بين المتناقضات ، وانه كان مثالا نموذجيا على حسنات السلاطين المماليك وسيئاتهم . وقد ضخم ابن عبد الظاهر صفاته الحسنة ولم يذكر له عيبا . لكن مؤرخين اخرين ذكروا له الكثير من الصفات الحسنة والصفات السيئة . وهذا طبيعي الا اذا شئنا ان ننسى ان الظاهر انسان اولا . فهو عرضة للتأثر بكل ما يتأثر به انسان في ظروفه . فهو كريم حقا ولكن للذين يناصرونه . وهو حليم ايضا ولدى على الذين يوبدونهم . اما ما ينسب اليه من

---

( ١ ) الموسوعة الاسلامية، الطبعة الجديدة، مادة بيزمر، ج ١٠ ص ١١٢٥

لـ لغدر والقسوة فليس غدرا ولا قسوة اذا تذكرنا ان الظاهر كان اولاً واخيراً يحاول توطيد دولة فهو لن يسمح ببقاء ما قد يضعف مثل هذه الامنية . لقد لاحظ اليوناني ان التهم التي نسبت للمغيث ليست صحيحة ، ولكن المغيث كان ايوبيا قد يدعي الحق بالسلطنة ثم انه لذلك خطر عليه اذا حاول الاستقلال ، كما فعل سنجر الحلبي بدمشق او البرلي بحلب . اذا لابد من القضاء عليه . الم يوحى ابنه بضرورة التخلص من يقف في سبيل مصلحته ؟ .

اما من حيث علاقه بعائلته وبالامراء كائفراد ، فيبدو لي انه كان لطيفاً رقيقاً ، حسن الخلق حادياً على ابنائه وعلى امرائه واجناده وابناء الامراء . لقد كان يعنى بهم جميعاً لانهم المادة الخام التي تتركز عليها الدولة .

ولنتناول ، بعد هذا ، الناحية الادارية . تبين لنا من دراسة النظم الادارية في عهد الظاهر انه اتبع الخطة الطبيعية التي لابد من ان يتبعها كل رجل دولة حكيم . فقد اعتمد الهيكل الاداري الايوبي السابق و اضاف عليه بعض التفاصيل الجديدة او حدد اختصاصات بعض رجال الادارة او غير بعض هذه الاختصاصات . ولابد لنا من ان نسجل له مقدرته على مراقبة هذا الجهاز مراقبة دقيقة ، كان حازماً نشيطاً في ادارته ، سريعاً في تنفيذ احكامه .

واحب الظاهر العموان والبناء حبا عظيماً . وقد تناولنا هذه الناحية في فصل سابق .

لعل الظاهر كان ينشبه بصلاح الدين الايوبي . والواقع هو ان بعض المؤرخين القدامى والحد يثين فعلوا ذلك . وقد اشار ابن عبد الظاهر الى الاثنين ثم فضل السلطان على سلفه (١) وقد اشرت عند تقييم الظاهر في فصل سابق الى كثيرين آخرين ممن قابلوا بين الاثنين .

ويرى G.Wiet ان الظاهر اختلف عن صلاح الدين في شيئين : الاول هو الغاء  
الاقطاعية . ولم يكن للظاهر سلاله كما كان لصلاح الدين ، فاضعف الاقطاعية . والثاني هو  
انه كان يقوم بزحوف منظمة على الخصوم ويقيم دفاعا في المكان الذي يحتله بينما كان احتلال  
صلاح الدين للقدس رعدا بلا مطر (١) وفضلته فاطمة صادى على صلاح الدين في نواحي  
كثيرة . اما S.Runciman فكان مغايرا لهما في رأيه .

صحيح انه لم يكن للظاهر سلاله كما كان لصلاح الدين ، ولكنه حاول انشاءها ، ثم ان  
المماليك الذين احاطوا بالظاهر كانوا اشبه بسلالة صلاح الدين مع فاروق هو ان الظاهر كان  
اشد مراقبة عليهم . اما القول بان فتى القدس كان رعدا بلا مطر فغريب . ولئن صح ان  
الصليبيين انتعشوا بعد موت صلاح الدين واستعادوا القدس بتحالف مع الكامل ، لكن  
شوكتهم العسكرية كانت قد خضت .

انا لا ارى في الظاهر مقلدا لصلاح الدين ولكني ارى فيه ساء را على مخطط سلفه

ولو اختلفت وسائلهما باختلاف الظروف والاحوال .

فما هو الرأى الذى ينبغي ان نخلص اليه بعد هذا بخصوص السلطان الظاهر ؟  
حقا لقد جمع الظاهر الصفات الشخصية النبيلة والصفات العسكرية العالية الى جانب الصفات  
السيئة ، ولكن الناحية السياسية كانت طاغية عليه . لقد كان يود توطيد دولة المماليك دفاعا  
عن الاسلام ، لذت حارب الصليبيين والتتر بقسوة وعنفا لانهم الخصوم السياسيون من غير ان  
ينظر اليهم على انهم خصوم دينيون او مضرون من الناحية الثقافية . وكان يود توطيد هذه  
الدولة في سلالته باى ثمن كان ولذلك لجأ الى جميع الوسائل بقطع النظر عن ناحيتها الاخلاقية .

---

(١) G.Wiet ، مادة بيبيرس ، الموسوعة الاسلامية ، الطبعة الجديدة ، ج ١ ،

ونجح الظاهر لانه كان يتمتع باحساس دبلوماسي عميق وقوة عسكرية لم تعط لغيره آنذاك .  
انه موطن دولة المماليك وكفى . اما محاربة الصليبيين والتتر ، فقد فرضتها الظروف  
عليه ، فساعدته عبقريته العسكرية ودرايته الدبلوماسية على القيام بذلك ، من غير  
ان تكون له يد فيما نتج عن ذلك من منافع او مضار في السياسة او في الثقافة .





تاريخ ابن الفسرات

وهو

تاريخ الدول والملوك

المجلد السادس - الجزء الاول

لناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات

Submitted in partial fulfillment of the  
requirements of the Degree of Master of  
Arts in the History Department of the

American University of

Beirut

BEIRUT - LEBANON.

1961.

تاريخ ابن الفرات

المجلد السادس - الجزء الاول

تحقيق ميخائيل خوري

بإشراف الدكتور قسطنطين زريق

## توطئة

ينبغي ان اشير هنا بايجاز الى الطريقة التي اتبعتها في تحقيق هذه المخطوطة .  
ولما كانت هذه المخطوطة جزءا من مؤلف متعدد الاجزاء كان الدكتور زريق قد بدأ بتحقيقه ونشره فقد اعتمدت ذات الطريقة التي كان الدكتور قد اعتمدها ، مع تغييرات طفيفة اقتضتها  
ضرورات الآلة الطابعة . وفيما يلي خطوطها الاساسية ( ١ ) :

( ١ ) التقيد بالاصل ما امكن ذلك الا في بعض الكلمات حين وفقت بين المحافظة على الاصل  
وبين طرق الاملاء الحديثة ، كاثبات الهزة بعد الف المد ، او حيث اسقطت في وسط الكلمات  
او حيث خففت الى ياء في وسط الافعال .

( ٢ ) وضعت النقاط حيث يهملها المؤلف - وهو كثيرا ما يفعل ذلك - دفعا للتباس .

( ٣ ) قسمت الكتاب الى فقرات لتسهيل المطالعة . وعند بداية كل سنة سجلت في اعلى

الصفحة تاريخ الحوادث التي يرويها المؤلف بالسنة الهجرية وبالسنة الميلادية معا .

( ٤ ) اما الكلمات والعناوين التي ارادها المؤلف مميزة وكتبها بحبر احمر ، فقد وضعت خطأ

تحتها . ووضعت الكلمات التي زدتها على الاصل ضمن قوسين ( ) . ووضعت علامتي اقتباس

” حول الكلمات التي لم اتمكن من تحقيقها او لم استطع التثبت من صحة قراءتها .

ووضعت نقاطا . . . . . مكان الكلمات التي لم استطع قراءتها . وكنت اشير الى ذلك في

الهامش .

---

( ١ ) الدكتور زريق ، توطئة الناشر . تاريخ ابن الفرات . مجلد ٩ ج ١ ، سلسلة العلوم الشرقية

الحلقة التاسعة ، بيروت ١٩٣٦ ، ص ١ - ن .

٥) اعتمدت ارقام صفحات نسخة فيينا وارفقتها ب "و" او "و" للدلالة على

صفحة الوجه (recto) او القفا (Verso).

(١) الرومي وجماعة من البحرية والحلقة فسافروا من القاهرة المحروسة في رابع جمادى  
الاول من هذه السنة . وكتب الى دمشق بخروج عسكرها صحبة الامير (١) علاء الدين  
والحاج طبرسر . ورحل عسكر مصر وعسكر الشام من دمشق في عاشر جمادى الاخرة من  
هذه السنة والله اعلم . وفي هذه السنة ولي عز الدين ابن وداعة الوزارة بدمشق .  
وفيها تسلم السلطان الملك الظاهر قلعة البيرة . وفيها وصل الخبر الى دمشق بأن  
الذلف وقع بين التتار ببلاد العجم وتفرقت كلمتهم وانتصر بركة قان على هولاء .  
وكان ما سذكروه ..... الله تعالى . وفيها في ثالث عشر المحرم .....  
الامير عز الدين بيليك الخزندار على بنت بدر الدين (٢) .

#### ذكر صلح الملك الظاهر مع صاحب الكرك .

كان السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالح لما ملكه الله تعالى قد ترددت  
بينه وبين الملك المغيث صاحب الكرك عدة رسائل . وكان الملك المغيث قد سير في  
الباطن الى جماعة من الشهرزورية فاستمالهم اليه وهربوا الى الكرك . وكان الملك الظاهر  
قد سير عسكرا مقدمه الامير شجاع الدين اغريل الشبلي الى جهة الشوك فاناروا على  
البلاد مرة بعد مرة (٣) .

---

(١) في الاصل " للامير " .  
(٢) الكلام هنا غير مقروء كله وهو على الهامش في الاصل وهذا ما جاء في اليوناني جزأ ١ ص ٤٥٢  
وجأ ١٠٧ : وفيها ( سنة ٦٥٩ هـ ) في ثالث عشر شوال استدعى ( الظاهر بيبرس ) اولاد  
بدر الدين صاحب الموصل وعرفهم مكانة الامير بدر الدين بيليك الخزندار عنده ومحلله منه وطلب  
منهم ان يزوجه بأختهم فبدلوا جهدا الاستطاعة في السمع والطاعة فعقد عقده وملكه بانياس  
والصبية بعد البيع الشرعي وجعل ذلك مكافأة لخدمته له ومصابرته معه في حالي الشدة  
والرخا .

(٣) ابن عبد الظاهر ( ص ٤٨ ) .

وكتب السلطان يردهم ويصد هم (١) . ثم جرد السلطان الامير جمال الدين  
المحمدي وتوجه الى الكرك فحاصرها فنزل عليها ونمايقها . ثم رحل عنها الى جهة  
حلب وقال السلطان : والله ما قصدته بسوء حتى ابتدأ به (٢) وسير السبي  
بلادى افسد الشهرزوريه واستعان بهم على فساد البلاد . وسير السلطان  
في تجهيز عسكر آخر . فوردت رسل صاحبها الملك المغيث الى الخليفة المستنصر  
بالله قبل خروجه من الديار المصرية يسأله النفاة . فكتب الى السلطان وشفع  
وعاود فقبل السلطان شفاعته ولم يسيرا احدا . وسير الخليفة رسولا صحبة رسول السلطان .  
ولما خرج السلطان الملك الظاهر صحبة الخليفة الى جهة الشام كما قدمنا شرحه وردت  
الرسول من جهته ولم يتقرر حاله . والوافدون من جهته تتواصل واهل البلاد يطلبون  
رضى السلطان . وكان الملك المغيث قد سير ولده الى هلاكو (١ و) ملك التتار .  
وعاد الى دمشق قبل كسر التتار على عين جالوت . فلما كسرهم الملك المنصور قدار  
كما سبق ذكره ودخل الى دمشق قبا على الملك العزيز بن الملك المغيث واحضره  
الى مصر فأعتقل بها . فلما تملك الملك الظاهر ركن الدين بيبرس وانفق ما قدمنا شرحه  
ضاف الحال على الملك المغيث وقلت حيلته ورأى الامر عليه قد صعب سر في استعطاف  
السلطان الملك الظاهر فأبقى عليه الكرك وبلادها وادّلو الملك العزيز بن الملك المغيث  
واقطعه " ديبان " (٣) بمنصور شريف . وحلف السلطان لوالده الملك المغيث .  
ثم بعد ذلك سير السلطان له سندقا وشعار السلطنة فقبل عقب السنجق  
وركب بشعار السلطنة . وكان ما سنذكره ان شاء الله تعالى . واستأمن الشهرزوريه  
الى السلطان فعفى عنهم وامر بعضهم والله اعلم .

---

(١) في ابن عبد الظاهر ( ص ٤٨ ) " وعسكر السلطان يردهم ويصد هم "

(٢) في الاصل " ابتدئ "

(٣) كذا في ابن عبد الظاهر ص ٤٩ لكنها بغير تنقيط في الاصل .

### ذكر تحليف الناس لولد الملك الظاهر بولاية العهد

بأمر السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى عرف العساكر بنفسه • وحلف الناس لولي العهد الملك السعيد ناصر الدين خاتان بركه خان • فحلف الناس بآمال منبسطه وطاعة غير مستردة وعهود بالوفا مفتبطة واتم الله نعمته عليه كما اتمها على ابويه من قبل • وسيرت نسخ الايمان الى الفراع فحلف الناس جميعهم والله اعلم •

### ذكر وصول الحاكم بأمر الله العباسى الى مصر

لما كسر التتار الخليفة المستنصر بالله واصحابه ورجع الحاكم بأمر الله ومن معه كما قدمنا شرحه وصل الحاكم بأمر الله الى دمشق المحروسة ودخلها يوم الاحد ثاني عشرين صفر من هذه السنة • ثم ( ٢ و ) سافر من دمشق الى مصر في يوم الخميس سادس عشرين صفر الشهر المذكور فوصل الى القاهرة المحروسة في السابع والعشرين من شهر ربيع الاول من هذه السنة • واحتفل السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى للقاءه وانزله في البرج داخل القلعة الجبل المحروسة ورتب له ما يحتاج اليه • وكان ما سنذكره ان شاء الله تعالى •

وقال صاحب "كتاب نظم السلوك في تواريخ الحلفاء والملوك" : في نصف شهر رجب الفرد من هذه السنة وردت جماعة من البنادقة ممالىب الخليفة الذين كانوا تأخروا في بلاد العراق بعد قتل الخليفة ومقدمهم الامير سيف الدين سلاار • فالتقاهم السلطان بالاحسان واعطى الامير سيف الدين سلاار خمسين فارسا في الشام نصف ( ١ ) مدينة نابلس • ثم غيره له واعداه طبلخاناه بمصر • فلما شاهد احسان السلطان كتب الى من تأخر من خدائسته والى اصحابه من خفائه يعلمهم بالحال كما قال

الله تعالى " يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين " (١)  
وكان قد جرى من الأمير سيف الدين قليج البغدادى المستنصرى امر اوجب اعتقاله  
بعد ان كان السلطان اعطاه الانطاعات العظيمة ( له ) (٢) ولولده . فلما  
كان في بعض الايام افتكره السلطان وعلم انه لعظم ذنبه لم يجسر احد من  
الامراء يشفع عنده فيه وان الاسباب انقضت عنه فأطلقه بغير شفع وجعله يلعب  
معه الكرة وشاهده البغادده الواصلون على هذه الحالة فدعوا للسلطان وشكروا  
جله والله اعلم .

وفي شعبان من هذه السنة وصل الى الابواب الشريفة (٢ ف ) الأمير سيف  
الدين الكرزي والقاضي اصيل الدين خواجا امام رسل السلطان الذين كانا توجهها  
الى الانبرور ملك الفرنج وصحبتهما كتابة . وذكرنا انه اهتم بهما اهتماما عظيما  
واحضرهما ساعة الوصول قبل ان يستريحا . وان الانبرور تجمّل لهما تجملا  
عظيما . وعرضت عليه الهدية فأعجبت الزرافة اعجابا عظيما وشاهد التار المسيرين  
اليه وقرى عليه كتاب السلطان وهو يردده ويتفهمه وجهاز رسولا وهدية تحضر  
صحبة رسله فيما بعد . ولما وصل رسل السلطان المذكورون كان في جملتهم  
نفران من البحريه امر السلطان بتأديبهما لانه بلغه سؤاتهما . وسيرهما  
الى قلعة الجزيرة بروضه مصر المحروسة يعملان فيها .

ووصل ايضا الى الابواب الشريفة الأمير شرف الدين الحاكي والشريف عماد  
الدين الهاشمي من عند صاحب الروم السلطان عز الدين كيكاو سربن كيخسرو وصحبتهما  
الامير ناصر الدين نصر الله بن كرج رسلان امير صاحب الصدر صدر الدين الاخلاطي  
رسولان منه ومعهما كتابان الى السلطان الملك الظاهر يتنزل فيه تنزلا عظيما .

(١) سورة يس (٣٦) رقم ٢٥ و ٢٦ .

(٢) ابن عبد الظاهر ( ص ٥٠ ) .





وهذه اليمين يمينى وقد حلفت بها مهبما ٠٠٠٠٠ (١) من المدن والاقطاعات والملكية  
وغير ذلك مهبما قرر ورسم يكون مقررا على الوجه الذى يؤمر به ٠ ولا يعزل احدا من  
الجماعة المذكورين وكل من احضر من الديوان العالي المولوى السلطاني الملكي الظاهرى  
مثالا (٣ ق) او توقيعاً بمثل ذلك بعد اليوم وصار الببتان واحدا والمعية الكلية  
تؤكد ٠ والله على ما نقول وكيل ٠ كتب في اواخر جمادى الآخرة سنة ستين وستماية  
وكتب السلطان الملك الاهر لأمير ناصر الدين الرسول المذكور منسورا بثلاثماية  
طواشي واقطعه آمد واعمالها ٠ وتقرر سفره صحبة المسكر وان يتوجه صدر الدين  
الرسول الآخر صحبة رسل السلطان في البحر الى السلطان عز الدين واعلمه بأن  
السلطان قد اجاب داعيه ولهى مناديه ووقع الاهتمام في كتب المناشير وتجريد الامراء  
من حلب والشام ٠

وفي شهر رجب من هذه السنة ايضا وصل الى الابواب السريفة الامير عماد  
الدين بن الامير مظفر الدين صاحب صهيون رسولا من جهة اخيه الامير سيف الدين  
وصحبته الهدايا الحسنة ٠ فأحسن اليه السلطان ٠ وكتب له منشورا في بلاد حلب  
بثلاثين فارسا وكتب له منشورا آخر في البلاد الرومية بمائة طواشي ٠

وفي هذا التاريخ وصل كتاب صاحب الروم يذكر فيه ان العدو لما بلغهم  
اتفاقه مع السلطان خافوا من هيئته فولوا هاربين وانه سير الى قونيه يحاصرها ليأخذ  
من بها من اصحاب اخيه ٠

وفي هذا التاريخ وصل كتاب السلطان الى الملك المنصور صاحب حماه وصحبته  
قصاد وصلوا اليه من التتار وعلى ايديهم فرمان للملك المنصور ٠ ف شكر السلطان على  
ذلك واعتقل القصاد ٠

---

(١) في الاصل بياض بقدر كلمه ٠

وفي هذا التاريخ وصلت كتب الامير عز الدين الافرم امير جاندار مقدم العسكر المتوجه الى جهة الصعيد للعربان بتبديد شملهم وسبب ذلك طمعهم بتغيير الممالك ونفاتهم وسوء اعتمادهم وتعديهم على الامير عز الدين الحواس (١) والى قوس وقتله وانه اراح المسلمين من فسادهم والله لا يحب الفساد .

وفي شعبان (٤ و) من هذه السنة توالى وصول جماعة ممن كان صحبة الامير البرلي من العزيزية والناصرية فأحسن اليهم السلطان الملك الناصر ولم يؤخذ احدا منهم بشيء مما جرى .

وكان الاشكرى سيرا الى السلطان الملك الناصر يلتزم منه بطركا للنصارى الملكيين فعين الرشيد الكحال لذلك وسيره اليه صحبة الامير فارس الدين انور المسعودى فأكرمه الاشكرى واكرم البطرك واكرم من صحبه من جماعة الاساقفة واعطاء ووصل الامير فارس الدين انور المسعودى الذى كان توجه رسولا الى الاشكرى في هذه الايام وصحبته البطرك المذكور . ولما وصل البطرك حضر الى السلطان الملك الناصر هديه كبيره من جملتها مصوغ من فضة وتمام ذهب وما تحصل له من مال . فرد السلطان ذلك عليه . ومادف وصول الامير فارس الدين الى الاشكرى عند فتحه للقسطنطينيه فركب الاشكرى يوما ليفرج الامير فارس الدين المذكور فيها وفي عمايرها ثم عبر على مكان قتال : جامع . وقد ابقته ليكون ثوابه للسلطان . واذ قد جرى ذكر القسطنطينيه وذا الجامع فلنذكر يزيد بن معاويه ومسلمة بن عبد الملك وغزوها القسطنطينيه ونباية الجامع .

كان يزيد بن امير المؤمنين معاويه بن ابي سفيان الاموى رضى الله عنهما في سنة احدى وخمسين للهجرة في خلافة والده غزا القسطنطينيه ومعه ابو ايوب الانصارى

---

(١) "الحواس" في السلوك للمقرئى ج ١ ص ٤٧١ . وفي الاصل بدون تنقيط .

رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم • فلما حضرته الوفاة وص  
انه يترك تحت ارجل الخيل حتى تدوسه خيل المجاهدين ففعل ذلك • وقيل  
انه دفن تحت سورها • والروم الى الان يستسقون المطر اذا انحبس عليهم الغيث  
بقبره ويدعون الله تعالى به • ونقل ابن حمدون في (٤ ق) كتابه التذكرة  
ان سبب بنايه الجامع بقسطنطينية ان في سنة ست وتسعين للهجرة وقع الصلح مع  
الروم على ان يبني بها مسجد جامع فبني • ولما طالت مدته جعلوه حيسا • وقال  
• غيره ان الصلح كان تقرر على ان يبني مسجد قدر جلد بعير • وتقررت العهود  
على ذلك • فلما استقر الحال عمد المسلمون الى جلد بعير فقدوه سيورا ومدوها •  
فأنكر الروم ذلك • فقال المسلمون ان هذا جلدا لبعير ما زدنا عليه شيئا وكان  
عليه الاتفاق فسكتوا • وقيل ان بانيه الامير مسلمة بن امير المؤمنين عبد الملك بن  
امير المؤمنين مروان بن الحكم الاموي في ايام اخيه امير المؤمنين الوليد لما غزا القسطنطينية  
كما سبق ذكر ذلك في موضعه من هذا الكتاب •

وكان السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين ايوب بن شاذي  
بن مروان الايوبي لما صالح ملك قسطنطينية اراد ان يعمر هذا الجامع ويخطب له  
فيه • وسير ابن البزار (١) في هذا السبب فما اجابه الروم ولا مكنوه منه • واخر  
الله تعالى ذلك ليكون اجره للسلطان الملك الظاهر وخره لدولته • فلما رجع  
الامير فارس الدين اقوس من عند الاشكرى وبلغه ما قال له الاشكرى في امر جامع  
القسطنطينية فرح واعجبه كون الله سبحانه وتعالى هيا هذه الحسنة في ايامه  
وجعل شعار الاسلام في بلاد الكفر بهيبته • وامر لوقته بتجهيز الحصر العبداني  
والقناديل المذهبة والستورة المرقومة والمباخر والسجادات والمساك وما الورود والعنبر  
(١) كذا في الاصل • وفي ابن عبد الطاهر (ص ٥٤) "البرار" • اشار ابو شامة (كتاب  
الروشتين ج ٢ ص ١٥٩ - ١٦٠) لذلك ولم يذكر الاسم • وكذلك فعل ابن شداد  
في "سيرة صلاح الدين" (ص ١١٥ - ١١٦) ولكنه لم يذكر الاسم •

والعود • وذكر الله فيه بهاربه وهذا عمل صالح للملك الظاهر مكتوب في صحيفته  
لأن الله تعالى يقول : ولا يظئون موطنًا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً  
الا كتب (٥) و) لهم به عمل صالح " (١) والله اعلم •

ذكر نزول عسكر الملك الظاهر على انداكيه ورجوعهم عنها •

كنا قد منا ان السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي ارسل عسكرا  
الى جهة حلب • ولما استمرت بالبلاد الحلبية صلحت الامور وحفظت الغلات • وكان  
البرنس صاحب انداكيه مستمرا على ما هو عليه من التخوف من المهابة السلطانية •  
فحصل التقدم للعساكر بالانغارة على بلاده فتوجهت العساكر اليها صحبة الامير شمس  
الدين سنقر الرومي • وكان من جملة من صحبه صاحب حمص وصاحب حماه والامراء  
كلهم فنزلتها العساكر واخذت المينا واحرق المراكب • واخذت حواصلها • وحاصرت  
السويداء واخذتها • وقتلت واسرت وجاددت احسن جهاد • وعادت ودخلت  
القاهرة المحروسة في يوم الخميس تاسع وعشرين شهر رمضان سنة ستين هذه السنة  
صحبة الامير المذكور • وصحبته الاسرا وهم مائتان نيف وخمسون اسيرا • فأحسن  
السلطان الملك الظاهر الى الامير المذكور مقدم العساكر والامراء • وسير الخلع الى  
الملكين المذكورين الى بلادهما والله اعلم •

ورأيت بخط صاحبنا الامير صارم الدين ابراهيم بن الامير ناصر الدين محمد بن  
الامير عز الدين ايد مردقماق في ترجمة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس من كتابه  
الذي الفه وسماه " الدر المنضد في وفيات اعيان امة محمد صلى الله عليه وسلم "  
ما صيغته : وفي سنة ستين وستماية رتب السلطان الملك الظاهر في مصر اربع قضاة وجعل  
لكل قاضي نايب (٥ ق) انتهى كلامه والا ظهر ان ذلك كان في سنة ثلاث وستين كما

سنذكره فيما ان شاء الله تعالى • لكن الذي اتفق وتوهمه في هذه السنة ان السلطان الملك الظاهر في ثالث شهر رمضان من هذه السنة عزل قاضي القضاة برهان الدين عبد الوهاب بن بنت الاعز الى قضا مصر والوجه القبلي من اقاليم القضاة والقاهرة والوجه البحري • وكان قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الاعز متشددا في الاوامر الضرورية السلطانية فأوجب الامر السلطاني اليه ان يستنوب عنه في الاحكام مدرسي المدرسة الصالحية النجمية التي بين القصرين داخل القاهرة المحروسة على المذاهب الاربعة ففعل ذلك • وجلس القاضي صدر الدين سليمان بن نفي والقاضي شرب الدين عمر السبكي المالكي والقاضي شمس الدين محمد بن ابراهيم بن نبلي • وذلك في العشر الاواخر من ذي القعدة من سنة ستين هذه السنة • وتم هذا الامر ثم جرى ما سنذكره ان شاء الله تعالى •

قال بعض اهل التاريخ في يوم الاربعاء رابع ذي القعدة من هذه السنة قبرا الملك الظاهر ركن الدين بيبرس على نائبه بدمشق وهو الامير علاء الدين طبرس الوزيري • وكان قد تولى دمشق بعد مير الامير علاء الدين ايدكين البندقدار عنها • وسبب القبض على علاء الدين طبرس ان الملك الظاهر بلغه عنه امور كرهها • فأرسل اليه عسكريا مع الامير عز الدين الدماطي والامير علاء الدين ايدغدي الحاج الركني وغيرهما من الامراء • فلما وصلوا الى دمشق خرج الامير طبرس لتلقيهم • فقبضوا عليه وارسلوه الى مصر فحبسه الملك الظاهر واستمر في الحبس سنة (٦ و) شهرا • وكانت مدة ولايته بدمشق سنة وشهرا ايضا • ولما قبرا على الامير علاء الدين طبرس حكم في دمشق الامير علاء الدين ايدغدي الحاج الركني •

وفي ذي الحجة من هذه السنة ظهر بين القصرين بالركن المخلق (١) بالقرب

---

(١) في الاصل المخلق، وقد جاء في الخط للمقرئ ج ٢ ص ٢٤٧ انه قد سمي "الركن المخلق" بواو بعد الخاء • • • • • الخواص الصمرا التي لا ما بها ويقال الواسعة واخوق واسع فلعله سمي المخلق بمعنى الاتساع • • • • • او يكون المخلق • • • • • اي مستو املس • وسمته العامة بعد ذلك الركن المخلق بضم الميم وفتح الخاء وتشديد اللام وفتحها •

من رجه باب العيد بالقاهرة المحروسة معبد وفيه حجر مكتوب عليه هذا مسجد موسى بن عمران عليه السلام فجددت عمارته وهو الان يعرف بمعبد موسى وهو منزل مبارك وفيه انيس كثير وفيه مساكن والله اعلم .

ذكر وصول جماعة من التتار الى الباب الشريف ودخولهم في طاعة

الملك الظاهر

لم يزل السلطان مهتما بأمر الاعداء ومحترزا من مكائدهم وآخذا بالحزم في امرهم . وقصاده لا تنقطع من بغداد وخلاط وغيرهما من بلاد الشرق والعجم . وهو يغرم عليهم الاموال الكثيرة لان من يسافر في هذا المهم ويسخو بنفسه لا بد ان يأخذ مثل ديتته ولولا ذلك ما غرر احد بنفسه . فلما ارشد الله السلطان لهذه المصلحة ترددت القصاد وتعرفت بمن يتطلعها في البوارج وكاتبهم السلطان وسير اليهم التحف . وسيروا يعرفون ان هلاون خزاه الله جمع جمعا كثيرا ولم يعلم قصده . فاحتز السلطان وسير الكشافة من خواصه وجرد معهم جماعة من الترك الخفاف بالخيول المسومة والجنائب وسير الكشافة جمال الدين الرومي السلحدار من الخواص ومعه خيول منها حرة من خيل خفاجة سابقه وغيرها من الخيل كل فرس بألف دينار واكثر ثم الامير علاء الدين اقسنقر الناصري كذلك حتى اخذ السلطان الاخبار . وقبض من وسط التتار ناسا اخذ الاخبار منهم وكانوا مسلمين ، فأطلقهم وكتب الى الشام بار داغهم بجماعة . وارسل (٦ق) امراء العربان معهم فساقوا الى حدود العراق . وفي نصف شهر رمضان من هذه السنة وقع بدمشق ارجاف من جهة التتار وتجهز اكثر الناس للهرب للديار المصرية وباع الامراء حواصلهم وجفل الناس من حمص وحماه ونخلوا الى دمشق وذكروا ان مثل هذا الارجاف حصل ببيلاد الفرنج .

ولما تواترت الآبار بحركة هلاون عمل السلطان بالحزم • وتقدم الى اهل دمشق بالحضور الى القاهرة بأمان اليهم لتخضع لهم وترخص الاسعار ويؤمن نفاق من له ميل الى جهة العدو • فحضرت جماعة كبيرة • وكتب السلطان بتخفيرهم من ولاية الى ولاية الى باب القاهرة وان لا يؤخذ منهم حق زرع ولا زكاة ولا غيرها ولا يتعزوا الى ما معهم من تجر وثمار ولا تفتن لهم محابر ولا شدات • فوصلوا الى القاهرة سالمين • وكتب الى النواب بحلب بحريق الاعشاب • وسير جماعة الى بلاد آمد ومواقع الاعشاب التي جرت عادة هلاون بنزولها • لما وصل الى حلب وكانت محمية بحريق الاعشاب فتوجهوا واحرقوا تلك المروج مسيرة عشرة ايام الى ان صارت جميعها رمادا • وفعل في احراق اعشاب بلاد خلاط كذلك • وتطعم السبيل (١) احترازا • ثم سير كشافه آخر مثل الاولى وصحبتهم العربان • وفي اثناء هذه الحال بلغ الملك اذ امر عن الامير علاء الدين طبرسر الوزير النائب بدمشق انكرها • فسير الامير عز الدين الدماطي والامير علاء الدين ايدغدي الحاج الركني فقبضوا عليه وارسلوه الى القاهرة • وتسلم الامير علاء الدين المذكور دمشق ينظر فيها الى حين حضور نائب مستقل كما قدمنا سرحه • وسير الامير علاء الدين ايدغدي الحاج الكشافه جماعة بعد جماعة • ثم وصل كتاب الحاج علاء الدين بأن الكشافه وجدوا جماعة كبيرة من التار مستأمنين وافدين الى الباب السريفة لانهم من اصحاب الملك بركة • وكانوا نجده عند هلاون • فلما وقع بينهما كتب الملك بركة اليهم بالحضور اليه وان لم يقدروا على ذلك يتجاوزن الى عسكر الدبار المصرية ويذكرون (٧) ان العداوة قد استحكمت بينهما • وان ولد هلاون قتل في المعناف وان عسكر هولاكو كسره ابن عمه بركة قان وهرب جماعة هولاكو في البلاد وقصدت كل طايفه منهم جهة • وان هولاكو هرب الى قلعة تيملا وهي في وسط بحيرة اذربيجان فدخلها وقطع عنها الدارير فمسار كالمحبوس

---

(١) في الاصل " السبل "



فيها ٠٠٠ (١) وانهم فوق المايقي فارس ٠

فكتب السلطان الى نواب الشام باكرامهم والاقامة لهم ٠ وحمل الخلع اليهم والى نسائهم واحسن الى مقدميهم الاربعة وسير اليهم الاقامات من مصر من الاغنام والسكر والشعير والحوايح خاناه ٠ ووصلوا في يوم الخميس رابع عشرين ذى الحجة من هذه السنة ٠ وخرج السلطان الملك الظاهر للقايم يوم السبت السادس والعشرين منه ٠ ولم يسبق احد من اهل القاهرة ومصر حتى خرج وكان يوما عظيما وراوا من كثرة العساكر وكثرة العالم شيئا بهر عقولهم وكان السلطان قد رسم بعماره ادر ومساكن لهم قرييب اللوق ٠ وفي يوم السبت سادس عشرين الشهر المذكور عملت لهم دعوة عظيمة في اللوق وحملت اليهم الخلع وسييت الخيول وفرقت فيهم الاموال ولعبوا الكرة مع السلطان ثم امر كبراءهم بماية فارس فما دونها وياقيمهم نزلهم في جملة بحرينه وماليكه وصار كل منهم كامير مستقل له الاجناد والغلمان واسبغت عليهم النعم ظاهرة وباطنة وافردت لهم جهات يستخرج منها مرتبهم وحسن اسلام جميعهم ٠ وبلغ التتار ذلك فتوافدوا جماعة بعد جماعة والسلطان يعتمد معهم الاحسان ويفرقهم كل جماعة بين اخعافها من **الماليك السلطانية** ٠

ثم ان السلطان نظر في مصلحة عامة الاسلام وهي انفاذ رسل الى الملك بركه فسير الفقيه مجد الدين والامير سيف الدين كشيرك (٢) ومعهما نفران من التتار الواعلين اصحاب صراغان (٣) وكتب على ايديهم الكتب بأحوال الاسلام ومبايعه الخليفة ما سذكروه ان شاء الله تعالى ٠

---

(١) كلمات غير مقروءة ٠  
(٢) في الاصل بدون نقط ٠ ولكنها كشيرك في ابن عبد الظاهر (ص ٦) وهي كشرتك في السلوك للمقريزي (ص ٤٧٩)  
(٣) كذا في الاصل ولكنها صراغان في السلوك للمقريزي (ص ٥٠١) ٠

وفي هذه السنة اخذ قاع بحر النيل المبارك فكان مدة اذرع وسبعة اصابع وانتهت الزيادة الى ثمانية عشر ذراع فقط .

قال بعض اهل التاريخ . وفيما وصل التتار ومقدمهم صدعون ( ١ ) وصحبهم الملك المظفر صاحب مارين الموصل ونزلوا عليه ( ٧ ق ) وكان في الموصل مع الملك الصالح ركن الدين اسماعيل سبعماية فارس ونصبوا عليها خمسة وعشرين منجنيق ولم يكن بها سلاح يقاتلون به ولا قوت فغلبا بها السمر حتى بلغ المكوك اربعة وعشرون دينارا . فاستصرخ الملك الصالح اسماعيل صاحب الموصل المير شمس الدين البرلي فخرج اليه من حلب وسار الى ان وصل سنجار . فلما اتصل بالتتار واصله عزموا على الهروب فاتفق وصول الزين الحافلي اليهم من عند هولاء فعرفهم ان الجماعة الذين مع البرلي قتلون والمصلحة ان يلاقوهم فقام عزم التتار على ملاقة البرلي فسار صدعون ( ١ ) بطايفه من لانوا على الموصل عدتهم عشرة الاف . وقصد سنجار وبها المير شمس الدين البرلي ومعه تسعمماية فارس واربعماية من التركمان ومائة من العرب فخرج اليهم والتقاهم يوم الأحد رابع عشر جمادى الآخرة فكانت الكسرة عليه فانهزم جريحا وقتل من كان معه من الامراء وغيرهم . ووصل الى البيرة فأرسل اليه هولاء كويطلبه اليه ليقطعه بلاد فأرسل طلب الاذن من الملك التاھر في دخوله الى الشام فأذن فخرج من البيرة في تاسع عشر شهر رمضان . ودخل الى الديار المصرية في العشر الأول من ذي القعدة فأنعم عليه الملك التاھر بالمال والخلع واعطاء امرة سبعين فارس .

واما صدعون ( ١ ) فانه رجع الى الموصل وداوم عليها الحصار . ثم ارسل يقول للملك الصالح ان لم تستلها والالات لم الانفسك اذا دخلناها بالسيف فجمع امراءه وشارورهم . فأشاروا عليه بالخروج فخرج اليهم يوم الجمعة خامس عشر شعبان بعد الصلوة . فلما وصل اليهم احتالوا عليه وعلى من معه ونادوا في اهل البلد بالامان . فظهر الناس

( ١ ) كذا في الاصل . وهو صدعون في رأى الدكتور زيادة في السلوك للمقريزى ( ص ٤٦٧ ) ملحوظة ٤

وشرع التتار في خرب الاسوار • فلما اطمان الناصريون باعوا واشتروا دخل التتار البلد ووضعوا  
السيف فيهم سبعة ايام • ووسطوا علا الدين ابن الملك الصالح وعلقوه على باب السجن  
ثم دخلوا وقتلوا الملك الصالح اسماعيل وهم متوجهين الى هولوكوا •

وتولى نيابة حلب بعد البرلي الامير عز الدين ايدمر الشهابي • وعاد عسكر سيس  
من انطاكيه على الفقه من بلاد حلب فنهبوا وافسدوا فخرج اليهم الامير عز الدين الشهابي  
نايب حلب فكسرهم واخذ منهم جماعة وارسلهم الى مصر فوسطوا بها وقيل غير ذلك •

(٨٠) ذكر وفاة من توفي من الفتيان في هذه السنة وبعض اخبارهم •

احمد بن الحسين بن الحسن بن ابراهيم بن سنان بن موسى بن حسن بن بشر بن  
ابراهيم الجذامي الداري الخليلي الاصل المصري يكنى ابا العباس ولد في سنة ثمان  
وثمانين وخمسماية وتوفي بمصر في يوم الخميس تاسع شهر ربيع الاخر من هذه السنة سنة ستين  
وستماية ودفن بسفح المقطم •

عبد العزيز بن عبد السلام بن ابي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي يكنى ابا  
محمد ويلقب عز الدين حضر ابا الحسين احمد الموازيني الخشوعي وسمي عبد اللطيف بن  
اسماعيل الصوفي والقسم بن عساكروا بن طبرزد وحنبل المكبروا بن الحرستاني وغيرهم وخرج  
له الدمياطي اربعين حديثا عوالي وروى عنه الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد والدمياطي  
وابو الحسين اليونيني وغيرهم وثقفه على الامام فخر الدين ابن عساكروا قرأ الأصول والعربية  
ودرسوافتي وصنف وبرز في المذهب وبلغ رتبة الاجتهاد وقصدته الطلبة من البلاد وتخرج  
به ايمه وله الفتاوى السديده ومن مصنفاته "القواعد الكبرى والقواعد الصغرى" • واختصر  
"نهاية المطلب" • وله "مقاصد الرعايه" وكان يكتب خطا حسنا • وكان مع امامته وعلمه  
ناسكا ورعا امارا بالمعروف وينها عن المنكر ولا يخاف في الله لومة لائم • ولي خطابة جامع  
دمشق بعد الدولعي فلما تملك الملك الصالح عماد الدين اسماعيل دمشق واعطى الفرنج

صفد والشقيف نال الشيخ ابن عبد السلام منه على المنبر وترك الدعاء له فعزله عن  
الخطابة وحجسه ثم الخلقه فخرج الى مصر فلما ( ٨٠ ق ) قدمها تلقاه الملك الصالح نجم  
الدين ايوب صاحب الديار المصرية وبالح في احترامه وانفق موت قاضي القضاة شرف الدين  
ابن عين الدولة فولى قاضي القضاة بدر الدين السنجاري قضاء القاهرة والوجه البحري  
وولي عز الدين ابن عبد السلام قضاء مصر والوجه القبلي مع خطابة جامع مصر . ثم ان بعض  
غلمان وزير الملك الصالح وهو معين الدين الشيخ بنا ببنانا على سلاح مسجد بمصر وجعل فيه  
• طبلخاناه معين الدين فأنكر قاضي القضاة عز الدين ذلك ومضى لجماعته وهدم البنيان وعلم  
ان السلطان والوزير يغضبان فاشهد عليه باسقاط عدالة الوزير وعزل نفسه عن القضاء فعظم  
ذلك على السلطان الملك الصالح وقبل له اعزله عن الخطابة والاشنع عليك على المنبر  
كما فعل في دمشق فعزله فأقام بيته يشعل الناء وفيه يقول الشيخ جمال الدين ابو الحسين  
الجـزار . . . . .

سار عبد العزيز في الحكم سيرا لم يسره سوى ابن عبد العزيز

عمنا حكمه بمعدل بسيط شامل للورى وللفظ وجيز

وكان قاضي القضاة عز الدين ابن عبد السلام رحمه الله تعالى مع شدته حسن المحاضرة  
بالنادرة والشعر . ويقال انه لما حصر بيعة الملك الناصر ركن الدين بيبس الصالح قال  
له . يا ركن الدين انا اعرفك مملوك البندقدار فما بايعه حتى جاء من شهد له بالخرع  
عن رقه الى الملك الصالح نجم الدين ايوب وعتقه . ولد في سنة سبع او ثمان وسبعين  
 وخمسمائة . ولما مرض مرضه قبل له ان السلطان الملك الناصر يقول لك عين مناصبك  
 لمن تريد من اولادك فقال ما فيهم من يصلح . وهذه المدرسة الصالحة تصلح للقاضي ناج  
 الدين ففوض اليه بعده . وتوفي في يوم الاحد عشر ( ٩٠ و ) جمادى الاولى من هذه السنة  
 سنة ستين وشهد الملك الظاهر جنازته والخلايق .

عبد الوهاب بن الحسن بن محمد بن الحسين بن عساكر الدمشقي توفي بمكة

المشرفة في يوم الاثنين حادي عشر جمادى الاوّل من هذه السنة .

عمر بن قاضي القضاة نجم الدين ابي الحسن احمد بن هبة الله بن محمد هبة

الله بن احمد بن يحيى بن زهر بن هرون بن موسى بن عمر بن عبد الله بن ابي جرادة

الحلي الاصل المصري الوفاة يلقب كمال الدين ويعرف بأبن العديم الفقيه الحنفي المذهب

كان واحد عصره اصلا وفضلا وبلاغة ونبلا جليل القدر كثير العلوم والوقار واحد في الكتابة

صنف تاريخ حلب سماه " بغية الطلب في تاريخ حلب " وله نظم رايق ( ١ ) وشعر رايق .

وولي الوزارة وكان سفيرا للخلافة المعظمة في الامور المفخمة . وكان من فضيلته وعلو

رتبته ومثلته كثير التواضع يلتقط الناصر من فرائده ويتقبسون من فوائده . ارسله الملك

الناصر صلاح الدين يوسف الايوبي صاحب حلب الى الديوان العزيز ببغداد رسولا مرارا .

وكلما قدم الى بغداد طلع موكب الخليفة لتلقيه وحضر الى باب الخلافة لتقبيل العتبة

على جاري عادة الرسل فخرجت اليه سجادة وامر ان يصلي ركعتين شكرا لما حصل له

من الرفعة وامر الخليفة برفع ذكره ثم خرج له امر الخليفة : نحن نعظم الرسل لاجل

مرسلها ونحن الان نعظم مرسلك لاجلك " . ومن شعر صاحب كمال الدين المذكور

قوله حين وصل الى الديار المصرية وحمل اليه الشيخ ابد مر مولى محي الدين وزير الجزيرة

المسمى ( ٢ ) فيما بعد بابراهيم الصوفي ديوان شعره ليظالعه ( ٩ و ) فتصفحه وظالعه

وكتب عليه من نظمته .....

لهم ان رنت بالسحر منها واجفان

وكنت اظن الترك تختر اعيننا ( ٣ )

قوافي هي السحر الجلال وديوان

الى ان اتانى من بديع قريضهم

يقرلهم هاروت فيه وسحبان

فأيقنت ان السحر اجمعهم لهم

( ١ ) بغير تنقيط اصلا .

( ٢ ) في الاصل " المسي "

( ٣ ) الضوب " اعين "

وليه .....

قلبي وطرفي منزلاه لانسه  
ياساكن الجفن القريح وليته  
قمر وتلك منازل الاقمار  
يرعى لجارى الدمع حق الجار

ولد في العشر الاول من ذى الحجة سنة ثمان وثمانين وخمسماية بحلب وتوفي  
في العشرين من جمادى الاول من هذه السنة بظاهر مصر ودفن في يومه بسفح المقطم .

• محمد بن احمد بن ابراهيم بن سراقه الشافعي الاندلسي المحدث روى لاحد  
بن صابر اولغيره .....

هجرتهم وقتلهم براه الضنى  
وجرتهم وقتلهم اقم اونسـر  
فغيرتموني وعيرتموني  
فحيرتموني وخيرتموني

توفي هذه السنة .

محمد بن سليمان بن ابي الفضل بن ابي الفتوح بن يوسف بن يونس الانصاري  
الصقلي الاصل الدمشقي وفاة . يكنى ابا عبد الله الدلال كان شخصا صالحا  
راويا للحديث عنه رواية عالية . روى عن ابي الله محمد بن علي بن محمد بن الحسن  
الحراني وغيره . ولد ليلة الفطر سنة ثلث وسبعين وخمسماية . وتوفي  
في صفر سنة ستين هذه السنة بدمشق .

-----

٦٦١ هـ ( ١٥ ت ٢ - ١٢٦٢ - ٤ ت ٢ ١٢٦٣ )

( ١٠ و ) ذكر الحوادث في سنة احدى وستين وستمائة

ذكر البيعة للامام الحاكم بامر الله احمد العباسي ثاني خلفاء بني العباس

واول من اقام بها ( ١ ) منهم .

كنا قد منا في السنة الماضية ان عسكر التتار التقوا مع الخليفة المستنصر بالله العباسي وهزموا من معه . ومن نجا من الوقعة الامير احمد بن ابي علي بن علي بن بكر بن امير المؤمنين المسترشد بالله العباسي . فلما وصل الى القاهرة التقاه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى واكرمه وقدمه . وانزله في البج الكبير داخل القلعة بقلعة الجبل المحروسة . وادر عليه النفقات . وكذلك جميع من معه . ثم ان السلطان امر بعمل نسبة الامام احمد المذكور الى النبي صلى الله عليه وسلم وثبت نسبه على قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الاعز .

فلما كان يوم الخميس ثاني شهر الله المحرم من هذه السنة سنة احدى وستين وستمائة جلس السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس مجلسا عاما فيه جميع الناس وجماعة التتار الوافدين من العراق ورسل السلطان المتوجهون الى الملك بركة الذين جهزهم ليسافروا اليه كما سنذكره ان شاء الله تعالى . واحضر الامير احمد العباسي راكبا الى الايوان الكبير بقلعة الجبل المحروس ويسطله الى جانب السلطان وقرى شجرة نسب الخليفة بيبن يديه على النامر . قال القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك الظاهر ماصيفته : حضر الامام الحاكم ملام الله عليه راكبا الى الايوان الكبير بقلعة الجبل

المحروس وبسط له الى جانب السلطان وذلك بعد ثبوت نسبه الشريف وامر السلطان بعمل شجرة نسب له فعملتها وقرأتها بين يديه على الناس " . ورأيت بخط صاحبنا الامير صارم الدين محمد ابراهيم الشهير بأبن دقماق ماصيغته : في ثامن محرم عقد مجلس عظيم لعقد البيعة للامام الحاكم بأمر الله فأحضر ابو العباس احمد بن الامير محمد بن الحسن بن ابي بكر بن الحسن بن علي القبي ( ١ ) بن الحسن بن امير المؤمنين ابراشد بالله . وقيل كان ذلك في يوم الخميس تاسع المحرم الشهر المذكور وحضر صاحب بها" الدين وولده فخر الدين وقاضي القضاة تاج الدين واعيان الامراء وارباب الدولة وقرى نسب الخليفة على قاضي القضاة وشهد به عنده فلما اثبت مد يده فبايعه " . وبعد ذلك اقبل السلطان المد ، الظاهر عليه وبايعه على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد اعداء الله واخذ اموال الله بحقها وصرفها في مستحقها والوفاء بالعهود واقامة الحدود وما يجب على الايمه فعله في امور الدين وحراسه ( ١٠ ق ) المسلمين ، بعند ذلك تلقب بالحاكم بأمر الله . واقبل على السلطان وقلده امور البلاد والعياد ووكل اليه تدبير الخلق وجعله قسيمه في اقيام الحز وفوض اليه سائر الامور وعدو به صلاح الجمهور . ثم اخذ الناس على اختلاف طبقاتهم في مبايعته فلم يبق ملك ولا امير ولا وزير ولا قاضي ولا مشير ولا جندي ولا فقيه الا وبايعه . وتمت هذه البيعة المباركة وحصل الحديث معه في انفاذ الرسل الى الملك بركة فوافق على ذلك وانفصل المجلس .

---

( ١ ) في الاصل غير واضحة . راجع السيوطي " الخلفاء " تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ( ص ٤٧٨ ) .



ولما كان يوم الجمعة ثاني هذا اليوم اجتمع الناس وحضر الرسل الذين جهزهم الملك  
الظاهر الى الملك بركة وخطب الخليفة بالجامع وعلى بالناس وهذه الخطبة المباركة :  
الحمد لله الذي اقام لآل العباس ركننا وظهيرنا . وجعل لهم من لدنه سلطانا نصيرا  
احمده على السراء والضراء واستنصره على دفع الاعداء واسهده ان لاله الا الله  
وحده لا شريك له واسهده ان محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله  
وصحبه نجوم الاهتداء وايممة الاقتداء الاربعة الخلفاء وعلى العباس عمه وكاشف  
غمه . ابي السادة الخلفاء الراشدين والائمة المهديين (١) وعلى بقية الصحابة  
والتابعين لهم بأحسن الى يوم الدين . ايها الناس اعلموا ان الامامة فرض من فروض  
الاسلام والجهاد محتوم على جميع الانام . ولا يقوم علم الجهاد الا باجتماع كلمة العباد  
منها . ولا سبب الحرم الا بانتهاك المحارم . ولا سفكت الدماء الا بارتكاب المآثم .  
فلو شاهدتم اعداء الاسلام حين دخلوا دار السلام واستباحوا الدماء والاموال وقتلوا  
الرجال والابطال والاعفان . وهتكوا حرم الخليفة والحريم واذاقوا (١ او) من استبقوا  
العذاب الاليم . فارتفعت الاصوات بالبكاء والعيون وعلت الصيحات من هول ذلك اليوم  
الطويل . فكم من شيخ خضبت شيبته بدمايه . وكم طفل بكى فلم يرحم لبكاءه فشمروا عن  
ساق الاجتهاد في احيا فرض الجهاد واتقوا الله ما استطعتم . واسمعوا واطيعوا وابتغوا  
خيرا لانفسكم ومن يوف شح نفسه فأولئك هم المفلحون . فلم تبق معذرة عن القعود عن  
اعداء الدين والمحاربة عن المسلمين . وهذا السلطان الملك الظاهر السيد الاجل  
العالم العادل الماهد المرابط ركن الدنيا والدين قد قام بنصر الامامة عند قلة الانتصار .

---

(١) " المهديين " في ابن عبد الظاهر (ص ٦٢) .

وشرد جيوش الكفر بعد ان جاسوا خلال الديار . فأصبحت البيعة باهتمامه منتظمة العقود والدولة العباسية به متكاثرة الجنود . فبادروا عباد الله الى شكر هذه النعمة واخلصوا نيابكم تنصروا وقاتلوا اولياء الشيطان نظفروا ولا يروعنكم ماجرى فالحرب سجال والمعاقبة للمتقين والدرهم يومان والاخرى للمؤمنين جمع الله على التقوى امركم . واعز بالايمان نصركم . واستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية : الحمد لله حمدا يقوم بشكر نعمائه واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له عدة عند لقاءه . واشهد ان محمدا سيد رسله وانبيائه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه عدد ما خلق في ارضه وسمايه اوصيكم عباد الله بتقوى الله ان احسن ما وعظه الانسان كلام الملك الديان " يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم . فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله ( ١١٠ ق ) والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تاويلا ( ١ ) نفعا الله وايامكم بكتابه واجزل لنا ولكم من ثوابه وغفر لي ولكم وللمسلمين اجمعين والحمد لله رب العالمين .

وخطب للخليفة في هذه اليوم على المنابر بجميع الجوامع وبدمشق في سادس عشر المحرم الشهر المذكور .

وكتب بدعوته الى الافاق وتعلل بذكرها الرفاق وكتب الله للسلطان هذه الحسنة التي يجدها يوم ينفذ كل شئ وما عند الله باق والله اعلم .

## ذكر ارسال الرسل الى الملك بركه

لما وصلت جماعة التتار الذين وصلوا اولا الى السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي كما قدمنا شرحه واستطلع منهم الحال وعرف احوال الملك بركه ومقامه والطريق اليه جهز الفقيه مجد الدين والامير سيف الدين كشرت (١) . وكتب على ايديهم الكتب بأحوال الاسلام ومبايعة الخليفة الحاكم بامر الله عليه السلام . وامر بعمل نسبه الظاهره الى النبي صلى الله عليه وسلم فكتبت واذهبت وسيرها الى الملك بركه وسير ثبوت نسبه مسجولا على قاضي القضاة تاج الدين . ولما تجهزت هذه الكتب احضر الملك الظاهر الامراء والمفارده وغيرهم وقرأ الكتب على الجميع واستشارهم في ذلك فاستصوبوا رأيه . وسير عجة الرسل نفرين من التتار المذكورين من غلمان الملك واصحابه ومن يعرف البلاد . وكتب على ايديهم كتابا فيه شيء عظيم من الاستمالة والحث على الجهاد ووصف العساكر الاسلامية وكثرتهم وعدة اجناسهم ومن فيها من خيل وتركمان وعشائر اكراد وقبايل عربان ومن اطاعهما من الملوك الاسلامية والفرنجية ومن حالفهما ووافقها ومن هادها وهادنها . وان جميعها في طاعته وسامعه لشارته الى غير ذلك من الانواء بهلاوون خزاء الله وتهوين امره والاستيلاء (٢) عليه وتقييع (١٢ او) الغفلة عنه وافهامها ان كلما يفعله عناد له ويعلم بوصول جماعه التتار الذين وصلوا وادعوا انهم من اصحابه وان الاحسان اليهم انما هو من اجله . ولما جهزهم السلطان وركبهم في " الجرايد " اعطاهم زوادة شهر كثيرة . ولما بويع الخليفة الحاكم بأمر الله بحضورهم وحضروا خطبته المباركة واجتمعوا به حملهم السلطان من المشافهة ما فيه

---

(١) ملحوظة ٢ (ص ١٣) اعلاه .

(٢) بدون نقاط اصلا .

صلاح الاسلام وعرف الرسل من التتر اصحابهم التتار احوال عساكر السلطان وكثرتها وما هو بصدده من جهاد واستخدام وما يبذله من نصرة الدين وقاتل الاعداء المشركين وانه محب في الملك بركة وداع له بالنصر على الاعداء وموافق له على ما فيه صلاح العالم .

وتوجه الرسل من الديار المصرية في المحرم من هذه السنة سنة احدى وستين ووصلوا بلاد الاشكرى فأحسن اليهم . وصادف وصولهم رسل الملك بركة الى الملك الاشكرى فسيرهم صحبتهم . ورجع الفقيه مجد الدين لعرض حصل له صحة رسل الملك بركة الامير جلال الدين والشيخ نور الدين علي وسافر الامير سيف الدين كشرنك (١) ورفقته . ووصلت كتب الملك الاشكرى بان رسل السلطان الملك الظاهر وصلوا اليه وانه جهزهم وتوجهوا سالمين وربما وصلوا الى جهة الملك بركة صحة رسله خدمه للسلطان والله اعلم .

### ذكر تفويض نيابة دمشق الى الامير جمال الدين النجيبى

لما تسلم الامير علاء الدين ادغدى الحاج الركني تدبير دمشق بعد القبض على الامير علاء الدين طبرس الوزيرى كما قدمنا شرحه اختار السلطان الملك الظاهر الامير جمال الدين اقوش النجيبى الصالحى وعينه لنيابة السلطنة بها . ونقدم صاحب عز الدين بن عبد العزيز بن وناعة (١٢ ق) وزير الشام . وكان قد جرت بينه وبين الامير علاء الدين طبرس الوزيرى مفاوضات اوجبت حضوره الى مصر صحبه الركاب الشريف بالعود الى وزارته ومباشرة ما هو معدوق به . وكتب على ايديهما تذكرة تشتمل على كل شيء من الكليات والجزئيات واحوال الحصون وذخايرها يستعين من يتولى من الامور بالنظر فيها والاستعداد منها وفيها من الامور الملوكية والاسباب الدينية واحوال الاموال وعرض الرجال

مالو كتب بمفرده . لكان كتابا ينتفع به في تدبير الملك . وخلع السلطان الملك الظاهر عليهما واعطاهما اقطاعا في الشام وتوجها في هذه السنة والله اعلم .

### ذكر مسير الملك الظاهر الى جهة الطور ونزوله عليها

في شهر ربيع الاول من هذه السنة سنة احدى وستين وسنماية عزم السلطان الملك الظاهر على التوجه الى الشام . فتجهز الناس وخرج من قلعته في سابع شهر ربيع الاول . واقام على باب القاهرة مخيما الى حين تجهز الناس . وسافر في حادي عشر الشهر المذكور فوصل الى محروسة غزه وهو يديم الصيد في الطريق . وضرب حلقه بالمرش بثلاثة الاف فارس كلهم خواصه . وكان في هذه الحلقه من الصيد شئ كثير . وتقتظر الامير شمس الدين سنقر الرومي فساق السلطان اليه ونزل عنده وجعل راسه على ركبته واخرج من خريطته موميا فسقاها وسار به الى خيمته . وكذلك الامير سيف الدين قلاون الالفي تقتظر ايضا . فاعتمد السلطان معه هذا الاعتماد .

ووصل الى غزه فوجد فيها والده الملك المغيب صاحب الكرك . فاقبل عليها واکرمها واحسن اليها وانعم عليها واعطاها شيئا كثيرا وحصل الحديث في حضور ولدها . وتقررت الامور على ما لم يعلمه احد . واعاد عليها العطاء والانعام وعلى كل من حضر معها حتى انه حمل في جملة ذلك من الصيد ( ١٣ و ) خمسة عشر حملا وردها الى الكرك ، وتوجه صحبتها الامير شرف الدين الجاكي المهندار برسم الاقامات وتجهيزها للملك المغيب اذا حضر . وكان ما سنذكره ان شاء الله تعالى .

ونظر السلطان الملك الظاهر في امر امراء التركمان وخلع عليهم واحضر امراء العايد وجرم وشعلبه وضمنهم البلاد والزهم بالعدد وشرط عليهم البريد واحضار الخيل برسمه . ورأى اعمال الحيله البعيدة المرامي في امر العدو المخذول وكتب الى ملك

شيراز وملك اللور والي حفاجه يستجيشهم على هولائوا ملك التتار ويعرفهم بما وصلت به الاخبار من جهة الروم في البر والبحر من كسر الملك بركه له مرة بعد مرة .

وسار من غزة فنزل الطور في ثاني عشر جمادى الاول ( ١ ) وسير الملك الاشرف صاحب حمص يلتزم الاذن له في الحضور الى الخدمة فأذن له فحضر في نصف الشهر فتلقاه السلطان واحسن اليه وسير اليه سبعين غزالا جملة واحدة وقال صيد هذا اليوم جعلته لك والله اعلم .

### ذكر احوال الكرك من ابتدا امره الى هذه السنة والقبض على الملك المغيب صاحب الكرك .

قال القاضي الامام الرئيس الاوحد العالم عز الدين محمد بن علي بن شداد الحلبي في تأليفه " كتاب الاعلاق الخلية في ذكر امراء الشام والجزيرة " : ومما هو مستحدث ذكره في كورة الجبال من البلاد الكرك والشوبك ، فاما الكرك فهو في عصرنا حصن منيع ومقل حصين وله ريف عليه سور وهو وريضة على جبل وبين الريف والقلعة خندق عميق نحو ستين ذراعا ويدخل الى فضا الحصن من حنية منحوتة في الجبل طوله عليها بابه وحراسه . قال ولما لم اجد له ذكرا فيما طالعت من كتب التواريخ الموضوعة في صدر الاسلام ولا في الكتب المصنفة في المسالك والممالك لم ازل ( ١٣ ق ) ابحث عنه الى ان اخبرني ثقة اعتمد عليه انه كان ديوا للنصارى . وكانت العرب تخطف من فيه من الرهبان مقيم فشيده الرهبان بناء وحصنوه ولم يزل ذلك دأبهم في توسعته وتحصينه الى ان صار حصنا واستدعوا اليه طائفة من الفرنج المجاورين لهم . . . . . ( ٢ ) فيه عندهم يشقون بهم على من يقصد اذا هم فزاده الفرنج تحصينا واقاموا فيه حاكما وربوا له جندا وجعلوا يشنون منه الغارات على ما داناها من القرى والضياع الى ان اجلوا

( ١ ) ابن الفرات يستعمل جمادى مونثا هنا على غير عاداته .  
( ٢ ) كلمة غير مقروءة .

عنها كثيرا من اهلها واستولوا عليها وصيروها له عملا لنحميه سيوفهم ٠٠٠٠ (١)  
ايدىهم الى ان ملكه البرنسر ارناط صاحب انطاكية وسبب ملكه له انه  
لما تخلص من اسر السلطان (٢) وراء بن محمود بعد موته تزوج  
ووجد صاحب الكرك بحكم ان زوجها مات فملكه ٠ وكان نور الدين  
قد قصده في سنة خمس وستين وخمسمائة فقصدته الفرنج في جموع  
كثيرة فرحل عنه ثم قصده مرة اخرى في سنة ثمانى وستين وخمسمائة  
وحاصره ثم رحل عنه لسبب ومات ولم يظفر منه بفرض ٠

ولما ملك السلطان صلاح الدين يوسف قصده في سنة سبع وسبعين وخمسمائة  
قصده عز الدين فرخشاہ نايب الملك الناصر صلاح الدين على دمشق والملك العادل  
من مصر ٠ وسبب ذلك ان البرنسر ارناط صاحب الكرك كان من شياطين  
الانس واشدهم عداوة للمسلمين فجمع عسكرا وعزم على المسير الى (٣)٠٠٠  
ومنها الى المدينة المعظمة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم (٤) ليستولي  
على تلك البلاد ٠ فسمع الامير عز الدين بذلك فجمع العساكر (٥) الدمشقية  
وسار الى بلده فنهبها ٠ فلما بلغ ارناط ذلك علم (٦) ان المسلمين لا يعودون

(١) كلمة غير مقروءة ٠

(٢) كلمة مطبوسة ٠

(٣) كلمة غير مفهومة ٠

(٤) في الاصل " وس ٠٠٠٠ " ٠

(٥) غير ظاهر الا " الع ٠٠٠٠ " ٠

(٦) في الاصل " ع ٠٠٠٠٠٠ " ٠

الى بلادهم حتى يفرو جموعه ففرقها وانقطع طمعه عما قصده فعاد عز الدين  
الى دمشق • وغزاه (١٤ و) السلطان صلاح الدين بنفسه في سنة تسع وسبعين  
 وخمسماية فملك ريشه وتسلط على حصاره ونصب عليه المجانيق فلم ينل منه طائلا •  
 ورحل عنه في منتصف شعبان • ثم غزاه في شهر ربيع الآخر سنة ثمانين وخمسماية  
 فنصب المجانيق على ريشه واشتد عليه القتال حتى ملك وقي الخندو (١) وامر  
 صلاح الدين بالقاء الاحجار في المجانيق ليطمه ولم يجسرا احد على الدنومه لكثرة  
 الرمي بالنشاب واحجار المجانيق فأرسل من فيه الى الفرنج يستجدونهم (٢) فصاروا  
 اليهم ••••• (٢) فلما بلغ الملك الناصر رحل عنه وسار الى نابلس فنهبها واخربها  
 وحرقها ثم ان اللعين البرنسر طلب المهادنة والمهادنة من السلطان صلاح الدين  
 فأجابه ولم يف وذلك انه ••••• (٤) بالسويك قفل من الديار المصرية في حالة  
 المهادنة لينزلوا عنده بالامان فقدر بهم وقتلهم فنذر صلاح الدين نفسه (٥) انسه  
 متى ظفربه قتله •

فلما كانت سنة ثلاث وثمانين وستماية (٦) جمع الجمع من الموصل (٧) وديار بكر  
 والجزيرة واربل وبلاد السمر وبلاد الشام • وسير ••••• (٨) على الكرك فحصره وخيـف  
 عليه ثم بلغه ان الفرنج جمعت لدفعه عن الكرك فرحل وترك عليه اخاه الملك العادل  
 في عسكر والتقى السلطان صلاح الدين بالفرنج على حطين وكانت الوقعة التي اسرت  
 فيها اسرهم وثلاث عروشهم وزعزعت اسرتهم • ولم يزل حصن الكرك محاصرا الى ان فتحه  
 الله تعالى في شهر رمضان سنة اربع وثمانين من نايب البرنسر ارناط بالامان بعد

- |                                 |                           |
|---------------------------------|---------------------------|
| (١) الكلمة في الاصل غير واضحة • | (٥) كلمة مطبوسة •         |
| (٢) في الاصل بدون نقط •         | (٦) يجب ان تكون خمسماية • |
| (٣) كلمات غير مفهومة •          | (٧) غير واضحة في الاصل •  |
| (٤) كلمة غير واضحة •            | (٨) غير واضحة في الاصل •  |



ان حوضر سنة ونصف • واعطاه لآخيه الملك العادل واخذ منه عسقلان • وكان  
البرنسر قد اخذه الملك الناصر في وقعه حين اسيرا فوفى بقتله نذره • وكان  
ذلك على الله يسيرا •

ولم يزل في يد نواب الملك العادل الى سنة خمس عشرة وستماية (١٤ ق) وقبل  
وفاته بمدة يسيره سلمه لولده الملك المعظم عيسى بجميع ما فيه من الخزائن والذخير  
فزاد في عمارته وتحصينه ونقل اليه ارباب الصناعات حتى جعله مدينة لا تحتاج الى  
غيره • ونصب في قراه الاشجار واجرى خلالها النيون • ولم يزل في يده الى ان توفي  
سلخ ذي القعدة سنة اربع وعشرين وستماية • وانتقل الى ولده الملك الناصر داود  
ولم يزل في يده الى ان خرج عنه ووفد الى حلب مستغيثا بالملك الناصر صلاح الدين  
يوسف بن الملك العزيز محمد علي الملك العماق نجم الدين ايوب صاحب مصر فانه  
كان قد سير الى الحصن الامير فخر الدين بن الشيخ فحاصره ونايقه حتى قلت  
به الاتوات فخرج عنه لهذا السبب في شهر ربيع الاول سنة سبع واربعين وستماية  
وترك به اولاده وجعل ولاية عهده فيه لولده الملك الامجد فراسله الملك الصالح  
وقرر معه انه متى سلم اليه الحصن عونه عنه خمسين الف دينار واقطاعا بمصر • فاجابه  
الى ذلك وسير اليه الملك الصالح جمال الدين اقور النجيب مملوكه وبعث معه بدر  
الدين الصوابي وفوز اليه الحكم فيه • وولى كمال الدين ابن شكر النخرفيه وفي  
اعماله • وحمل اليه خزانة مقدارها الف دينار ومايتي الف دينار • وولى الريس  
لرجل يسقى الهمام • ولم يزل في يده الى ان توفي في سنة سبع واربعين وملك  
بعده ولده الملك المعظم • ولما قتل في المحرم سنة ثمان واربعين وستماية وملك  
دمشق الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب بعث بدر الدين الصوابي الى  
قلعه الشوبك من اخضر الملك المغيب عمر بن الملك العادل زين الدين ابي بكر  
بن الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل ابي بكر بن نجم الدين ايوب

في خفية • وكان الملك الناصر نجم الدين ايوب قد حبسه ( ١٥ و ) بها فدخل به الكرك ثالث عشر شهر ربيع الاول سنة ثمان واربعين وستماية واه • ثم ان رسولا من الملك الناصر صاحب دمشق وحمل من دمشق يغالب من بدر الدين تسليم الكرك فأنزله واكرمه وبعث الى من معه في الحصن من سيقظه • وعرفهم انه لا ينبغي ان يخرج الحصن عن احد من اولاد الملك الكامل فانهم مواليه واريد منكم الموافقة على ما اردت • فأجابوه الى ما اراد • فأمر باحضار الملك المغيب فحضر وحلفهم له وملكه الكرك • ثم استدعى الرسول وقال له هذا صاحب الحصن فتمدت معه • فالتفت اليه وبلغه الرسالة فأجابته بكلام كان قد قرر معه بعد ان قام ونزل الارض ما مونه • اني كنت في الحبس وقد من الله بادي لقي وليرلي ولا لمن بقي من اهل موضع ينفذون اليه ويتمدون في النفع عليه والسلطان اعز الله نصره اذا اخذ هذا الحصن لا يد له نايب والمملوك نايبه فيه لا اصدر ولا ارد الا عن رأيه ومراسمه • فلم يعارضه الملك الناصر وقهل هذا القول منه وذلك في الحضر الاواخر من جمادى الاول • ولما صار في يده من غير منازع له فيه ملك بلد السويد • وبقي الحضر في يده الى ان استولست التتار على دمشق في سنة ثمان وخمسين وستماية فان وى اليهم وسيروا معه نايبا في الحصن • ثم كانت هزيمة التتار على عين جالوت في شهر رمضان من سنة ثمان • وتولى الملك المنذر قدز على بلاد الشام فكانت له الملك المغيب في ابقائه على ما في يده فأجابته الى ان يبقى معه الكرك لا غير • وحل عنه ما كان الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب دمشق اخاف اليه من النواحي وهي الصلت والخليل واللقاء • ثم قتل الملك المنصور قطز في بقيه السنة وملك الملك الناصر ركن الدين بيبرس البندقدار الصالحى ( ١٥ و ) البلاد فحمل الملك المغيب الحسد على ان كتب الى التتار عدة كتب ووصلته الاجوبة على يد رسول منهم فخاف ان يتم عليه ذلك فسيره تحت الحوطة الى ابواب السلطان

بالقاهرة • فما زال السلطان يتحيل على الرسول ويسطامه الى ان اعترف له لما كاتب به الملك المغيث الى هولاكو ملك التتر من حته على النهوض الى بلاد الشام ثم ردف ذلك بأن كتبه وصلت الى الشهرزورية الذين كانوا تحت حرم السلطان الملك الظاهر بالقاهرة بأفسادهم • فتوجه اليه يعقوب بن بدل واعمامه واهله • ووصلت العرب القصاد الذين قفلوا من عند هولاكو الى السلطان فأوقف السلطان الفقهاء على الكتب واخذ فتاويهم بأن قتاله يتعين •

• وبرز من القاهرة، ووصل الى غزة فوصلت اليه عليها ام الملك المغيث وقيل وجد فيها ام الملك المغيث وفعل ما قدمنا شرحه • وسار الى الطور فنزل عليها يوم الاثنين حادى عشر وقيل ثاني عشر جمادى الاول من سنة احدى وستين وستماية هذه السنة كما قدمنا شرحه وكانت الملك الظاهر الملك المغيث بالحضور اليه فسوف ويعد بالحضور وصارت رسله تتوالى الى السلطان وهو يعطيهم وينعم عليهم • وخرج الملك المغيث من الكرك بعد مدافعه كثيرة واقام مدة في الطريق • وظهر السلطان من الاحتفال شيئا كبيرا وخدعه اعظم خديعه واتى بيوت الخداع من ابوابها وكنم امره عن كل احد • ولم يستشر في امره غير نفسه ولم يرض الا قائم السيف صاحبها •

وقيل نزل الملك المغيث من الكرك وجماعة من اصحابه في خدمته منهم ابن مزهر وكان ناظر خزانة المغيث • قال ابن مزهر • وشرعت البريدية تقبل الى الملك المغيث كل يوم بمكاتبات الملك الظاهر ويرسل صحبتهم الغزلان ونحوها والملك المغيث يخلع عليهم حتى نقد ما كان بخزانته من الخلع • ومن جملة ما كتب اليه في بعض المكاتبات الملوكية ينشد في قدوم مولانا •

خليلي هل ابصرتما او سمعتما      بأكرم من مولى تمشى الى عبد

فلما وقف الملك المغيث على هذه المكاتبة سار لوقته •

ولما وصل الملك المغيث الى بيسان وكان ابن مزهر قد حذره من الملك الظاهر فلم يسمع منه ركب الملك الظاهر لتلقيه يوم السبت سابع وقيل سادس عشر جمادى الاول (١٦) ومن هذه السنة وسار في احسن زى • فالتقى الملك المغيث فلما شاهد الملك المغيث الملك الظاهر ترجل فمنعه الملك الظاهر من ذلك واركيه وساق الى جانب السلطان • ولما وصل الى باب الدليلز ترل الى الخيمة المتصورة • ودخل به الى خركاه وقبض عليه وعلى اصحابه • وشفى السلطان غيظه •

• وكان السلطان الملك الظاهر قد استدعى قبل ذلك قاضي القضاة بدمشق ••• (١) وظهر ان ذلك لملك ولعبايه • ولم يدلع احد على غير ذلك • فلما وقعت النوبة على الملك المغيث احضر السلطان الملوك والامراء والقاضي والسيهود والاجناد ورسل الفرنجية والملك المغيث واخرج كتبه الى التتار وكتبنا من جهة العدو المخذول اليه والفتاوى واحضر النصارى الذين كانوا يسفرون بينه وبين دولاكوا ملك التتار وقال الامير اتاك الملك الظاهر: السلطان يسلم عليكم ويقول ما اخذت الملك المغيث الا بهذا السبب • وقرئت هذه الكتب على الناس فعذره من لم يكن يعرف الباطن في قبضه عليه • وانصرف الملك الاشرف صاحب حمص والجماعة كلهم • وقال السلطان للقاضي ولجماعة العلماء: ما طلبتكم الا بهذا السبب • وكتب مكتوب بمصورة الحان وكتب فيه القاضي والجماعة • ثم جهز الملك الاشرف وركب السلطان لوداعه •

وفي اليوم الذي قبض فيه على الملك المغيث جلس الملك الظاهر بعد انقضاء المجلس وامر بالكتب الى الكرك بعد من فيها بالاخسان ويحذرهم عواقب الطغيان وسير الامير بدر الدين بيسرى السمي والامير عز الدين الداهري استناد الدار العاليه الى جهة الكرك وجهز الخلع والاموال ليلحقها بهم • وجهز الملك المغيث عتبه الى الديار المصرية صحبة الامير شمر الدين آقسنقر السلحدار الفارقاني استنادا ادار فوصل به الى

قلعة الجبل بالديار المصرية فحبسه فيها . واطلق السلطان اهله وحاشيته (١٦ ق)  
وسير حريمه الى مصر واطلق لهم الرواتب . وكان ما سذكروه ان شاء الله تعالى .

ذكر الامور التي اوجبت انحراف الملك الظاهر عن الفرنج  
خذلهم الله تعالى وما جرى بينه وبين رسلهم من الخطاب  
وانفصالهم عن غير رضى الى عكس .

كنا قد منا حديث الصلح مع الفرنج خذلهم الله تعالى . ولما راوا احسان السلطان  
الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى شرعوا يحيدون عن الحق ويطلبون زرعين والسلطان  
بجاوسهم بأنكم اخذتم عوضها في الايام الناصرية ضياع من مرج عيون وقايضتم صاحب تبنيين .  
وصارت كتبهم ترد الى السلطان بان سلوحا سرقونا من جهة الاطرون وتارة من جهة بانباس  
والسلطان يأمر برد كلامهم . ووصلت كتب نواب الشام يشكون منهم وانهم اعتمدوا امورا تفسخ  
الهدنة . ولما سار السلطان من الديار المصرية الى الشام كما قد منا شرحه وصار في وسط  
بلادهم ورد رسول منهم يهنونه بالسلامة ويقولون ما عرفنا بوصول السلطان فكان الجواب :  
ان من يريد يتولى امرا ينبغي ان يكون فيه بقطه ومن خفي عنه خروج هذه العساكر  
وجهل ما علمته الوحوش في الفلاة والحيتان في المياه من كثرة هذه العساكر التي بيوتكم  
ما فيها موضع الا ويكنس منه التراب الذي اثارته خيل هذه العساكر . ولعل وقع سنانبكها  
قد اصم اسماع من وراء البحر من الفرنج وفي موغان من القنار . اذا كانت هذه العساكر  
تصل جميعها الى ابواب بيوتكم ولا تدرون فأى شيء تعلمون ؟ " .

وانفصل الرسول على هذا الحال (١٧ و) ووصلت نواب يافا ونواب ارسوف بهدية اخذت  
منهم تطمينا وتسكينا لقلوبهم . هذا والسلطان يأمر ان لا ينزل احد لهم في زرع ولا يسحب  
فرس ولا تؤذى لهم ورقة خضراء ولا يتعرض الى شيء من مواشيهم ولا فلاحيتهم . ورفق بهم

ثم رفع انتظارا لرجوعهم عن الغي وكانت كتبهم قبل توجه السلطان الى الشام مضمونها طلب فسخ الهدنة والندم عليها . وصارت عند قرب السلطان ترد بأنهم باقون على العهد مستمسكون بأذيال الموائيق . وكان مقدم الاستبار قد كتب عدة كتب منها جواب عن مشافهة على لسان افرير صاماج كمندور الديوية بقبرس مضمونها : انكم نقضتم العهد بأمر منها ان شرط الهدنة لا يحدث (١) بنا . وقد شرع بيت الاستبار في بناء ريفر على ارسوف . فكان جوابهم : اننا لم نبين هذا الريفر الا لحماية الصعاليك من متحومة (٢) المسلمين ولا مور قد بلغتنا سوف تسمونها يعني اخبار التتار . فكان الجواب اليه : اما تجديد الربط لحفظ الصعاليك فالبلاد ما تحفظ بالاسوار ولا تحفظ الرعية بالخنادق ولا تحفظ الا بأحد امرين اما بالسيوف والعزائم واما بحس الجيره وبذل الاحسان وكف الاذى . ومن يخاف من اللصوص لم لا يخاف من غيرهم . واما امر التتار فقد علم كل احد انا عندما تحصنتم بالاسوار والخنادق خرجنا الى التتار وما جعلنا حصوننا الا خيولنا ولا خنادقنا الا سيوفنا ولا اسوارنا الا رجالنا .

ولم تنزل رسلهم تتردد في هذا ومثله الى ان فرغ السلطان من شغله الذي كان في نفسه وهو حديث الملك المغيت . فلما كان اليوم الذي قبض عليه فيه احضر الملك الظاهر بيوت الفرنجية وقال : ما تقولون ؟ قالوا نتمسك بالهدنة التي بيننا . فكان الجواب : لم لا كان هذا قبل حضورنا الى هذا المكان وانفاق الاموال التي لوجرت (١٧ق) لكنت بحارا ونحن (٣) ما آذينا لكم زرا ولا غيره . وانتم منعتم الجلب والميره عن العسكر (٤) وسيرتم

---

(١) " يجدد " في ابن عبد الظاهر ص ٦٨ . (٢) متحومة ، في ابن عبد الظاهر ص ٦٨ .  
(٣) في المقرئى السلوك ص ٤٨٤ ونحن لما حضرنا الى هاهنا ما آذينا لكم زرا ولا غيره ولا نهب لكم مال ولا ماشية ولا اسر لكم اميرا (٤) في المقرئى ، السلوك ص ٤٨٥ " وحرمتم خروج شئ من الغلات والاغنام وغير ذلك " .

الينا الى دمشق (١) نسخة يمين حلفنا عليها وسيرنا نسخة يمين (٢) لم تحلفوا عليها وعلمتم انتم نسخة حلفتم عليها وشرط اليمين الاولى تتعلق (٣) بالثانية • وسيرنا الاسارى الى نابلس ومنها الى دمشق وما سيرتم انتم احدا الا كل بيت (٤) يحيد على الآخر (٥) وسيرنا كمال الدين بن شيت رسولا يعلمكم بوصول الاسرى فلم تبعثوا احدا ولم ترحموا اهل ملتكم الاسرى وقد وصلوا الى ابواب بيوتكم • كل ذلك حتى لا تبطل اشغالكم من اسرى المسلمين عندكم واموال التجار شرطتم القيام بما اخذتموه (٦) لهم • ثم قلتم ما اخذت من بلادنا وانما قلتم اخذها (٧) في انطرطوس وحمل العان الى خزانة (٨) الديوية والاسرى في بيت الديوية (٩) فان كانت انطرطوس ماهي لكم فالله يحقق ذلك • ثم اننا سيرنا رسلا الى جهة (١٠) الروم وكتبنا اليكم بتسفيرهم في البحر فاشرتم عليهم بالسفر الى قبرس (١١) فاخذوا وقيدوا وضيق عليهم واتلف احداهم على ما ذكر (١٢) مع احساننا الى رسلكم (١٣) • وجرت عادة الرسل انها لا تؤذى وما زالت الحرب

- 
- (١) هي " بدمشق " في المقرئى، السلوك ص ٤٨٥، بدل الى دمشق •
  - (٢) في المقرئى، السلوك، ص ٤٨٥ من عندنا بعد كلمة يمين •
  - (٣) متعلق، في ابن عبد الظاهر ص ٦٩ •
  - (٤) في المقرئى، السلوك، ص ٤٨٥، هي " وكل بيت " •
  - (٥) بعدها " وما سيرنا الاسرى الوفاء بالمعهد واقامة الحجة عليكم " المقرئى السلوك ص ٤٨٥ •
  - (٦) منها عند المقرئى السلوك ص ٤٨٥ •
  - (٧) عند المقرئى السلوك ص ٤٨٥ " اخذت في " •
  - (٨) بعدها كلمة بيت عند المقرئى السلوك، ص ٤٨٥ •
  - (٩) او الاسرى في بيت الديوية في ابن عبد الظاهر ص ٦٨ •
  - (١٠) بلاد السلاجقة في المقرئى، السلوك ص ٤٨٥ •
  - (١١) فسافروا بكتابكم وامانكم، في المقرئى، السلوك ص ٤٨٥ •
  - (١٢) فان كان هذا يرضاكم فقبيح ان يعتمدوا هذا الاعتماد • هذا في المقرئى السلوك ص ٤٨٥ •
  - (١٣) وتجا ركم والوفاء احد اركان الملك " المقرئى السلوك، ص ٤٨٥ •

قائمة والرسول تتردد (١) • وان كان هذا بغير رضاكم فهذا (٢) نقص في حرمتكم (٣) • وهل كانت الملوك (٤) تنق (٥) النفوس (٦) والاموال الا بحفظ (٧) الحرمه وصاحب (٨) قبرس اكثر تعلقاته في عكا والساحل وله عندكم المراكب والتجار (٩) وها (١٠) هو منفرد بنفسه عنده (١١) الديوية وجميع البيوت والنواب مقيمون (١٢) • وعنده كند يافا (١٣) فلو كنتم لاتوثرون ذلك كنتم جميعكم عليه واحتطتم (١٤) على كلما يتعلو به (١٥) وكتبتم الى ملوك الفرنجيه والى الباب (١٦) بما فعله • وكان الواجب على ••••• (١٧) احرامه •

- 
- (١) وما القدرة على الرسول بشي يسكن غيظا، المقريزي، السلوك، ص ٤٨٥ •
  - (٢) فانه "في المقريزي، السلوك ص ٤٨٥ •
  - (٣) واذا كان صاحب جزيرة قبرس من اهل ملتكم، يخرق حرمتكم ولا يفى بعهدكم ولا يحفظ ذمامكم ولا يقبل شفاعتكم، فاي حرمه تبقى لكم واي ذمام يوثق به منكم، واي شفاعه تعبل عند المسلمين والفرنجيه المقريزي السلوك ص ٤٨٥، اما ابن عبد الظاهر ص ٦٩، فلم يذكر "قبرس" بعد "جزيرة" ثم لم يذكر ما بعد "حرمتكم" •
  - (٤) بعدها الماضية في المقريزي السلوك ص ٤٨٥ •
  - (٥) "مقيني" في ابن عبد الظاهر ص ٦٩ وهي هنا اصح •
  - (٦) بعدها "والرجال" في المقريزي السلوك ص ٤٨٥ •
  - (٧) "لحفظ" في ابن عبد الظاهر ص ٦٩ وهي هنا اصح •
  - (٨) "وما صاحب جزيرة قبرس ملك عظيم ولا صاحب حصن منيع، ولا قائد جيش كثير، ولا هو خارج عنكم بل " المقريزي، السلوك، ص ٤٨٥ — ٤٨٦ •
  - (٩) "والاموال والرسول" المقريزي، السلوك ص ٤٨٦ •
  - (١٠) "وما" في ابن عبد الظاهر ص ٦٩ "وليس" في المقريزي، السلوك ص ٤٨٦ •
  - (١١) "وعنده" المقريزي، السلوك ص ٤٨٦ •
  - (١٢) المقيمون عنده "في ابن عبد الظاهر ص ٦٩ والمقريزي، السلوك ص ٤٨٦ •
  - (١٣) بعدها "وغيره" في المقريزي، السلوك، ص ٤٨٦ •
  - (١٤) "واحتطتم" في المقريزي، السلوك ص ٤٨٦ •
  - (١٥) بعدها "واصحابه واسترحتم من هذه الفضيحة" المقريزي، السلوك، ص ٤٨٦ •
  - (١٦) "البابا" في المقريزي، السلوك ص ٤٨٦ • راجع ابن عبد الظاهر ص ٦٩، ملحوظة ١ •
  - (١٧) كلمة غير واضحة ولكنها "الكاط" في ابن عبد الظاهر ص ٦٩ • اما المقريزي، السلوك ص ٤٨٦ فيقول : واذا قلت صاحب قبرس لا يسمع منكم ولا يطوعكم، فاذا لم يسمع منكم صاحب قبرس وهو من اهل ملتكم، فمن يسمع منكم • وهل لهذه التقدمة الا الامر والنهي ؟ ولا سيما وانتم تقولون ان امركم دينية، ومن ردها عصي المعبود، ويغضب عليه المسيح • فكيف لا يعصى المعبود ويغضب المسيح على صاحب قبرس، وقد رد امركم واغرى بكم وقبح قولكم ؟ وكنا لو اشتبهينا اخذنا حقنا منه، وانما الحق عندكم نحن نطلب منكم وانتم تطلبون منه •••



وقال السلطان : انتم (١) في ايام (٢) الصالح اسماعيل اخذتم صفد والشقيف على انكم تنجدونه على السلطان الشهيد (١٨ و) الملك الصالح (٣) وخرجتم جميعكم في خدمته ونجدته وجرى ما جرى من خذلانه وقتلكم واسركم واسر ملوككم ومقدمكم (٤) . وكل احد يتحقق (٥) ما جرى عليكم من ذهاب الارواح والاموال . وانتقضت (٦) تلك الدولة وانتقضت (٧) ولم يؤخذكم السلطان الشهيد عند فتوحه البلاد . واحسن اليكم فقابلتم ذلك بأنكم (٨) رحتم الى الريد افرانس وساعدتموه واتيمم صحبته الى مصر حتى جرى عليكم (٩) ما جرى من القتل والاسر . فأما مرة وفيتم فيها لمملكة مصر ام اى حركة افلنحتم (١٠) ؟ وبالجملة فأنتم اخذتم هذه البلاد من الصالح (١١) اسماعيل لاعانة مملكة الشام واطاعة (١٢) ملكها ونصرته (١٣) وقد صارت مملكة الشام (١٤) وغيرها الى (١٥) وما انا محتاج الى نصرتكم ولا الى نجدتكم (١٦) . فتردوا (١٧) ما

- 
- (١) " وانتم " في المقرئى، السلوك ص ٤٨٦ .
  - (٢) " الملك " بعدها، المقرئى، السلوك ص ٤٨٦ .
  - (٣) بعدها " نجم الدين ايوب " المقرئى، السلوك ص ٤٨٦ .
  - (٤) " واسر مقدمكم " المقرئى، السلوك، ص ٤٨٦ .
  - (٥) " تتحقق " في ابن عبد الظاهر ص ٦٩ .
  - (٦) قبلها " وقد " المقرئى، السلوك ص ٤٨٦ .
  - (٧) ليست في نص المقرئى، السلوك، ص ٤٨٦ .
  - (٨) " بأن " المقرئى، السلوك، ص ٤٨٦ .
  - (٩) ليست في نص المقرئى، السلوك ص ٤٨٦ .
  - (١٠) بعدها " فيها " في ابن عبد الظاهر ص ٧٠، والمقرئى، السلوك ص ٤٨٦ .
  - (١١) " الملك الصالح " المقرئى، السلوك ص ٤٨٦ .
  - (١٢) " وطاعة " المقرئى، السلوك ص ٤٨٦ .
  - (١٣) بعدها " والخروج في خدمته ، وانفاق الاموال في نجدته " المقرئى السلوك ص ٤٨٦ .
  - (١٤) بعدها " بحمد الله " المقرئى، السلوك ص ٤٨٦ .
  - (١٥) " لى " ابن عبد الظاهر، ص ٧٠ المقرئى، السلوك ص ٤٨٦ .
  - (١٦) بعدها " ولم يبق لي عدوا خافه " المقرئى، السلوك ص ٤٨٦ .
  - (١٧) " فردوا " المقرئى، السلوك، ص ٤٨٦ و " فردون " ابن عبد الظاهر ص ٧٠ .

اخذتموه للاسلام (١) بهذا الطريق وتكون (٢) اسرى المسلمين جميعهم . وغير ذلك  
لا قبله (٣) .

فلما سمعوا هذه المقالة بهت الذين كفروا وقالوا : نحن لاننقض الهدنة ونطلب  
(٤) مراحم السلطان في استصحابها واستدامتها (٥) ونحن نزيل شكوى النواب جميعها  
(٦) ونفك الاسرى " . فقال السلطان : كان هذا قبل خروجي (٧) في (٨)  
هذا الشتاء وهذه الامطار ووصول العساكر (٩) وانفصلوا على هذه الصورة وامسى  
السلطان انهم لا يبيتون في الوطاق .

ذكر هدم كنيسة الناصرة ومسير تحريده الى عكا ورجوعهم

وما فعله الملك الظاهر في مقامه بالطور

لما جرى لرسل الفرنج مع السلطان الملك الظاهر ما قدمنا شرحه رسم بهدم  
كنيسة الناصرة وهي اكبر مواطن العبادات التي لهم . ويقولون ان منها خرج دين  
النصرانية . فوجه الامير علاء الدين طبرسر اليها وهدمها الى الارض . فلم يجسر  
احد من ساير الفرنجية ان يخرج من باب عكا ولا يتكلم بكلمة (١٨ و) واحدة .

- 
- (١) " اخذتم للاسلام " في ابن عبد الظاهر ص ٧٠ و " اخذتموه من البلاد " في المقرئ ،  
السلوك ص ٤٨٦ وليس فيه ، بهذا الطريق .  
(٢) وفكوه المقرئ ، السلوك ص ٤٨٦ .  
(٣) فاني لا قبل غير ذلك ، المقرئ ، السلوك ص ٤٨٦ .  
(٤) وانما نطلب ، المقرئ ، السلوك ص ٤٨٧ .  
(٥) في استدامتها ، المقرئ ، السلوك ص ٤٨٧ .  
(٦) ليس في المقرئ ، وبدلها : النواب ونخرج من جميع الدعاوى " السلوك ص ٤٨٧ .  
(٧) بعدها ، من مصر ، المقرئ ، السلوك ص ٤٨٧ .  
(٨) من ، في ابن عبد الظاهر ص ٧٠ .  
(٩) بعدها الى هنا ، ابن عبد الظاهر ص ٧٠ ، المقرئ ، السلوك ص ٤٨٧ .

ثم جرد الامير بدر الدين الايدمرى وعسكرته جماعة فتوجهوا الى جهة عكا وهجموا على ابوابها . ثم توجه الامير المذكور مرة اخرى فأغار على المواشي واستباح منها شيئا كثيرا وحضر بجميع ذلك الى المخيم المنصور .

واستمر جلوس السلطان كل يوم على باب الدهليز وعلى الصفة التي عمرها هناك وكتب اسمه عليها . وهي مبنية بالحجر المنحوت لا يحتجب عن احد . ومن وقف له احضره واخذ قصته وانصفه . وهو لا يشتغل بغير امر ونهي وعطاء وتدبير في امر الكرك وارسال خلع ومال واستجلاب اهلها .

ووصلت رسل دار الدعوة ومعهم الهدايا ووصل ولدا الصاحبين مقدمي الدعوة فأحسن السلطان اليهما وتوجهها .

ولم يخل السلطان وقتا من تأمير جماعة في الشام والساحل . ومن جملة من امر الامير علاء الدين ايدكين البندقدار اعطاء اقطاعا جيدا في مصر وطبلخاناه . وكذلك الامير سيف الدين الكامل والامير شمع الدين سنقر الخزندار العمادى . امرهما بالشام واعطاهما الطبلخاناه . وكذلك الامير حسام الدين العنتابي امره في بلاد حلب واعطاه طبلخاناه . وكتب للامير جمال الدين ايدغدى العزيزى زيادة جماعة جنده . وخاضر في الشام وهي ثلاثون فارسا . ووجد اهل البلاد والاهواء قد عانوا وتسلطوا على الرعية ولزمهم ديات بذلك مجهولة المصروف وفيهم عيون الفرنج . ووجدهم فلاحى البلاد ولا يمكن اتلافهم فقرر عليهم جنايات يقومون بها لبيت المال عن ديات من قتل ولير له وارث وعما نهبوا من مال جهل ماله فحملت جمل كثيرة من البلاد الساحلية والجال النابلسية وانكسرت شوكتهم .

ثم جرد الامير بدر الدين الايدمرى وعسكرته جماعة فتوجهوا الى جهة عكا وهجموا على ابوابها . ثم توجه الامير المذكور مرة اخرى فأغار على المواشي واستباح منها شيئا كثيرا وحضر بجميع ذلك الى المخيم المنصور .

واستمر جلوس السلطان كل يوم على باب الدهليز وعلى الصفة التي عمرها هناك وكتب اسمه عليها . وهي مبنية بالحجر المنحوت لا يحتجب عن احد . ومن وقف له احضره واخذ قصته وانصفه . وهولا يشتغل بغير امر ونهي وعطا وتدبير في امر الكرك وارسال خلع ومال واستجلاب اهلها .

ووصلت رسل دار الدعوة ومعهم الهدايا ووصل ولدا الصاحبين مقدمي الدعوة فأحسن السلطان اليهما وتوجهها .

ولم يخل السلطان وقتا من تأمير جماعة في الشام والساحل . ومن جملة من امر الامير علاء الدين ايدكين البندقدار اعطاء اقطاعا جيدا في مصر وطبلخاناه . وكذلك الامير سيف الدين الكامل والامير شمس الدين سنقر الخزندار العمادى . امرهما بالشام واعطاهما الطبلخاناه . وكذلك الامير حسام الدين العنتابي امره في بلاد حلب واعطاه طبلخاناه . وكتب للامير جمال الدين ايدغدى العزيزى زيادة جماعة جنده . وخاض في الشام وهي ثلاثون فارسا . ووجد اهل البلاد والاهوا قد عانوا وتسلطوا على الرعية ولزمهم ديات بذلك مجهولة المصروف وفيهم عيون الفرنج . ووجدهم فلاحى البلاد ولا يمكن اتلافهم فقررو عليهم جنایات يقومون بها لبيت المال عن ديات من قتل وليرله وارث وعما نهبوا من مال جهل مالكة فحملت جمل كثيرة من البلاد الساحلية والجبال النابلسية وانكسرت شوكتهم .

وركب السلطان مارا الى قبر دحية الكلبي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٩ و) وزاره وزار بي طريقه قبر ابي هريرة رضي الله عنهما في بينا والله اعلم .

ذكر مسير السلطان الملك الظاهر الى عكا وقتله للفرنج

واسرهم ورجوعه سالما .

لما كان ليلة السبت رابع جمادى الآخرة من هذه السنة ركب السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي وجرد من كل عشرة فارسا واحدا صحبته واستتاب الامير شجاع الدين الشبلي امير مهندار في الدهليز . وساق من منزله الطور نصف الليل . فلما اصبح وقف قريب عكا في الوادي الذي يقاربها ومنه يشرف عليها . وامر الناس بلبس السلاح ورتب العسكر . ولم يزل سائقا الى ان اطاف بعكا من جهة البر . وسير جماعة الى برج كان قريبا منها فيه جماعة فحاصره وللوقت احدث فيه الثقب . وكان توجه السلطان اليها في هذه الجماعة انما هو لكشفها . وكان الفرنج يقولون ان احدا لا يجسر ان يقرب منها ولم يزل كذلك الى قريب المغرب والفرنج ينظرون من ابواب المدينة وتل الفضول . ثم رجع الى الدهليز قريب البحر المذكور عند المساء . ولما اصبح ركب وركب الناس في خدمته وساق اليها . وكان الفرنج خذلهم الله قد حفروا خنادق حول تل الفضول وجعلوها معاصر في الطريق . ووقف الفرنج صفوفًا على التل المذكور . ولما اخذت المعسكر اهبة القتال والسلطان نفسه يسوق ميمنة وميسرة ويرتب الناس حتى انه مما يذكر الله سبحانه وتعالى ويأمر الناس به عن التهليل والتكبير ويندب اليه من المطالح شوش من صوته . وللوقت ردمت الخنادق بحوافر الخيل وبأيدي الرجال من غلمان المعسكر والفقراء المجاهدين وطلع الناس الى تل الفضول وانهزم الفرنج الى المدينة (١٩ ق) وحرق الناس ما حول

عكا من الابراج والاسوار وقطعوا الاشجار وحرقوا الثمار . فلا يرى الناس الا دخانا  
 او عجاجا وسيوفا لامعة واسنة قاطعة ساطعة . وساق العسكر الى ابواب عكا يقتلون  
 ويأسرون . ففي ساعة واحدة قتل جماعة من كنودهم وفرسانهم وخيالتهم واسرت جماعة  
 خيولهم . وخرج اكابرهم وحف بهم البلاء وطمع فيهم الناس ورموهم الخنادق بنيلهم  
 وفيهم جماعة من الديوية والاستار . وهرب من بقى من الفرنج الى الابواب من جهة  
 الاسوار وتدلوا لحفظ الابواب ويزعقون بنحوت واحد . الباب الباب خوفا من الهجوم  
 عليهم والسلطان واقف على رأس القل مما يلي عكا ينعم ويعد . وحضر اليه رجل اسمه  
 جليس من اصحاب ابن اطلس خان بفارس طعنه ورماه . وقامت الضجة لاجل رميه من  
 الفرنج . فأمره فأعداه السلطان مندليه بأربعين فارسا . وغرب السلطان مشورة  
 من اى جهة يأخذها . وعرف احوالها وحمل الامراء واحد ثم واحد الى الابواب فخرج  
 في ذلك النهار من اعيان الامراء جمال الدين ايدندى العزيزى في ركبته جرحا خفيفا .  
 ثم حمل الناس حملة واحدة الى ان رموا الفرنج في الخنادق . وهلك جماعة منهم في  
 الابواب . فكان اوان ماوقف السلطان ساق الامير على الشهرزورى عند اللقاء اصلى  
 رمحا من يد احد الخيالة اخذه وساق . وكان مما احضر تسعة حصن ببركصطوانات  
 وثنى بعد ذلك اثنتان فرسه امهالا وسار عايذا الى عسكره المنصور . فجلس واحسن  
 الى من جاهد . وفروا كتب البشائر على من عمل صالحا في ذلك اليوم (٢٠ و) ولم يزل  
 منتصبا كذلك الى قريب العصر لابس عدته . وساق الى البرج الذى كان النقايون  
 علقوه . فوقفت حتى رمى واخرج منه بأمانته اربعة خياله اخوه ونيف وثلاثون رجلا .  
 ولما خرج الامير جمال الدين ايدندى العزيزى ساق اليه السلطان وسلم  
 عليه وسير اليه تشريفا من ملابسه الخاسر . وبات واصبح راجعا وعبر على بلادهم

وكشفها مكانا مكانا . وعبر على كنيسة الناصرة . وكان فيما قيل قد سير اليها الامير عز الدين الافرم امير جاندار غلقها وخرمها وهدمها الى الارض .

ولما رجع السلطان ونزل جلس على المصطبة التي امر ببنائها قبالة الطهور واحضر الشموع بالمنجنيقا ونصب عليها خيمة واحضر صاحب فخر الدين وزير الصحبة وجماعة كتاب الدرج الشريف وهم سبعة : صاحب فخر الدين ابن لقمان ، والصدر بدر الدين حسن الموصلي ، والصدر كمال الدين احمد بن العجمي ، والصدر فتح الدين ابن القيسراني ، والصدر شهاب الدين احمد بن علي بن عبيد الله ، والصدر برهان الدين ، وكتاب الجيش وهم صاحب فتح الدين ابن سنا الملك ، والشريف الطاهر شرف الاسلام المطري ، والقاضي جمال الدين الحنفي وبقية كتاب الجيش والسديد مستوفي الصحبة ، وجعل الامير سيف الدين الزيني امير علم جالساً عند ديوان الجيش لكتابة المناشير وتجهيز الطبلخاناه والاثابت بين يدي السلطان . واستدعى من دسارانه خمسمائة فارس يرسم الطبلخاناه وخيول الامراء واحضرت الخلع الكثيرة بين يديه وامر سلاح داريه بان يستريحوا بالنوبة ويحضروا . ولم تزل المثالات والمناشير تكتب وهو يعلم ( ٢٠ ق ) واعطى تلك الليلة الحراس الهنود جملة . وكتب بين يديه تلك الليلة ستة وخمسون منشورا كبارا بخطب وطغر لامراء كبار . والصاحب فخر الدين يعلم وصاحب ديوان الحراس فتح الدين بن سنا الملك حاضر وهو صاحب ديوان الجيوش المنصورة يعلم . والامير بدر الدين الخزندار واقف يعلم والمستوفي ينزل حتى كملت بين يديه واصبح السلطان فخلا بنفسه وجهاز الطبلخاناه والسناجق والخيول والخلع الى الامراء وجعل الامير ناصر الدين القيمري نايب السلطنة بالفتوحات الساحلية .

ذكر رحيل الملك الظاهر من الطور الى بيت المقدس وذكر بعض اخبار

بيت المقدس الى ان دخلها الملك الظاهر في هذه السنة

وكذلك مدينة الخليل عليه السلام وهما من بلاد

جند فلسطين البرية الذي وعدنا بذكرها .

لما رجع السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي من عكا وفعل ما قدمنا

شرحه . رحل من الطور يوم الاثنين ثالث عشر جمادى الآخرة . ثم جرد جماعة صحبته  
وجماعة الى الصالحية فوجه . صحبتهم الامير علاء الدين امير جاندار .

قد قدمنا سبب بناء بيت المقدس ومن بناءه . وكيف خرب ثم اعيد وبعض فضائله  
وسبب فتحه في زمن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ونذكر هنا لمعه  
من خبر من ملكه الى ان دخله الملك الظاهر ركن الدين بيبرس في هذه السنة .

قال القاضي عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم بن شداد الحلبي في تأليفه

"كتاب الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة" ما صيفته : الصفة التي  
عليها مدينة بيت ( ٢١ و ) المقدس في عصرنا انها على جبل يصعد اليها من كل جانب  
وهي طويلة في طرفها الغربي باب المحراب . وهذا الباب عليه قبة داود عليه السلام .  
وفي طرفها الشرقي باب الرحمة وهو مغلق لا يفتح الا في عيد الزيتون . ولها من جهة  
المحراب باب يسمى باب صهيون ومن الشمال باب يسمى باب الغراب . ومتى دخل  
الداخل من باب المحراب يسير نحو المشرق في زقاق شارع الى الكنيسة العظمى المعروفة  
بكنيسة القيامة والمسلمون يسمونها قمامه . وهي من عجائب الدنيا بناء .

وقال البلاذري : قدم ابو عبيده على عمرو بن العاصي وهو ظاهر ايليا

في سنة ست عشرة للهجرة فطلب اهلها من ابي عبيده الامان والصلح على مثل ما صولح



عليه اهل مدن الشام من اداء الجزية والخراج على ان يكون متولي العقد لهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنفسه . فكتب ابو عبيده الى عمر رضي الله عنهما بذلك فصار عمر رضي الله عنه حتى نزل الجابية من دمشق ثم صار الى ايليا فانفذ صلح اهلها وكتب لهم بذلك وذلك في سنة سبع عشرة للهجرة . وقد قدمنا ذلك مفصلا .

ولم تنزل بعد الفتح في الولاية على ما قررناه في غيرها من البلاد المضافة الى الاجناد . فلما صارت الى المستنصر العبيدي صاحب الديار المصرية خرج الامير اتسز بن لوق التركي فقصد ارض فلسطين فملك الرملة وبين المقدس من نوابه سنة ثلاث وستين واربعمائة . فخرج الامير بدر المستنصري في سنة خمس وستين واربعمائة فاستعاد الرملة والقدر وولى فيهما نائب من جهته ثم عاد الى مصر في سنة ست وستين واربعمائة فعاد اتسز الى القدر فملكه في بقية السنة . ولم يزل في يده الى ان قصد مصر بعسكره فكسر . في شهر (٣١) ورحب سنة تسع وستين واربعمائة وعاد منهزمًا الى دمشق فجمع وخرج الى القدر . وكان من فيه وثبوا على من عندهم من الاتراك من اصحابه فقتلوا اكثرهم والتجاء (١) من بقي منهم الى محراب داود تحتملوا به واقاموا حتى وصل اتسز الى القدر فراسل اهله في الدخول في الطاعة . فابوا فنازلهم فسي شعبان . واقام يحاصرهم الى ان فتح له القيم محراب داود فدخل المدينة بالسيف وقتل عامة اهلها . واستمر القتل فيها ثلاثة ايام . ولم يبق منهم الا من استجار بالصخرة والمسجد الاقصى . وبقي بيت المقدس في يده الى ان خرج الامير نصير الدولة الجبوشي فاسترجع القدر وما كان قد استولى عليه اتسز من بلاد فلسطين والاردن . ونزل على دمشق فحاصرها . فكتب الامير اتسز صاحب دمشق الى الامير

---

(١) في الأصل " والنجى " .

تاج الدولة صاحب حلب يستنجد به . فلما سار اليه رحل الامير نصير الدولة ورجع الى مصر . فلما قتل تاج الدولة اتسز سار الى القدس فملكه فيما ملك وذلك في سنة احدى وسبعين واربعماية . ولم يزل القدس في ايدي نوابه الى ان اقطعه الامير ارتو بن اكست وبقي في يده ويد ولديه من بعده ايلغازي وسكمان الى ان قصدهما الافضل امير الجيوش شاهنشاه بن امير الجيوش بدر المستنصر من مصر في عسكر . فنزل عليها في شعبان سنة تسعين واربعماية وحاصرها وضايقها ونصب عليها المجانيق فهدم بها ثلثة من السور واشرف من فيها على الغلب . فبعث سكمان الى الافضل يطلب منه الامان له ولأخيه ايلغازي ولاصحابهما . فأجابهما وتسلم البلد وولى فيه من قبله وذلك في سنة احدى وتسعين واربعماية . وخرج سكمان واخوه الى دمشق .

وبقي القدس في أيدي (٢٢٠) المصريين الى ان قصدها الفرنج في سنة اثنتين وتسعين واربعماية وحاصروها اشد حصار حتى ملكوه في اليوم الثاني من شعبان من السنة عتوة . بعد اعطائهم الامان لمن فيه . فأحرقوا المصاحف واخربوا المساجد وكان ملكهم يومئذ كندفرى . واقام فيه الى ان مات وصار الى جهنم وشمس المصير . وولى اخوه اللعين بغدوين بعده ودام ماله الى ان اصابه جرح على العرش فمات منه في التاسع من ذى الحجة سنة احدى عشرة وخمسماية . وتولاه بعده القمص بغدوين صاحب الرها بعهد من بغدوين الاول لعنهما الله . فسار اليه وملكه وسكنه وبقي في يده الى ان مات بالقالج بين نابلس والقدس ليلة الاثنين حادى عشر من شهر رمضان سنة خمس وعشرين وخمسماية وملكه بعده بعهد منه زوج ابنته اللعين فلك ابن فلك وبقي في يده الى ان وقع عن فرسه وهو طارد ارنبا في ارض عكا . فذاصت رقبتة في صدره وعجل الله بروحه الى النار وذلك في سنة ثمان وثلاثين وخمسماية .

وتولى بعده البلاد اكبر اولاده اللعين بغدوين وبقي حاكما على ما كان بيد ابيه من البلاد الى ان مات في سنة ثمان وخمسين وخمسماية وتولى بعده اخوه " بعدى " (١) وهلك في سنة ثمانين وخمسماية . وتولى بعده ولد صغير وفوق تدبير دولته للقومص بن مارذان صاحب طرابلس وكان ابن عمه .

وبقي في يده الى ان قصده السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين ايوب بن شادى بن مروان الايوبي . فنصب عليه المحانيق وسلط على سوره النقوب مما يلي واداء جهنم الى ان تسلمه يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسماية كما قدمنا (٢٢ و) شرحه . ولم يزل القدس في يد السلطان صلاح الدين يوسف الى ان اقطع البلاد من اولاده فكان للافضل من دمشق الى العريش خلا الكرك والشوبك . فانهما كانا للملك العادل ابن بكر بن نجم الدين ايوب شادى بن مروان الايوبي . فاقطع الافضل القدس للامير عز الدين جردية النورى . ثم اخذها العزيز عثمان قطعها علم الدين قيصر سنة تسعين وخمسماية . ثم وقع الاتفاق على ان تبقى فلسطين للملك العزيز والاردن للملك الافضل . فاقطع العزيز القدس لابي الهيجا السمين فعصى عليه في سنة اثنتين وتسعين وخمسماية .

وفيهما ملك الملك العزيز بن السلطان صلاح الدين يوسف صاحب الديار المصرية دمشق وسلمها لعمه العادل ونزل له عن القدس فاسترجعه من ابي الهيجا واقطعه سنقر الكبير . ثم استعاد منه واقطعه ميمون القصري في سنة اربع وتسعين وخمسماية ومات العزيز في سنة خمس وتسعين وخمسماية .

ولمسا مات الملك العادل ابي بكر بن ايوب البلاد اقطع دمشق والاردن وفلسطين لولده الملك المعظم عيسى فاستمرت في يده الى ان قصدت الفرنج دمياط واستولوا

---

(١) كذا في الاصل والمعروف ان لفلک ولدين احدهما بغدوين الثالث والاخر اماريك الاول .

عليه فاستنجد به إليه الملك الكامل صاحب الدار المصرية • فلما وصل إليه شكى له ما الفرنج عليه من القوة وسأله أن يمد يده إلى القدس وكوكب والطور ليعطيها للفرنج عوضاً عن دمياط فأسرهما في نفسه ووعده فيها بما طاب به قلبه • ولما تضايق بالملك الكامل الأمر في حصار دمياط دعا إليه الملك المعظم إلى أخيه الملك الأشرف يستنجد به وهو ببحران • فأخرب القدس في طريقه وكوكب حتى لا يشفع بهما الفرنج ولا يرغبون فيهما •

وبقي القدس في يده خراباً إلى أن توفي في (٢٣) سنة أربع وعشرين وستمائة •  
فخرج الملك الكامل إلى الشام في سواد سنة خمس وعشرين وستمائة فولى في بلاد فلسطين • وكان الأنبرطور ملك الفرنج قد وصل إلى كنا والملك الكامل بنابلس فكتب إليه الأنبرطور أما أن تسلم إلى القدس وجميع ما فتحه السلطان من الدين أو ثلثاني • وترددت الرسل بينهما في ذلك • وكان للملك الكامل غرض في تملك دمشق فجمع الأمراء واستشارهم فكل منهم انما بالعود إلى تل العجول حتى الأمير سيف الدين ابن أبي زكري فأنه قال : ابن دمشق علي ابن أخيت الملك الناصر داود وأطلبه وأطلب أخت الملك الأشرف وعسكر حلب وقاتل هذا العدو فأما لنا وأما علينا • ولا يقال عن السلطان أنه اعتز بالفرنج القدس • فامتدح لذلك وقبيل عليه وسيره إلى مصر فحبسه فيها • وعاد إلى تل العجول واستدعى الملك الأشرف من دمشق • وكان قد وصل إليها • ولما غلب على الملك الكامل رغبته في تملك دمشق إذ عن تسليم القدس له تبرؤ فقتلهم في حاد عشرين ربيع الأول سنة ست وعشرين وستمائة • واستمر القدس في أيدي الفرنج إلى أن توفي الملك الكامل في سنة خمس وثلاثين وستمائة •

وملك الملك الجواد بعده دمشق فقابله الملك الصالح نجم الدين أيوب بمن الملك الكامل عن دمشق بسندار • فوصل إلى دمشق ثم خرج منها إلى نابلس في سنة

سبع وثلاثين وستماية قاصدا مصر وفيها اخوه الملك العادل فاستولى الملك الصالح اسماعيل بن الملك العادل ابي بكر بن ايوب على دمشق وقهر الملك الناصر داود صاحب الكرك على الملك الصالح نجم الدين ايوب بنابلس وجبسة في الكرك . وجمع عسكرا ( ٢٣ ق ) عظيما ونزل به على القدس يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الاول من السنة وكان الفرنج قد عمروا به برحا يعرف ببرج داود وحصنوه . فنصب عليه المجانيق وضايقه الى ان تسلمه يوم الاثنين ثامن جمادى الآخرة وملك بيت المقدس وولى فيه من قبله وكتب كتابا بيده ومن انشاه الى الخليفة المستنصر بالله امير المؤمنين نسخه قد مننا ذكرها .

ولم يزل القدس في يد الناصر داود الى ان اتفق مع الملك الصالح اسماعيل صاحب دمشق والمنصور ابراهيم صاحب حمص على مصالحة الفرنج ليعينوهم على قتال الملك الصالح نجم الدين ايوب صاحب الديار المصرية واعطوهم صفد والشقيف والقدس . فدخل الفرنج القدس ورفعوا الصليب على الصخرة واخرجوا من فيه من المجاورين الى مدينة الخليل عليه السلام .

واستمر القدس في ايدى الفرنج الى ان جاءت الخوارزميه الى الشام في سنة احدى واربعين وستماية باتفاق مع الملك الصالح نجم الدين ايوب صاحب الديار المصرية وهجموا القدس وقتلوا من فيه من الفرنج وظهروا الصخرة من اوساخهم وذلك في سنة اثنين واربعين وستماية . ثم خرج اليهم من مصر عسكر مقدمه الامير ركن الدين الكنجي فقاتلوا الملك الصالح عماد الدين اسماعيل صاحب دمشق والملك المنصور ابراهيم صاحب حمص والفرنج على نزه فكسروهم وتبعوهم فانحازت الفرنج الى برج داود فحاصروهم فيه حتى اخذوهم وقتلوهم . وولى في القدس من قبل الملك الصالح نجم الدين ايوب واقطع بلاده الخوارزميه . وما برحوا في تلك البلاد يدنون

بالعبث والفساد الى ان كسرههم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز صاحب حلب على حصن القصب من اعمال حمص في (٢٤٤و) سنة اربع واربعين وستماية ، وبقيت منهم شرذمة رجعت الى القدس وتغلبوا عليه فخرج اليهم عسكر من مصر مقدمه الامير فخر الدين بن الشيخ فأتى على يديهم . واستعاد القدس . ثم نزل اليه الملك الناصر داود صاحب الكرك من الكرك واستولى عليه في بقيه سنة اربع واربعين وستماية . ثم استعاد الملك الصالح نجم الدين ايوب صاحب مصر في سنة خمس واربعين وستماية وبقي في يده ويده ولده الملك المعظم تورانشاه من بعده . ثم ملك الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز صاحب حلب دمشق والاردن وفلسطين . فلم يزل القدس في يده الى ان صالح الملك المعز ايوب صاحب الديار المصرية ونزل له عنه في سنة احدى وخمسين وستماية . ولما قتل الفارس اقطاي في شعبان سنة اثنتين وخمسين وستماية وخرج من مصر مماليك الملك الصالح نجم الدين ايوب البحرية الى الملك الناصر صاحب دمشق يستنصرونه سير عسكر الى القدس فاستعاد ولما استولى التتار على البلاد دخلوا القدس وقتلوا به ..... (١) وبقي في ايديهم الى ان كسروا على عين جالوت وصارت البلاد للملك المظفر قطز فلما قتل قطز وصارت البلاد للملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي وسار الى الطور ورحل منه كما قدمنا شرحه .

وفي يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة وصل الملك الظاهر الى البيت المقدس وزار مواضع الزيارة وطلع على القبة التي على الصخرة من خارجها هو شيخ الحرم . وشاهد ما ذكرناه محتاج الى العمارة ورأى ذلك (٢) بنفسه . وطاف ورأى تلك البقاع

---

(١) كلمة غير واضحة .

(٢) مكررة في الاصل .

الشرiffe ثم صلى الجمعة وتصدق ونظر في الاوقاف وتحرير ريعها ومصرفها (٢٤) وكسب بحماية اوقافه وانه مهما طلب من الشام برسم العماير يسير سريعا . ورتب له في كل سنة خمسة الاف درهم برسم مصالح الحرم . ورسم ان يبنى بخارج البلد خان للسبيل . ونقل اليه الباب الذى كان على دهليز القصر الذى يدخل منه الى البيمارستان بالقاهرة . وبنى فرنا وطاحونا ووقف عليه وقفا . وتم ذلك في سنة اثنتين وستين السنة الانية . ونسب الملك الظاهر في القدم بأن احدا لا ينزل في زرع بحيث ضرب الاتابك احد مماليكه على شىء يسير من حشيرة اطعمه لفرسه وسار السلطان الى جهة الكرك . ولما نزل راجعا في العود طارت جارج (١) اخذها الناصر باليد وتغافل السلطان الملك بامساكها وكان ما سنذكره ان شاء الله تعالى .

قد ذكرنا حال القدس الشريف فلنذكر حال مدينة الخليل عليه السلام . قال ابن حوقل النصيب مدينة الخليل عليه السلام صغيره كالقرية تعرف بمسجد ابراهيم . وفي مسجدها الذى يقام فيه الجمعة قبر ابراهيم الخليل واسحق ويعقوب بن اسحق بن ابراهيم على سيدنا ونبينا محمد رسول الله وعليهم افضل الصلاة والسلام صفا كل قبر منها بانحاء قبر امرأته والمدينة في وهدة بين جبال كثيفة الاشجار من الزيتون والتين والجميز .

قال القاضي عز الدين محمد بن على بن ابراهيم بن شداد الحلبي في تأليفه " كتاب الاعلاق الخطيرة " في ذكر امراء الشام والجزيرة " قرأت في كتاب ابي يعلي حمزه بن اسد النميري الذى وضعه ذيلًا لتاريخ دمشق . قال : وفي هذه

---

(١) في الاصل غير منقطعة .

السنة يعني سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ورد الخبر من بيت المقدس بظهور قبر الخليل وولديه اسحق ويعقوب عليهم السلام وهم مجتمعون في (٢٥ و) مغارة بارض بيت المقدس وكانهم احياء لم تبل اجسادهم ولا رم لهم عظم . وحكى على بن ابي بكر الهروي السائح : حدثني جماعة من مشايخ الخليل عليه السلام لما كان زمان بغدوين ملك الفرنج انخسف موضع في هذه المغارة فدخل جماعة من الفرنج اليها باذن الملك فوجدوا فيها ابراهيم واسحق ويعقوب وقد بليت اكفانهم . وهم مستندون الى حائط وروؤوسهم مكشوفة فجدد الملك اكفانهم ثم سد الموضع وذلك في سنة ثلاث عشرة وخمسمائة . ولم يزل حكم هذه المدينة في الولايات حكم ما تقدم من بلاد هذا الجند الى ان اخذ الفرنج القدس في سنة اثنتين وتسعين واربعماية . فاستولوا عليها لانها ضمنا وتبعها للقدس . ولم تزل في ايديهم الى ان فتحها السلطان صلاح الدين يوسف بن نجم الدين ايوب عند فتحه القدس الشريف .

ولمّا ملك السلطان صلاح الدين مدينة الخليل عليه السلام بني القبة والجامع ووقف عليه وقفا برسم الواردين عليه وهي التي تسمى ضيافة الخليل . ولم تزل في يد من يلي دمشق الى ان مات الملك المعظم صاحب دمشق وخرج الملك الكامل من مصر فولى فيه . ولمّا سلم دمشق للملك الاشرف اعطى الخليل للملك الناصر داود بن الملك المعظم الى ان استدعى الملك الصالح نجم الدين ايوب الخوارزمي الى الشام واستولوا على القدس بعث الى الخليل واليا من قبله . وجرى الامر فيه على ما جرى في نابلس في تنقلها بين الملك الناصر داود . وبين الملك الصالح نجم الدين ايوب . ثم استبد به الملك الصالح في سنة ثلاث واربعين وستماية . وبقي في يده ويد ولده من بعده الى ان قتل . ولمّا استولى الملك الناصر يوسف بن (٢٥ ق) الملك العزيز صاحب حلب على دمشق



اعطاه للملك المغيث صاحب الكرم، ثم استرجعه منه في سنة خمس وخمسين وستماية .  
ثم تغلب عليه الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل سيف الدين ابي بكر بن  
الملك الكامل صاحب الكرك في سنة سبع وخمسين وستماية واسترجعه الملك الناصر في  
بقية السنة . ولما صار في ابدى القنار في سنة ثمان وخمسين سلموه للملك المغيث  
فلم يزل في يده الى ان اجلاه (١) منه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس والله اعلم .

### ذكر استيلاء الملك الظاهر على الكرك

قيد قدمنا احوال الكرك وما كانت عليه ومن وليها الى ان قبض الملك الظاهر  
ركن الدين بيبرس الصالح على الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل سيف  
الدين ابن بكر بن الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل الكبير سيف  
الدين ابي بكر بن نجم الدين ايوب بن شادى بن مروان الايوبي صاحب الكرك على  
منزلة الطور في هذه السنة . ثم رحل الملك الظاهر من الطور الى بيت المقدس وزار  
كما قدمنا شرحه . ثم رحل من القدس الى جهة الكرك فثقل في يوم الخميس ثالث عشر  
جمادى الآخرة من هذه السنة سنة احدى وستين وستماية وصحبته العساكر، واحضرت  
السلاليم الخشب من جهة الصلت وغيرها . وكان السلطان الملك الظاهر قد استصحب  
من الديار المصرية جماعة من الحجارين والبنائين والنجارين والصناع على انه يبنى  
الطور . واحضر جماع من دمشق وغيرها وسيروا الى عين جالوت . واشاع السلطان ان  
ذلك لبنا جامع . وكان ذلك كله لاجل الكرك . وعزم على الطلوع اليه بنفسه فكتب  
الى من فيه بتسليمه فخاف اهل (٢٦ و) الكرك فشرطوا عليه واقترحوا . وترددت

---

(١) في الاصل " اجلا " .

الرسول بينه وبينهم حتى وقع الاتفاق على ان يؤمر الملك العزيز عثمان ولد الملك المغيـث  
 الاكبر على مائة فارس ونزل اولاد الملك المغيـث وقاضي المدينة وخطيبها وجماعة من اهلها  
 ومعهم مفاتيح الحصن والمدينة وطلبوا العرض فحلف لهم السلطان على ما طلبوه واعطاهم  
 حتى ارضاهم . وسير الامير عز الدين ايد مر استاد الدار والصاحب فخر الدين بن  
 الصاحب بها . الدين لتسلم الحصن فطلعا في ليلة الجمعة رابع عشر جمادى الآخرة  
 الشهر المذكور وقت المغرب وتسلما قطعة جديدة ، وفي بكرة الجمعة وعي للسلطان  
 الملك الظاهر على اسوارها ونصبت صناجق على ابراجها واصبح السلطان مد الخوان وكتب  
 باحضار الرماة . وركب في الساعة الثالثة من نهار الجمعة المذكورة . وطلع الى الحصن  
 المحروس . ودخل اليها ورسم بأن لا يؤذى احد من اهلها . وعفى عما مضى من ذنوب  
 اهل الكرك واساءتهم اليه والى المماليك البحرية في الايام المغيـثية . وجلس في القاعة  
 الناصرية وشكر الله على ما وهبه من هذه الموحبة السنية . وطلب ديوانها وكتاب  
 الانشاء ورتب امر جيشها . وسال عن رجالها فقبل لهم عدة شهر لم يعطوا شيئا . فأعطاهم  
 جامكيه ثلاثة شهور من خزانته . واهتم ببلادها . وعين لها خاصا واطلق جامكيات  
 اهلها وما غير حاله . وزاد الاسفهلارية والقرا غلامية واعطى اولاد الملك المغيـث جميع  
 ما حواه الحصن من مال وقماش واثاث . وكذلك ساير غلمانهم وكذلك جميع الامراء والمفازدة  
 والاجناد لم يتعرض لاحد منهم الى شيء ونزلوا جميع في ذلك النهار . وصلى السلطان  
 بها الجمعة وخطب الخطيب ودعي للسلطان . ورتب امر الكرك وبلادها ونزل وقت المغرب .  
ولما اصبح يوم الاحد سير (٢٦ق) الى الملك العزيز بن الملك المغيـث الخلع  
 والقماش . وكذلك الطواشي بها . الدين صندل والامير شهاب الدين صلوات اتابكه  
 احسن اليهما وكتب كتب البشائر . وكتب بحمل الغلاب والدخاير والاصناف اليها .

واصبح يوم الاثنين ركب وطلع اليها واحضر ديوان الانشاء وديوان الجيوش وديوان الاستيفاء وديوان الكرك وكتب المناشير لعربانها ومن بها وكانت تزيد على ثلاثماية منشور وفي وقت واحد كتبت الامثلة ونزلت وعلم السلطان عليها . وكتب المناشير وعلم عليها وسلمت لاصحابها بعد تحليفهم بين يدي السلطان . كل هذا في بعض يوم وكتبت تواقيع لاجل مناصب دينية وديوانية . واجرى اوراق الناس على ماكانت عليه وجرى بها جماعة من البحرية والظاهرية . وحلف مقدمي المدينة وكذلك نصاراها حلفهم بالانجيل وقال لاهل الكرك : اعلموا انكم اسأتم الى في الايام الماضية وقد اغتفرت لكم ذلك لكونكم ماكانتموني ولا خايرتم علي صاحبكم وقد ازدادتم بذلك محبة الي فتناسوا الحقوق والضغائن ولا تقيموا فتنة فيما بينكم " .

واحضر الامير عبيه وغيره من بني مهدي وبني عتبه وقال : يا عبيه انا كنت بالامس احسن اليك واسامحك بما جرى منك ومن غيرك لاجل الكرك حتى حصلت الان والله ما يروح لاحد خيط الا آخذه منك وامسك رقبتك عليه . واهل هذه البلاد ما يشربوا الا من صهاريج من ماء المطر ومتى يشرب العربان منها وسقوا خيولهم فرغت سريعا فيعطش اهل القرية وتخرّب . فرسم بأن احدا من العربان لا يشرب ولا يستقي خيله من صهريج . وضمنه خفر البلاد الى الحجاز . وطاف على القلعة والمدينة من خارجها (٢٧و) وباطنها ورسم بعمارة ما يحتاج الى العمارة وشيد الحصن وحصنه وزاد فيه وحفر خندقه واحاطه به ولم يكن قبل ذلك كذلك . وكتب تذكرة بالمهمات وحمل اليه الزرد خاناء التي كانت معه وخزائنه والاغنام والشعير وغيره من ساير الاصناف والقماش والدخير وسبعين الف دينار عينا ومائة وخمسين الف درهم

نقرة .

وان ذكرنا الكرك فلنذكر شيئا من احوال الشوك الى هذه السنة  
ورجع السلطان الملك الظاهر الى القاهرة المحروسة سالما . قال القاضي  
عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم بن شداد الحلبي في تأليفه "كتاب الاعلاق الخطيرة في  
ذكر امراء الشام والجزيرة" ما صيفته . انني لم اعثر للشوك على ذكر  
في كتاب من كتب التواريخ المصنفة في صدر الاسلام والظاهر ان الحال فيه  
كالحال في الكرك في بنائه وتملك الفرنج له الى ان فتح في الوقت الذي  
فتح فيه الكرك بعد حصار سنتين . واقطع مع الكرك للملك العادل سيف الدين  
ابي بكر بن نجم الدين ايوب بن شادى بن مروان الايوبي . ولم يزل في يده الى  
ان اعطاه ولده الملك المعظم صاحب دمشق فحصنه وحسنه ونقل اليه  
الاشجار من ساير الاقطار حتى صار يفاهي دمشق . ولم يزل في يده الى  
ان توفي . وانتقلت الى ولده الملك الناصر صلاح الدين داود صاحب دمشق .  
ولم يزل في يده الى ان سأل اياه الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل  
ابي بكر في مجلعه شراب فخرج له عنه وبقي في يده الى ان توفي . فقصد الملك  
الناصر داود صاحب الكرك واستعادته وبقي في يده الى ان قصد الملك الصالح  
نجم الدين ايوب فاستولى عليه . وبقي في يده ويد ولده الى ان قتل (١) في المحرم  
سنة ثمان واربعين وستماية . فاستولى الملك المغيـث عليه عند استيلائه على الكرك  
ولم يزل في يده الى ان ملك الملك الظاهر ركن الدين بيبرس (٢٧٢) الديار المصرية  
فسير اليه عسكرا وتسلمه من نايب الملك المغيـث

---

(١) مكتوبة في الهامش ايضا مكررة .

صاحب الكرك في شهر ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وستماية كما قدمنا شرحه . فلما كان في هذه السنة واستولى الملك الظاهر على الكرك وفعل ما قدمنا شرحه استناب بالكرك الامير عز الدين ايدمر مملوكة واستاد داره وكتب له تقليد بذلك . وازاد اليه النظر على الشوك واعمالها واعطاه ثلاثين الف درهم وجعله من القماش . ونزل من الكرك الى المخيم . ثم اصبح وطلع اليها ثم رجع منها الى مصر ومعه اولاد الملك المغيث وحريمه فلما وصل الى مصر امر ولد الملك المغيث العزيز عثمان وانزله في دار القطيعة بين القصرين .

• قال صاحب " كتاب نظم السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك " حاكيا عن جده القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سيره الملك الظاهر قال : وفي يوم الاربعاء تاسع عشر جمادى الآخرة توجه الملك الظاهر من الكرك مسافرا الى القاهرة المحروسة فدخلها في سابع عشر شهر رجب الفرد من سنة احدى وستين هذه السنة . وزينت المدينة احسن زينته وشق السلطان المدينة وفرش له القماش الاطلس والعنابي والنسيج وخلع على الامراء والمفاردة والمقدمين وجميع حاشيته وغلماؤه والمملوك كاتب السيرة . وكانت هذه السفرة من اعظم السفرات المسفرات عن السعادة المضاعفة والنعمة المترافدة ولم يسمع ان ملكا ساق في هذه الجيوش العظيمة الى ابواب عكا وطعن في اسوارها وهدم وحرق واخذ مثل الكرك ودبر امورها وملك البلاد الساحلية واستخدم عليها الوفا من العساكر واستجد لهم جيشا عظيما للاسلام في مدة قريبة . وهي من يوم خروجه من مصر الى يوم دخوله اليها خمسة وتسعون يوما وكيف لا والسعد قرينه ولطف الله يعينه والله اعلم .

#### ذكر السبب في قبض الملك الظاهر على بعض امراة

( ٢٨ و ) ولما قوض الله عز وجل الى السلطان الملك الظاهر ركن الدين

بيبرس الصالح السلطنة كما قدمنا شرحه فوخر امر المملكة للامير سيف الدين الرشيدى

في كل شيء وانفذ كلمته . واطلوه في جمعة خواتين من عنده يمدان له حتى ما  
الورد الى غير ذلك ورتب في كل شهر كلوتتين زركشا كل كلوته بخمسين دينار عينا  
وكلبندها بأربعين دينارا . وكل هذه زيادة على الاقطاعات العظيمة والمرتببات الكثيرة  
وعلى الانعام حتى جامكيات البرد دارية والفهادين وعليه خيلهم . واشتغل الرشيدى  
بالشرب وحمى حاشيته اشياء كثيرة من البلاد وصارت تصدر منه امور لانسر السلطان  
الملك الظاهر يكاسر عنها .

واما الامير عز الدين الدمياني فان الملك الظاهر اعطاه وزاده ومن جملة  
ما كان بيده نصف مدينة غزه زيادة . ورأى انه رجل كبير لا يتقدم احد عليه . وكتب  
له توقيعا انه اذا سافر في جميع المملكة لا يمنع شيئا يطلبه في الشام من غزه الى  
الفرات .

واما الامير البرلي فقد قدمنا ما كان من امره بحلب وغيره وكيف احسن الملك  
الظاهر اليه وعفاه عنه وامنه ووصل الى خدمته وما فعله معه . ولما سافر  
السلطان الملك الظاهر الى جهة الطور في هذه السنة كما قدمنا شرحه احسن الى  
هؤلاء الامراء احسانا كثيرا . وبلغ السلطان ان نية الرشيدى قد فسدت وتغيرت  
فجعل عليه عيونا تحفظ كلما يجرى منه . ولما جرى ما جرى من طلب السلطان الملك  
المغيث صاحب الكرك كما قدمنا شرحه وصل رسوله الامير اسد الدين ساد لوه استاذ  
داره الى السلطان يقول ان كتابا من الرشيدى (٢٨ ق) مع قاصد حضر الى عندي  
يقول لانه يحضر الى السلطان فانه يريد ان يقبض عليك . وقد قبضت القاصد . فكان  
جواب السلطان ان كان الملك المغيث حلف للرشيدى فلا يحضر وان كان حلف لي  
فيحضر . ولم يظهر السلطان للرشيدى شيئا من ذلك . وسرى السلطان الامير

بدر الدين بيسرى الى جهة الكرك فسير الامير بدر الدين المذكور الى السلطان يقول  
انني امسكت كتابا من الرشيدى الى الكرك يقول لانسلموا الكرك ويحسن لهم التوقف  
عن التسليم ويعرض عليهم الاتفاق معهم على انه يحضر اليهم هو يتسلمها وحفظها  
لهم ويكون هو عون لهم ويتفق معهم على افساد الحال كله . فكتب السلطان هذا  
كله وامر الامير بدر الدين بيسرى بالاحتراز التام والتحفظ .

ولما توجه السلطان الى الكرك كما قدمنا شرحه جعل على الرشيدى عيوننا  
فبلغ السلطان انه لما نزل الكركيين ونعمين طلب انه يركب في مالهيك واصحابه  
ويسبق الى الكرك يدخلها هجما . فركب السلطان اليه ونزل عنده ولاطفه ومازحه  
وما اظهر له شيئا من ذلك وركب السلطان وركب الرشيدى فقات الرشيدى ما قصده  
وجرد السلطان الامير بدر الدين الايدمرى ومعه جماعة كبير قوامهم بالتقدم لحفظ  
الطرق على الرشيدى لئلا يسبق الى الكرك وجهازه بدر الدين الايدمرى المذكور  
دهليزا مخلعا على البغال حتى يظهر للناس ما يخفي افعالهم ويقضي بسكون النفوس .  
وسار الامير بدر الدين وحفظ على الرشيدى الطرقات ونزل ( ٢٩ و ) السلطان بركه  
زيزا فبلغه ان الرشيدى عازم على شىء من ذلك وانه ربما يركب ويسوق الى الكرك  
فعمل السلطان معه خديعة حسنة . وذلك انه سير اليه احد خواصه يشره بأن  
الكرك قد تسلمت . فلما سمع الرشيدى ذلك اظهر فرحا وخلع على المبشر ووقف عن فعله .  
وبطلت حركاته . وساق السلطان الى الكرك واتفق ما قدره الله تعالى من فتوحها  
كما قدمنا وترتيب قواعدها والسلطان لا يزيد الرشيدى الا الاحسان والتقريب . ولما  
وصلت الخيل من جهة العربان تقادم طلب منه فسير له خيلا من اجودها .

ونزل السلطان غزه راجعا فقام ليسبح الوضوء على عادته . وتفرقت الخاصيكه

للوضوء والتسبيح لصلاة الجماعة على العادة . وقام السلطان يركع قبل الاذان واذا بالرشيدى قد اقبل في مقدار ثلاثماية فارس مستعدة من مماليكه والامير الدمياطي والامير البرلي . فما احتفل السلطان بهم ولا قطع صلاته . وسلم ولبس سيفه . ولم يجد احدا حاضرا الا الامير شمس الدين سنقر الرومي . فقال له السلطان : ما الذى رأيت ؟ قال : جماعة ما جاءوا في خيبر . وبعد هذا حضر الامير سيف الدين قلاوون الالفى بغير سيف الا في وسطه تركاشه لاجل الصيد فانكر السلطان ذلك منه . ففهم وراح وشد سيفه وركب فرسا جيدا ووقف . وتراجعت الخاصيكه والجماعة . وركب السلطان فأتى الرشيدى فوقف قريبا من السلطان في مكان ماجرت عادته بالوقوف فيه . فحضر الامير عز الدين اوغان الركني ، فقال للرشيدى : اراك في هذا المكان ، ما هذا مكان ياسيف الدين . واظهر انه في مزح . وما زال به حتى ساق من ذلك المكان وساق (١) (٢٩ق) الدمياطي والبرلي وتفرقوا . وكانت جرت من الدمياطي قضية اخرك وهي ان السلطان لما ملك الكرك ونزل اولاد الملك المغيث اعطاهم السلطان خلعا واقمشة وانعاما كثيرة وانزلهم في المنطرة التي في الوادى تحت الكرك قريبا من منزله السلطان . فسير لهم الدمياطي ضوا وجماعة يبيتون من حولهم بغير مرسوم الا ابتداء بنفسه . ثم حضر في الليل اليهم جماعة من مماليكه بالسيف ملثمين فكسروا الصناديق واخذوا القماش الذي كان السلطان اعطاهم اعتقادا منهم ان تقوم فتنة في الليل وشوشه في العسكر ولا يعلم احد انهم مماليك الدمياطي . واذا عوقب الدمياطي في ذلك قال انا سيرت حتى يحفظوهم وسيرت



الضوء فكشف الله ذلك وظهر القماش عند مالهيكه الخواص . فأطلع السلطان على القضية فتحدث معه الامير شجاع الدين المهندار فما سلمهم الدمياطي ولا انصف منهم . وقال : انا اغرم عنهم ماعدم . واحضر بعض القماش وقرر ان يقوم بدراهم عن بقية ذلك . والسلطان ساكت لا يتكلم بكلمة الا يحتمل هذا ويحترز على نفسه الى ان وصل الى الديار المصرية ودخل قلعته سالما واستقر بها . واصبح وطلب الامير الرشيدى . فاعثله وطلع الامراء الى الخدمة في اليوم التالي فقبض على الامير الدمياطي والامير البرلي وحسم هذه المادة . واحسن الى مالهيكهم وخواصهم واقربهم على اخبارهم . ولم يغير على احد منهم شيئا . ولا تعرض الى بيوت الامراء . وزاد الامراء الناصحين له على اقطاعانهم وامر من يستحق الامراء والله اعلم .

### ذكر وصول رسول الملك بركه

لما وصل السلطان الملك الناصر ركن الدين بيبرس الصالحى قريبا من غزه وهوراجع من الكرك ووصل اليه البريد من الامير عز الدين الحلبي نائب السلطنة بالديار المصرية يذكر وصول الكتب من الاسكندرية بوصول رسول الملك بركه . وهم الامير جلا الدين ابن القاضي ، والشيخ نور الدين ومعهما جماعة . ويخبر بوصول رسد الملك الاشكرى ووصول مقدم الجنوية ورسد السلطان عز الدين صاحب الروم . فكتب السلطان بالاحسان اليهم جميعهم ولما استقر السلطان في قلعته اجتمع بهم بحضور الامراء والناس وقروا كتبه التي ( ١ ) على يد الشيخ نور الدين ومضمونها السلام والشكر وطلب الاتحاد على هلاوون والاعلام بما هو عليه من مخالفة منكرك خان

---

( ١ ) " في الاصل " الذى " .

وشريعة اهله . وان كلما فعله من تلاف ( ١ ) النفوس بطريق العدوان منه . وانني قد قمت انا واخوتي الاربعة بحربه من سائر الجهات لاقامة منار الاسلام واعادة مواطن الهدى الى ماكانت عليه من العمارة وذكر الله والاذان والقرآن والصلاة واخذ منار الائمة والامة . ويلمس انفاذ جماعة من العسكر الى جهة الفرات لاساك الطريق على هلاوون . ويوصي على السلطان عز الدين صاحب الروم ويستمد مساعدته . وانفصل هذا . وحمل الى الرسل من الانعام ما لا يحصى عرسم بتجهيز الهدية الى الملك بركه من كل شيء على اختلافه يعمل لهم في اللوق دعوة واستمر تفقد هما في كل يومي سبت وثلاثاء يوما لعب الكرة بأصناف الانعام ( ٣٠ ق ) والاقمشة وكان ماسنذكره ان شاء الله تعالى .

ووصل ولد الملك المغني وهو الولد الاكبر واخوته وحرمه الى مصر . فأمر السلطان الملك الظاهر بماية فارس بمصر وخلع عليه واعطاه طبلخاناه واطلق لاخته وحرم والده جميعهم كلما يحتاجون اليه ولغلمانهم ولعمارفهم . وعمتهم الصدقات الشريفة الكبير والصغير . وكذلك جميع المفارده الكركية عوضهم عن مغلهم الذي كان في الكرك واعطاهم الاقطاعات . وكان حضر اليه الامير سيف الدين الرزاري وسأله بسبب تسلم الكرك فرآه السلطان في بعض الايام فطلبه واعطاه الف دينار عينا طلب بها املاكا فكتب عليها مكاتبه شرعية .

وفي يوم الجمعة ثامن عشرى شعبان من هذه السنة خطب الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي بحضور رسل الملك بركه ودعى للسلطان الملك الظاهر وللملك بركه وصلى بالناس واجتمع بالسلطان وبالرسل في . . . . . ( ٢ ) .

---

( ١ ) " اتلاف " في ابن عبد الظاهر ( ص ٨١ ) .

( ٢ ) كلمات غير مقروءة .

وفي ليلة الاربعاء<sup>\*</sup> ثالث شهر رمضان من هذه السنة سأل الملك الظاهر ركن

الدين بيبرس الصالح الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي هل لبس الفخوة من احد  
من اهل بيته الماهرين او من اوليائهم المتقين فقال : لا ، والتمس من السلطان  
ان يصل سببه بهذا المقصود ومنحه هذا الامر الذي من بيته بدا واليه يعود .  
فلم يمكن السلطان الا طاعته المفترضة وان يمنحه ما تان ابن عمه رضي الله عنه افترضه  
وان يحلي بالجواهر منضده ويقلد بالسيف مجردة ويعطي القوس لباريها ويسلم الصهوة  
لراقيها ويكون في ذلك كمحب الحلد للابسمها ومفتوح الحذوة لقابسها . ولم يرفى  
الليلة المذكورة بحضور من يعتبر حضوره في مثل ذلك . وباشر ذلك الاتابك  
فارس الدين اقطاعي بطريق الوكالة المعتمده عن السلطان ٠٠٠ (١) الامام المستنصر  
بالله امير المؤمنين ولد الامام الظاهر وابوه (٣١ و) لحداه الناصر رضوان الله عليهم  
لعبد الجبار يعلي بن دغيم ٠٠٠ الله بن ٠٠٠٠ لعمر بن الرصاص لابي بكر بن  
والحجر ٠٠٠ ابن السامار بن لقاب الطاج ، لتفسير العلوي لابي هاشم ابن ابي حيه  
لعمر بن السر ، لابي علي الصوفي " لمها " العلوي للقائد عيسى لامير وهران لروته  
الفارسي للملك ابي كبحار لابي الحسن النجار لفضل الفرقاشي للقائد شبل بن المكدم  
لابي الفضل القرشي للامير حسان لحوثر البزاري للامير هلال التهاني لابي مسلم  
الخراساني لابي العز النقيب لعرف " العادي " الحافظ الكندي لابي علي " النور " .  
لسلمان الفارسي صاحب سيدنا ونبينا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي  
قال له صلى الله عليه وسلم سليمان من اهل البيت للامام الظاهر النقي امير المؤمنين  
علي بن ابي طالب رضي الله عنه .

وحمل اليه السلطان من الملابس الشريفة لاجل ذلك ما يليق بجلاله .  
وفي الليلة الثانية حضر رسل الملك بركة الى القلعة والبسهم الخليفة بتفويض  
الوكالة للاتاك وحمل اليهم من الملابس ما يليق بمثلهم .

ذكر تجهيز رسل الملك بركة وسفرهم بهدية الملك الظاهر

قال صاحب كتاب " نظم السلوك في توارخ الدلفا " والملوك " حاكيا عن  
جده القاضي محي الدين بن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك الظاهر مامعناه :  
لما رسم السلطان الملك الظاهر بتجهيز الهدية الى الملك بركة من كل شيء  
على اختلافه كتب الملوك جواب الملك بركة في قطع النصف في سبعين ورقة بغدادية  
فيه الايات من كتاب الله تعالى واحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في  
التغيب في الجهاد وما ورد في مصر من الاحاديث والايات وفي قتال المشركين والافتداء  
بالنبي صلى الله عليه وسلم (٣١ق) في الجهاد . وفيه ذكر مواطن العبادات  
ومواضع الزيارة في سائر البلاد التي دعي له فيها شيء كثير . وجمع هذا الكتاب  
من الترغيب والترهيب والاستمالة والاغراء والتعاضد عليه واظهار الميل اليه . ووصف  
كثرة جنود الديار المصرية وما هي عليه وزيادة عساكرها عن المعتاد وانها كلها موافقة  
له في نصره الاسلام . وقرأت الكتاب على السلطان بحضور جماعة الامراء وهو يزيد  
فيه وكذلك الاتاك محلية ولما تكامل هذا الكتاب وتجهزت الهدية المباركة وهي ختمه  
شريفة ذكر انها خا عثمان بن عفان رضي الله عنه بغلاف اطلع احمر مزركش من درج  
أدم مبطن بعنابي وكوسي لها عاح وابنوس مخرم بسقط فضة وقفل فضة خروخ بندق  
كوامل عدة كثيرة . نمز لوقات للصلاة وسجادات الوانا متنوعة اكسيه لوانية ( ١ ) الوانا  
عدة من الاديم الدسوت والاقطاع المسروقة وسفر للشمعدانات جملة كثيرة سيوف

تلقورية بأسقاط فضيه • طوارق مدهونة • فوانير باغشية بندقي • منجنقات للشمع  
 مدهونة باغشية • فوانير فضة باغشية بندقي • صاروقات برسم الرماح للفوانير  
 الفضة كفايتها مشاعل جفتاه • وقواعد لها كفت جملة لجم كفت بروم محزوزه بشريط  
 محلاة بفضه وكوابح فضه مطلاة وانفار محلاة والباب بسروج خوارزميه ونمازينات برسمها •  
 جراوات يرغالي محزوزة بشريط • واسقاط فضه في قسي حلق دمشقية اوتار حرير قسي  
 بندق باوتارها • اجراء حرود (١) القروء البلق • شمعدانات مطعمه بفضه •  
 رماح قنا • اسنة حديد عربية • نصاب يد يع الصنعة في صناديق مجلدة • قد ويرام •  
 قناديل كبار • مدهونة رنت (٣٢ و) سلاسل فضه مطلاة • خدام • جوارى طبافات  
 ٠٠٠٠ (٢) عدة خيل جياذ سبق عبي عربيه كفايتها هجن ٠٠٠ (٣) دواب  
 فسر • لاتلحق وحمير وحشية • نساير معلمه الكوار للمرحن كفايتها • مقاود بسلاسل •  
 اجلال قصر للدواب وملاليه خطافي للنسانيس • زراف جن كله قمر معمور (٤) مصور •  
 وسير من ذلك كله عدد كثير • وغير ذلك انبيا • مستظرفه ونحف مستغربه ولطائف  
 لا يوجد مثلها في خزانه ملك • وصحبتها غلمان وما يقوم بهذه الحيوانات • وسلم  
 جميع ذلك لرسل السلطان واهتم به اهتماما كثيرا وهذا المصلحة الاسلام • وجهز  
 الامير فارم الدين اقوش المعونى والشرىف عماد الدين الهاشمي رسولين الى  
 الملك بركة واصحبهما هذه الهدية • والبسرسله الفتوه من مولانا الخليفة سلام  
 الله عليه • واحضرهما خطبته والصلاة خلفه والاجتماع به والحت على اقامة

- 
- (١) " الجلود " في ابن عبد الظاهر (ص ٨٢)  
 (٢) غير مرقوة في الاصل ولكنها بيناوات في ابن عبد الظاهر (ص ٨٣)  
 (٣) = = = = = نوبيه = = = = (ص ٨٣)  
 (٤) كذا في الاصل لكنها مخور في ابن عبد الظاهر (ص ٨٣)

فريضة الجهاد . وحملهما الوصايا للملك بركة والمشافهة والشكر لمصاعى السلطان وما هو يصدده من اقامة الشريعة وسد الذريعة ورفع منار الدين وجهاد المشركين وملازمة العفاف ومعاملة الرعية بالعدل والانصاف وما جمعه من العساكر والجنود التي ليس لها اول ولا آخر ما يعيد انه على الملك بركة . وجهاز لهما طريدة عظيمة جمعت من اصناف الحيوانات المسيرة هدية وما فيها من الاشياء الفاخرة . وجهاز فيها عدة كثيرة من الرماة والزرافين والجرحية وحمل معهم مؤونة سنة . وتقدم بأن يزار بهم مواطن العبادات . وكتب السلطان بأن يدعى له بمكة شرفها الله تعالى والمدينة النبوية على ساكنها افضل الصلوة والسلام والبيت المقدس وان يدعى له بعده في الخابيه وسير الى (٣٢ ق) مكة شرفها الله عمرة شريفه كتبها يعتزله بها . وسافروا في سابع عشر شهر رمضان سنة احدى وستين وقد شاهدوا من عظمة السلطان ما يهرعقولهم والله اعلم .

### ذكر توجه الملك الظاهر الى الاسكندرية

في السادس شوال من هذه السنة سنة احدى وستين وستمائة توجه السلطان الملك الظاهر ركن الدين ببيبرس الصالحى الى جهة بحر النيل المبارك وعدى الى الجيزية وصحبته خواج دولته الزاهرة واوليايه المتناصرة . ولما وصل الى تروجه اقام بها اياما . ثم دخل البرية بنصيد ويضرب حلقة صيد . فحصل له من ذلك شئ كثير . واهتم بأمر المياه والتساوى في ورودها فولى امرها احد حجاجه الامير شجاع الدين الزاهدى واحضر من الاسكندرية الرجال لحفر الابار ونزحها من الاكدار .

ولما قضي وطره من الصيد ورجع وقد سفك من دماء الوحوش ما عادت يسهفه من دماء اعداء الدين عاد الى تروجه • وتوجه منها الى الاسكندرية •

وكان صاحب الوزير بهاء الدين قد سبر الى الاسكندرية فأحسن الى اهلها وحصل جملا كثيرة للخزانة العالية • ومن جملة ما حصل خمسة وتسعين لفة قماشا • وحصل من الاموال ما لا يحصى كثرة ولم يضرب احدا •

• ولما وصل السلطان الى الاسكندرية ضرب خيمته خارج المدينة ونادى بأن لا يقيم في الشجر جندى ولا ينزل احد في دار فحصل للناس بذلك رفق • واستقر الناس في اوطانهم • وفي يوم الخميس مستهل ذي القعدة من هذه السنة دخل السلطان الاسكندرية من باب رشيد وتلقاه اهل المدينة واستدعى الخازن (٣٢٠) والامعة • وشرع في تعبئه ما يعنيه للامراء على قدر مراتبهم • ورسم بمكتوب برود مال السهمين وصلة ارزاق الفقراء • وكان اهل الاسكندرية قد كثر همهم بسبب استخراج ربيع دينار على كل قطار يباع • فخطاه منهم وابطله عن الرعية ولعبب الدره فخلع على الامراء واعطى الاتاك ثلاثة الاف دينار واعطى الامراء مثل ذلك واقل من هذه الحملة على طبقاتهم الى مائة دينار •

وركب السلطان لزيارة الشيخ الصالح القناوى وحضر شخص وقال ان الشيخ استوزن على حضور السلطان اليه والطلوع الى قصره فأذن لهم ثم حضر آخر وقال : لا سبيل الى الطلوع ولا الى كلامه الا من اسفل البستان •

واتى لزيارة الشيخ الصالح الشاطبي وعاد في البحر الى سرير سلطانه •

وكان قد حضر شخص يقال له ابن البورى وادعى ان بالشجر اموالا ضائعة واعطاه بها اوراقا • وكذلك رجل اخر يعرف بالمكرم ابن الزياد كتب اوراقا • فاستدعى السلطان في يوم الثلاثاء سادس ذي القعدة الشهر المذكور الاتاك والصاحب والقاضي والفقه

وقرأت الاوراق . وصار السلطان كلما فتح له باب عظمه سده . ويعود على المذكورين بالانكار . ولقد قال السلطان : اعلموا اني تركت لله تعالى الف دينار من التصقيع والتقويم والراجل والعبد والجارية وتقويم النحل وعوضني الله من الجهات الحلال اكثر منه . وطلبت حرايد الحساب فزادت بعد حط المظالم جملة . ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا وامر باشهار ابن البيورى .

وفي يوم الاربعاء سابع ذى القعدة الشهر المذكور وردت الكتب من جهة البيرة وحلب بأن جماعة مستأمنة واردة الى الباب العزيز فوق الالف وثلاثماية فارس (٣٣ ق) من المغل والبهادرية . فكتب السلطان بالاحسان اليهم وكان ما سنذكره ان شاء الله تعالى .

وفي يوم الخميس ثامن ذى القعدة الشهر المذكور جلس السلطان الملك الظاهر بدار العدل بالاسكندرية وبسط المعدله وامر بعد ذلك بتطهير الشجر من الخواطي الفرنجيات .

وفي يوم الاثنين ثاني عشر ذى القعدة الشهر المذكور توجه السلطان الملك الظاهر عايذا الى مستقر ملكه بالقاهرة المحروسة . ونزل تروجه وامر عربانها بالسباق بالخيول . فاجتمع من عربها لانير الفا فارس واجتمع اليها حملة من خيل العسكر . وكان مداها من المرقب الى التل قريب تروجه . ووقف السلطان بالتل واوقف الرماح وعليها الثياب الاطلسي والعنابي ، وفيها المال . فلم يكن غير ساعة واذا بالخيول قد اقبلت كأنها العقبان فأخذ كل راكب حصل للسباق ولم تطمع عينه الى شيء من الخيل . ولما حل السلطان الملك الظاهر بر مصر زاد النيل واستمرت زيادته . . . . .



لا عجب للنيل ان زاد من ( ١ ) بعد انتفاص كان فيه الحذار  
فمقدم السلطان وافي به وانما السحب تمد البحار

ولما وصل السلطان من الاسكندرية الى مصر مقر ملكه اعاد الفكرة في قضاء  
الشجر المحروس وراى توليته لرجل غريب . فوقع الاختيار على الفقيه العالم برهان الدين  
المالكي وهو رجل زاهد عابد ياتى في مسجد بمصر . فقلده القضاء بالاسكندرية وتوجه  
اليها . وفوت الناطبة للقاضي زين الدين ابن ابي الفرج الذى كان حاكما . وصلح  
الحال بهذا التدبير .

وفي آخر ذى القعدة الشهر المذكور نزل السلطان الملك الظاهر الى القاهرة  
المحروسة فعاد الامير سيف الدين ( ٣٤ و ) قلاون الالفى والامير علاء الدين الحاج  
ابدغدى الركنى والامير حسام الدين بن بركة خان . وعاد الى قلعته سالما .  
وفي ليلة الاربعاء الخامس من ذى الحجة من هذه السنة توفي الامير حسام  
الدين ابن بركة خان ونزل السلطان وحضر جنازته ومشى فيها والله اعلم .

### ذكر وصول التار المتأمنين الى القاهرة المحروسة

قد قدمنا ان الكتب وردت من جهة البيرة وحلب بأن جماعة من التار مستأمنة  
واردة الى الباب العزيز واهتم السلطان بوصولهم وتجهيز الاقامات لهم . وفي يوم الخميس  
السادس من ذى الحجة الشهر المذكور وصلوا فركب السلطان الملك الظاهر لتلقيهم  
والملايكة والملوك به محيطه والعه الاسلاميه به محوطه . ولما قرب التار شاهدوا  
السلطان وهو كالبدر ليله كماله والاسد بين اشباله نزلوا وقبلوا الارض . قال صاحب  
"نظم السلوك في توارينه الخلفاء والملوك " : الواجب الدعاء لملك نصر الاسلام

واعزه بعد الاهتضام • فانه فروق بين ملك تقبل ملوك التتار الارضيين يديه وهو راكب  
وبين ملك كانت التتار تطلب منه حضور الحرم في المشارب وبين ملك تهاده ملوك الاسلام  
والكفر وتطالب منه الرضى والغفران وملوا تهادى ملوك الكفر تطلب منهم الامن والامان •  
وبين ملك تسلم من الكفر البلاد والحصون وبين ملوك سلما الكفر من البلاد والقلاع والحرم  
والاولاد والاموال كل مصون • وكان قد عمرت لهم مساكن باللوق فانزلوها • وفي يوم السبت  
الثامن من ذي الحجة الشهر المذكور لبسوا الخلع • وانفق ان السلطان نزل في السحر  
الى تربة حسام الدين ابن بركه خان ووافوه عند باب الجامع الصالحى وشاهدوا (٣٤ق)  
على باب زويلة رأس كتبة ائوين مقدم عسكر التتار المقتول بعين حالوت وغيره من اكابر  
التتار المتعلقة على علو الباب • فنظم صاحب "كتاب نظم السلوك في تاريخ الخلفاء والملوك" (١)

يامليكا له الحسام المبيد	وكريما له العطاء المفيد
لك سيف به الغوي شقي	ونوال به الولي سعيد
شاهد الناس منك ياملك الارض	امورا لها يلين الحديد
شاهدوا منك اذ ركبت من	جامع الصالح نصر يمت الحسود (٢)
فرووس على الشرايف قتلى	ورؤوس على التراب سجود
حيزوا في التتار في خلع منك	وكسل صنايع وعبيد
وراوا منهم رؤوسا على السور	بحكم الرماح امست تميد
هذه قد عصت وهذى اطاعت	هكذا هكذا يكون السعود
دمت ترفى لك الحياة صعيدا	كل يوم لها اليه صعود

واقاموا في الاحسان يتقلبون وكل منهم يقول لما يشاهد من الخير ياليت قومي

يعلمون •

---

(١) في ابن الظاهر (ص ٨٧) ما يدل ان الشعر لابن عبد الظاهر نفسه •  
(٢) كذا في الاصل وقد اسقطت كلمة "جامع" في ابن عبد الظاهر (ص ٨٧) لاستقامة الوزن  
راجع ملحوظة ٢ ص ابن عبد الظاهر (ص ٨٧) •

قال صاحب " كتاب نظم السلوك في تاريخ الخلفاء والملوك " حاكيا عن جده  
القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سير الملك الظاهر ماصيفته : ووصلت  
الكتب بقوم جماعة اخرى كثيرة منهم . فاحتفل السلطان بهم وركب لتلقيهم ثم ورد جماعة  
اخرى فاعتمد معهم الاعتماد . وكان الواصل الى الخدمة في هذه الثلاث مرار من  
امرائهم الاكابر كرمون آغا الذي فتح بلاد الترك جميعها . وامتعاغا (١) ونوكا آغا وجبراك (٢)  
آغا وقنان (٣) آغا . وطبشورونا سغيه ونيتو (٤) وصحتي وخوجلان واجقرقا (٥) وارقراق (٦)  
وصلاعية (٧) وميقدم (٨) . واجتمعوا بمن كان وصل قبلهم من امراء التتار . وهم صراغان  
آغا ومن كان وصل معه . وصار كل منهم لوقته اميرا ثم ان السلطان عرض عليهم الاسلام  
فأسلموا على يده الشريفة وطبروا جميعهم فنظم الملوك في ذلك (٣٥ و) :

يا مالك الدنيا الذي	اضحى صاحبا للامم
يا من محبا بالعدل	للاظلم فينا من ظلم
يا من يساق له التتار	غنيمة مثل الغنم
خافوا سيوفك انها	ستسوقهم نحو النقم
فأتوا لبابك كلهم	يأوون منه الى حرم
امنوا به ما يخاف	من البلايا والسقم
جعلوا جنابك جنة	وترى خيولك مستسلم

- 
- (١) في الاصل " وامغاغا " . وكذا في ابن عبد الظاهر (ص ٨٨) .  
(٢) = " وجرال " . لكنها جبرال في ابن عبد الظاهر (ص ٨٨) .  
(٣) في الاصل وقبان لكنها " قنان " في ابن عبد الظاهر (ص ٨٨) .  
(٤) كذا في ابن عبد الظاهر (ص ٨٨) وفي الاصل " وسو " .  
(٥) " واحقرقا " في ابن عبد الظاهر (ص ٨٨) .  
(٦) وارقراق في ابن عبد الظاهر (ص ٨٨) كذا في الاصل وصلاعية في ابن عبد الظاهر (ص ٨٨) .  
(٨) كذا في ابن عبد الظاهر (ص ٨٨) وفي الاصل ومقدم .

بسطوا يميننا للهداية	طالما خضبت بدم
اعطيتهم مالالمؤلفة القلوب	من القسم (١)
لازلت ياملك الزمان	لك الملوك من الخدم

وفي هذه السنة تقدم الامير بها الدين اميرا خور احد قراني السلطان وخواصه بضرب مناديه سوف الخيل لامر جرء منه فيما يتعلق بالاسطبلات وما يشتري لها من الخيل . فضرب احدهم وحمل الى بيته فمات . فعز هذا الامر على الملك الظاهر . فهرب الامير بها الدين واستخفى واستتر عن الامير سيف الدين قلاون الالفى لتقع فيه شفاعة . فدخل على الاتاب فأخرج الاولاد المتوفي من ماله خمسة الاف درهم ومائة اردب غلة وكسوة . فأبراه مستحقوا الارث واقرؤا ان اباهم مات بقضاء الله وقدره . ودخل الاتاب الى السلطان وتحدث في امره . فغضب السلطان . فقال له الاتاب تغضب والشرع الشريف معنا . فان كان هذا قتل عمدا او خطأ هذا الابرا " وعند ذلك شفع الامراء الاكابر . فسكت السلطان سكوت من اسكته الحق . وهذا فعله في حق اقرب اوليايه اليه فكيف الابعاد .

وفي (٣٥ق) هذه السنة امر الملك الظاهر ركن الدين بيبزر الصالحي بعمل جامع خام يضرب على يمينه الخيمة السلطانية . فعمل وعمل له محاريب وعدة ابواب . وعملت فيه مقصورة برسم علاة السلطان . وامر السلطان بعمارة دار العدل تحت قلعة الجبل وتجديد بنايها .

وفي هذه السنة وصلت رسل صاحب اليمن بتقاديمه . وذكر الرسل ان معهم هدايا لخواص الامراء تقربا لخاطر السلطان . فأمر بارسالها الى من عينت له . واذن للامراء في قبولها .

وفي هذه السنة عرض السلطان الملك الظاهر العساكر وجلس لذلك في كل خميس  
واثنين ولم يجز عرض احد حتى حقق النظر . واما حنديل اشتكى من مخدومه امر بانصافه  
منه .

قال صاحب "نظم السلوك في تاريخ الخلفاء والملوك" ماصيغته : وفي هذه  
السنة نظر السلطان في كثرة الناس وان القاهرة هي دار الملك وقد جمعت اهل  
المذاهب من العلماء فأمر بنصب اربعة قضاة نوابا للقاضي تاج الدين فاستناب قاضيا  
حنفيا وقاضيا مالكي . ولقله الحنابلة لم ينصب قاضي حنبلي بل جعل لهم عاقد .  
فوجد الناس بذلك راحة " انتهى كلامه . وقد قدمنا انه استناب ثلاث نوابه  
حنفي ومالكي وحنبلي والله اعلم اى ذلك كان .

وفي هذه السنة جهز الملك الظاهر عرب خفاجه . وسير الخلع الى كبرا العراق .  
وكتب الى صاحب شيراز ونيره بالانغرا بهلاون . وكانت وصلت جماعة من امراء خفاجه  
فالبسهم السلطان الفتوة وجهز معهم الامير عز الدين الاناك رسولا الى شيراز  
وغيرها صحبة امراء عرب العراق .

قال صاحبنا الامير صارم الدين ابراهيم بن الامير ناصر الدين محمد بن الامير  
عز الدين ايدمر دقماو في تأليفه " نزهة الانام في تاريخه (٣٦ و) الاسلام " ماصيغته :  
وفيها في العشر الاول من صفر جمع تكفور صاحب سيس جموع كثيرة خيلا ورجلا وخرج  
من سيس وانار الى بلد العمور وجبل ومصرة النعمان وسرمين والقوچه . وذلك بدلالة رجل  
من اهل القوچه يعرف بأبن ماجد القوعي . فأخذ من القوچه ثلاثماية وثمانين  
نفرا . وكبس سرمين وكان بها من الامراء المجردين بها الدين الخضر الحميدى  
والذكي عيسى العروى وعلم الدين قيصر الظاهري فانحازوا الى دار الدعوة بسرمين .

واجتمع عليهم خلق كثير وحاصروهم • ثم ان الاميرزكي الدين عيسى ركب وركب الامراء  
رفقته • وفتح باب للدعوة وخرج وحمل فيهم فصادف في حملته صاحب سپيس ولم يعرفه  
فرماه عن جواده فتغللت لاجله عزائم اصحابه فولوا هاربين لا يلوى احدا منهم على  
احد وخلص الماسوريين •

وفيها حدثت زلزلة عظيمة في شهر رمضان بالموصل اخرت اماكن عظيمة وهدمت  
ادر كثيرة • ووعلت اخبارها الى البلاد الشاميه وما حصل للناس منها من الضر •

وفيها جهز السلطان الملك الظاهر من القاهرة المحروسة الى المدينة  
النبوية على ساكنها افضل الصلاة والسلام جماعة من ارباب العماير من بنائين ونجارين  
ونشارين وعتالين واخشاب والات • وحمل ذلك في البحر لاجل عمارة الحرم الشريف  
النبوي • وعمل السلطان كسوة للكعبة المشرفة وحمل الكسوة على البغال وطيف بها  
البلدين • وركب معها الخواص وارباب الدولة والقضاة والمدرسين والقراء والصوفية  
والخطباء والائمة • وسافر من تسلمها بها الى مكة المشرفة في العشر الاوسط  
من شوال وفوض امر العمارة لزين الدين ابن البوري •

(٣٦ق) وفيها جاءت الاخبار الى الديار المصرية بأن الفرنسيين كان قد  
جمع جمعا من الفرنج وقصد الديار المصرية لما في قلبه من الكسرة الاولى بدمياط  
كما قدمنا شرحه • فأشار عليه بعض اصحابه بقصد تونس بالغرب اولا • فاذا ظفرت  
بها تمكنت من قصد الديار المصرية برا وبحرا • فلما نازلها بنك العساكر الكثيرة  
التي جمعها وكان يستولي عليها اوقع الله تعالى في عسكره الوبا • فهلك الفرنسيين  
وجماعة من الملوك وكثير من اهل العسكر وصاروا الى جهنم وبئس المصير • ورجع من  
بقي منهم الى بلادهم بالخبيثة •

وفيها اخذ قاع البحر خمسة اذرع وسبع اصابع وانتهت الزيادة الى سبع عشرة ذراعا وثلاث اصابع .

٦٦٢ هـ (١٢٦٣٢ - ٢٣ ت ١ ١٢٦٤ )

٣٧) ذكر الحوادث في سنة اثنتين وستين وستماية .

قال صاحب " نظم السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك " استفتح السلطان هذه السنة بالعدل والانصاف وحضر الى دار العدل . فوقف له ناصر الدين بن ابي نصر وشكى انه اخذ له بستان في الايام المعزية وهو بأيدى المقطعين . واخرج كتابا مشبوتا واخرج حال من ديوان الجيوش المنصوره بأن بستانه ماهو من حقوق الديوان . فأمر السلطان برده عليه . فرد اليه ماكان غضب من حقه . واطلع نجم الحق من افقه " .

قال " واحضرت ورقة مختومة فكشف عن من احضرها فوجد محضرها خادم اسود فقرئت فوجد فيها مرافعة في القاضي شمس الدين شيخ الحنابلة يذكر فيها انه يخضر السلطان ويتمنى زوال دولته . وسبب ذلك ان السلطان ماجعل للحنابلة مكانا في المدرسة التي انشأها بين القصرين داخل القاهرة المحروسة بجوار قبة الملك الصالح نجم الدين ايوب . ولا جعل حنبليا قاضيا . وتحدث في اشياء قاذحة في الشيخ المذكور . فقرئت على الشيخ فحذر ان ذلك ما جرى منه شيء . وقال : هذا الخادم كان بخدمتي وطردته . فقال السلطان ولو شتمتني انت في حل وامر بضرب الخادم فضرب مائة عصا " .

وامر بان ينادى في القاهرة ومصر بأن امرأة لاتتعم بعمامة ولا تنزى بزي الرجال . ومن فعل ذلك بعد ثلاثة ايام يسلب ما عليها من الكسوة .

وفي اول هذه السنة طلب السلطان الطواشي شجاع الدين مرشد الحموي فحضر

الى الابواب الشريفة . فتحدث السلطان معه في اشتغال صاحبهما بالملاذ .  
وقال له قد كتبت اليه انبهه من هذه الفعلة . وطلبت شرف الدين عبد العزيز  
شيخ الشيوخ وسيرته اليه في هذا (٣٧ق) الامر فما افاد . وقال له : انا اعتمدت  
عليك في مصلحة هذا البلد لما فيكم من دين وخير وشجاعة . وقرر معه انه يلتزم  
بتكميل الاستخدام وان يلزم الاجناد باقامة التبرك والعدة الكاملة . فالتزم بهذه  
الامور وكتب له تقليد شريف وتوجه .

وفي المحرم من هذه السنة وصل الامير جمال الدين بشكر ولد الداودار .

وكان ابوه المجاهد داودار الخليفة ببغداد . وكانت له نعمة عظيمة ومماليك  
وغيرها فأحسن اليه السلطان الملك الظاهر واعطاه طيلخانة .

### ذكر حضور اهل العلم بالمدرسة الظاهرية

كان السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي امر بإنشاء مدرسة بخط

بين القصرين داخل القاهرة المحروسة بجوار من المدرسة الصاحية مدفن استاذ الملك  
الصالح نجم الدين ابوب . فلما تكملت عمارتها فوض تدريس السادة الحنفية للصدر مجد  
الدين عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين ابن العديم ، وتدريس السادة الشافعية  
للشيخ تقي الدين ابن عبد الله محمد بن الحسن ابن رزين والتصدر للاقرا الفقيه  
كمال الدين المحلي . والتصدر لافادة الحديث النبوي الفقيه شرف الدين عبد المؤمن  
بن الشيخ خلف بن ابي الحسن بن شرف الدين خضر بن موسى الدمياني . فلما  
كان يوم الاحد الخامس من صفر من هذه السنة وقال صاحبنا الامير صارم الدين ابراهيم



بن دتماق : كان جلوسهم في يوم الاحد سابع عشر صفر او سادس عشره . اجتمع اهل العلم بالمدرسة الظاهرية وحضر القراء وجلس اهل الدروس كل طائفة في ايوان الشافعية بالايوان القبلي والخفية بالايوان البحري الذي تجاهه واهل الحديث بالايوان الشرقي ومن يقرأ بالروايات السبع بالايوان الغربي . وفي هذا الايوان جماعة يقرء السبع بعد صلاة الصبح . وذكروا الدروس ومدت الاسمطه لهم . وانشد الشيخ جمال الدين ابو الحسين الجزار .

الا هكذا بيني المدارس من بنا	ومن يتغالي (١) في الثواب وفي الثناء
لقد ظهرت للظاهر الملك همة	بها اليوم في الدارين قد بلغ النساء
تجمع فيها كل حسن مفترق	فراقت قلوبا للانام واعيننا
ومذ جاوزت قبر الشهيد فنفسه	النفيسة منها في سرور وفي هناء (٣٨و)
وما هي الاجنة الخلد ازلفت	له في غد فاخترت تعجيلها هنا

وانشد الشيخ سراج الدين الوراق قصيدة منها .

ملك له في العلم حب واهله	قلله حب ليس فيه ملام
فشيدها للعلم مدرسة غدا	عراق اليها شيق وشام
ولا تذكرن يوما نظاميه لها	فليس يضاهي ذا النظام نظام
ولا تذكرن ملكا ويبرر مالكا	فكل ملك في يديه غلام
ولما بناها زعزعت كل بيعة	متى لاح صبح فاستقر ظلام
ومذ برزت كالروضر في الحسن انبات	بأن يديه في النوال غمام
الم تر محرابا كان ازاهرا	تفتح عنهن الغداة كمام

(١) " يتغالي " في ابن عبد الظاهر (ص ٩٢)

وانشد الشيخ جمال الدين يوسف بن الخشاب

قصد الملوك حماك والخلفاء      فافخر فان محلك الجوزاء  
انت الذي امراءه بين الوري      مثل الملوك وجنده امراء  
ملك تزينت الممالك باسمه      وتجلت بمدحه الفصحاء  
وترفعت لعلاه خير مدارس      حلت بها العلماء والفضلاء  
تبقى كما يبقى الزمان وملكه      باق له ولحاسديه فناء  
كم للفرنج وللتتار ببابه      رسل مناها العفو والاعفاء  
وطريقه لبلادهم موطوءه      وطريقهم لبلادهم عذراء  
دامت له الدنيا ودام مخلدا      ما اقبل الاصبح والامساء

فرسم لهؤلاء الشعراء بالتشريف . وكان يوما مشهودا . واوقف السلطان  
بهذه المدرسة خزانة كتب حمل اليها امهات الكتب في سائر العلوم وبنى فيها  
مكتبا لتعليم الايتام واجرى عليهم الخبز في كل يوم والكسوة في الفصلين .

وفي صفر الشهر المذكور وصل الحجاج مخبرين بأنه خطب للسلطان الملك  
الظاهر بمكة المشرفة . وتسلم الصدر جمال الدين حميد ابن الموصلي كاتيب  
الانشاء الشريف المتوجه الى مكة المشرفة نائبا بها مفتاح للبيت المقدس المشرف  
وقفله بالقفل المسير صحبه واباح البيت الشريف ثلاثة ايام بغير شيء . ولا يؤخذ  
(٣٨ق) من احد درهم واحد . وكتب الله له في هذه الحسنة التي عامل الرعية  
فيها بالاحسان والحسنى . وجعل البيت مثابة للناس وامنا .

وفي صفر الشهر المذكور قرئ كتاب وقف الخان بالقدس الشريف بحضور السلطان  
الملك الظاهر وقاضي القضاة ناج الدين . وحررت شروطه بين يديه . وكتبت بذلك  
عدة نسخ . وكذلك اوقف اصطبلين تحت القلعة يعرف احدهما بجوهر النوبي  
وحبسهما على وجوه الجنير .

وفي صفر الشهر المذكور وردت كتب الامير عز الدين استاد الدار  
نائب السلطنة بالكرك بانه رتب روائب الخليل عليه وعلى سيدنا  
ونبينا محمد رسول الله الصلوة والسلام . ورتب الاسمطة والضيافة  
للوافدين . وكان ذلك قد قطع من مدة طويلة . وعد ذلك من  
حسنات دولة الظاهر .

وفي صفر الشهر المذكور خرج الملك الظاهر متصيدا الى جهة  
اوسيم وتوجه منها الى الغربية . وشكى اهلها من واليها الامير  
ابن الهمام وصار السلطان يركب للصيد ثم ينفرد وحده متخفيا  
وسائل عن حال الامير ابن الهمام المذكور وحال نوابه وعلمائه وعن  
المباشرين ولما تحقق سوء اعتقاده قبض عليه وادبه وعزله وولى  
غيره .

واطلع على ان رجلا من نصارى القبط يعرف بابن حلوف يظلم  
الناس ويؤذيهم فأمر بالقبض عليه وشنقه . قال القاضي محي  
الدين ابن عبيد الظاهر مؤلف سيرة الملك الظاهر : كان  
المذكور نقل عنه تعرض الى ذكر رسول الله صلى الله عليه  
وسلم بما لا يليق بشرف النبوة فأسلم ثم ارتد .

وتوجه السلطان الى دمياط وزار البرزخ ثم عاد الى اشعوم الى منزلة ابن

حسن ( ٣٩٠ ) وتصيد بها ثم عاد من جهة الشرق .

وفي صفر الشهر المذكور سأل الفرنج نواب السلطان الملك الظاهر بالشام

انهم يأذنون لهم في زراعة البلاد وتقويتها من اموالهم . وهي جملة كبيرة من

الغلات . فتقررت الهدنة معهم الى ايام الحصاد . وهي مصلحة ظاهرة لانهم

يخرجون من دوايرهم جملة من الغلات ويكون كما قال الله تعالى : " فسينفقونها

ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون " ( ١ ) وعند استوائها تحصد سيوف الاسلام

روءوسهم قبل حصادها وينفذ امر الله فيهم نقادهم في انقادها .

• ذكر وفاة الملك الاشرف صاحب حمص واستيلاء الملك الظاهر على بلاده .

في يوم الجمعة حادى عشر صفر من هذه السنة توفي الملك الاشرف

مظفر الدين موسى بن الملك المنصور ابراهيم بن الملك المجاهد شيركوه بن الامير

ناصر الدين محمد بن اسد الدين شيركوه بن شادى بن مروان صاحب حمص . ولم

يكن له ولد ولا اخ ولا ولي عهد . فسير السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس

الصالحى صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية الى نوابه بالشام يتسلم بلاده .

فوصل البريد في سابع عشرين صفر الشهر المذكور بأن الامير بدر الدين بيلبك

العلائي احد الامراء قد تسلمها وحلف الناس بها للسلطان الملك الظاهر وكنللك

الرحبة والدير . وكان المسير الى الرحبة خاصة عشرين الف دينار عينا .

وفي هذا التاريخ ورد كتاب الامير جمال الدين النجيبى يذكر انه ولي

حوران للامير جمال الدين الحاكم . وولي الرقة لامير اخر .

وفي هذه السنة بلغ السلطان الملك الظاهر ان صاحب د هكت وصاحب سواكن  
يتعرضان (٣٩ق) الى اموال من يتوفى من التجار في تلك البحار . فمسير اليهما بدر  
الدين ابن الدايه احد رجال الحلقة المنصوره رسولا بهذا السبب والانكار عليهما  
لتعرضهما لاموال من يتوفى من التجار .

قال صاحب "كتاب نظم السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك" وفي هذه  
السنة ثمن القوط الذي قضته الخيول السلطانية وجمال المناخات فكان ثمنه  
خمسين الف دينار " قلت : وكثرة الخيول قد ندب الله اليه . و اشار في كتابه  
العزیز الى الاستكثار منها . قال الله تعالى " واعدوا لهم ما استطعتم من قوة  
ومن رباط الخيل (١) وقال النبي صلى الله عليه وسلم : الخيل معقود بنواصيها  
الخير الى يوم القيامة . والخيول لثلاثة هي لرجل اجر وللاخر ستر ولاخر وزر .  
فاما التي هي له اجر فرجل ربطها في سبيل الله فما نغيت في بطونها  
فهي له اجر ولورعاها في مرج كان له لكل شيء نغيت في بطونها اجر . ولو  
استسقت شرفها او شرفين كان له بكل خطوة خطتها اجر . ولو عرس لها نهـر  
فسقاها منه كان له بكل قـره نغيتها في بطونها اجر حتى انه ليذكر الاجـر  
في اروائها وابوالها . واما التي هي له ستر فرجل يتخذها تعففا وتكرما  
وتجملا . ولا ينسى حق ظمورها وبطونها في عسره ويسره . واما الذي هي  
عليه وزر فرجل يتخذها اسرا ويظرا لا يربطها في سبيل الله ليركب عليها المجاهدين .

ذكر جلوس الملك الظاهر بدار العدل عند غلو الاسعار وما فعله

من الرفيق بالناس

في هذه السنة علت الاسعار ووصل الاردب العم الى قريب المايـة

درهم نقرة • فرسم الملك الظاهر بالتسوير البيا للوفو فاستد الحال وعدم الخبز  
(٤٠ و) فأمر السلطان بالنداء بالاحتفال الفقراء تمت القلعة • وقيل استند  
الفضاء بمصر واعمالها قبل الازدب القمع بمصر مائة درهم وخمسة دراهم والتعمير  
سبعين درهم والخبز كل ثلاثة ارطال بدرهم • واللحم كل رطل بدرهم وثلاث  
وبيع القمح بالاسكندرية كل اردب بثلاثمائة درهم وعشرين درهما • ثم استند  
الظاهر بالناس الى ان اكلوا من الفضة والكروبة وقرى الكراب ورحوا الى السير  
فأكلوا عروق الفول الاخضر •

فأحسن الملك الظاهر السياسة • ونزل في يوم الخميس سابع شهر  
ربيع الاخر من هذه السنة الى دار العدل • فأول ما تحدث فيه امر الغلة  
ويطل التسعير • وكتب الى الامراء ببيع خمسمائة اردب كل يوم بما يقدره الله  
تعالى من زيتتين فما دونها لثلاثين من هذه الازنان بل يباع على النصف والارامل •  
ونزل حجابيه الى تمت القلعة وكتبوا اسما الفقراء • ثم سير الى كل جهة حاجبا  
لكتب الاسماء في القاهرة ومصر وحوارها • وقال : والله لو كانت عند غلطة  
تكفي هذا العالم لفرقتها • فلما عد العالم وحسروا اخذ السلطان الوفا واعطى  
لنواب ولده الملك السيد كذلك واحضر ديوان الحيور وكتب الاسماء واعطى لكل  
امير جماعة على قدر عدته وفر الفقراء على الامراء والاحتاد ومفارقة القلعة  
والمقدمين والبحرية • ونزل القرومان نارية • وكذلك الاكراد البلديين • فرسم  
بأن يعطى لكل فقير كفاية مؤنته مدة ثلاثة شهور • وتسلم نواب الامراء الفقراء  
وكذلك الاكابر والفقراء والشمود والناس على اشد احوالهم ونسرف السلطان من  
شؤنته القمح على ارباب الزوايا • فرسم ان يفوز في كل يوم للفقراء مائة اردب  
مخبوزة لجامع احمد بن طولون • وكان في هذا الفعل (٤٠ ر) ستر الوجوه

عن الكدية • وقال السلطان : هو "لا" المساكين جمعناهم اليوم وقد انقضى نصف النهار فليعط كل منهم نصف درهم يتقوت به خبزا • ومن غد يتقرر الحال • فأنفقت فيهم جملة كبيرة لهذا القدر خاصة • قال تعالى فيما ورد من الاخبار : والراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء •

قال صاحب " نظم السلوك في تراجم (١) الخلفاء والملوك " مامعناه : اخذ صاحب جماعة العميان واخذ الاتاب التركمان ولم يميز احد من الخواصر ولا من الحواشي ولا من الحجاب والولاة واصحاب المناصب وذوى المراتب والثروة حتى اخذ جماعة وذلك بحسن تلطف من السلطان • وقال للامير صارم الدين المسعودي والى القاهرة : اخذ مائة فقير اطعمهم لله • فقال : فعلت ذلك واخذتهم دائما • فقال السلطان : ذلك فعلته ابتداء من نفسك وهذه المائة افعلها لاجلي • فأخذ مائة فقير ثانية • وشرع الناس في فتح الاهراء والمخازن وتفرقة الصدقة •

ولقد وصل الاردب القمح في الغلاء الكائن في سنقبع وتسعين وخمسمائة في الايام العادلية بولاية عهد الملك الكامل الى ثمانين درهما نسقة كل اردب • واكل الناس بعضهم بعضا وما دبر احد هذا التدبير الحسن • وكذلك الغلاء الكائن في زمان المستنصر العلوي عم الجوع والبلاء الناس حتى ان الوزير ركب الى دار الوزارة فاخذت بغلته واكلت للوقت • فأخذ آكلوها وشنقوا فأكلوا على الخشب • وزاد السعر في هذه السنة كما قدمنا شرحه • وما جرى الا الخير بنية السلطان • ونزل السعر عشرين درهما وقلت (٤١ و) الفقراء وكثر الخيسر •

---

(١) وردت " تاريخ " في جميع الامكنة الاخرى من هذا الجز •

وقال بن راحل التاريخ : فزن السلطان الفصالي على الاغنيا والامراء  
وان اخذ لنفقه مائة وتولى الملك السعيد مسماية ولنايبه بيليد الحازندار  
ثلاثماية دام الفداء ودام ما رتبته السلطان الى ان دخل شهر رمضان ودخلت الفلال  
الحديدة • ومن اعجب ما يحكى ان السمر انحد في يوم واحد اربعين درهم الارdeb  
ورقا • فسبحان المتصرف في خلقه كيف يشاء •

وفي اليوم الذي جلس فيه السلطان بدار العدل وفعل ما قدمنا شرحه

قرأت قصة على السلطان من كتاب دار الحرب انبها فيها ثوبت الدراهم وسألسوا  
ابحال الفاصرية وذكروا ان ما نهب ما بين الثوبت من الدراهم • فقال :  
يحط عنهم خمسون الف درهم ولا توزى الناس في اموالهم •

وفي العشرين من شهر ربيع الآخر السهر المذكور جاء زلزلة عظيمة

هدمت دورا كثيرة •

( وفي ) ثالث وعشرين شهر ربيع الآخر السهر المذكور رسم السلطان بمصامدة

بنات الامير حسام الدين الجوكندار العزيز بما وحب للديوان في تركة ابيمن  
وجملته اربعمائة الف درهم نفرة خارجا عما له من الاملاك والغنل والخيول •  
وكتب بذلك الى السام • وهذه جملة ما سمع بمثلها لورثة امير • وقد كان هذا  
الامير وصل من حلب الى دمشق وحاله • حين • وقد نهب القطار موجوده فأحسن  
السلطان اليه وزاد في اقطاعاته واقتاده حتى جمع هذه الجمل • ولما رمي البندو  
وادعى للسلطان سير اليه حملة عظيمة • فذه الجمل المذكورة السلطان حسو  
الذي وذهبها له في الاول وفي الآخر لبناته • وكان افيهم بذله ان كل من يموت  
في خدمته ويحفظ يمينه ينسب في امر ورثته • ويبقى عليهم ما يخلفونه • وكان كما  
قال الشاعر •



ياذا الذى سعدت به الاباء في الدنيا وبعد ممانتها الاولاد .

وكذلك الامير شهاب الدين القيمرى نائب السلطنة بالفتوحات الساحلية لما توفي الى رحمة الله تعالى امر بنقل اقطاعه وهو مائة طواشر لولده . وكذلك احد الامراء بالساحل وهو شجاع الدين والى (١٤١ق) سرمى الامير ناصر الدين رسولا الى فرقة من الفرنج . فصادفه فرقة اخرى اسرته . فأبقى السلطان خبره عليه يستغله اخوته ونلمانه ولم يغير عليهم شيئا . وكل هذه مكارم تستجلب القلوب والله اعلم .

ذكر قصد مملك الارمن خذله الله حلب المحروسة ورجوعه خاسرا

كان اللعين هيثوم بن قسطنطين مملك الارمن خذله الله تعالى رجع من عند هولاكوك ملك التتار واستصحب صحبته قاضي بلاد هولاكوك ليصلح بينه وبين السلطان ركن الدين صاحب الروم فلما وصل الى قريب بلاده لم يدخل الى بلاده . وتوجه الى بلاد الروم واعطى قاضي هولاكوك عطاء كثيرا واستماله . وقال له : لا اقدر على الدخول الى بلاد الروم حتى تحضر جماعة من التتار تخفروني . فكتب القاضي الى التتار الذين في الروم فحضر منهم جماعة تقدروا بمائة فارس . وكان السلطان ركن الدين لما بلغه وصول مملك الارمن اليه عزم على الايقاع به على غره وانه ينسب ذلك الى التركمان . ففطن الطاغية لذلك واحترز وتوجه لما حضر اليه التتار الذين طلبهم قاضي هولاكوك فالتقى صاحب الروم مملك الارمن مترجلا لاجل قاضي هولاكوك واللعين الارمني لم يترجل . وقدم كل واحد منهما لصاحبه تقادما سنيه . وكانت مقدمة صاحب الروح اربعة عشر فرسا واربعين الف درهم وجميع آتية المجلس من ذهب وفضه وبغال وغيرها . وقدم له الارمني اربعة حصن وجاءوا جميعهم الى هرقله وتخالعا وانفقا .

واهتم الزماني بجمع العساكر المخذولة في بلاده لقصد البلاد الاسرمية بالشام وسار فلما وصل ٠٠٠ الى قلعة صرفند كار ( ١ ) ( ٤٢ و ) نادى في عسكره بان ياخذوا المائة لثلاثة ايام ٠ وكان في عسكره من بني كلاب الفار عريسا وقصدوا عينتاب ٠

وكان السلطان الملك الناصر ركن الدين بيبرس صاحب الديار المصرية والبلاد النامية قد غلب منهم هذا الاتفاق لاهتمامه باستطلاع الاخبار ٠ فسير الى عسكر حماه وحمل بالتوجه الى حلب فتوجهوا وتوجه جماعة من العسكر المنصور فأغار على عسكر الارمن واسروا اميرا من امرائه واخذ له مائة خم من البجاني فولوا منهزمين وقتل منهم ثلثون نفرا وجرح صاحب حصن قرابة ملك الارمن وهو يارون بسلام جراحة جديدة ٠ وكتب الناصبة متملك الارمن الى التتار الذين كانوا في الروم وهم سبماية راكب فأحضرهم وكان قتيده الام ٠ فلما وصلوا الى حارم وقعت ثلوج شديدة ٠ وكان الناصبة المذكور قد كتب الى ان اكبيه يدلب نجده فانجده منها بمائة وخمسين فارسا ولبس الحديد السراويلات تسبها بالتتار واجتمعوا كلهم قريبا حارم ٠ وارسل الله الثلج والامطار حتى كادوا يهلكون ٠ واما العسكر المنصور فانه حسن لصددهم واتصل بهم الاخبار وانكسرت عنهم الميرة فخافوا وتأخروا راجعين فقدم من اصحابه مائة وسرير فارسا وثلثون قريبا وستة نفر من خيالة ان اكبيه وجماعة من رجالهم ٠ ونصر اهل الاسلام بنية سلطانهم الملك الناصر الذي نصرته الملوك والملايكة وامرته السماء تارة بشهبها وتارة بأمطارها وثلوجها المتدركة الى ان انهزم جميع الاعداء بحسن عزائمه المباركة رحمه الله تعالى ٠

( ١ ) كذا في ابن عبد الجبار ( ص ٩٧ ) وفي الاصل مضموسة دأمر منها " فندكار "

### ذكر حفر خليج الاسكندرية

كان خليج الاسكندرية ( ١ ) وهو البحر الذى يقال ( ٤٢ ق ) احضرا ( ٢ ) سريعا الى السلطان الملك الظاهر فسألها واعطاها الامير . فأعترفا ووجدت معهما قرامين للامير فارس الدين اقطاي الاتاب من هولاكوا وهو يرغبه ويستميله اعتقادا منه ان هذه الامور يفسدها نظام . او ان السلطان اذا وقع له ذلك لا يتثبت . او انه يتوهم في اكثر خواصه . او ان الاتاب يميل الى هذا الهذيان . ففطن السلطان الى هذه المكيدة . وطلب الاتاب في الساعة الراهنة وافهمه انها حيلة . واره الكتاب وقال له : اننى ما صدقت شيئا من هذا فيك . ورسم بحريق ذلك وتعزيقه . واستدل السلطان بذلك على ضعف هولاكوا وانه يتثبت بكل شيء . وهذه همة عالية ما سمع ملكا اهتم بهذه الهمة ولا يهذل في اغراضه الجميلة هذه النعمة .

وفي هذه السنة تنجز البرج الذى كان الملك الظاهر رسم بعمله في قارا . وشرع في بناء برج اكبر منه لمصلحة الاسلام وحفظ الطرقات وصونا للرعية من عوادي الفرنج المجاورين خذلهم الله تعالى .

### ذكر قصد مملك الارمن المسير الى بلاد الشام مرة اخرى وتخيب سعيه

في هذه السنة اهتم مملك الارمن للعين هيثوم بن قسطنطين وجمع العساكر المخدولة من كل جهة . وفصل الف قيا تترى والف سراقوج البسمها

---

( ١ ) الكلمات الثلاث مطبوسة بالحبر وقد قدرتها من سياق العبارة .

( ٢ ) كان ورقه من الاصل ساقطه هنا راجع ابن عبد الظاهر ( ص ٩٨ ) .

اصحابه ليرهبانهم نجده من التتار • فسير السلطان الملك الظاهر الى دمشق  
جرد منها عسكريا الى حمص • وجرد جماعة من حماه • ورسم بأن عربان الشام لا يخرجون  
البرية في تلك السنة • فتوجه الامير حسام الدين العيثابي فأغار على مروان وقتل  
واسر وعاد سالما • وتوالت الغارات من جميع الجهات (٤٣ و) فلما احس العدو  
المخدول بهذه العزائم جر ذيل الهزائم وتفرقت نجداته وخمدت بجمراته وتقسي  
خاءفا مترقبا • وعدلت العساكر المنصورة الى انطاكية فغنمت وقتلت واسرت •

وفي جمادى الآخرة من هذه السنة اغارت العساكر التي بالفتوحات  
الساحلية صجة الامير ناصر الدين القيروى ووصلت الى ابواب عكا • واغار الامير  
الشجاع على بلاد الفرنج من جهة الخسيط •

وفي جمادى المذكور شرع النواب بالشام في بناء شقيف تيرون • اعلم  
ان حكم شقيف تيرون حكم شقيف ارنون • لم يزل في يد من ملك دمشق الى ان سلمه  
الملك الصالح اسماعيل صاحب دمشق للفرنج سنة ثمان وثلاثين وستمائة • ولم يزل  
في ايد يهم الى ان ملك الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز صاحب  
حلب دمشق في سنة ثمان واربعين وستمائة كما سبق ذكره فسير عسكريا مقدمه الامير  
سعد الدين بن نزار متولي صيدا • فنزل عليه وانتزعه من الفرنج ولم يزل في  
يد نواب الملك الناصر صاحب دمشق وحلب الى ان استولوا التتار على البلاد في  
سنة ثمان وخمسين وستمائة كما سبق ذكره • فقصد شهاب الدين بن بختيار  
قبل التتار ونزل عليه وضايقه بالرجال • فسلمه الوالي اليه فأخبره ولم يزل خرابا  
الى ان ملك الملك الظاهر ركن الدين بيبرس • فاستمر خرابا الى ان امر الملك  
الظاهر بعمارة فعمره نواب الشام في هذه السنة وحمل اليه زرد خاناه ودخاير  
والله اعلم •

وفي جمادى النهر المذكور انعم السلطان الملك الظاهر على العسكر الساحلي الذي صاحبه الامير ناصر الدين القيمري بما يتي الت درهم وقرقة عليهم .

وفي جمادى النهر المذكور بلغ الملك الادران جماعة من عسكر سميراز ومقدمهم الامير سيف الدين بكك ومهم اختيار الخوارزمي جمدار السلطان جندل الدين خوارزم شاه وصحبتههم مسام الدين حسن بن مزاح امير العسرا وجماعة من امراء خفاجه وصلوا لطلب ( ٤٤٠ ) ( ١ ) صدقات السلطان . فقدم بالاحسان اليهم .

وفي مستهل شهر رجب الفرد من هذه السنة دخل الملك الاهر بدار العدل وانهي اليه بأمر على باب مسجد السيد الحسين رضي الله عنه مسجدا والى جانبه مكان من حقو القصور ونبع . وحمل ثمنه للديوان وهو ستة آلاف درهم .

فسأل السلطان عن حجرة المسجد وهذا الموضع وحل كل منهما بمفرده او عليهما حائط داير فقبل بينهما زرب تعصب فأمر يرد المبلغ الى صاحب ( ٢ ) . وابقى الجميع مسجدا وامرا بعمارة المسجد . قال رسول الله صلى عليه وسلم من بنى مسجدا لله ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة .

وفي هذا اليوم وقف رجل من الاجناد ومعه صغير يتيم . قال : اننا وصي هذا الصغير ونسكى من قايه تتعلق به . فقال السلطان لقاضي القضاة : اعلم ان الاجناد يموت واحد منهم فيستولي خندا سيته على موجوده ويجعل اليتيم وشاقيه ويموت اليتيم فيستولي الوصي على الموجود . او يكبر اليتيم ولا يجد شيئا ولا تقوم له حجة على موجود . والوصي قد يموت فينضم مال اليتيم في ماله . وانا اري ان احدا من الاوصياء لا ينفرد بوسية وليكن نذر السع ساملا واموال اليتامى مضبوطة وامنا الحكم يحاقتسون على المصروب . ودلب نواب الامراء . . . التساكر وامرهم بذلك وامر باستمرار الحال عليه .

وفي ثالث شهر رجب الشهر المذكور وصدا الى الابواب الشريفة الجماعة اهل

شيراز ومقدمهم بلك ورفقته وهم سيف الدين اعتبار (١) جمدار جلال الدين خوارزم شاه والامراء الاتابكيه غلمان اتابك سعدوهم جماعة كبيرهم سنقرجاه وغيره من الاتابكيه ووصل (٤٥ و) في صحبتهم حسام الدين بن ملاح امير العراق وجماعة من امراء خفاجه . فأحسن السلطان الملك الظاهر الى الجميع وتلقاهم بنفسه وامر الامير سيف الدين بلك واعطاه طبلخاناه وكذلك امراء مظهر الدين وساج بن سهري . واللق للامير حسام الدين حسين بن ملاح قرية في الشام وجهزهم الى بلادهم .

وفي شعبان من هذه السنة امر السلطان الملك الظاهر بتكملة عمارة بيبرس الليون غربي الاسكندرية وحفر مبانيها وانشاء فيها بستانا ، لانها منزلة من منازل عند توجهه الى الحمامات للصيد . فشرع فيها . ووقع الاهتمام بذلك قال صاحبنا الامير صارم الدين ابراهيم بن دقماق . هي بشر قديمه من عهد الروم رأيتها غير مرة لما سافرت مع السلطان الملك الاشرف شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون . وهي من عجائب المباني في وسط بستان تقديره ستة افدنه اوسعة . ولها منافذ من خارج البستان والبستان بين جبال محبته به . وتلك الارض كثيرة . . . . . (٢) .

وفي شعبان الشهر المذكور عدا السلطان الملك الظاهر الى الجيزية منتزها في الاهرام وركب ورمى نشابه فعدا الاهرام . وطولها اربعماية ذراع بذراع العمل وطلع اليها جماعة من خارجها حتى ان فراشا لسيير سيف الدين قشتمر العجمي طلع بخركاه ونصبها على علوها واقامت اياما والله اعلم .

---

(١) راجع ص ٨٨ اعلاه .

(٢) سطران غير مقروئين .

وفي شعبان الشهر المذكور وصلت الاخبار الى الملك الظاهر بأن الامير علم الدين  
قيصر الطاهري والى سرمين سير اليه الامير نور الدين نايب السلطنة بحلب يأمر بمصلحة  
من المصالح . فقال كلاما فيه استنقاص وعدم مهلا به . فعز ذلك على الامير  
نور الدين ثم رضي عنه . فسير السلطان بريد يا الى نائب حلب يأمر فيه باحضار  
قاضي القضاة بحلب واحضار والي سرمين بحضور الامراء بحلب وتأديبه الادب الزاجر .  
وكتب محضرا بما جرى واخذ خط الجميع فيه ورسم بأن يقال اذا فرغ عن تأديبه نواب  
السلطنة لا يفتري عليهم ولا يتجرى . وفي هذا ادب ذاك القول . وقد عزلناك من  
ولايتك زيادة في الادب . ويقال للامير نور الدين : انتم اصلحتم ونحن ما نصطلح .  
فأعتمد ذلك كله . وهذه نكتة فيها حسن سياسة .

وفي هذه المدة امر الملك الظاهر الامراء والاجناد بعمل العدد الكائنة  
(٤٥ق) لهم ولعماليتهم . فلم يبق لاحد اهتمام الا في تفصيل البركصطوانات وعمل  
الجواشن وصقل الزرد وكفت الخود وعمل وجوه الخيل . واذا عبر الانسان في سوق  
السلاح لا يقدر على العبور من كثرة الخيل التي للاجناد الواقفين به . وارتفع سعر  
الحديد واجر الحدادين والجواشنية والصياقلة . ولم يبق لاحد همة في شيء الا  
تكملة عدته النافعه . وفي كل دار معلم للعب الرمح . وتعلم جمع كثير من الماليت  
الظاهرية لعب النار على الخيل وما بقي لاحد رغبة الا في الاشتغال بعدة الحرب .  
والناس على دين الملك . ولو حلف حالف ان احدا من العسكر ما انفق شيئا من فعل  
الا في ذلك لصدق . وقد كان من تقدم من الجند ينفقون مالهم فيما لا يرضي الله  
تعالى من الامور المحيطة للاعمال . وهذا الملك شغله هذا لا ينهي عنه بلذة  
ولا طرب ولا ينقضي وقته الا في حسنة قد سطر الله له اجرها .

وفي شعبان الشهر المذكور وصل كتاب امير المدينة النبوية على ساكنها افضل الصلاة والسلام يذكر انه ركب بنفسه وسار الى مكة شرفها الله تعالى صحبة الكسوة وعلقت والله اعلم .

وفي شهر رمضان من هذه السنة تنجزت كسوة الضريح الشريف النبوي شرفه الله تعالى وبعد سفرها صحبة الطواشي جمال الدين محسن الصالحى وشرع فى تجهيز الشموع والبخور والزيت والطيب .

وفي شهر رمضان الشهر المذكور وصل كتاب الامير ناصر الدين القيمى يذكر له انه بلغه ان الفرنج المخذولين توجهوا الى جهة يافا . وكان الملك الظاهر قد اطلع على حركتهم فأمره بالغارة على قيسارية وعتليت فساو الى باب (٤٦) وعتليت ونهب وقتل واسر . ثم ساق الى قيسارية واعتمد فيها هذا الاعتماد وبلغ الذين اجتمعوا في يافا من الفرنج ذلك فسقط في ايديهم وانعكست القضية وخافوا ورجعوا ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا .

وفي شهر رمضان الشهر المذكور جرى الملك الظاهر على عادته في اجراء الصدقات بمداخلك في القاهره ومصر برسم الفقراء . انصرف فيها كل ليلة جملة من الطعام والخبز . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قطر صائما فله اجر صائم . وكذلك جرى على عادته الحسنه في عتق ثلاثين نسمة على عادة الملوك الماضين . هذا غير من اعتق من مماليكه الامراء وخواصه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من اعتق نسمة مؤمنة كان له بكل عضو منها عتق عضو من النار .



وبلغ السلطان ان الفرنج اخذوا اخيذة من بلاد الاسلام . فانكر ذلك  
وارسل الى النواب بالشام بالاجتهاد في ردها . فوصل كتاب الامير ناصر الدين القيمري  
يذكر ان الفرنج ردوا الاخيزة وهي عالم كبير من اهل البلاد وجملة من المواشي .  
فسمع في تلك الساعة من اختلاف الاصوات بدعاء الرجال والنساء وبكاء الاطفال  
ما تكاد ترققه الحجارة . وكان السبب في رد هذه الاخيزة ان الامير ناصر الدين  
المذكور سير الى الفرنج يتهددهم ويقول لهم : نحن هادناكم كما سألتكم المدة التي  
طلبتوها . وهذه الاخيزة كانت في مئة الهدنة . فبعث الفرنج وزير قيسارية  
ليحدث في ذلك فقبر عليه الامير ناصر الدين وما زان حتى احضر جميع ذلك وبعد  
ذلك سيب ( ١ ) الوزير .

وفي هذا التاريخ وصلت كتب نواب البيرة يذكرون ان صارم الدين بكتاش  
الزاهدي ركب في جماعة وانار ( ٤٦ ق ) على باب قلعة الروم واغار مرارا .

وفي شهر رمضان الشهر المذكور وصل رسول من الملك شارل ( ٢ ) اخي الملك  
فرنسيس وهو صاحب مرشيلية ووصلت صحبته عدة من السناقر الشهب والامعة .  
ومضمون كتابه المحبة والمشايعة . ووصل كتاب استاد داره بان مخدومه امره ان  
يكون امر السلطان نافذا في بلاده وان اكون نايب السلطنة كما انا نايبه .

وفي يوم الجمعة خامس عشر شهر رمضان قرئ مكتوب بجامع مصر بابطال ما قرر  
على ولاية مصر من الرسوم وهي مائة الف درهم واربعة الاف درهم نقرة وشملت المسامحة  
بذلك .

---

( ١ ) في الاصل " سير راجع ابن عبد الظاهر ( ص ١٠٤ )

( ٢ ) في الاصل " شارل " .

وفي شهر رمضان الشهر المذكور احضرت فلوس من جهة قوص وجدت مدفونة

فأخذ منها فلس فاذا على الوجه الواحد صورة ملك واقف في يده اليمين ميزان وفي يده الشمال سيف . ومن الوجه الاخر رأس مصور بأذن كبيرة . . . وعين مفتوحة ويداير الفلس ساور فقرأها راهب يوناني فكان تاريخه الى وقت قراءته الفين وثلاثماية سنة . وفيه مكتوب انا غليات الملك ميزان العدل والكرم في يميني لمن اطاع والسيف في يساري لمن عصى وفي الوجه الاخر انا غليات الملك اذني مفتوحة لسماع المظلوم وعيني مفتوحة .  
وفي هذا الشهر بلغ السلطان ان رسله الذين كانوا توجهوا الى الملك بركه

عوقبهم الملك الاشكري . فطلب السلطان نسيه الايمان واخرج منها يمين الملك كرميخائيل الاشكري وهي بالرومية . واحضرت البطارقة والاساقفة وتحدث معهم فيمن يخالف بكذا وكذا من دينه وانه يكون محروما من دينه . فأخذ خطوطهم بذلك وهم لا يعلمون ما يراد منهم ثم اخرج لهم نسخ ايمان الاشكري وقال : قد نكت بامساك (٤٧ و) رسلي ومال الى جهة هولاء وكان ماسنذكره .

حكى صاحب عز الدين ابن شداد مؤلف سيرة الملك الظاهر في سبب تأخر

رسل الملك الظاهر عن الاشكري مامعناه : لما وصل رسل الملك الظاهر الى القسطنطينية وجدوا الباسلوس كرمخايل صاحبها غائبا عنها في حرب كانت بينه وبين الفرنج . فلما بلغه وصولهم طلبهم اليه فساروا اليه مسيرة عشرين يوما في عمارة متصلة فاجتمعوا به في قلعة اكسابا فأقبل عليهم واظهر لهم المسرة واكرمهم ووعدهم ان يساعدهم على التوجه . ووجدوا عنده رسل من جهة هولاء فاعتذر عن تأخير توجههم لخوفه من هولاء ان يطلع على ما وصلوا بسببه . ثم امرهم بالرجوع الى قسطنطينية وان يقيموا بها حتى يعود ويجهزهم . وكان ذلك خديعه منه .

ولم يزل يمد لهم مدة سنة وثلاث شهور . فلما طالبت المدة عليهم ارسلوا اليه يقولوا :  
ان لم يمكن الملك المساعدة على ان يوجهنا فليأذن لنا في الرجوع الى بلادنا . فأذن  
للشريف في الرجوع بمفرده . واعتذر بمنعهم عن اتجه لكون ان يردده بعيدة عن  
البلاد المجاورة لمملكة السلطان ركن الدين وتربيته من البلاد المجاورة لمملكة حولاكو .  
وانه متى سمع اني مكنت رسل صاحب مصر من التوجه الى بركة توهم انتقال الصليح  
بينى وبينه . فربما تسار الى تريب ما جاوره من بلادى وما انا تريب منها حتى اذبح  
عنها . فصاد السيد الشريف وتأخر فارس الدين اقوام مدة سنتين فقبل اكثر ما كان  
معه من حيوان ورقيق . وتناع القصاد الى غيره .

"وفي اثناء هذه المدة قصد عساكر بركة القسطنطينية واغاروا على اطرافها  
فحرب الباسلوس الى القسطنطينية (٤٧ ز) ويحب بالامير فارس الدين انور الى مقدم  
عسكر بركة يعلمه ان البلاد في عهد الملك الناصر وصلاحه . وان بركة في صلح من  
سالحه وتهدد من عاصده فطلب منه ان يكتب له خطاه بذلك فكتب . وكتب ايضا  
انه مقيم باختباره وان لم يمنع من التوجه . فتوجه العسكر .

"ثم ان الباسلوس جهز الامير فارس الدين الى بركة وبعث معه رجلا من جهته  
برسالة منها ان يقرر على نفسه ما يحمله كل سنة وهو ثاثمائة ثوب اذ لم يقرر ان يكون  
مما بدا ومما لحا له ومدافعا عن بلاده . فتوجه الامير فارس الدين الى بركة . فلما  
اجتمع به ساله عن تأخره حتى هلك اكثر ما كان معه من الحيوانات . فاعتذر ان  
صاحب القسطنطينية منعه من الحركة . فأمر له خطاه بما كتب به لمقدم عسكره .  
قال له : انا ما اواجه ذلك لاجل الملك الظاهر وهو اولي من واخذت على كذبت واغساد  
ما ارسله منك . ولما انكر الملك بركة الامير فارس الدين كتب عز الدين الى الملك  
الظاهر يعرفه بما صدر من فارس الدين من التقصير وكونه رحل عسكر بركة عن القسطنطينية

بما اوهمه من كون البلاد في عهد الملك الظاهر . وكان قادرا ان يأخذ منه في مقابل ترحيله عنه قيمة ما افسد من الهدية لاضطراره الى ذلك . لما رجع فارس الدين الى مصر واجتمع بالسلطان نقم عليه لفعله وقبض عليه واخذ منه ما كان وصل معه من البضائع . وكانت قيمتها اربعون الف دينار . وكان وصوله في جمادى الآخرة سنة خمس وستين وستمائة .

والاظهر ما حكاه القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك الظاهر وغيره ان اجتماع الرسل بالملك الاشكري كان في مدينة أنيه . وان السلطان الملك الظاهر لما بلغه في (٤٨ و) هذه السنة ان الاشكري عوف رسله وطلب نسخ الايمان واخرج منها يمين الاشكري واحضر البطارقة وسألهم واجابوه كما قدمنا شرحه طلب الراهب الفيلسوف اليوناني الذي قرأ الفلاس الذي قدمنا ذكره وطلب اسقفا وقسيسا . و جهزهم الى الاشكري وصحبهم هذه المكاتب المقدم ذكرها . وكتب الى الاشكري وهو يغلظه في القول . ثم قال : ان كان سبب امساك رسلي فساد حالك مع الملك برکه وكون عساكره وافسدت في بلادك فانا اصلح الحار بينك وبينه . وكتب السلطان كتابا الى الملك برکه بذلك وسيره الى الامير فارس الدين اقوش المعهودى المتوجه بالهدية الى الملك برکه وامره بالتوسط في الصلح وتوجهت الجماعة المذكورون بذلك فلوقة اطلق الجميع وساروا الى الملك برکه في هذه السنة وعادوا كما سنذكره ان شاء الله تعالى .

### ذكر سلطنة الملك السعيد بن الملك الظاهر

في شوال المبارك من هذه السنة سنة اثنين وستين وردت اخبار بأن جماعة من التتار مستأنه . وجلال الدين الدويدار واصل وصحبته جماعة كبيرة من الاتراك والبغادده قاصدوا باب السلطان بالحرم . فأعلم الملك الظاهر الامراء الاكابر بذلك وقال : ما جمعت هذه الاموال الا لهم يحصل للمسلمين وهو لا التتار

مانحمل امرهم على الحزم • ووصول هؤلاء على كثرتهم من جمات فيه استرابة • ونحن نخرج فان كان هؤلاء طامعين كان لهم ما لولي الطاعة • والا فتكون سيوفنا لاعاقه عن تجريدها • ومن احتاج منكم ومن العساكر المنصوره اعطيته • ومن عدم واسيته • وانا في نصره الاسلام كأحدكم ولا اوفر نفسي في امر وانا ينوبني فرس • وجميع ما عندي من خيل وجمال كله لكم ولمن يجاهد في سبيل الله • فتقرر خروجه فأشار عليه حينئذ بعض الامراء (٤٨ ق) بسلطانه ولده الملك السعيد ليكون بالديار المصرية • مقيما في غيبه السلطان •

وفي يوم الخميس ثالث عشر شوال الشهر المذكور اركب السلطان ولده الملك السعيد بشعار السلطنة وخر بنفسه في ركابه وحمل الغاشية راجلا بين يديه واخذها الامراء وعليهم الخلع الفاخرة • ولم يبق احد من اولياء الخدمة الا وسمته الخلع • ورجع السلطان الى مقر ملكه • ولم يزل الملوك والامراء والعالم في خدمته الى باب النصر • ودخلوا من القاهرة رجالة يحملون الغاشية وقد زينت احسن زينة واهتم الامراء بنصب القباب • وشق المدينة الملك السعيد ٠٠٠ (١) واتابكه الامير عز الدين ايدمر الحلي راكب الى جانبه • ولم يزل الثياب الاطلس والعقابي وغيرهما تفرش له الى حيث عاد الى قلعته ولم يبق امير الا بسط من جهته ثياب • فحمل من ذلك احمال تفرقها الممالك السلطانية وارباب المنافع وانبسطت الايدي والالسنه له بالدعاء يسألون الله اعزازه واتمام هلاله وبقا بدره • وان يجمعه للاسلام (٢) الشمل وتتم نعمته عليه كما اتمها على ابويه من قبل •

(١) كلمة " المدينة " مكسره هنا في الاصل

(٢) كذا في ابن عبد الظاهر (ص ١٠٦) لكنها " للانسان " في الاصل •

وكتب الثاني مني الدين ابن عبد الله مؤلف سيرة الملك الناصر تقي الدين

الملك السعيد بتفويض عهد السلطنة له .

وفي يوم الاثنين سابع عشر الشهر المذكور اجتمع الامراء وقائي القاه

والعلماء ونزع التقليد وهو (١) : الحمد لله منور الزور ومسيح النفوس

ومزين سماء المملكة بأحسن الالهة . واصول البدور واسود السمور . الذي سدد

ازر الاسلام ملوك يتماحبون ماله الانام ويتناوبون تدبيرهم كتناوب السنين واليدين

في مهمات الاجساد واهل الاحسام . محمد علي نعمة التي ايدت حق السكر

المتغافي واوردت منهل الفيل الدافي . وحولت الالاء حتى تمسكت الامان من

بالوعد الوافي (٢) . وانشد بالوزن الوافي ونسبه (٣) : ان لا اله الا الله

وحده لا شريك له شهادة عبد كثر الله عدده وعدده واحمد اسمه ويوممه .

ويحمد ان شاء الله غده ونصلي على سيدنا محمد الذي ادفع الله به نجس

الهدى والبر المسكين به ارضه الردى واوان به مناجى الدبر وكان ذرائر

قددا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا تنقضي ابدا وبعد فاننا لما

الهمنا الله من مصالح الامم وخواناه من المرز علي ممالك السواد التي طامع

به شأفه الكفر وحسم (٤) ، واتى بنار الشك قد علم كل احد اشتعال نساؤه

فكان علما بنار منارمه لا ناراً على علم . وقدره من دفع الكفر من جميع الجوانب ومنهم من

كل جهة حتى رسناهم بالحيد الواصل والمذاب الواصب . فأتبع السر من

الابادة في سر الاسلام لا يات امر قد ولا يفس من درب وثقور الاسم عاليه

المبثني ناميه المقتنى حانيه ثمار الادبار من هنا ومن هنا تراحم بزو حرمها

(١) ابن عبد الظاهر (ص ١٠٦ - ١٠٩) والقلقشندي، ج ١٠ ص ١٦٣ - ١٦٦

(٢) ابن عبد الظاهر "الوفاي" (ص ١٠٦)

(٣) "وختم" في ملاحق نسخة ابن ابراهيم مسر في "تاريخ المعالي البدوية" ص ٣٧٢

في السماء البروج • وشاهد الأعداء منها سماء قد بنيت وزينت ومالها من فروع •  
وعساكر الملة المحمدية في كل دارف من أطراف الممالك تجول • وفي كل وادتهم  
حين يشمر بالنصر ولكنها تفعل ما تقول • قد دوخت البلاد فقتلت الأعداء تارة  
بالالمام وتارة بالاوهم • وسلمت سيوفها فراعهم يقظة بالقراع ونوما بالاحلام نرا  
قد لذ لنا هذا الأمر التذاد المستطاب وحسن لدينا موقعه فعكفنا عليه عكوف  
المستجيد ولبيناه تلبية المستجيب • وشغلنا فيه جميع الاوقات والحواس وثقمت  
بمباشرة ومؤامره سائر الزمن حتى غدا اكثر ترددا الى النفر من الانفاس • واستنفذنا  
الساعات في امتداد النور والشور والذرع بمحكم الدلاص (١) التي كانها رمضان  
برق او شمع شمس (٤٩ و) وتجريد المرحفات التي قد جفت لحاظها الاجفان  
وحرق فكالمايه والرمش كالنور (٢) وتغوير المصنوع التي عدت قسيما من اسنانا  
لدا تان واعمال السمريه التي تدر الأعداء ستمها ندما كما نرت في السور السور  
غير ذلك من كل غارة سموا تسمى للكفار اعمال وتخدم كالحبار ونسير الربيع •  
ومنازلات كم استلبت من موجود وكم استنجزت من نحر وموعد • وكم مدينة انحلت  
لها مدينة ولكن اخرها الله الى اجل محدود • وكانت شجرتنا المباركة قد امتد  
منها فرع تفرسنا فيه الزيادة والنمو • وتوسعا منه حسن الجنا المرجو •  
ورأينا انه الهائل الذي اخذ في ترقى منازل السعد الى الابدان • وانه سرننا  
الذي صادف مكان الاختيار له حسن الاختيار • اردنا ان ننتبه في منصب احلنا  
الله فسيح غرفه ونشرقه بما خولنا الله من عرفه (٣) وان تكون يدنا وبده يفتن

(١) في ابن الظاهر (ص ١٠٧) "وادرع محكم"

(٢) "فكالغدران" في ابن عبد الظاهر (ص ١٠٧)

(٣) "سرفه" في ابن عبد الظاهر (ص ١٠٨) وكذا في ابن عبد الله بن ابراهيم حسن (ص ٢٢٢)

من ثمره وجيدنا وجيده يتخليان بجوهسه • وانا نكون للسلطنة السمع والبصر  
وللمملكة المعظمة في التناوب بالاعانة النور والتمر • وان تحول الامة منا ومنه بديين •  
ويبطلون من امرنا وامره بيدين وان نريه على حسن سياسة تحمد الامة ان شاء الله  
عاقبتهم عند الكبر وتكون الاحلاف الملوكية منتسية معه ومنتسية به من الصغر • ونجعل  
سعي الامة يتمنى مثله حميدا ونهب لهم منه سلطانا نصيرا وملكاً سعيدا • وقد سوره  
عبد الدين ويريريه (١) جناح المملكة وتنجي مالب الامة باياله • وكيف لا ينجي  
مالب يكون فيه بركه • ونحن امرنا لابن مستعدا ومسقفا ولا عديم الامة منه مخلصا  
منيا ونوعا (٢) محظا بأن يكتب هذا التقليد لولدنا الملك السعيد ناصر الدين بركه  
خاقان محمد جعل الله ماله سعده بالاسراف محفوف • وار الامة من ميامنه  
ما يدفع للدهر صرفا ويحسن بالتدبير تحريفا بولاية العهد الشريف على قرب البلاد  
وبعدا (٥٠ و) وغورها وتحدتها وعساكرها وجندها وقلاعها وثغورها وبرورها وبحورها  
وولاياتها واقطارها (٢) ومدنها وامصارها وسبلها وجبلها ومخاضها ومحتلها وما تحوي  
اقداره الاقلام (٤) وما ينسب للدولة الداهية من يمن وحجاز ومصر وغرب وسواحل  
وسام بعد سام • وما يتداخل ذلك من قفار ومن بيد في سائر هذه الجهات •  
وما يتخللها من نيل وملح وعذب وفرات ومن يسكنها من حقير وجليل • ومن يحتلها  
من صاحب رغاء وثغاء وصليل وههيل • وحملنا يده في ذلك كله المسودة (٥)  
وداعته المسودة ونواميه المنبوذة • ولا تدبير ملك كلي الا بنا وبولدنا يجمع،

(١) ليست في ابن عبد الظاهر (١٠٨)

(٢) كذا في ابن عبد الظاهر (١٠٨) وليست واضحة في الاصل •

(٣) "في اقطارها" في الملاحق ص ٣٧٢

(٤) كذا "اقداره من الاقلام" في ابن عبد الظاهر (ص ١٠٨)، وفي القلقلند، ج ١٠ ص ١٦٥  
"من الاحلام"

(٥) مبسوطة ابن عبد الظاهر (ص ١٠٩)



ولا سيف ولا رزق الا بأمرنا . هذا يسأل ، وهذا يسأل . ولا دست سلطته الا بأحدنا  
يتوضح ( ١ ) الاشراف ولا غص قلم في روض امر ونهي الا ولدنا اولديه تمتد له الاوراق  
ولا منبر خطيب الا باسمينا يمس ، ولا وجه درهم ولا دينار الا بنا يشرق . ويكاد تبرجا  
لا بهرجا يتطلع من خلال الكيس . فليبتلد الولد ما قلده من امور العباد وليشركنا  
فيما نباشره من مصالح الشغور والقلاع والبلاد وستعاهد الولد من الوصايا بما سينشأ  
معه نوأما ويمتزج بلحمه ودمه حتى يكاد يكون ذلك الهاما لاتعلما . وفي الولد بحمد  
الله نقاء . الذهن وصحة التصور ما تشكل فيه الوصايا احسن التشكيل . وتظهر صورة  
الابان في صفائه الصقيل . فلذلك استغنيا عن شرحها هاهنا مسرودة . وفيه بحمد  
الله من حسن الخليفة ما يحقوا انها بشرف الالهام موجودة والله لا يعد منا منه اشفاقا  
وبرا ويجعله ابدا للامة سنداً وذخراً .

ثم وردت الاخبار بفتور عزائم العدو . وان سبب حركه جلال الدين ولد  
الدوادران هلاون بلغه ( ٥٠ ق ) ان بلاد العراق فيها جماعة من الاجناد والاتراك  
قد استخفوا وتزبوا بزى الفقرا والفقهاء وانقطعوا بالمدارس والربط وانهم في كل سنة  
يتسللون الجماعة بعد الجماعة الى الديار المصرية . فأراد التحيل عليهم بحيلة  
يجمعهم بها وتحقق ان المذكورين لا يركنون الى التنازع فسير الى جلال الدين المذكور  
يفهمه طلب نجده ويحسن له طلب جماعه من الاتراك والجند والانفاق فيهم واستخدامهم  
نجاهه على بركه . فسارع جلال الدين الى ذلك وبذل الاموال واستخدم . فأجتمعت  
له جماعة كبيرة . وفهم في اثناء هذه الحال القصد في هذا الامر انه هلاك  
لجميعهم . فتجيز وخرج معرجا الى خدمة السلطان الملك الظاهر وتواصلت الاخبار  
بذلك فابتهج السلطان بذلك . وفتزعزم الحركة وشرع السلطان في ختان ولده الملك  
السعيد وامر الناس بالتأهب للعرض والاسلحة والجواشن وآلة الحروب خاصة . واما ولد

الدوادار فانه خرج واجتمع هو والعريان بنوا خفاجه غلمان السلطان ووصلت جماعة من جهته فكتب السلطان باطابة قلبه وكتب الى سائر امراء خفاجه وعربيه (١) وغيرهم بخدمتهم واغاثتهم . وامر امراء البغادده بالكتابة اليهم بما هم فيه من نعمة .

وفي اواخر شهر رمضان من هذه السنة ظهر كوكب بالشرق ذو ذؤابة بالافق نحو المغرب وصار يطلع في كل يوم قبيل الفجر خلف النجم المعروف بكوكب الصبح . ثم صار يتقدم في كل يوم قليل الى ان صار يبدو مرتفعا عن كوكب الصبح ويبقى ضوءه ظاهرا ولم يتغير موضعه من منزله وكان بعده منها الى جهة (٥١ و) المشرق نحو رمح طويل ويبقى ظاهرا ثم يرتفع بارتفاعها ويسير بسيرها . وبقي الى اوائل ذي القعدة من هذه السنة الى ان تغلب عليه ضوء النهار . وكان يظهر له قبل بروزه شعاع عظيم في جو السماء . وظهر ايضا من قرب المغرب بشمال بعد العشاء الاخره في ليال عدة من اواخر شهر رمضان واوائل شوال خطوط مضيئة كهية الاصابع مرتفعة في جو السماء . واحصرت الشمس في اواخر الرابع من شوال من هذه السنة قبيل المغيب وذهب ضوء الشمس بحيث توهم كثير من الناس انها كسفت وغربت وهي كذلك . ولمّا كان بعد العشاء الاخره اصاب القمر مثل ذلك ليلة الخامس من شوال من هذه السنة .

وفي هذه السنة احضر الى الملك الظاهر طفل ميت من المقس بالقاهرة له راسان واربعه اعين واربعه ارجل واربعه ايدي ذكر انه وجد بمساحل المقسم .

---

(١) " غزیه " في ابن عبد الظاهر (ص ١١٠) والقلقسندی ج ٤ ص ٢١٥ وهي هنا مشكولة .

### ذكر قتل الملك المغيث صاحب الكرك

قد قدمنا من اخبار الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل الايوبي وكيف ملك الكرك وكيف اخذت منه وكيف قبض عليه وارسل الى قلعة الجبل بظاهر القاهرة المحروسة وحسب بها فأغنى عن الاعادة ها هنا . حكى الشيخ قطب الدين اليوناني (١) في تاريخه ان الامير عز الدين استدعى من يقتل الملك المغيث ممن يشق به وإعطاه الف دينار . وكان استاد داره . وكان رجلا دينيا وفيه تقوى فأبى ان يفعل فأكد عليه . فقال له والله لو اعطيني ملء هذه الدار دنانير ما فعلت هذا ولو ضربت رقبتى . فانتهزه وحاوله بكل طريق فلم يجب . فأعرض عنه وطلب اخر من اصحابه فيه شره وعنده شهامة واقدام . فأمره بذلك فبادر اليه . ودخل على المغيث وقتله خنقا . واخذ الف دينار وشرع يشرب في دار له على بركة الفيل واخرج من الذهب فسأله ندماءوه (٥١ و) في حال سكره : من اين لك هذا المال ؟ فذكر الواقعة . فشاع ذلك واتصل الخبر بالملك الظاهر . وكان حريصا على كتمه ويظهر الامر ان الملك المغيث حي يرزق وانه موسع عليه في النفقة . فأنكر على الامير عز الدين الحلبي وطلب الشخص القاتل منه فأحضره اليه . فأمر باستعادة الف دينار منه وقتله .

وكان قتل الملك المغيث في اوائل هذه السنة . وقيل في اواخر سنة احدى وستين .

ذكر رجوع رسل الملك الظاهر وصحبتهم رسل الملك بركة .

كنا قدمنا ان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي ارسل رسل الى الملك بركة بسبب استمالته الى قيد الاسلام واغرائه بهولاكوالايقاع به . ولما

وصل الرسل الى بلد الاشكرى مرض الفقيه مجد الدين فرجع صحبه رسد الملك بركة  
الواصلين الى الابواب الشريفة وهم جلال الدين ابن القاضي والشيخ علي المدمشقي  
وتوجه الامير سيف الدين ..... (١) من المغل . قال القاضي  
محي الدين ابن عبد الظاهر في كتابه الذي سماه "الفضل الباهر من اخبار الملك  
الظاهر" : كان اجتماع الرسل بالاشكرى في آنبه . ثم رحلوا الى قسطنطينية  
في عشرين يوما ومنها الى اصطنبول ومنها الى دفتسا وهي ساحل السودان من  
جهة الاشكرى ثم ركبوا في البحر الى البر الاخر ومسيرته مابين العشرة ايام الى  
اليومين يريح طيبه ثم طلعا الى جبل يعرف بسوداق . فالتقاهم الوالي بتلك  
الجهة واسمه طابوق فركبهم على خيل البريد الى القرم يسكنها عدة اجناس من  
القفجاق والروس . ومن الساحل الى هذه القرية مسيرة يوم واحد . ثم ساروا  
من القرم الى بره يوما واحدا فوجدوا بها مقدما اسمه طوذيغا على عشرة الاف  
فارس حاكما على تلك الجهات ثم ساروا عشرين يوما في صحرا عامرة بالخركاوات والاغنام  
الى بحرايتل وهو بحر حلو سعتة سعة بحر النيل وفيه مراكب الروس . ومنزلة (٥٢ و)  
الملك بركة الساحل منه . وحملت اليهم الاقامات والاغنام طول هذه الطرقات .  
ولما قاربوا الارد التقاهم الوزير شرف الدين القزويني وهو يتحدث بالعربية والتركية  
فأنزلهم في منزلة حسنة وحمل اليهم الضيافة من اللحم والسمك واللبن وغير ذلك .  
" ثم حضروا عند الملك بركة والوزير شرف الدين في خدمتهم فخدموه على العادة .  
وكانوا قد فهموا آدابه التي تعتمد معه وهي الدخول من جهة اليسار . فإذا اخذت  
الكتب منهم ينتقلون الى جهة اليمين ويكون القعود على الركبتين . ولا يدخل احد  
معه الى خراكة الملك سيف ولا سكين ولا عدة ولا دبوس . ولا يدوس برجله عتبة

الخرقاء ولا يقطع الانسان عدته الا على الجانب اليسار ولا يترك القوس في القربان  
ولا يخلبه موتورا ولا يحط في قربانه نشابا ولا يأكل الثلج ولا يغسل ثوبه الا في الارد .

" فلما دخلوا اليه وجدوه في خرقة كبيرة تسع مائة رجل . وقيل تسع قدر  
خمسماية نفر مكسوة لبادا ابيض ومسترة من داخلها بصناعات وخطاي وجواهر ولولو  
وهو جالس على تخت مرخي الرجلين وعلى الكرسي مخدة . فانه كان به وجع النقرس .  
والى جانبه الخاتون الكبرى واسمها طغطغاي خاتون . وله امرأتان غيرهما وهما ججك  
خاتون وكهار خاتون . وليس له ولد . وصفته خفيف اللحية كبير الوجه في لونه  
اصفرار يلف شعره عند اذنيه وفي اذنه حلقة وسها جوهرة ثمينة وعليه قباء خطاي .  
وعلى رأسه سراقج وفي وسطه حياصه من ذهب مجوهره معلق بها صولق بلغاري  
اخضر . وفي رجله خف كيمخت احمر . وليس في وسطه سيف . وحياصته قرون  
سود معوجه مقعده بذهب وعنده خمسون اميرا او ستون على كرساي في الخرقاء .

ولما دخلوا اليه وادوا الرسالة اتعجه ذلك واخذ منهم الكتاب وامر  
وزير به بقراءة الكتاب ثم نقلهم عن يساره الى يمينه واسندهم الى جانب الخرقاء خلف  
الامراء الذين ( ٥٢ ق ) بين يديه . واحضر لهم القمزر . وبعده العسل المطبوخ .  
ثم احضر لهم لحما وسمكا فلما اكلوا امر ان ينزلوا عند زوجته ججك خاتون . فلما  
اصبحوا اضافتهم الخاتون في خركاتها ثم انصرفوا آخر ذلك النهار الى المكان الذي  
لهم وصار يطلبهم في اكثر اوقاته ويسألهم . فسأل عن الفيل والزرافة ومصر .  
وسألهم عن النيل وقال : سمعت ان عظما لابن آدم معتدا على النيل يعيرون  
الناس عليه . فقالوا مارأينا هذا .

قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك الظاهر

ما صيفته : نقلت من خطابي زكريا بن اياس بن القاسم صاحب "تاريخ الموصل"  
قال : قال عبيد الله بن اسحق : بلغنا انه لم ينح من الغرق الا من كان في  
السفينة ورجل يقال له عوجا بن عنق زعموا ان الماء كان الى نصف ساقه . ثم اهلكه  
الله تعالى بعد ذلك فيما يزعمون في زمن موسى عليه السلام . ولم يكن له ولد .  
وقال محمد بن اسحاق انه كان يضرب بيده فيأخذ بها الحوت من البحر فيشويه  
في حر الشمس حتى ينضجه ثم يأكله . وكان عمره فيما يذكر ثلاثة الاف سنة وستماية  
سنة . وكانت امه من بنات آدم عليه السلام . فعاش حتى قتله موسى عليه وعلى  
نبيينا محمد رسول الله افضل السلام .

وذكر في سلامته من الغرق / ذكره الطحيري . وكان ارتفاع الماء فيما  
يروى عن وهب بن سليمان عن شعيب الجناي قال : سيرا ما الارض ما السماء  
بأربعين يوما وعلا الماء فوق اطول جبل في الارض مسيرة خمسة اشهر صعدا  
وقيل ان الماء علا فوق كل شيء خمسة عشر ذراعا . وقد ذكر ان موسى  
عليه السلام كان طوله سبعة اذرع بذراعه . وقفز عن الارض سبعة اذرع فوصل  
الى كعبه وما صح ذلك . والدليل على ان اطوال ( ١ ) الناس مناسبة منذ  
قيام الدنيا والى هذا الوقت ان النواويس وهو القبر الموجود الان بالاهرام ولا خلاف  
انه قبر بانيها . وهو على طول الانسان . وكذلك بقيه النواويس الموجودة  
في مصر القديمة وغيرها . والاهرام بنيت فيما ورد قبل طوفان نوح ( ٥٣ و )  
عليه وعلى سيدنا ونبينا محمد رسول الله افضل الصلاة والسلام لان بانيها رأى  
في علمه ان آفة من الماء تهلك العالم . فبناها وقاية له والصحيح انها قبور .

---

( ١ ) كذا في ابن عبد الظاهر ( ص ١١٦ ) لكنها "اطول" في الاصل .

انتهى ما ذكره • وقد قدمنا في اول كتابنا هذا ما قاله العلماء في الاهرام وما قالوه في عوج بن عنق من الاختلاف والله اعلم بصحة ذلك على ما اتى •

تتمة خبر رسل الملك الظاهر وما اتفق لهم : وفسر قاضي القضاة الذي عند الملك بركة الكتاب وبعث (١) به نسخة الى القان • وقرأ كتاب السلطان بالتركي على من عنده وفرحوا به • واعادوا الرسل بجوابه وسير معهم رسله • فان لكل امير عنده مؤذن وامام • ولكل خاتون مؤذن وامام والصغار يتلقنون القرآن العزيز في المكاتب • وعادوا من جهة الاشكرى ووصلوا الى الابواب الشريفة وحضروا عرض العساكر المنصورة لابسة كما سنذكره ان شاء الله تعالى وذلك في عاشر ذي القعدة من هذه السنة • وما زال الرسل يحضرون الى خدمة السلطان ومشاهدون لعب الكرة وحضروا الطهور وانزلوا باللوق •

وقال صاحبنا صارم الدين ابراهيم بن دقماق : اقام رسل الملك الظاهر عند الملك بركة مدة ستة وعشرون يوما • واعطاهم من الذهب الذي يتعاملون به في بلاد الاشكرى • واخلعت عليهم زوجته ججك خاتون • واعطاهم الاجوبة • وارسل معهم الرسل • ورجعوا فأقاموا في بلاد الاشكرى الى سنة خمس وستين والله اعلم ان ذلك كان • قال : وحكى صاحب عز الدين ابن شداد : ان الرسل دخلوا القسطنطينية ووجدوا الباسلوس كرمخايل صاحبها غائبا عنها في حرب كانت بينه وبين الفرنج • فلما بلغه وصولهم طلبهم اليه فساروا اليه مسيرة عشرين يوما في عمارة متقدمة فاجتمعوا به • (٢) • • • • •

#### ذكر عرض الملك الظاهر عساكر الديار المصرية

---

(١) الاصح " منه "

(٢) سطران غير مقروئين •

كنا قد منا ذكر اهتمام السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى بأمر

العدد الحربية والاستكثار منها والزام الامراء والمفادرة والجند بتكملة العدة • وهي  
عدة الحرب وعدة النجارة وعدة الحجارة • وارسل بذلك الى جميع البلاد الشامية  
والحلبية والى الملك المنصور صاحب حماه فاهتموا بذلك همة عظيمة ولم يبق لهم  
شغل الا تحصيل العدد والاستكثار منها ومن الجواشن الليمخت المصفحة بالذهب  
والفضة وبركصاوانات الخيل جواشن والخوذ الفرنجية فرأى عرض العساكر جميعها في  
يوم واحد وتقدم قبل ذلك الى كل امير ان يعرض اصحابه ومضافيه •

وفي العشر الاول من ذي القعدة من هذه السنة جلس (٥٣ ق) السلطان

الملك الظاهر على الصفة التي بجانب دار العدل عند طلوع الشمس والعالم قد شرعوا  
في اللبس من الليل • وامتلأت الدنيا عساكرا فلا تقع العين الا على خوذ لامعة وانوار  
ساطعة وخيول تصهل وجنود تقبل واطلاب سابقه وعساكر متلاحقه • وساق كل امير  
في طلبه لابسا لامة حربه وجروا من الجنايب خيولا كأنها الرياح في المطاردة والجبال  
في المشاهده عليها من عدد الحروب ما تطمئن به من الممتطين لصولتها القلوب  
وامر السلطان ان لا يلبس احد في هذا اليوم الا ما هو من شعار الحروب وان تكون  
التشاهير والمراوات لوقت آخر •

وكان السلطان قد عفى عن سر حررد قسطلان يافا واطلقه فركب وشاهد

ما يهرعقله • وقال : رأيت عسكر الفرنج وعساكر هلاون وما رأيت مثل هذه العساكر  
العظيمة • ولم يزل السلطان جالسا والعساكر سايقين لابسين وديوان الجيوش  
بين يدي السلطان يجيئون عما يسألون • مع ان السلطان لا يكاد يخفى عليه شيء  
من عساكره بالاسماء والصفات • وعبرت العساكر خمسة خمسة • وطال الامر فعبروا  
عشرة عشرة وكاد الناس يهلكون من الزحام وحمل الحديد • شمر :

ومضان يبرق او شمعاع شموس

حي الحديد عليهم فكانه



فعبث الناس بلا حساب وطال الامر وقرب وقت المغرب والعالم لا يزدادون الا كثرة . وهلك  
ذلك اليوم من الزحام جماعة منهم عز الدين ايبك مملوك الامير عز الدين الحلبي . وكان  
قصد السلطان بركوب الناس في يوم واحد حتى لا يقال ان احدا استعار من احد شيئا .  
وبقي كل احد يدخل من باب القرافة ويخرج من جهة الجبل الى باب النصر الى  
الدهليز المضروب ( ٥٤٠ هـ ) هناك . ولما قرب وقت المغرب ركب السلطان بقباسا  
ابيض لا غير وساق في وسط العساكر اللابسه العدد في جماعة يسيره من سلاح درايته  
وخواصه . ونزل الى الدهليز ورتب المنازل ورجع الى قلعته وقت المغرب ومهابته اعظم  
في القلوب من وقع السلاح . وعظمته تخطف الابصار ولا يقدر احد على تلحظه ولا  
التماح . ثم ان الناس اهتموا باللعب ولبسوا خيولهم التشاهير والبراشم البحرية  
والمراوات والاهله والذهب والفضه والاطلس والخطاي وغير ذلك شيئا عظيما . ونزل  
السلطان وجناييه تجر بين يديه تبهر العيون بحسنها وحسن ما عليها من الالهة  
والمراوات والبنود . قال القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك  
الظاهر قال لي القاضي فتح الدين ابن سناء الملك قبل هذا الوقت بمدة سنة ان الذي  
دخل في المراوات من البنود الاطلس والاصفر قيمته عشرة الاف دينار وما تجدد بعد  
ذلك لا يحصى . وساق السلطان الى ميدان العيد وقدامه جناييه التي ماسمع  
ان ملكا جمع مثلها ولا غالا في اثمانها كمغالاته . ولقد سير طلب فرسا من هذه الخيول  
من صاحب المدينة . المشرفة النبوية على ساكنها سيدنا ونبينا محمد رسول الله افضل  
الصلوة والسلام . فحضر ولد صاحب المدينة وصحبته عدة خيول من جملتها هذه  
الفرس . وذكر انه سير الى نجد ودخل على اصحابه دخول الزمام وبدل لهم جملة  
من ابل وجواري وقماش حتى اخذه فأعطاه السلطان الف دينار مضافا الى الخلع  
والافتقاد . واعطى ولده جملة كبيرة واكثر تحصيل هذه الخيول على هذه الصفة

وكانت كما قيل :

وخيل عليها الدارعون كأنها	رياح سرت (يحمل) (١) في السحب امواها
الفن القنا حتى لو ان تمايلها	تميز عن آذانها ما عرفناها
يصرفها ماضي العزيمة جاعل	بمصر على اسم الله واليمن مرساها
مليحة لو ان الارز في ظل عفوه	وستر سجايها الكرام لغطاها

وسرط السلطان لكل امير يخيب القبح فرسا من هذه الخيل بما عليه من التمايل  
 وخلعة لكل مفرد او مملوك او حند تليق بمثله . وسار (٥٩) السلطان والامراء  
 على ابقائهم ثم المفادرة والبحرية والاحرية والحلقة والاحساد . ودخل الناس بالرمح  
 بكرة النهار ونزل السلطان وقت الصلوة للصلاة واعطاهم الخيام . ثم ركب السلطان ولبسوا  
 وركب السلطان وشفع ذلك بهرمي النشاب والعطا والخلع .

وحاصر رسل الملك بركه في هذا الوقت فسادوا من كثرة العساكر وحسن  
 زعيمهم واتمام السلطان وحسن الرجال والخيول المسومة ما بهرمهم واستمر وقت السلطان  
 وهم الى جانبه يساهدون خلفه حركات هذه الجنود واصابه رميها . واتماموا كذلك  
 اياما على هذه الصفة .

وفي تاسع ذى القعدة الشهر المذكور خلع السلطان على من خلع عليه من  
 الملوك والامراء والبحرية والحداب والحلقة وارباب المناصب والعمام والوزراء والقضاة  
 وارباب البيوت . اعطاهم ذلك مرة ثانية . وحضر الناس لابسين الخلع ولعبوا بقبضه  
 ذلك النهار . فقالت رسل بركه للسلطان : هذه عساكر مصر والسام . فقال : بسل  
 عساكر المدينة خاصة غير الذين في الدخور مثل اسكندرية ودمياط ورشيد وقوس  
 والمجردين والذين في اطاعهم . فعجبوا من ذلك . وذكر الرسول انه ما رأى خيلا

---

(١) كذا في ابن عبد الظاهر ص ١١٢ وهي في الاصل ساقطه .

ولا عدة في عسكر السلطان جلال الدين ولا غيرهم مثل هذا الموكب .

وفي عاشر ذي القعدة الشهر المذكور عمل السلطان السباط في القلعة المحروسة .

وحضر الملك السعيد بن الملك الظاهر . وحضر في خدمته اولاد الملوك واولاد الامراء  
فظهر الملك السعيد . ثم ظهر ابن الامير عز الدين الحلبي اتابكه وابن الامير شمس  
الدين سنقر الرومي وولد سيف الدين سكر وولد حسام الدين ابن بركة خان وولد الملك  
المجاهدين صاحب الموصل ثم اولاد الملك المغيث صاحب الكرك الثلاثة وولد فخر الدين  
الحمصي وجماعة من اولاد الامراء .

وكان قبل ( ٥٥٥ ) ذلك رسم السلطان بكسوة جماعة من الايتام وابناء الفقراء  
بمصر والقاهرة فأحضروا الى القلعة وطهروا في هذا اليوم . وكان السلطان رسم ان  
يختن مع ولده اولاد الملوك والامراء والمقدمين والاجناد والقضاة والفقهاء والعوام  
والفقراء . ونادى بذلك مدينتي مصر والقاهرة . واحضر الناس اولادهم فبلغ عدد  
الصغار الف وستماية وخمسة واربعين من اولاد الفقهاء والعامّة خارجا عن اولاد الملوك  
والامراء والمقدمين والجند فأمر لكل منهم بكسوة على قدره ومائة درهم ورأس غنم . وحمل  
السلطان عن الامراء والخواص كلفه التقادم وسد هذا الباب شرف نفس منه وعدولا عما  
كان يفعله غيره من الملوك في مثل هذا المهم العظيم من تكليف الناس . ما احسن  
قول القايل .

ملك تفرد انه يهب البلاد مع الممالك  
ويجود بالمدن العظام والحصون وما هنالك  
حاشاء يسلك من قبول هدية تلك المسالك  
اوانه مع جوده وعطائه يرضى بذلك

ذكر توجه الملك الظاهر الى الصيد ومسيره الى ثغر الاسكندرية

وبرجوعه الى قلعته سالما

لما فرغ السلطان الملك الظاهر من هذا المهم العظيم كما قدمنا شرحه خرج

من قلعته متصيدا فعدى الى بر الجزيرة في ذى القعدة من هذه السنة . وسار  
الى الطرانة الى وادى هبيب (١) ونزل بالدره التي هناك . ووصل بتروجه واخذ  
منها الى جهة الحمامات وسار الى منزله الكبش وقيل الكرش بالراء قرب العقبة الصغرى  
التي غربي الحمامات . وركب من الكبش الظهر وضرب حلقه في اليوم الثاني ووصلت  
الميسرة الى فوق العقبة الصغرى . وعيد عيد الاضحى ونحر الاضاحي وصلى صلاة  
العيد .

وبلغه ان بعض العربان قد عصوا في بعض البرارى فجرد اليهم جماعة وحضر جماعة  
من عرب هواره وعرب سليم فكتب عليهم الحج بعمارة البلاد وان لا يقرؤا احدا من  
العربان العصاة . وعاد السلطان الى الاسكندرية وحل في الجامع الغربي . وعم  
جميع الامراء والمفاردة وخواصه بما فرقه عليهم من الاموال والاقمشه عمل اندار الطراز  
والاشكر لاط ولعب الكرة (٥٥ ق) بميدان الاسكندرية وزار الشيخ الشاطبي . وسار  
متوجها الى القاهرة المحروسة . ولما نزل بتروجه عند رجوعه رسم بتقديم سيف  
الدين عطا الله بن عزاز على عرب برقه وتحدث معه في امر العربان وكونهم ينتفعون  
من مصر باثمان الخيول المجلوبة والاغنام وغيرها . وانهم يستنتجون الاغنام وينزعسون  
الزرايع ولا يقومون بحق الله تعالى من الزكاة والعشر . وابوبكر الصديق رضي الله  
عنه يقول : ولو منعتوني عقالا كانوا يعطونه لرسول الله صلى الله وسلم لقابلتهم  
على منعه . وقد قال الله تعالى : واقبوا الصلاة واتوا الزكاة (٢) فالنزم الامير  
عطا الله بهذا الامر وانعم السلطان عليه سنجد ونقارات فتوجه ملتزما حفظ  
البلاد واستخراج الزكاة من العربان والله اعلم .

---

(١) كذا في ابن عبد الظاهر (ص ١١٦) وفي الاصل بدون نقط .

(٢) سورة النساء ٤ آية ٧٦ .

ولما وصل السلطان الاسكندرية الى قلعته سالما وصل الى الابواب الشريفة  
شحنه تكريت ومعه جماعة • فأحسن السلطان اليهم وعمل فيهم كما قال الله تعالى :  
اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ( ١ ) •

وفي هذه السنة وصل للسلطان الملك الظاهر عشرة عقبان فأطلقها •  
فعمل في ذلك الامير جمال الدين ابن الامام الحاجب :

جاءت ملوك الطير في يد أسر      قهرا الى ملك الانام الظاهر  
اضحى سليمان الزمان فملكه      يسمويه لقياصر واكابسر  
ملك الزمان ستاتينك مثلهم ( ٢ )      في اسر خادمت الزمان الجائر

ذكر توجه عسكر جهزه السلطان الى خير لاصلاح من بها •

ابت همة السلطان الملك الظاهر الا افتتاح البلاد القريبة والبعيدة واحتمال  
المشاق ( ٥٦ و ) في المهمات العتيدة • ورأى ان بلاد الحجاز طريق البلاد اليمنية  
وظهر البلاد الكركية والشوكية • ونظر الى جهة خير فوصلته كتب اصحابها  
عبيد الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه يذلون الطاعة والخدمة ويستجدون  
اسباب النعمة • فسير نجابين استصبح الاخبار • وانتدب الامير امين الدين  
موسى بن التركماني • وجهز الرماة والمقاتلة وانفق فيهم الاموال وجهز الخلع  
للمقدمين والمشايخ وكتب الى نايب الكرك بتجهيز امراء العربان وجماعة من البحرية  
المجردين بالكرك صحبتهم وجهز الغلال والذخاير لهذه القلعة فتوجه الامير  
امين الدين وافتتحها •

---

( ١ ) سورة قريش ١٠٦ آية ٤

( ٢ ) كذا في ابن عبد الظاهر ( ص ١١٧ ) وغير واضحة في الاصل •

وفي هذه السنة ظهر قتلى في الخليج وفقد جماعة من الناصراتهم بهم  
معارفهم والتبر الامر فيهم . ودام هذا الحال مدة شهر حتى ظهر ان امرأة حسنة  
تسمى غازية كانت تخر في زينة فاخرة . وتطلع من يراها من الاحداث ومعها امرأة  
عجوز فاذا رأت احدا مال اليها بالنظر وتبعها تعرضت اليه وخاطبته في امرها  
وقالت له لا يمكنها تجتمع بأحد الا في منزلها خوفا على نفسها . فمنهم من يحمله  
الغرض على موافقتها فينطلق معها فاذا حصل عندها خرج اليه رجلان فيقتلانه  
ويأخذان لباسه وما معه . وكانوا على ذلك يتنقلون من مكان الى مكان خوف الشعور  
بهم . الى ان سكنوا خارج باب الشعرية على الخليج . فانفق انه كان بالقاهرة  
ماشطه مشهورة فحادثها العجوز وقالت لها : عندنا امرأة قد زوجناها ونريد من  
تدبير امرها وتزيينها بأحسن زينة . ونحن نعدايب مهما احببتي وواعدتها على  
المسير اليها فحملت الماشاة (٥٦ق) ما تيسر عندها من الحلى والثياب مع جارية  
لها وخرجت اليهم فدخلت عندهم وانصرفت الجارية . فلما انصرفت الجارية قتلوها  
وابطى خبرها على الجارية . فجاءت الى الدار فطليبتها فأنكروها . فوشت بهم  
الى الوالي بالقاهرة . فركب الى الدار وهجمها فوجد فيها الصبية والعجوز  
فأخذهما وتوعدهما فاقرأ على نفسيهما وعلى رجلين آخرين . فحبر النساء فسمع  
بهما احد الرجلين فأتى يتفقد هما فقبض عليه وعوقب حتى اقر قدل على رفيقهما  
رجلا في جوارهم له اقمه يحرق فيها الطوب . فكان يلقي فيها من يقتلوه .  
فيحترق ولا يعرف به احدا . واظهروا من الدار حفاير مملوءة قتل فطالعو  
السلطان بأمرهم . فامر بتسميرهم تحت القلعة فسمروا في يوم واحد وشفع عند  
السلطان في المرأة بعد تسميرها بيومين فأمر باطلاقها ففكت سمارها واطلقت .  
فأقامت اياما وماتت . ولما سمروا عمد بعرض عوام البلد الى بيتهم فعمره مسجدا  
والله اعلم .

قال بعض اهل التاريخ وفيها امر السلطان الملك الظاهر بانشاء خان بالقدس .

الشريف وفوض امر بنائه للامير جمال الدين محمد بن نهار . ونقل اليه من القاهرة بابا من بعض دهاлиз قصور الخلفاء بمصر واوقف اوقافا حسنة منها قيراط ونصف من قرية الطره من اعمال دمشق . وثلاث وربع قرية المشيرفه من عمل بلد السواد ونصف قرية لبنا من عمل القدس يصرف ذلك في ثمن خبز واصلاح نعال من يرد اليه من المسافرين المشاة . وفلوس وبنى بالخان طاحونا وفرنا . وجعل النظر فيه للامير جمال الدين محمد بن نهار .

وفيها اتفقت واقعة بالمغرب بين السلطان ابي يوسف (٥٧٧ و) يعقوب المريني وبين الفرنج . وكان المقدم على الفرنج قائدا يسمى بدر قزمان . وكان الملتقى على مكان يقال له بيره فهزمه المريني وقتل جماعة ممن كان معه واثر في تلك البلاد آثارا حسنة .  
(٥٨ ق) (١) ذكر وفاة من توفي من الاعيان في هذا العام وبعض اخبارهم .

ابراهيم بن مكي بن عمر بن نوح بن عبد الواحد المخزومي الدمايني يلقب ضياء الدين الكاتب . سمع من ابي الحسين علي بن قصر بن الحسين خلال وحدث بالقاهرة فسمع منه الشريف عز الدين احمد بن محمد وغيره وتقلب في الجند الديوانية بديار مصر . ولد في رابع عشر المحرم سنة ارب وثمانين وخمماية بدمامين وتوفي في حادي عشر ذي الحجة سنة اثنتين وستين هذه السنة ببلبيس رحمه الله تعالى .

---

(١) لا وجود لصفحة رقم ٥٧ ق ولا لصفحة ٥٨ و مع العلم ان صفحة ٥٧ و لم يكتب فيها الا ثلاثة اسطر وبعض السطر .

احمد بن ابر عبد الله محمد بن مندر المالقي المصري يكنى ابا جعفر ويعرف بالنضيا الحافظ . كان عارفا بالادب وله نظم حسن ومعرفة بعلوم عدة . توفي في هذه السنة .

احمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان بن رافع الحلي الاسدي يكنى ابا العباس ويلقب كمال الدين ويعرف بأبن الاستاذ . سمع الكثير وحدث وولي قضا القضا بحلب واعمالها في سنة ثمان وثلاثين وستمائة . وكان في عنفوان شبابه . فحمدت سيرته وشكرت طريقته . وكان سديد الاحكام وله المكانة العظيمة من الملك الناصر صلاح الدين يوسف الايوبي صاحب حلب ومن سائر ارباب الدولة . ولم يزل متوليا الى ان ملك التتار حلب . توفي في نصف شوال من هذه السنة .

اسماعيل بن علي (١) بن الجباب المصري يلقب لشمس الدين ٠٠٠٠٠٠ (٢) بعض الاخوان قال : زرت القرافة الصغرى وشاهدت (٣) الجبد المقطم تحت العارض بجوار مراكم موسى في تربة قديمة بايوان كثير معقود قمورا عديدة على لوح رخام عند رأس قبر منها مآثاله بعد (٥٩ و) البسطة الشريفة : اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها (٤) . هذا قبر الفقير الى الله تعالى شمس الدين اسماعيل بن علي بن الجباب توفي في الثامن عشر من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وستين وستمائة .

سليمان بن عامر العقرباي الدمشقي يكنى ابا المؤيد ويلقب زين الدين ، ويعرف بالزين الحافظي . لهذا الزين الحافظي امور قبيحة وقعت منه في حق المسلمين

(١) في الاصل " ع ٠٠٠ لي " .

(٢) في الاصل " احب لي " ولعلها " اخبرني " .

(٣) في الاصل " وشهدت " .

(٤) سورة الرعد ١٣ آية ٤٠ .



حين حضر التتار الى الشام وقد قدما بعض ما وقع منه فنسأل الله حسن الخاتمة يمنه  
وكرمه انه على كل شيء قدير . ذكر صاحب ابن شداد في سيرة الملك الظاهر  
ركن الدين بيبرس الصالحي ان من جملة الاسباب المؤكدة لقتله ان الملك الظاهر  
استدعى اخاه عماد الدين احمد المعروف بالاشتر من دمشق وعوقه اياما ثم افرج  
عنه وانعم عليه في الشهر بخمسمائة درهم ورتب له خبزا ولحما وغير ذلك مما يحتاج  
اليه . وامره ان يكتب الى اخيه الزين المذكور كتابا يعرفه فيه نية السلطان وان  
ماله ذنب وهو هوى ما نسب اليه من افعاله القبيحة وانضمامه في سلك هولاء ملك  
التتار . فكتب اليه بجميع ما اراد الملك الظاهر فلما وصلت الكتب الى الزين الحافظي  
حملها الى هولاء وعرضها عليه . وقال له ان صاحب مصر انما يكتب لي بمثل هذا  
ليقع في يدك فيكون سببا لقتلي . وقد عزمت ان اكتب من عنده من الامراء القائمين  
بدولته والاعيان بمثل ما كاتبني لأكيده كما كادني . فأذن له فكتب كتابا لجماعة  
فوقعت في يد السلطان الملك الظاهر فعلم انها مكيدة منه . فكتب اليه يشكره  
على عرض الكتب على هولاء واستصوب رأيه في ذلك كونه عرضها لتزول التهمة (٥٩ق)  
عنه . وبعث الكتب مع قصاد وقرر معهم انهم اذا وصلوا الى وسط جزيرة ابن عمر  
يتجردوا من ثيابهم على انهم يسبحوا ويحتالوا في اخفاء انفسهم ليظن انهم قد  
غرقوا وتكون الكتب في ثيابهم . ففعلوا ذلك فرأى نواب التتار الثياب فأخذوها وفتشوها  
فوجدوا فيها الكتب فحملوها الى هولاء فوقف عليه وكنم امرها واسرها في نفسه مضرا  
لقتله . ثم احضره وقال له : انت قد ثبت عندى خيانتك وتلاعبك بالدول فانك  
خدمت صاحب بعليك طبييا فخنثه ، واتفقت مع غلمانك على قتله . فلما قتل انتقلت  
الى خدمة الملك الحافظ الذي عرفته به ونسبت اليه فلم تلبث ان خنثه وباطنت عليه

الملك الناصر صاحب حلب واخرجت قلعة جعبر من يده . ثم انتقلت الى خدمة الملك الناصر ففعل معك ما لم تسم اطعامك اليه ولا الى بعضه . فخنثه معي حتى جرى له ما جرى . ثم انتقلت الى فأحسنت اليك احسانا لم يخطر ببالك فجعلت تكافيني عليه بالافعال الرديئة وتعاملني عليه بما كنت تعامل به الملك الناصر وشرعت في مكاتبة صاحب مصر فأنت معي في الظاهر خارجا عني في الباطن . فأنت شبهتك شبه القرعة على وجه الماء كيفما ضربها الهوى سارت وعدد له ذنوبا عديدة في خيانتة في الاموال التي كان سيره في جبايتها واستخراجها . ثم امر بقتله وقتل اخوته واولاده ومن يلوذ به . فكان مجموعهم نحو الخمسين فضربت رقابهم صبورا . لم ينح منهم سوى ولد له يسمى مجير الدين محمد وولد اخيه شهاب الدين . قتل الزين الحافظي في اواخر هذه السنة .

صالح بن ابي بكر بن سلامة المقدسي الحمصي يكنى ابا البقا الفقيه الشافعي . ولي القضاء بمدينة حمص . كان حسن الظاهر سديد الطريقة محمود السيرة توفي بحمص في هذه السنة .

(٦٠) عبد الملك بن نصر بن عبد الملك المصري النجوى يعرف بابن اللغوى ولد في رابع صفر سنة تسع وتسعين وخمماية بالاسكندرية . وتوفي بمصر في رابع عشر شهر ربيع الاول من هذه السنة ودفن من يومه بسفح الجبل المقطم .

عبد الكريم بن قاضي القضاء جمال الدين عبد الصمد بن محمد الانصارى الخرجي الدمشقي يكنى ابا الفضائل ويلقب عماد الدين ويعرف بأبن الحرستاني . روى عن الخشوعي وعن ابيه وغيرهما . كان دينانا في القضاء بدمشق عن والده في الايام العادلة وعن قاضي القضاة الخوي عند توجهه الى الحجاز الشريف وولي

قضاء القضاة بدمشق في الايام الاشرفيه • وولي الخطابة والامامة • بجامع دمشق وتدرّس الزاوية الغزالية سنة ثلاث واربعين وستماية • ثم ولي مشيخة دار الحديث الاشرفية • واستقر ذلك من الايام الصالحية النجميه ومن قبلها الى ان تعصب عليه نائب السلطنة الامير جمال الدين اقوش النجيبى وكان السلطان في حق ولده محي الدين فجاءه المرسوم بتولية ولده الخطابه مع الزاوية الغزالية وان يولسي دار الحديث للشيخ شهاب الدين ابوشامه • وليد الخطيب عماد الدين بدمشق في سابع عشر شهر رجب سنة تسع وتسعين وخمسماية • وتوفي ببيت الخطابه بالجامع الاموى بعد صلاة الصبح من يوم الاحد تاسع عشر جمادى الاولى من هذه السنة وصلى عليه بالجامع قاضي القضاة شمس الدين احمد بن خلكان • ومسوق الخيل الشيخ شهاب الدين ابوشامه وكان له مشهد عظيم حضر جنازته غالب من في دمشق وحواضرها • وانتشر الخلق فكان اولهم الصالحية وآخرهم سوق الخيل • ودفن بسفح جبل قاسيون ظاهر دمشق قريبا من ابيه •

محمد بن محمد بن ابراهيم بن الحسن بن سراقه الانصارى (٦٠ق) الشاطبي يكنى ابا بكر ويلقب محي الدين ويعرف بابن سراقه الحافظ • ولي مشيخة الحديث بالمدرسة الكاملية بالقاهرة المحروسة • وليد بشاطبه من بلاد الاندلس في شهر رجب سنة اثنتين وتسعين وخمسماية • وتوفي بالقاهرة بعد الظهر من يوم الثلاثاء العشرين من شعبان من هذه السنة ودفن من الغد بسفح المقطم •

محمد بن عيسى وقيل ابن منصور السكندري يكنى ابا القاسم يعرف بالقبارى الشيخ الصالح الزاهد • كان احد المشايخ المشهورين بكثرة الورع والتحرى في المأكل والملبس والانقطاع والتخلي وترك الاجتماع بابناء الدنيا والاقبال على مايعنيه • وكان يزوره الملوك والامراء فلا يكاد يجتمع بأحد منهم •

ولما توجه الملك الظاهر الى الاسكندرية قصد زيارته فركب الى بستانه فلم  
 يفتح له الباب . ويحكى عنه انه كان اذا رأى ثمرة ساقطه في ارض البستان تورع  
 عن اكلها خشية ان تكون الثمرة من شجرة غيره . قد حملها طائر فسقطت من الطائر  
 الى غيطه . ويحكى عنه انه اباع دابة بخمسين درهم . أحضرت الدراهم فجعلها  
 في قادوس . وان المشتري لها اتاه بعد يومين فقال له ان الدابة لم تأكل علفها  
 منذ يومين . فقال له : ما صنعتك قال : رقاص . فدخل واخرج القادوس وفيه  
 الدراهم وضعها وقال : افتح يدك فان دابتنا ما تأكل الحرام . وان ذلك الرجل  
 اباع كل درهم منها بثلاثة دراهم لاجل البركة . وله مناقب كثيرة توفي ببستانه  
 بجبل الصقل ظاهر ثغر الاسكندرية في هذه السنة ودفن بوسية منه وذكر قاضي  
 القضاة شمس الدين احمد بن خلكان عن الشيخ مجد الدين ابن الخليلي ان موته  
 كان في سادس شعبان وان الاثاث المخلفه عنه كان قيمته خمسين درهم فبيع بنحو  
 عشرين الف درهم وان الناس تزايدوا فيه رجاء البركة حتى في الابريق الذي كان يتوضى به .

(١٦٥) محمد بن ابي بكر بن سيف التنوخي الموصلي يلقب شمس الدين الوتار المعري .

خطب بجامع المزة . وكان له حاصل من الادب وله شعر فمنه قوله :

وكنّت واياها منذ اختط عارضي	كروحين في جسم وما نقضت عهدا
فلما اتاني الشيب يقطع بيننا	توهمت سيفا فالبسته غدا

ومن شعره في صاحب صفى الدين ابن مرزوق لما عزل من الوزارة في دولة الملك

الاشرف بن الملك العادل الايوبي :

ما ابصر الناس ولا يبصروا	في عصرهم مثل ابن مرزوق
من جهله يحكم في عزله	كهارب يضرب بالبسوق

ولد في سنة تسع وسبعين وخمماية بالموصل • توفي في هذه السنة ووجد على

قبره مكتوب هذين البيتين :

قد كان صاحب هذا القبر لؤلؤة      وكان قد صاغها الرحمن من صلف  
عزت فلم تعرف الايام قيمتها      فردها غيرة منه الى الصدف

موسى بن الملك المنصور ناصر الدين ابراهيم بن الملك المجاهد اسد الدين

شيكوه الايوبي الحمصي • يكنى ابا عمران ويلقب مظفر الدين وينعت بالملك الاشرف

صاحب حمص • كان شابا عفيفا عما يقع فيه غيره • وكان كريما له صلات لمن يقصده •

يحب اهل العلم وله في كسرة التتار في المرة الثانية الاثر الجميل والفعل الحميد •

توفي بحمص في يوم الجمعة حادي عشر صفر من هذه السنة قبل الصلاة • ودفن ليلا

على جده الملك المجاهد بالمدرسة التي انشأها بباطن حمص ومات وله خمس وثلاثون

سنة ولم يكن له ولد ولا اخ ولا ولي عهد •

لاجين بن عبد الله العزيزي يلقب حسام الدين الجوكندار كان من ممالك الملك

العزيز غياث الدين صاحب حلب • وكان شجاعا جوادا كريما كيسا لطيفا متواضعا محبا

للفقراء (١٦١ق) احسن الاعتقاد بالصالحين وله المواقف المشهورة • ذكره الشيخ

قطب الدين اليوناني (١) في تاريخه واثنى عليه وقال : كان له في الفقراء والصالحين

عقيدة حسنة ويكثر الاحسان اليهم وكان يعمل السماعات ويحضر فيها من المآكل والمشارب

والروائح الطيبة ما يبهر العقل ويتجاوز الحد ويمد السماط ثلاث مرات بشرط انه لا يرفع

منه شيئا بل يوكل منه ما امكن ويتفرق من حضر ما بقي • وجميع ما يشرب في تلك الليلة

من اولها الى آخرها من المياه مصنوعة بالثلج والسكر المكرر وما الجلاب والسود •

---

(١) كذا في الاصل ولعلها اليونيني •

فاذا كان في وقت السحر اخذ الحمام المجاورة لداره ودخل اليها معه معظم الجمع فيخدم الفقراء بنفسه وغلماؤه فاذا خرجوا يعقد من عليه قميص خلع او دلق واحضر اليهم قمصانا جدد او دلوفا في غاية الحسن ثم يستدعيهم الى داره ويسقيهم من الاشربة ما يناسب الحمام ويلائمه . ويمد لهم السماط من النطماج والحلوى السخنة ويخلع على المغاني . وكانت الاشياء بدمشق غالية في ذلك الوقت جدا . وقيل كان تقدير ما يصرفه على كل سماع ثمانية الاف درهم . توفي لاجين المذكور في رابع عشر المحرم من هذه السنة بدمشق ودفن بسفح قاسيون وقد ناهز الخمسين سنة . وقيل انه سم من ملوكه جمال الدين ايدعى بمواطاة عليه .

يحيى بن علي بن عبد الله بن علي بن مفرج القرشي الاموي يكنى ابا الحسين ويلقب رشيد الدين النابلسي الاصل المعوي المولد والدار المالكي العطار الحافظ . سمع الكثير من خلق كثير وحدث بالكثير وانتهت اليه رئاسة الحديث بعد الحافظ ركن الدين المنرى . ولد في شعبان سنة اربع وثمانين وخمماية وتوفي بمصر بعد الظهر من يوم الاثنين ثالث جمادى الاول من هذه السنة . ودفن بسفح المقطم قريبا من (١) ابي بكر الخزرجي رضي الله عنهما .

٦٦٣ هـ (٢٤٤ تا ١٢٦٤ - ١٣ تا ١٢٦٥)  
(٦٢) ذكر الحوادث في سنة ثلاث وستين وستماية

توجه السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي في اوائل هذه السنة الى الصيد فاقام باوسيم وعرج الى جهة العباسية . ورعى البندق واصرع جماعة وادعوا للسلطان ومن جملتهم الامير فخر الدين عثمان بن الملك المغيث صاحب الكرك وصرع السلطان الملك الظاهر نموا في ثالث شهر ربيع الاول قريب (٢) رأس الماء .

---

(١) بعدها نصف سطر بياض قيل " ابي " .  
(٢) يبدو كأنها كانت " قريما " ثم كتبت كما هي في المتن .

ذكر نزول التتار على البيرة ومحاصرتهم لها وتجريد العساكر المصرية اليها

وخروج الملك الظاهر الى الشام

كان السلطان الملك الظاهر خرج متصيذا بجهة العباسية واعراس . فبلغه ان التتار قد جمعوا ونازلوا البيرة المحروسة فوثب وثبة الاسد المفترس واندفع انتفاع السيل المحتبس واخذته الحمية للاسلام ومنع جنبه ان يضطجع وعينه ان تنام . وامر الامير بدر الدين الخزندار بالركوب على الخيل السابقة . وانه ساعة وصوله يجرد اربعة آلاف فارس من العسكر الخفيف وساقوا وساق السلطان من اعراس الى قلعته . فأقام ليلة واحدة وكانت العساكر متفرقة في البلاد والخيول على الربيع وكانت الفرنج قد افهمت التتار ذلك وان عسكر الديار المصرية لا يمكنها وقت الربيع الحركة . وما علموا ان للاسلام ملكا يحمل النعس على المشا . واذا ساق الى جهة تخيل ان ركب على البرق وساق . فلما استقر بقلعته رسم للامير عز الدين ايغان الملقب بسم الموت بتقدمة العساكر ولمن هو مسافر معه بالتوجه جرايد . ومنهم الامير فخر الحمصي والامير بدر الدين بيليك الاديمري والامير علاء الدين كشتغدي الشمسي وجماعة (٦٢ق) من الامراء والحلقه وتوجهت هذه العساكر في رابع شهر ربيع الاول من هذه السنة .

وامر الامير جمال الدين المحمدي وجمال الدين ايدغدي الحاجبي بالتجهيز في قريب اربعة الاف اخرى . فخرجت هذه العساكر ثاني يوم خروج الامير عز الدين ايغان وسافروا بعد سفر العسكر الاول بأربعة ايام .

ولما توجهوا شرع السلطان في التجهيز وسير السلاح داريته لاحضار الدواب من الربيع واحضار الجند . وخرج السلطان الملك الظاهر بنفسه في خامس شهر ربيع الاخر من هذه السنة . ورحل في سابع الشهر المذكور . وسار والنصر تقدمه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يضمن الله لمن خرج في سبيل الله لا يخرج  
الا جهاد في سبيلي والا ايمان بي وتصديق لرسلي ان ادخله الجنة او ارجعه  
الى مسكنه الذي خرج منه نابلا مانال من اجر او غنيمة . وكانت العساكر تملأ  
الارض وما نقصت في العين بسبب من جرد . وصارت الجمال تتفان بلا سبب . وبقيت  
اموال الناس مطروحة على الطرقات . ولمهابة السلطان لم يتأخر احد . ولما  
عرفوا السلطان يحال الناس ويموت الجمال . قال : ما انا في قيد الجمال انا في  
قيد نصرة الاسلام .

ونزل السلطان غزه في العشرين من شهر ربيع الآخر . فوصلت كتب النواب  
بأن العدو نصب على البيره سبعة عشر منجنيقا . فكتم السلطان هذا الامر عن  
امراءه ولم يطلع عليه الا الامير شمر الدين سنقر الرومي وسيف الدين قلاوون الالفى .  
وصار يكتب الى الامير عز الدين ايخان ويقول : متى لم تدركوا هذه القلعة والا سقت  
اليها بنفسى جريدة . فساق العسكر وحث السير .

ولما نزل السلطان في (٦٣و) قريتا (١) ركب للصيد فتقطر عن فرسه  
وانهشم وجهه وانسلت جلده فأظهر تجلدا ورحل فنزل بينا (٢) . وحضر في الخدمة  
قسطلان ياقا واحضر جملة من التقادم .

ذكر وصول العساكر الاسلامية لحمايه البيره وهزيمة التتار  
وورود البشائر الى الملك الظاهر بذلك

كنا قد منا ان التتار قد جمعوا ونازلوا البيره المحروسة . وان السلطان

---

(١) في الاصل بدون نقط اما في ابن عبد الظاهر (ص: ١٢) فهي قريبا من صيدا وهي  
"قريتا" عند المقرئى ، السلوك، (ص: ٥٢٤)  
(٢) في الاصل بدون نقط .



الملك الظاهر لما بلغه ذلك جرد العساكر اولا اولا • ثم خرج بنفسه وتوجه الى جهة الشام • فلما وصلت العساكر الاسلامية المجردين من الديار المصرية الى البيرة وشاهدوهم التناحر وراوا عزائمهم الماضية في قتالهم هربوا ورموا مجانيقهم وغرقوا مراكبهم وانهزموا لا يلسوى احد على احد ولا يقف والد لولد • فلما كان سادس عشر من شهر ربيع الاخر الشهر المذكور ورد البريد الى يمني من جهة الامير جمال الدين النجيبى نايب السلطنة بالشام • وكان السلطان قد دخل الى الحمام في دهليزه المنصور فسمع انه قد وصل خبر طيب فقام لوقته عريانا وقرئت عليه الكتب فوجد في كتاب الامير جمال الدين النجيبى نائب دمشق بطاقة من الملك المنصور صاحب حماه مضمونها انه وصل الى البيرة بالعساكر المنصوره صحبة الامير عز الدين ايفان وجماعة الامراء يوم الاثنين • وان التناحر عندما شاهدوهم وراوا عزائمهم الماضية هربوا ورموا مجانيقهم وغرقوا مراكبهم وانهزموا لا يلسوى احد على احد ولا يقف والد لولد • وكان كتابتها من البيرة الى حين وصولها الى يمني اربعة ايام • فان البطاقة وصلت الى حماه الى دمشق على الجناح • ومن دمشق حضر البريد بها الى يمني وهذا الاحتفال السلطان بامر الاسلام وترتيب (٦٣٢) المصالح العامة، وای همة اعظم من همة تبلغه الاخبار من البيرة وهو في اول بلد الساحل في اربعة ايام ويكون في الحمام فلا يصبر الى ان يلبس قماشه بل يخرج على الصفة التي ذكرناها عجلا خشية من مصلحة تفوت •

وللوقت سير البطاقة صحبة الامير حسام الدين لاجين الدوادار فأوقف عليها الامير شمس الدين سنقر اروجي والامير سيف الدين قلاون الالفی • ثم حضر اربعة بمالیک من جهة الامير عز الدين ايفان والامير فخر الدين الحمصي والامير بدر الدين الايدمری والامير بدر الدين العلاني مقدم عسكر الشام باليشارة • فطلب

السلطان امرا دولته وقرأوا الكتب واستبشروا بهذا النصر وكفى الله المؤمنين

القتال • وكتب كتب البشائر الى الديار المصرية وغيرها •

واصبح ينظر في امور دولته لانه كان اذا لم يركب يصلي الصبح ويخرج الى باب دهليزه ويجلس على كرسي امير جاندازه ظاهرا للناس كافة • ويقرب منه الفقير والمرأة والضعيف ويقضي حوائج الناس ويسمع قصص الرعايا ويوقع عليها بين يديه الى ان يرى امرا • وه حضروا من ركوب الخيل يقوم ويجلس في مرتبه السلطنة ويحضر الامراء ويمد لهم الخوان ويجلس لقضاء حوائج الناس وللعلامة على الكتب • وانما ذكرنا ذلك ليعلم ان هذا السلطان اوقاته مستغرقة في مصالح المسلمين ولذته في الاهتمام بأمر الدين •

ثم احضر البريدية من البيرو سكك حديد كان العدو صنعها للصعود في الاسوار • وورد كتاب الامير جمال الدين اقوش المغيبي النايب بالبيرو يذكر صفة الحال وما اشتملت عليه من قوة العزائم وشدة الشكايم • وانه لما كثر العدو على القلعة وطم الخندق حفر اهل البيرو حفيرا قدر قامة (٦٤ و) وعملوا فيه سردابا نافذا الى الاحطاب التي كان العدو وردمها في الخندق • ورموا فيها النار فاحترقت جميعها في الخندق وما قدر العدو على طغيها • ثم سد المسلمون السرب المحفور • وذكر مصابرة اهل الثغروان نساءهم فعلمن من حسن البلاء في قتال الاعداء مالا يفعلهُ الرجال • ومن جملة ما وصف ان برجاً واحداً كان عليه خمسة عشر من جنيقا وثبت شهرين • وكان العدو قد ضربوا اربعين سكة كل سكة ثلاثة ارطال بالحلي وخمسين سكة كبيرة • وجعلوا فيها الحبال ليجروا بها السلام ويرفعوا المقاتلة • فأخذ اهل الثغر الجميع واخذ من العدو مراكب كبارا وصغارا •

فكتب السلطان بأطابة قلوبهم وعينت امثله بأقطاعات لمن جاهد من البحرية

وغيرهم بالبيرو • واستشهد الامير صارم الدين بكتاش الزاهدي احد الامراء

المجردين بها بحجر منجنيق • وترك موجودا كبيرا • وبننا واحدة تستحو نصف ميراثه •  
فرسم ان يكون جميع ميراث ابائها لها لاتشارك فيه لما فعله ابوها في الخدمة • واهتم  
بعمارتها وحمل الاقوات اليها • وكتب الى جميع القلاع والولايات بمساعدة هذا الثغر  
وكتب تذاكر بما يحمل اليها من مصر والشام من اعيان واسلحة وعدد مجانيز وغيرها •  
وكلما تحتاجه هذه القلعه • ومن فيها عشر سنين • وكتبت الى الامراء انهم  
لايتحسروا من مكانهم حتى يندلفوا جميع الخندق وينقلوا الحجارة التي ردمت فيسه  
وكتب بذلك الى الملك المنصور صاحب حماه • والى جميع الناس • وامر بنقل ذلك على  
اكتافهم وخطهم • فاقاموا كذلك مدة •

ووردت الى السلطان كتب الامراء بها وهم يصفون مايعتدونه من حمل التراب  
بنفوسهم ونقل الحجارة • فصادف ذلك ان السلطان واقف على سور قيسارية وهو (٦٤ق)  
يهدم بنفسه • وفي يده القطاعة وقد تجرحت يده • فكتب في الجواب : انا بحد  
الله تعالى ماتخصنا عنكم براحة ولا انتم في ضيق ونحن في سعة • ما هنا الا من  
هو مباشر الحروب اللين والنهار وناقل الحجار ويرايط الكفار • وقد تساونا في هذه  
الامور • وما ثم ماتضيق به الصدر " •

ووردت كتب الامراء يخبرون بأن النوبة كانت على الامير عز الدين ايفان والامير  
فخر الدين الحمصي • والامير بدر الدين الايدمرى وجماعة من البحرية • وكانت خيلهم  
في الجانب الشامي ترتعي وهم رجاله يعلمون • فأحاطت بهم فرقة من التتر المفصل  
ملبسين • فاجتمعوا ورموهم بالنشاب وانكوهم بالجراحات فولوا منهزمين وسار العسكر  
خلفهم فوجد منهم جماعة قد هلكوا من تلك الجراح في الطريق • وفي حران وغيرها  
وجماعة من كبارهم قتلوا في ذلك اليوم •

وسير السلطان استدعى من الديار المصرية ما بيني ألف درهم وما يتي تسريف  
وجهنز معها من دمشق مائة تسريف ودرهم • وسير الجميع الى البيرة • وكتب الى  
عز الدين ايفان بأن يحضر اهل القلعة وجميع من يسا من امير ومأمور وحند ووعاملي  
ويخلع عليهم وينفق فيهم المال حتى الحراس وارباب الذؤ (١) بلبسوا الخلع  
ويخدمون "بيات" (١) الذلعة • وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال :  
يا رسول الله ان الاعمال اقل ؟ قال : مؤمن يجاهد بنفسه وما له في سبيل •  
ثم رحل في شعب من الشعب يعبد الله • وقال الله تعالى :  
مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبثت سبع سنابل في كل سنبلة  
مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء (٢) •

وواصل كتاب الامير عز الدين ايفان بانه اعتمد هذا الامر • وسار خبره في  
البلاد (٦٥ و) وتمنى النصارى السلطان لا ياتيهم به عمل عامل وانه ليرعن  
غلمانهم بغافل • ودالبه قلوب اهل القلاع بذلك • وقالوا : السلطان يغاير لنجدتنا  
المراحل وتسبق عساكره الا بارى المنازل • ولما وصل الامير جمال الدين  
المحمدي رسم السلطان بأن يكون مقدما على العساكر المصرية والسامية لكسبه سنه •  
والامير عز الدين ايفان يتحدث في الميقات وادار الاموال وترتيب امور البلاد  
فوردت كتبهم بأن الخنادق قد تنظفت ولم يبق لهم عائق •

فرسم السلطان ان يحملوا الى القلعة حجارة زلعة • وقرر على صاحب حماه  
لنفسه خاصة ألف زلعة وعلى كل امير من امرائه مائة حجر وكل جندي خمسين زلعة •  
وكذلك قرر على جميع الامراء والجنود • وقرر عليهم حمل النساب والاختاب للمجانين •  
وجرد للعمارة الامير علم الدين والامير سيف الدين بلبان الحبشي وكن الدين الصروي

(١) بدون نقط في الاصل

(٢) سورة البقرة (٢) آية ٢٦٠ •

وتجرد من كل امير صحبتهم ثلاثة نفر يقيمون لنجار العمارة • واذا اتموا ذلك يتوجهون الى تل باشو للاغارة على بلاد سيرفوردت كتبهم باعتماد ذلك جميعه • واستمر حمل الغلال الى البيرة فلا ترى الا قوافل حاملة وركايب موسقه راحلة • وكتب السلطان الى الامير جمال الدين النجيبى بالحث على ذلك والتوبيخ (١) فعزم عزمة الرجال وحمل ماملأ الارض من الغلال وحملت اليها المجانيق من شيزر وعوضت عنها من دمشق • ورحل عنها العسكر وقد نصره الله واظفره وشيد بنية السلطان الثغر وعمره •

ذكر تبطيل المزور واخراجه من اقطاعات الجند وتعويضهم غيرها •

لما فرغ السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي من امر البيرة كما قدمنا شرحه (٧٥ق) رأى ان يتبع الحسنه حسنة وان يزيل منكرا تغدوا آثاره بينه وكتب الى الديار المصرية بتبطيل المزور وان تعفى آثاره وتخرب بيوته وتكسر مواعينه ويسقط ارتفاعه من الديوان • وكتب الى الامير عز الدين الحلبي : اشتهي لاجلي تزيل هذا المنكر فان بعض الصالحين تحدث معي في ذلك وقال القمح الذي جعله الله تعالى قوت العالم يداس بالارجل وقد تقربت الى الله تعالى بابه • ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه ومن كانت له على هذه الجهة شئ يعوضه من مال الله الحلال • فوردت الكتب واعتماد ذلك وعوض المفلعون وكتبت هذه الحسنه في صجائف هذه الدولة والله اعلم •

ذكر تجهيز الملك الظاهر لغزو الفرنج وفتح بلادهم •

لما وصلت الاخبار الى السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي وهو

بالساحل بنصرة العساكر الاسلامية على القتار وانهزامهم شر هزيمة وامر بعمارة ثغر  
 البيرة كما قدمنا شرحه ثني عينه الى جهة الفرنج ليدينهم كما دانوا ويكون لهم كما  
 كانوا . وما اعلم احدا مغزاه ولا فهم اين مراه ومرماه . وركب من العوجا بعد  
 رحيل الاطال للتصيد في غابة ارسوف . يرسم للامراء بان من اراد الصيد فليحضر .  
 فان الغابة كثيرة السباع وكان قد احضر الى باب دهليزه سبع مقتول احضره احد  
 الاجناد فانعم على قاتله . وتشوف الى تنظيف الغابة من الوحوش الكاسرة وساق  
 فمر على قنطرة نهر العوجا فوجد جماعة من الرعية والسوقه عابرين على القنطرة  
 في ليلة شاتيه فوق وامران (٦٦و) لا يعبر احد حتى تعبر الضعفاء . ووقف لرجل  
 دابه فما زال واقفا حتى نزل خواصه وحملوا الدابة ونقلوا القماش . قال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم : ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء . وسار  
 السلطان من ذلك المكان فرتب الحلقة ميمنه وميسرة ودخل الغابة وقضى بغيته من صيده  
 وجرب سيوفه في تلك الوحوش على انها لم تزل مجرمة وترتب الخوف على الاعداء وان  
 كانت عليهم مترته . وسار الى ارسوف وقيسارية وشا هدهما وعاد الى دهليزه فوجد  
 اخشابا للمهمات قد احضرت صحبة زرد خاناه كان الامير علم الدين نائب امير جاندار  
 قد احضرها فطلب الامير عز الدين امير جاندار وامره بنصب عدة محانيق مغربية  
 وفرنجيه من الاخشاب المذكورة . وفي وقت السحر من اليوم الثاني خرج السلطان  
 بنفسه وجلس عند الصنع ليدلوا الاجتهاد فعمل في ذلك اليوم اربع منحنقات كبار  
 خارجا عن الصفار . وكتب السلطان الى قلاعه بطلب المنحنقات والصناع والحقارين  
 ورسم للعسكر بعمل سلالم . وعين لكل امير حمل عدة منها ورجل الى قريب عيون  
 الاساور فامر بعد عشاء الاخره بلبس العدد وركب قريب الصبح وساق الى جهه  
 قيسارية وكان ماسنذكره ان شاء الله تعالى .

## ذكر بعض أخبار قيسارية وفتحها

اعلم ارحمنا الله واياك ان قيسارية من البلاد الساحلية في جند فلسطين •

وكانت مدينة على سيف البحر حصينة منيعة لها ريزركيسير •

قال البلاذري : ولي امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه

يزيد بن ابي سفيان رضي الله عنهما فمستظفين مع ما ولاه من اجناد الشام وكتب اليه  
بأمره بغزو قيسارية • وقد كانت حوسرة قبل ذلك فتهدر (٦٦ ر) اليها في سبعة  
عشر الف مقاتل اليها • فمر بعاد الي دمس • واستألف عليها اياه معاوية بن

ابي سفيان رضي الله عنهم وذلك في سنة ثمان عشرة • ولما توفي يزيد كتب امير  
المؤمنين عمر بن الخطاب الي معاوية رضي الله عنهم توليته على ما كان يتولاه يزيد

فمكر ابو سفيان ذلك لمرضي الله عنه ما قال : ولست رحم، فدا ربنا معاوية

رضي الله عنه حتى قدمها في سوال سنة تسع عشرة للهجرة قسرا • وبعد بفتحها

تميم بن ورقاء عريف حشم الي عمر رضي الله عنه فقام عمر رضي الله عنه على المنبر

ونادى في الناس الا ان قيسارية قد فتحت • ولما فتحت وجد بها من المرتزقة

سبعماية الفا ومن السامرة ثلاثون الفا ومن اليهود مائتا الف • ووجد فيها ثلاثماية

سورة قاعة كلها • وان يدرسا في كل ليلة على سمرنا مائة الف • وموسى سبع سنين

الا شهرا واحدا • وقال ايضا عن من حدثه ان الروم خرجت في ايام عبد الله بن

الزبير رضي الله عنهما الي قيسارية فسعثتها ودمدمت مسجدها الجامع فلما استقام (١)

لجند الملك بن مروان الاموي المرمم تيم اربة وبني مسدد اوسعنها بالرجمال •

انتهى كلامه •

ولم يزل يلي قيسارية من يلي جند فلسطين الى ان اخذتها الفرنج في سنة اربع وتسعين واربعماية بالسيف وقتلوا من فيها . ولم تنزل بأيديهم الى ان فتحها السلطان صلاح الدين يوسف بن نجم الدين ايوب بن شادى بن مروان الايوبي على يد الامير بدر الدين دلدوم الباروقي وغرز الدين قليج في سنة ثلاث وثمانين وخمسماية .

ثم خرجت عنه في الهدنة بينه وبين الفرنج في سنة ثمان وثمانين وخمسماية . واستمرت في ايديهم (٦٧٠) الى ان كسوسكر ريدا فرنس الفرنجي على دمياط في سنة سبع واربعين وستماية . واسرثم اطلق . فنزل الساحل وعمر قيسارية وشيدها وحصنها . ولم تنزل بأيديهم الى ان نزل عليها الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي في هذه السنة على حين غفلة من اهلها في يوم الخميس تاسى جمادى الاول ولوقته طاف بها وهاجمها الناس والقوا نفوسهم في خنادقها وعمدوا الى السكك الحديد الذى للخيل والسبح والمقاود فعلقوا فيها وطلعوا من كل جانب ونصبت عليها السناجق وحرقت ابوابها وهتك حجابها فهرب اهلها الى قلعتها . وسير السلطان كتب البشائر الى البلاد والى الاتابك فارس الدين .

ونصب السلطان المنجنيقات على القلعة وهي من احسن القلاع واحسنها وتعرف بالخضراء وكان الريد فرنس حمل اليها العمد الصوان واتقنها . وما رثي في الساحل احسن منها عمارة ولا امتع ولا ارفع لان البحر الملح خاف بها وحابر في خنادقها والثقوب لاتعمل فيها للعمد الصوان المصلبة في بنائها حتى اذا علقت لا تقع . واستمر الزحف عليها ورهي المنجنيقات والسلطان تارة يرمي النشاب من علو كنيسة قبالة القلعة وتارة يركب ويخوض عباب البحر ويقاتل (١) . وعملت دبابات وزحافات واطلق النشاب

---

(١) في الاصل بدون نقط .



للعساكر من قلعه عجلون لكل صاحب مائة فارس اربعة الاف سهم . وكذلك الحلقة والجند  
ورسم بنقل الاحطاب وحجارة المجانيق وخلع على الامير عز الدين الافرم امير جاندار  
لاجتهاده في المنجنيقات وعلى المنجنيقيه .

وجرد الامير شهاب الدين القيمري بجماعة من عسكر الساحل لجهة بيسان فسير  
جماعة من التركمان والعربان الى ابواب عكا فأسروا جماعة من الفرنج ودوابا وغيرها .  
(٦٧ق) واستمر السلطان على المصابره والمثاغرة . واقام بالكنيسة لا يخرج الى  
دهليزه يرابي هو وجماعة الافجيه يمنعون الفرنج من الصعود الى علو القلعه .  
ونارة يركب في بعض الدبابات ذوات العجل ويجر من تحته حتى يص الى الاسوار  
ويرى الثقب بنفسه واخذ في بعض الايام في يده ترسا وقاتل وما رجع الا وفي ترسه  
عدة سهام .

وفي ليلة الخميس منتصف جمادى الاول الشهر المذكور حصرت الفرنج واسلموا  
القلعه بما فيها وتسلق المسلمون اليها من الاسوار وخرقوا الابواب ودخلوها من  
اعلاها واسفلها واذن بالصبح عليهم . وطلع السلطان الى القلعه وقسم المدينة  
على موائمه وخواصه ومماليكه وحلقته وشرع في الهدم . ونزل واخذ بيده قطاعه  
واخذ يهدم بنفسه وراة المسلمون فتشبهوا به وعملوا بنفوسهم وصار يياشر ذلك  
بنفسه ويده . وقد اكتسى من الغبار اثوابا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
لا يلج النار رجل بكى من خشيه الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع على عبد  
غبار في سبيل الله ودخان جهنم ، وقال صلى الله عليه وسلم : ما اغبرت قدما عبد  
في سبيل الله فتسمه النار .

قال القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك الظاهر ماصيفته :  
وهذه قيسارية من المداين قد يما فتحت في صدر الاسلام وذلك في سنة تسع عشرة من  
الهجرة النبوية . وسبب فتوحها ان الكفار المنتزحين بين يدي المسلمين التجأوا اليها  
وتحصنوا . فلما فرغ المسلمون من غزاة اجنادين ومن فتوح دمشق ومن قلعة فحل ومن  
قلعة اليرموك التي بدد الله فيها جموع الروم كتب امير المؤمنين عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه الى يزيد بن ابي سفيان رضي الله عنهما : اما بعد فقد وليت لك  
(٦٨و) اجناد الشام كله وكتبت اليهم ان يسمعوا ويطيعوا ولا يخالفوا لك امرا فاخرج  
فعدسك بالمسلمين ثم سر بهم الى قيسارية ثم لانفارقها حتى يفتحها الله عليك فانه  
لا ينبغي افتتاح ما افتتحتم من ارض الشام مع مقام اهل قيسارية فيها وهم عدوكم والى  
جانبيكم . وانه لا يزال قبصر طامعا في الشام ما بقي فيها احد من اهل طاعته ولو  
قد فتحتموها قطع الله رجاء من جميع الشام والله عز وجل فاعل ذلك وصانع للمسلمين  
ان شاء الله تعالى . فسار اليها يزيد رضي الله عنه وقاتلها قتالا شديدا فلم  
ينالوا منها شيئا . فقام عبادة بن الصامت رضي الله عنه ثم قال في جملة ما وعظهم  
به اني خائف عليكم ان تكونوا قد غللتهم يعني سرقتم المكاسب ولم تقتسموها . فان عمر  
رضي الله عنه قال للمسلمين في نوبة اليرموك : سبحان الله او قد دافعوهم يعني  
المشركين . ما اظن المسلمين الا قد غلوا . وقال : لو لم يغلوا ما وافقوهم ولظفروا  
بهم بغير مونه اى بغير تعب . فصدقهم المسلمون القتال . فلما كان بعض الايام خرج  
اهل قيسارية والمسلمون غافلون فاجتمعوا عليهم من كل جهة ونهر الله عليهم فقتل  
في المعركة خمسة الاف رجل . ولما شاهد يزيد تلاف حالهم استخلف عليهم معاوية  
بن ابي سفيان رضي الله عنهم ورجل عنها ففتحها الله على يديه في التاريخ المذكور .  
ولم يبق في الشام حينئذ عدو للمسلمين في اقصاه ولا ادناه . وصار الشام كله  
للمسلمين . انتهى كلامه .

وفي جمادى الأولى الشهر المذكور وردت الى السلطات الملك الظاهر كتب الامراء

المجردين للغاره بأنهم وصلوا الى ابواب عكا وغنموا وعالوا سالمين .

وفي هذه الايام ورد خبر من جهة يافا بأن الامير علم الدين سنجر الصيرفي عمل

حيله على بعض اصحابه وسيره الى يافا ليقضي له شغلا . وكان قد اتفق مع قسطلان

(٦٨ق) يافا على القبض عليه فقبر عليه واعتقل في الجب فأنكر السلطان الملك الظاهر

ذلك فأحضر اليه من يافا كتاب استأذه اليهم بحبسه . فجمع السلطان الامراء وفي

جملتهم الامير علم الدين الصيرفي وانكر عليه هذا الامر غاية الانكار وخلص المذكور

من الامير . قال الله تعالى : وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين

من الرجال والنساء والولدان (١) . قالت العلما : انقاذ اسرا المسلمين

من ابدى الكفار من افضل القربات والمثوبات . وقد قال بعض العلما : اذا

اسرو مسلما واحدا وجب على الاسلام ان يواظبوا على قتالهم حتى يخلصوه ويبيدوا

الكفار والله اعلم .

ذكر ارسال الملك الظاهر تجريده الى حصن الملوحة وتوجه السلطان

الى جهة عثليب وارسال تجريدة الى حصن حيفا وتسلمهم له

ورجوع السلطان الى دهليزه سالما

لما قارب السلطان الملك الظاهر الفراغ من هدم قيسارية سير الامير شمس الدين

سنقر الالفى الظاهري والامير سيف الدين المستعزى وجماعة فهدموا قلعة للفرنج عند

الملوحة . وكانت عاتيه عاصبه . ودكوها الى الارض .

وفي سادس وعشرين جمادى الاول الشهر المذكور توجه السلطان الى جهة عثليت جريده وسير شمس الدين سنقر السلاح دار الظاهري والامير عز الدين الحموي والامير شمس الدين سنقر الالفي الظاهري الى حيفا فساروا اليها ودخلوا قلعتها فنجا الفرنج بأنفسهم الى المراكب بعد ان قتل منهم واسر واحضرت الاسارى والغروس واخربوا المدينة وقلعتها واحرقوا ابوابها وجعلوها خاوية على عروشها كأن لم تغن بالامس وكان اخذها وما اعتمد فيها من قتل واسر واخرب واحرق في يوم واحد وعاد الامراء سالمين . واما (٦٩و) السلطان فانه وصل الى عثليت وامره بشعثها وقطع اشجارها . فقطعت جميعها وخربت ابنيتهما في ذلك النهار . وعاد السلطان واذا في الكفار حسرة وای حسرة . ولا بد ان يعيد الحيف عليهم كما بدا اول مرة . وثنى العنان عنها وهو اليها يفتد . وحول الساعه وهو الى موماتها يشتد واخرها الى اجل سعى . ورأى انه تقدم على امرها الذي ليس بهم وتترك اهلها في حبس منها وقطع قلوبهم قبل قطع المسيرة عنها . وعاد الى دهليزه بقيسارية وكمل هدمها . حتى لم يدع لها اثرا . ووصل والسلطان على قيسارية الامير سيف الدين الزيني وصحبته المنجنوقات المحضره من جهة الفرنج ومن جعلتهم احد ابنا الملوك فأعطاهم السلطان الاقطاعات واحسن اليهم . ومرض ايضا جماعة من الامراء فركب السلطان اليهم وعادهم . وهم الامير شمس الدين سنقر الرومي والامير عز الدين امير جاندار والامير سيف الدين الزيني امير علم .

### ذكر بعض خبر ارسوف وفتحها

قال القاضي الامام الرئيس الاوحد العالم عز الدين محمد بن علي بن شداد الحلبي في تأليفه " الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة " ما صيغته :  
أرسوف ليس لها في الفتوح العمري ذكر ولا فيما وقفت عليه من الكتب المؤلفة فـ في صدر الاسلام . قال : واول ما احاط به علي من امرها ان الفرنج تسلموها في سنة

اربع وتسعين واربعماية ثم فتحها الناصر صلاح الدين في سنة ثلاث وثمانين وخمسماية .  
ثم دخلت في بلاد المهادنة بينه وبين الفرنج . ولما اطلق ريد فرانس ونزل الساحل  
عمر قيسارية وارسوف وبقيت في ايدي الفرنج الى ان فتحها الملك الظاهر بيبرس سنة  
ثلاث وستين وستماية واخربها " . انتهى كلامه .

قلت في تاسع وعشرين من جمادى الاول من هذه السنة سنة ثلاث وستين  
(٦٩٦ق) رحل السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي من قيسارية ولم  
يعلم احد الى اين توجهه . وسار الى ارسوف فنزل بها مستهمل جمادى الآخرة من  
هذه السنة . وامر بنقل الاحاطاب فصار حولها كالجبال الشاهقة والذلال السامقة .  
وما ان اطل الاعداء له يشاهدون قالت لهم الاقدار حسب جهنم انتم لها واردون  
فعملت منها السناير وامر بحفر سرا بين<sup>من</sup> خندق المدينة الى خندق القلعة وسقفت  
بالاخشاب . ولما فرغ من السرا بين سلم احدهما للامير شمس الدين سنقر الرومي  
والامير بدر الدين بيسرى والامير بدر الدين الخزندار الظاهري والامير شمس الدين  
الذكر الكركي وجماعة الامراء السنجقية وغيرهم . وسلم السرب الآخر للامير سيف الدين  
قلاون الالفى والامير علم الدين الحلبي الكبير والامير سيف الدين كرمون وجماعة من  
الامراء . وعمل طريق من الخنادق الى القلعة فخرج الفرنج لاحراف الاحطاب  
فطلبهم الامير سيف الدين قلاون وغيره وقلب عليها المياه بنفسه وجماعة الامراء  
وطغيت تلك النار .

ولما تكامل ردم الاحطاب بالخندق تحيل الفرنج بأن نقبوا من داخل القلعة  
الى ان وصلوا الى تحت الردم فحرقوا الارض الى الاحطاب وعملوا بناتي ملائكة ادهانا  
وسحونا واوقدوا النيران وعملوا في النقب والمنافذ ولم يعلم العسكر بهذه الحيلة الا  
بعد تمكن النيران . وكان ذلك في الليل فحضر السلطان بنفسه في الليل ورمى

الناس نفوسهم في النار لاطفائها وسكنت المياه بالزوايا فما افادت شيئا . واشتعل جميع ما بالخندق من الاحطاب وصارت هباء منثورا . وتمت الحيلة للفرنج خذلهم الله تعالى .  
ولكن احدث الله بعد هذا النصر امورا وهو بأن السلطان تقدم ( ٧٠ ) الى الامير شمس الدين سنقر الرومي ومن معه وهم نصف امراء السنجقيه وميمنه الامراء البحرية وميمنه الحلقة وميمنه لامراء الحاضرين غير من هو مجرد في البيرة وغيرها بأنه يأخذ هو والجماعة المذكورون من مكانه في باب السرب من حافات الخندق من جهة سور حفر الى البحر الملح . وتقدم الى الامير سيف الدين قلاوون الذي بأن يأخذ هو ونصف السنجقيه من جهة الميسرة ويمسرة الحلقة ويمسرة البحرية بأنهم يحثرون الى آخر الخندق من الجهة الاخرى . وان يحفروا من كل ناحية من هذه النواحي سريرا يكون حايط خندق العدو سائرا له . ويحفر في هذا الحائط ابواب يرمي التراب منها وينزل في هذا السرب حتى يساوى ارضها بأرض الخندق . وطلب عز الدين ابيك الفخرى احد اصحاب الاتابك واحضر المهندسين وعقد في هذا الامر به . فاستمر العمل في هذه الخنادق والملك الظاهر طائف بنفسه وملازم الخندق يعمل فيه بيده . ويساوى الناس في جر المنجنيقات ورمي التراب ونقل الحجارة .

قال القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلفه سيرة الملك الظاهر : فتعست ام الجبان . فلقد رأيت السلطان يبذل من نفسه كل مصون ويمهون منها ما لا يمهون . وهو بمفرده ماشر في يده نرس وهو تارة في السرب وتارة في الابواب التي تفتح وتسار على حافة البحر يرامي مراكب الفرنج ويجر في المجانيق ويطلع فور الستائر يرمي من فوقها ويرى كل احد حقه من المباشرة والامر بالجهاد وشكر من يجب شكره والخلع على كل من يفعل فعلا حسنا من ساير الناس . ومع هذا رحم الله الامه بسلامته ومن عليهم بوقايته . قال القاضي محي الدين : حكى لي الامير جمال الدين ابن بهار .

قال : رأيت (٧٠ و) السلطان في هذا النهار رمى ثلاثماية سهم نسابا • وقد قال صلى الله عليه وسلم : الا ان القوة الرمي • وقال صلى الله عليه وسلم : من رمى بسهم في سبيل الله كان كعتق رقبه • وقال صلى الله عليه وسلم : اذا ••••• (١) فارمواهم بالنبل ولا تلوا السيوف حتى يخشوكم واتفق ان السلطان حضر الى السرب وبعد في رأسه حلة واقعة يرمي فيها فحوت جماعة من الفرع الفرسا ومعهم الرماح بالخطايف فلم يسعرا الا وهم على باب السرب • فقاموا انهم يدا بيد • وكان معه الامير سمر الدين سنقر الرومي والامير بدر الدين بيسر السمسري والامير بسدر الدين الخزندار وغيره • وصار سنقر الرومي يناوله الحجارة فقتل بها فارسين • وقطع الامير حسام الدين الدوادار احد الخطايف بسيفه وجرح في عنقه ورجع الفرنج على اسوأ حال • وكان السلطان يطوف بين عساكره في الحصار بفرداه ولا يجسر احد ينظر اليه ولا يسير بأعجبه وحذر العباد والزهاد والفضلاء والفقراء الى هذه الفزاة المباركة التي ملأت الاربابا عساكر واصناف العالم • ولم ينب بها خمر ولا شيء من الفواحين بل النساء الصالحات تسقي الماء في وسط القتال ويحرون في المجانيس • وادلوا السلطان لجماعة من الصالحين الرواتب مثل الشيخ على المحنوني والسيح الياس من الاغنام والحوائح • وادلوا للشيخ على البكا حملة من المال وما سمع ان احدا من خواصه استغل عن الجهاد في توبته بمغله ولا سير امير غلمانه في توبته • واستراح هو الا الناس "سوا" في هذه الامور •

ولازم السلطان تفقد المدانيق بنفسه في كل وقت وعمل كرمون آغا منجنيقا بسبب سببهم "سرا سرا" حسنا • واحضر من دمشق مجانيق وكانت المفارقة في العقاب تحملها (٧١ و) على الرقاب • واجتمع الامير عز الدين الافرم في امر الحصار الاحتياط القائم • ولم يزل ملازم البيت عند المنجنيقات وهو المتصرف فيها • ولما امرت المنجنيقات فني هدم الاسوار وفر من السرايات التي الى جانب الختو من الجهتين وفتحت فيها

ابواب متسعة • حصل الزحف على ارسوف في نهار الاثنين ثامن شهر رجب الفرد من هذه السنة وفتحت في ذلك النهار • قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : حرمت النار على عين بكت من خشية الله وحرمت النار على عين سهرت في سبيل الله وَقَالَ صلى الله عليه وسلم : ندوة في سبيل الله اوروحة خير من الدنيا وما فيها • ورياط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها • وَقَالَ صلى الله عليه وسلم • طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله • اشعث رأسه مغبرة قدماء • فان كان في الحراسة وان كان في الساقه كان في الساقه • •

وزار السلطان قبر الشيخ الصالح علي بن عليم المدفون الى جانب ارسوف • وهذا الشيخ علي بن عليم من الصالحين المشهورين بالبركات والكرامات • من جملة بركاته انه مدفون على باب ارسوف ولا يدخل الى تربته خنزير • ويساق فيخرج من الباب وعائدا بن البان صاحب ارسوف في امره وشرب عند تربته فيست يده واقام ثلاثة ايام ومات • فعظمته الفرنج من ذلك الوقت • ويحكى عنه رحمه الله تعالى ان خادمه دخل عليه يوما وهو في خلوته فسمعه يقول : والله لا ارضى فخرج ودخل مرة اخرى فسمعه يقول والله ما ارضى • ثم سمعه يقول رضيت • فبقي في قلب الخادم من ذلك شيء • فلما حضرت الشيخ الوفاة قال للخادم في خاطرك شيء لا بد ان ازيله • وهو ذلك الذي سمعته اذكره • قال : نعم • قال : شفني الحق سبحانه وتعالى في الفرج من زارني فلم ارض • ثم شفني في الفين فلم ارض • ولم ارض الا (٧١ق) في جميع من زارني ان لا يعذبه الله بالنار فعند ذلك رضيت • وعبرت مركب وفيها رجل مسلم اسير مع الفرنج فسأل عنه فقال له هذا قبر رجل صالح • فقال اللهم ان كان لعبدك هذا حرمة وهو من عبادك الصالحين فخلصني • ورفع صوته فضربه الفرنج فوقفت المركب ثلاثة ايام حتى اطلقوه فنزل الى قبره • وهذا الشيخ مشهور مذكور في الكتب والله اعلم •



وكان للشيخ الصالح علي المجنون كرامات معروفة . فجرت منه نكته غريبة في هذه الغزاة وهي انا كنا قدما ان الشيخ علي المجنون وجماعة من الصالحين حضروا هذه الغزاة . فلما كان في يوم الفتح قبل ان يعلم احد حديث الفتح ركب الشيخ علي وحصل له حال فساق الى ان وقف على حافة الخندق . وازيد وغاب ذهنه وصار يرفع صوته ويشير الى القلعة . وستره الناس بالطوارق . ولم يزل على هذه الحالة حتى سيرا الامير شجاع الدين الشبلي وعرف السلطان ان الباشورة انشقت . فلما ثني الشيخ علي رأس فرسه ورجع الى باب السرب وقع سور الباشورة وشاهد الناس هذه الحالة والكرامة . ومن كرامات هذا الشيخ علي ما حكى عن ابن صبره قَالَ : كنت اخدم صاحب ماردين فحضر هذا الشيخ علي المجنون اليه وشفع في تركمان حبسهم المذكور فلم يقبل شفاعته فيهم . فأعاد السؤال فأنكر عليه صاحب ماردين دخوله في هذه القضية . فحصل للشيخ حال وقال والده لارمين حجارة هذه القلعة على رأسه . فأرسل الله تعالى سحابة . وكان الوقت صيفا واستلت على القلعة واسودت حتى اظلم الوقت وامطرت حجارة فتطارح صاحب ماردين على رجله حتى رضى واقلعت (٧٢و) السحابة . ولما قدر الله وقوع الباشورة في الساعة الرابعة من نهار الخميس طلوع المسلمون اليها تليقا . وما احسن الفرنج بالمسلمين الا وقد خالطوهم من كاب باب . ورفعت الاعلام الاسلامية على الباشورة . وحفت بها المقاتلة . وطرحت النيران في ابوابها واعطى السلطان سنجقه الامير شمس الدين سنقر الرومي . وامره ان يؤمن الفرنج به من القتل عندما طلبوا الامان . فلما اراد الفرنج بطلوا القتال وسلم السنجق للامير علم الدين سنجر المسروري الحاجب المعروف بالخياط ودليت له الحبال من قلعه ارسوف فربطها في وسطه والسنجق معه . ونشله الفرنج الى القلعة . فأخذ سيوفهم واحضروا في الحبال والامراء صفوف والاسارى يؤمى بهم سوف .

وكان فتح قيسارية يوم الخميس • وفتح قلعتها يوم الخميس • وفتح ارسوف يوم الخميس • وهذا دليل على توفيق الله سبحانه وتعالى لانه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ما كان يخرج في سفر الا يوم الخميس • وقال العلماء ينبغي للمجاهد ان لا يخرج الا في يوم الخميس اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في اسفاره لان الاعمال تعرض على الله سبحانه وتعالى يوم الخميس • ولما لم يبق بأرسوف احد من الفرنج اباح السلطان القلعة للمسلمين بما فيها من غلال وذخاير ومال • وكان بها جملة من الخيول والبغال لم يتعرض منها الا لما اشتراه بماله • وكان في اسر الفرنج جماعة من المسلمين خلصوا تلك الساعة واخذت قيودهم قيد بها الفرنج • ونقل الاسر من المسلمين الى الكافرين وبقي به صدور قوم مؤمنين فسبحان الفعال لما يريد • وجرد السلطان جماعة من المقدمين يتوجهون مع الاسارى • وسير لكل امير جماعة من اسارى الفرنج ولكل مقدم جماعة •

وكتب السلطان (٧٢ق) الى قسطلان يافا بأن يكتب الى صاحبه بأنا لانتحمل الهزيمة • واذا اخذ احد مزرعة اخذنا عوضها قلعة مرتفعة • واذا اسر لنا فلاح اسرنا الفا من مقاتله لابس السلاح • واذا هدموا جدارا هدمنا اسوارا • والسيف في يد الضارب والجواب عنانه في قبضة الراكب • ولنا يد نقطع الاعناق ويد تصل الى الارزاق ومن تحرش فعن تجربة ومن اراد شيئا من الاشياء فهذه الامور له مرتبه •

وشرع السلطان في تقسيم ابراج ارسوف على الامراء وجعل هدمها دستورهم

(١) ورسم بأحضار الاسارى لاخوابها فكانوا كما قال الله تعالى : يخربون بيوتهم

بأيديهم وأيدي المؤمنين (١) . فنظم القاضي محي (٢) ابن عبد الظاهر جامع  
سيرة الملك الظاهر في وصف الفتح المذكور أباياتا منها :

<p>وقد غلبت على الدنيا فدونها واكتب الى الارض بالبشرى فريك في وثبت بالدين لما ثبت (٣) مقتدرا طلبت ثار الهدى والدين اذ تعدت نصبت للشرك اشراكا فصدتهم قلعتهم بقلع ظلت تهدمها ان اسرعوا نقلة عنها فانهم ان الفتوحات لما رث ملبسها في كل ارض جيوش قد بعثت بها ففي الحجاز لها نفع وفي حلب لها السيوف التي كم اقشرت بلد اكرم بها عصبة مثل النجوم سنا اجلت من الكفر اقطارا وكم عمرت كم قد قدفت شياطين العدو بها يشني اغنتها ملك عزائمها ملك سعادته قالت لتسمع ما لا يحسب الناس قيسارية ضعفت لكنها بذول النصر قد علقست كذاك ارسوف لما جاز غايتها</p>	<p>كما تسرك والدنيا لمن غلبا السبع السموات بالبشرى لها كتب ياخير من ثاب او نهاخير من وثبا عنه الملوك وما اسطاعوا لها (٤) طلبا لم يقدروا رهبا ان يقدروا هربا انت الذي تبغي (٥) الملوب لا السلبا حلوا لها كل برج ظل منقلبها تبتز من بسز قيسارية القشيا حتى لقد اصبحت اياتها عجبها نفع وكم تركت من خلفها حلبا لما غدوت ومنها تعطر العربيا وكالرجوم اذا لها (٦) اضرمو اللهبا من الجيوش لهم ماكان قد خربا حتى لقد ابصروا من شهبها شهبها قد اصبحت في الوغى راحتها التعبا (٧٣و) من الشفور نأى عنها وما قربا او اسلمت نفسها من خيفة رهبا وقد انته لعكا تطلب الحسبا ماجا محتبها بل جا محتبها</p>
--	---

(١) سورة الحشر ٥٩ اية ٢ (٢) كذا في نسخة محي الدين .  
(٣) بدون تنقيط في الاصل . (٤) كذا في الاصل ولعلها " له " (٥) كذا في الاصل  
والوزن يقتضى ان تكون " تبتغي " (٦) كذا في الاصل والوزن غير مستقيم ولو كانت  
( ما ) لاستقام الوزن وما اختل المعنى .

لئن غدا آخذ الدنيا ومعطيها      فأنه احسن التقسيم محتسبا  
فللحديد رقاب منهم اسرت      وللخيول من البلدان ما وهبا  
وللسيوف دماء منهم سفكت      وللنسر من الاشلاء ما انتهبها  
وللصايف اجرزان صفحتها      وللبشائر ذكر طرز الكتبا  
الملك جد وجد يستضاه به      وليس زهوا ولا لهوا ولا لعبا  
لازال في نعمة يدعوا الانام له      وذاك حق على الاسلام قد وجبا

لما فتح الله تعالى على السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي قيسارية كما قدمنا شرحه امر الامير سيف الدين الرومي الدوادار بكشف بلادها وتحقيق متحصلها . وعملت اورا وبذلك . ولما فتح الله ارسوف كما قدمنا شرحه طلب قاضي دمشق والعدول ووكيل بيت المال بها وتقدم بأن يملك الامراء المجاهدون من البلاد التي فتحها الله عليه ما يأتي ذكره . وكتب التواقيع لكل منهم ولم يطلعوا عليها . ولما اثبتت التواقيع فرقت على اربابها وكتب بذلك مكتوب جامع بالتمليك ونسخته (١) :

اما بعد حمد الله على نصرته المتناسقة المعقود وتمكينه التي رفلت الملة الاسلامية في اصفى البرود وفتحها الذي شاهدت العيون مواقع نفعه وعظيم وقعه علمت لامر ما يسود من يسود . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جاهد الكفار وجاهد هم بالسيف البثار واعلمهم لمن عقبى الدار وعلى آله وصحبه صلاة تتواصل بالعشي والابكار (٧٣ق) فان خير النعمة نعمه وردت بعد اليأس واقبلت على فترة من تنازل الملوك وتهاون الناس . فأكرم بها نعمة وصلت للملة المحمدية اسبابا . وفتحت للفتوحات ابوابا وهزمت من التتار والفرنج العدوين وربطت من الملح الاجاج والعذب الفرات بالبرين والبحرين . وجعلت عساكر الاسلام تذلل الفرنج بغزوهم في عقر الدار وتجوس من حضرتهم المانعة خلال الديار والامصار وتقود من فضل عن شيع السيف الساغب الى حلقات الاسار . ففرقه منها تقتلع للفرنج قلاعاً وتهدم حصونا وفرقة تبني ما هدم التتار

بالمشرق وتعليه تحصينا • وفرقه تتسلم بالحجار قلاعاً شاهقة وتنسجم هضاباً سامقة •  
فهى بحمد الله البانية الهادئة والقاسية الراحمة كل ذلك لمن اقامه الله وجرده  
 سيفاً فغره • وحملت رياح النصره ركابه تسخيراً فسار الى موطن الظفر وسرى وكونته  
 السعادة ملكاً اذا راته في دستها قالت : تعظيماً له ما هذا بشراً وهو السلطان  
 الملك الظاهر ركن الدين والدنيا ابو الفتح بيبرس جعل الله سيوفه مفاتيح للبلاد  
 واعلامه اعلاماً من الاسنة على رأسها نار بهداية العباد فانه آخذ البلاد ومعطيها  
 وزاهبها بما فيها • واذا عامله الله بلطفه شكر واذا قدر على واصبح • فوافقه القدر  
 واذا اهدت اليه النصره فتوحات قسمها في حاضرها لديه متكسراً وقال الهدية  
 لمن حضر • واذا خوله الله تخويلاً وفتح على يديه قلاعاً جعل الهدم للأسوار  
 والدمار للسيف البتار والرقاب للأسار والبلاد المزدعة للأولياء والانصار • ولم يجعل  
 لنفسه الا ما تناسره الملائكة في الصحائف لصفاحة من الاجور • وتطلى عليه طويبات  
 السير التي غدت بما فتحها الله من الثغور باسمه باسمه الثغور :

فأعطى المدن واحتقر الضياعاً	فنى جعل البلاد من العطايا	
عباناً ضعيفاً فافعلوا سماعاً (و٧٤)	سمعنا بالكرام وقد اراننا	(و٧٤)
جميلاً كان ما فعل ابتداء	اذا فعل الكرام على قياس	

ولما كان بهذه المثابة وقد فتح الفتوحات التي اجزل الله بها اجره وضاعف  
 ثوابه • وله اولياء كالنجوم ضياء وكالاعداد مضاء وكالعقود تناسقا وكالويل تلاحقاً  
 الى الطاعة وتسابقاً رأياً لا ينفرد عنهم بنعمه ولا ينخصص ولا يستأثر بمنحه غدت  
 بسيوفهم تستنفذ وعزائمهم تستخلص وان يؤثرهم على نفسه • ويقسم عليهم الاشعه  
 من انوار شمس موبقى للولد منهم وولد الولد ما يدوم الى آخر الدهر ويبقى على  
 الابد • وتعيش الابناء في نعمته كما عاش الاباء وخير الاحسان ما شمل واحسنه

ما خلد . فخرج الامر السالحي لا زال يسمي الاغتاب والذرار وينير انارة الانجم  
الدراري ان يملء امراءه وخواصه الذين يذكرون وفي هذا المكتوب يستطرون ما يتعين من  
البلاد والقبائل على ما يسر ويبين من الاوضاع وهو الاثاب فارس الدين اتقان السالحي  
عتيـل بكـمالها . الامير جمال الدين ابدغدي العزيز النصف من  
زيتا . الامير بدر الدين بيبرس السبي السالحي نصف طوركوم (١) الامير  
سمر الدين الدكر الكركي (٢) ربع زيتا . الامير سيف الدين فليح البغدادي  
ربع زيتا . الامير ركن الدين بيبرس حاس تره الكبير السالحي افرايين بكـمالها . الامير  
علاء الدين ايدكين البندقدار السالحي تامه (٣) السريفة بكـمالها الامير عز الدين  
ايدمر السليبي السالحي نصف قطنسوة (٤) . الامير سيف الدين تارون الافلي السالحي  
نصف طيبة الاسم . الامير عز الدين اتقان سم الموت نصف طيبة الاسم . الامير  
جمال الدين النجيبى نايب سلطنة السلام ام الفحم بكـمالها من قيسارية . الامير  
(٧٤ و) علم الدين سنجر السليبي السالحي بتمان (٥) بكـمالها الامير جمال  
الدين اتور المحدث السالحي نصف بويرين . الامير فخر الدين الدنيا الحمصي  
نصف بويرين . الامير جمال الدين ابدغدي الحاجبي (٦) <sup>نصف</sup> الناصر الامير بويرين (٧)  
الامير بدر الدين بيليد ايدمر السالحي نصف بويرين . الامير فخر الدين عثمان  
بن العبد المغيث ثلث حله (٨) . الامير عارم الدين صبراغان ثلث حله (٩)

- (١) ويعدده في ابن ابي الفاضل (ص ١٢٩) "والامير بدر الدين بيليد الخزندار نصف طوركوم".
- (٢) الركني في ابن ابي الفاضل (ص ١٣٩).
- (٣) "باقة" في ابن ابي الفاضل (ص ١٤٠) (٤) ويعدده "الامير سمر الدين" في الرومي  
نصف قطنسوة "ابن ابي الفاضل (ص ١٤٠)
- (٥) في الاصل بدون نقط . راجع ابن ابي الفاضل (ص ١٤٠)
- (٦) الخاصي في ابن ابي الفاضل (ص ١٤٠)
- (٧) بويرين ابن ابي الفاضل (ص ١٤١)
- (٨) "حله" في ابن ابي الفاضل (ص ١٤١)
- (٩) ساقط هنا "الامير سمر الدين" سائر البناداد ثلث حله . له "ابن ابي الفاضل (ص ١٤١).

الامير ناصر الدين القيمري نصف البرج الاحمر . الامير سيف الدين بلبان الزينبي  
 الصالحي نصف البرج الاحمر . الامير سيف الدين ايتامش (١) السعدي نصف تما (٢)  
 الامير شمس الدين اقسنقر السلحدار نصف تما (٣) الملك المجاهد سيف الدين اسحاق  
 صاحب الجزيرة نصف دنابه . الملك المظفر صاحب سنجار نصف دنابه . الامير بدر  
 الدين محمد بن ولد الامير حسام الدين برکه خان دير العصفور (٤) بکمالها .  
 الامير عز الدين ايک الافرم امير جاندار نصف الشويکه . الامير سيف الدين کرمون آغا  
 التتري نصف الشويکه . الامير بدر الدين الوزيري نصف طرس (٥) الامير رکن الدين  
 منکوس الدويداري نصف طرس . الامير سيف الدين قشتمر العجمي عرار بکمالها .  
 الامير علاء الدين اخو الدويدار نصف عرعر . الامير سيف الدين بيحوق (٦) البغدادي  
 نصف عرعر . الامير سيف الدين ذکحل (٧) البغدادي نصف فرعون . الامير علم الدين  
 سنجر الازکشي نصف فرعون . الامير علم الدين طردج (٨) الامدي سبايا (٩) بکمالها .  
 الامير حسام الدين ايتامش ابن اطلس خان سيدا بکمالها . الامير علاء الدين کندغدي  
 الظاهري امير مجلس الصير الفوقا (١٠) الامير عز الدين ايک الحموي الظاهري نصف  
 ارتاج . الامير شمس الدين سنقر الالفی نصف ارتاج . الامير علاء الدين طيبرس الظاهري  
 نصف يافه (١١) الغربية (٧٥) الامير عز الدين الاتابک الفخري القصير بکمالها .

- 
- (١) انتمش في ابن ابي الفضائل ص ١٤١
  - (٢) يما في ابن ابي الفضائل ص ١٤١
  - (٣) کذا في الاصل وفي ابن ابي الفضائل (ص ١٤١) يما .
  - (٤) دير الغصون في ابن ابي الفضائل ص ١٤١
  - (٥) طبرس في ابن ابي الفضائل ص ١٤٢ (٦) قفجق في ابن ابي الفضائل ص ١٤٢ .
  - (٧) ذکحل في ابن ابي الفضائل ص ١٤٢ (٨) طرح في ابن ابي الفضائل ص ١٤٢ .
  - (٩) اقتابه في ابن ابي الفضائل ص ١٤٢ (١٠) الصغرا بکمالها في ابن ابي الفضائل ص ١٤٢
  - (١١) باقة في ابن ابي الفضائل ص ١٤٣ .

الامير علم الدين سنجر السيفي الناصر بن كمالها • الامير ركن الدين بيبرس المزي نصف قفي • الامير سجاج الدين غازيل الديلي امير منندار نصف كقراعي • الامير عزاء الدين كندغد الجيني (١) مقدم الامراء البحرية نصف كقراعي • الامير شرف الدين بن ابي القسم نصف كستا • الامير بهاء الدين بن دواب الد - رزور - نصف كستا • الامير جمال الدين موسو بن يسمور استاد الدار المالية نصف برويكه (٢) • الامير علم الدين سنجر العلي الغزاوي (٣) نصف برويكه • الامير علم الدين سنجر نايب امير حاندار نصف حانوتا من ارسوف • الامير سيف الدين بيدغان الركني افراد نسيقا (٤) بكمالها من قيسارية • الامير عز الدين ايدمر الدار نايب الكوكب ثلث جلجوليه من ارسوف • الامير جمال الدين انور السلطان الرومي ثلث جلجوليه • الامير سمير الدين سنقرجاه الناصر ثلث جلجوليه من ارسوف • الامير بدر الدين بكتار الفارسي امير سلاح ثلث جلجوليه • الامير عزاء الدين كستفدي السمي ثلث جلجوليه • الامير بدر الدين بكتوت بجكا (٥) الرومي ثلث جلجوليه (٦).

وكتب من كتاب التمليل السرور الجامع نسخ وقرئت لكل امير نسخة بكنانه • وخلص علو قاغي القضاة ونوجه الى دمنور • وكتب الله تعالى هذه الحسنة للسلطان الملك الناصر في عيافته قبل كتابتها في سيرته • وتسلم كل من ادعاه ما حصه من ذلك • ونقلت المنجنيقات الى القلاع القريبة الكوك وعجلون وغيرها •

ورحل السلطان من ارسوف بعد استكمال دمنور في يوم الثلاثاء ثالث وعشرين شهر رجب الفرد سنة ثلاث وستين وبتماية هذه السنة • والفرنج قد انقضت شهرهم واحتلت اميرهم وغابت مساعيهم • وانام بالحويل ناعيمهم • وكلمة السلام قد رفعت واسباب (٧٥ ق) الكفر من الحياة قد قطعت وحصونهم الحصينة ما نفعت •

(١) الحجيني في السلوك ص ٥٣٣ (٢) "برنيكه" في ابن اب الفنايل ص ١٤٢

(٣) العزازي في ابن اب الفنايل ص ١٤٣ (٤) فرديسيا في ابن اب الفنايل ص ١٤٢

(٥) كجكا في ابن اب الفنايل ص ١٤٤ (٦) لائحة هذه الاسماء في السلوك للمقريزي

ص ٥٣٢ - ٥٣٤ ويقول E. Blochet (ج ١ ص ٤٨١) انها في النورث ايضا لكن هناك بعض الاختلاف



وسار السلطان الى غزة وعاد منها الى مقر مملكته بالديار المحمية • وخرج الملك السعيد بن الملك الناصر واتايكه عز الدين الحلي نايب السلطنة بالديار المصرية للقائيه من بركة الحاج • ودخل السلطان ونش مدينه القاهرة وهي مزينة في يوم الميـسـ حادى عشر شعبان من هذه السنة والاسرى بين يديه ودخل قلعته • وعرضما حصله الامير عز الدين الحلي والناحـب بها الدين من الخزائن ولم يتر احدًا من امير ولا وزير ولا متدم ولا مفردى ولا حوامه ولا برد داريته ولا جميع حاسيته الا اعيمهم بالمال والاحسان واحسن الى رسل الملك بركة وكتب الى اليمـر والانبـرور بالسائر وان حملة من الصدقات غلصة ودراهم وكساوى فرقت في الفقرا بجامع الازهر وغيره •

### ذكر ما وقع بالقاهرة ومصر من الحريق وما فعله

#### الملك الظاهر عند قدومه الى قلعته •

كان السلطان الملك الناصر ركـن الدين بيبرس السالحي بلغه ان الحريق بمصر والقاهرة قد كثر في كل مكان • وبلغ الخبر بان النصارى يفعلون ذلك لاجل انتزاع دينهم واحراق كنائسهم • وصار النار من ذلك في عدة عذيمة • ووجد النفط والكبريت في بعض الجبهات • فلما حذر السلطان الى قلعته واستقر في مقر مملكته طلب النصارى واليهود وانكر عليهم هذه الامور التي تفشع عندهم وارم به ريـس حبيصهم • فجمع منهم عالم كثير في القلعة واحضرت الاحطاب والحلفاء • فلما راوا العذاب وتقطعت بهيم الاسباب ساءوا الرحمة ومننوا بسايق الخدمة • فسفع فيهم الامير فارس الدين اقطـس اتايا الحساكر على ان يلتزموا بالاموال التي احترقت وان يهـلوا الى بيت المال خمسين الف دينار • فأقر عنهم • وقال صاحب "نظم السلوك في تاريخ الحلفاء والملوك" قرر عليهم حمل خمسمائة الف دينار (٧٦ و) الى بيت مال المسلمين • والتم بتوزيعها واستخراجها بخـارك النصارى • والتزموا انهم لا يعودون الى شي مما كانوا يعتمدونـه

من المنكرات ولا يخرجون عما هو مرتب على اهل الذمة وانفصل الحال على ذلك وحمل  
المال اولا اولا . والله اعلم .

### ذكر هروب زامل بن علي والقبض عليه

لم يزل السلطان محسنا الى الامير نور الدين زامل بن علي وهو لا يزيد الا علوا  
واستكبارا والفتنة لا تسكن بينه وبين الامير عيسى بن مهنا . ولما طلعت العساكر الى  
الشام صحبة الامير علاء الدين طبرس واجتمعت بالبلاد الحلبية قبضوا على زامل بن علي  
لتستويح الخواطر من تلك الفتنة واحضروه الى قلعة عجلون . ولما بلغ السلطان الملك  
الظاهر ذلك احضره واعتقله ثم افر عنه وطيب قلبه وصار يلعب مع السلطان الكرة .  
وطلب السلطان الامير شرف الدين عيسى بن مهنا واجمل بن حجي والامير هرون واصلح  
بينه وبينهم واعادوا الى الامير زامل اقطاعه وامرته . وتوجهوا فلم يصبر زامل الى ان  
يصل الى البلاد بل سار من اول الرمل الى البلاد . وذكر ان عيسى هجم بيوته  
فأخرب زامل وافسد وقبض على قصاد السلطان ومملوك الاتابك المتوجه الى شيراز واخذ  
الكتب وتقرب بها الى هلاون وتوجه اليه بنفسه واطعمه في المسلمين . فأعطاه هلاون  
اقطاعا في العراق وتوجه الى الحجاز لمشتاء فنهب وقتل وانتهب حرمة الاشراف وحضر  
الى اوائل الشام . وكان الملك الظاهر قد اعطى اقطاع زامل وامرته لاختيه ابي بكر  
فضاقت على زامل الارض بما رحبت . وراسل السلطان في طلب العفو فقرر معه الحضور  
وعينت له مدة وكتب اليه انه ان تأخر عن هذه المدة لير له عهد ولا ايمان فتأخر  
عن المدة المعينة (٧٦ق) فلما وصل سير السلطان الى القلعة ورسم بحبسه وسكنت  
الفتنة ووقعه الله في البئر التي حفرها واره عاقبه بطر النعمة التي كفرها . وهذا  
جزاه من كفر الاحسان و خان الله وخان السلطان . جعل الله كل باع عليه في  
قبضته اسيرا وخوله في الدنيا ملكا عظيما وفي الاخرة نعيما كبيرا .

## ذكر قتل الامير علم الدين سنجر بن صون

كان الامير علم الدين سنجر بن صون من رجال الحلقة فتحرب في ايام الملك المظفر سيف الدين قطز صاحب الديار المصرية بحركات دميعة . ولما انتقلت السلطة من الملك المظفر الى الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي احسن اليه . واراد استصلاحه فرجع الى ماكان يعتمد به في الدولة المظفريه . فاعتقله السلطان الملك الظاهر مدة ثم ذكر له خدمه سابقه فاطلقه وامره فشرع في الاسر التي كان عليها . فطلبه السلطان في الموكب وقال له اني اسمع عنك موافقة للمقسدین فارجع عما انت عليه . وسير له خلعه وذهب فأخذ ذل وهرب الى العرب وسير في افساد جماعة من العسكر . فأرسل له السلطان امانات مرارا فردها وتواتر فساد فسير اليه السلطان من قطع رأسه واحضر بعد ذلك اخوه فأحسن السلطان اليه والله اعلم .

في خامس عشر شعبان من هذه السنة، جلس السلطان الملك الظاهر بدار العدل وطلب تاج الدين ابن القرطبي . فلما حضر قال له : اضرتني مما تقول عندي مصانع لبیت مال المسلمين فتحدث الان ما عندك . فتحدث في حق قاضي القضاة وفي حق صاحب سواكن والامراء الذين يتوفون وانهم اخذوا اكثر من حقوقهم فأحضر (٧٧٠) السلطان زيارا واره للناس وقال : من صبر على هذا الزيار يستكثر له اقطاع او يستكثر لورثته موجود لخلفه لهم وانكر عليه وامر بحبسہ .

وتحدث السلطان في امر الجند وانهم في البكار وفي مواطن الحصار لا يصل اليهم شاهد فيشهد احدهم اصحابه فاذا حضروا لاتقبل شهادتهم وتضيع اموال الناس لهذا السبب . وقال انا ارى ان كل امير يعين من جماعته من فيه خير وديانة يسمع قوله . وكذلك كل مقدم وكل جماعة من الجند ممن فيهم الخير والصلاح تسمع اقوالهم لتحفظ اموال الناس .

ففرج الامراء بهذه القضية •

وشرع قاضي القضاة في اختيار الناس الجياد لذلك وجلس ايضا بدار العدل في  
تاسع وعشرين شعبان الشهر المذكور فوقف له شخص في امر خلو الاملاك الديوانية • فأنكر  
كون الديوان لا يخلي عن الناس وامر بالاخلاء عند الاجارة •

وفي هذا الشهر وصلت رسل من جهة الانبرور ووصلت رسل الملك الاشكري واحضر  
رسول الاشكري جملة من الهدايا من الاطلس والوبر والطيور وغيرها •

وفي هذا السنة توجه الامير بدر الدين بيليت الفايزي ومعه جماعة كشافه وساق  
حتى سقي خيله من دجله •

وفي سابع شهر رمضان من هذه السنة وصلت العساكر التي كانت بالبيرة صحبة  
الامير جمال الدين المحمد والامير عز الدين ايغان • وفي شهر رمضان وصلت هدية  
من جهة ملك الكرج الى الابواب الشريفة (١) وسبب ذلك ان السلطان كان سير  
القصاد الى ملوك الطوائف ومن جعلتهم ملك الكرج داود بن سودان ملك ابهر (٢)  
ووصل من جهته كتاب عرب وهو (٧٧ق) الشكر قدام الله • ولخوف العدو في الطرقات  
ما ذكرت اسم السلطان ولا اسمي • وقد فرحت فرحا عظيما كونك فتشت على محبة اهل  
بيتي لاهل بيتك والان فقد حلفت لك على الانجيل اني عدو عدوك وصديق صديقك  
والناس مترددون من عندي الى عند الملك بركة فان كان لك شغل سير الى عندي  
رسولا حتى اوصله الى عنده الى غير ذلك والله اعلم •

---

(١) في الاصل الشريف

(٢) كذا في الاصل •

### ذكر بعض خبر قرقيسيا وفتحها

كانت قرقيسيا هذه من اقدم المدن وكانت تعرف بالزبا ملكة من ملوك الجاهلية وفيها يقول ابن دريد :

فاستنزل الزبا قسرا وهي من عقاب لوح الجوا على منتما .

وكان السلطان قد ارسل اهلها وسير اليها الامير كمال الدين الطوري وملكها واقام بها مدة . فقصدها القطار . وكانت حمص والرحبة في يد الملك الاشرف صاحب حمص وهذه الجهة لا يتأتى فيها امر الا بالرحبة فعاد كمال الدين الطوري الى خدمة السلطان الملك الظاهر وتركها .

وفي شهر رمضان من هذه السنة ارسل مقدموها الى عز الدين السكندري النايب بالرحبة وسأله عفو السلطان وسيروا رهاينهم فسارت اليها جماعة من الخيالة والاقبية وساقوا من اول الليل الى نصفه وياتوا على ماكسين . فلما اصبح الصبح احاط بها المسلمون وعسكر السلطان وتسلموها وقتلوا من كان بها من عسكر القطار والكرج واسروا من المرتدة نيفا وثمانين نفرا . وتسلموا الجسر ومراكبه والسلسلة . وكان تسلمها في نصف شهر رمضان من هذه السنة .

وفي هذه السنة بلغ الملك الظاهر ان بحر اشعوم الذي كان الامير سيف الدين الرشيدى توجه لعمله ( ٧٨٠هـ ) ان عمله ما افاد . فرسم بتحصيل المراكب لاجل التفريق وحصلت الالات . وتوجه السلطان اليه بنفسه في ثاني شوال من هذه السنة وقسم عمله على الامراء وعمل بنفسه . وشاهد على كتفه قفه ملوثة ترابا فلم يبق احد من امير ولا وزير ولا كبير الا وبادروا العمل بنفوسهم . وحصل الاجتهاد من كل جهة وصار السلطان مستمر العمل في كل يوم يركب في مركب ويشاهد تفريق

المراكب ويحسن الى من نهض في العمل • فتنجز الشغل في ثمانية ايام وتكامل الحفر •  
وكذلك الجهة التي من جهة جوجر • وتوجه السلطان الى منزلة ابن حسون وعاد الى  
قلعته في حادى وعشرين شوال الشهر المذكور • ورسم السلطان بايपाल حراسة  
النهار بالقاهرة ومصر • وكانت جملة مستكثرة وكتب التواقيع بايपालها طلبا لثواب الله  
تعالى •

وفي يوم الجمعة قرئ مكتوب بأشعوم بمسامحة الاعمال الدقهليه والمناحيبة  
بأربعة وعشرين الف درهم عن رسوم الولاية والمال المستخرج برسم النقيدى •

وفي شوال المذكور توجه شجاع الدين ابن الداية الحاجب الى الملك بركه  
رسولا من السلطان في كف غارات الملك بركه عن بلاد الاشكرى حسب سؤال  
الاشكرى في ذلك • فسيره في ذلك وفي مهمات اخر • وسير معه ثلاث عمر اعتمر  
بها بمكة شرفها الله تعالى للملك بركه لم يعمل مثلها لما اشتملت عليه من الايات  
والاحاديث النبوية والازهاب • وسير معه قمقمان من ماء زمزم ودهن بلسان وغير  
ذلك • وتوجه معه احد اصحاب الملك بركه وهو جمال الدين محمود •

وفي آخر شوال الشهر المذكور تشوش مزاج السلطان الملك الظاهر فتداوى  
بالصدقه (٧٨ق) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : داووا مرضاكم بالصدقه  
وافرج عن المعتقلين •

وفي ذى القعدة من هذه السنة وصل الى الابواب الشريفة الراهب كريانوس المسير  
الى الملك الاشكرى بكتاب الاشكرى بالحلف للسلطان على حفظ اليهود •

وفي ذى القعدة الشهر المذكور وصل الامير جمال الدين النجيبى الى الباب  
الشريف فتحدث معه في مهمات الامور وكتب على يده تذكرة بمصالح الرعية وعاد في

## ذى الحجة •

ذكر من ولي القضاء بمصر المحروسة من زمن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي  
الله عنه الى ان جعلهم الملك الظاهر ركن الدين ببيروت في هذه السنة اربع  
قضاة من كل مذهب من المذاهب الاربعة اهل السنة والجماعة قاضي شافعي وقاضي  
حنفي وقاضي مالكي وقاضي حنبلي •

اعلم ارشدنا الله واياك ان اول من ولي القضاء بمصر المحروسة في زمن  
عمر بن الخطاب امير المؤمنين رضي الله عنه بعد ان فتحها عمرو بن العاص رضي  
الله عنه قيس بن ابي العاصي السهمي رضي الله عنه فأقام الى سنة اربع وعشرين  
للهجرة وتوفي رحمه الله تعالى •

وولي امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعده عثمان بن قيس بن ابي  
العاص فلم يزل قاضيا بمصر الى ان عزله امير المؤمنين معاوية بن ابي سفيان الاموي  
رضي الله عنهما في سنة اثنتين واربعين للهجرة •

وولي بعده سلمان (١) بن عنز (٢) النجيب • وولي بعده ..... (٣)  
عابس بن سعيد المرادي (٤) وكان اميا فلم يزل الى ان توفي في زمن الامير عبد العزيز  
بن امير المؤمنين مروان بن الحكم الاموي امير مصر نيابته اخيه امير المؤمنين (٧٩و)  
عبد الملك بن امير المؤمنين مروان بن الحكم الاموي في سنة ثمان وستين للهجرة •

- 
- (١) "سليم" في كتاب القضاة ص ٥ وابن حجر، رفع الاصر (ص ٤)
  - (٢) "عنز" في مقدمة كتاب القضاة (ص ٨)
  - (٣) بياض في الاصل •
  - (٤) كذا في الاصل وهي المردي في كتاب القضاة (ص ١١) والمرادي في رفع الاصر (ص ٤)

وولي بعده بشير (١) بن النضر المزني .

وولي بعده عبد الرحمن بن حجير (٢) الاكبر فلم يزل الى ان توفي في سنة ثلاث وثمانين للهجرة . وقيل في هذه السنة كانت اول ولايته وان وفاته كان في سنة خمس وثمانين للهجرة والله اعلم اي ذلك كان .

وولي بعده يونس بن عدي الخضر فلم يزل الى ان توفي في سنة ست وثمانين للهجرة .

وولي بعده عبد الرحمن بن معاوية بن خديج الكندي (٣) .

وولي بعده عمران بن عبد الرحمن بن شرحبيل ابن حسنة (٤) . ولم يزل الى ان توفي في سنة تسع وثمانين للهجرة .

وولي بعده عبد الاعلى بن خالد بن ثابت العبسي (٥) .

وولي بعده عبد الله بن عبد الرحمن بن حجير الخولاني ولم يزل الى ان عزل في سنة ثلاث وتسعين للهجرة .

وولي بعده عياض بن عبيد الله الازدي بن السلامي ولم يزل الى ان عزل في سنة مائة للهجرة .

وولي بعده عبد الله بن خدام (٦) ولم يزل الى ان عزل في سنة اثنتين ومائة .

وولي بعده يحيى بن ميمون الحضرمي ولم يزل الى ان عزل في سنة اربع عشرة ومائة .

---

(١) بشر في رفع الاصر ص ٤ ملحوظة ٤ و هو بشير في كتاب القضاء ص ١٣

(٢) في الاصل بدون تنقيط .

(٣) في الاصل ~~بشير~~ في رفع الاصر ص ٤ ملحوظة ١٢

(٤) في كتاب القضاء ص ٢٣ "الحسيني"

(٥) عبد الاعلى بن خالد الفهمي ، رفع الاصر ص ٤ ملحوظة ١١

(٦) حذام في كتاب القضاء ص ٣٢



وولي بعده يزيد بن عبد الله بن خـدام (١)

وولي بعده الجعـان بن خالد المدلجي (٢) • ولم يزل الى ان توفي في سنة

خمس عشرة ومائة للهجرة •

وولي بعده ابو مـ حـجن توبه (٣) بن نمر بن جبريل بن ثعلب بن ربيعة بن نمر

الـضـري • وهو اول من ديون الاحباش وجعل لها ديوانا واستعفى عن القضاء

ف قيل له فمن تـرى يكون فأشار لخير (٤) بن نعيم وكان استعفاؤه من الحكم على

ما ذكره الفـرا في تاريخه في سنة (٧٩ق) احدى وعشرين ومائة للهجرة •

وولي بعده ابو اسماعيل خير بن نعيم بن مرة بن كعب بن عمرو بن خزيمه بن اوس

الـضـري • ولم يزل الى ان عزل في سنة ثمان وعشرين ومائة للهجرة •

وولي بعده اوس الـضـري وعزل في سنة ثمان وعشرين ومائة للهجرة •

وولي بعده عبد الرحمن بن سـلام (٥) بن ابي سالم الحيشاني • ولم يزل الى

ان انقرضت الدولة الاموية وعزل لما دخلت عساكر بني العباس مصر في سنة ثلاث

وثلاثين ومائة للهجرة •

واعيد بعده خير بن نعيم للقضاء ولم يزل الى ان حبس جنديا على دين فأخرجه

امير مصر فعظم ذلك على خير فعزل نفسه عن القضاء في سنة خمس وثلاثين ومائة للهجرة •

فقالوا له من تولي بعدك فقال كاتبه ولم يعد بعد ذلك الى القضاء • وتوفي في سنة

ستين ومائة وقبره عند قبر القاضي بكرا بن قتيبه وهو يزار •

---

(١) حـدامـر في كتاب القضاء ص ٣٢

(٢) الخيار بن خالد المدلجي في رفع الاصر ص ٤ ملحوظة ١٩

(٣) بدون تنقيط — راجع كتاب القضاء ص ٣٦

(٤) بدون تنقيط في الاصل راجع كتاب القضاء ص ٤١

(٥) ابن سالم في كتاب القضاء ص ٤٦

وولي بعده غوث بن سلمان الحضرمي (١) وهو كاتب خير بن نعيم القاضي قبله  
فبقي الى ان خرج مع الامير صالح بن علي العباسي امير مصر للصفية في سنة اربع  
واربعين ومائة للهجرة .

وولي ابو خزيمه ابراهيم بن يزيد البائي والبات بالباء الموحدة والثاء المثناة  
من فوق بعد الالف بطن من حمير فبقي الى ان استعفى فأعفي وجعل مكانه يقضي  
عبد الله بن بلال الحضرمي .

وولي من بعده عوف بن سليمان (٢) سنة اربع واربعين ومائة للهجرة  
وشخص عوف الى العراق ورتب مكانه ابو خزيمه ابراهيم بن يزيد فبقي الى ان توفي  
في سنة اربع وخمسين ومائة للهجرة .

فولي ابو جعفر المنصور امير المؤمنين العباسي ابا عبد الرحمن عبد الله بن  
لهيعة بن عقبه واجرى له في الشهر وهو اول قاضي اتاه الحكم من قبل الامام العباسي  
(٨٠و) وهو اول قاضي ركب للهِلال مع الشهود . وبقي الى ان عزل في سنة اربع وستين  
ومائة للهجرة .

وولي بعده اسماعيل بن البسع الكوفي الحنفي . كان يذهب الى قول الامام  
ابي حنيفة رضي الله عنه . فكتب الليث بن سعد الى الخليفة ببغداد ان اصرفه عنا  
فصرفه .

يعاد الى القضاء غوث بن سلمان كاتب خير بن نعيم فلم يزل الى ان توفي  
في سنة ثمان وستين ومائة . وقيل انه هو اول قاضي ركب للهِلال وقيل ابن لهيعة  
على ما قدمنا شرحه . فولي بعده المفضل بن فضالة بن عبيد العسائي (٣)

---

(١) غوث بن سليمان الحضرمي — رفع الاصر ص ٥ ملحوظة ٥

(٢) بياض في الاصل .

(٣) بدون تنقيط وهي العتباني في كتاب القضاء ص ٦٥ .

وهو اول قاضي اطلال الكتب • وكان من فضلاء الناس وخيارهم • وقبره رحمه الله  
احد المزارات • وهو وولده في قبر واحد • وعزل في سنة تسع وستين ومائة للهجرة •

وولي بعده ابو طاهر (١) عبد الملك بن محمد بن ابي بكر بن حزم الاعرج

الانصاري • ولم يزل الى ان استعفى فأعفي في سنة اربع وسبعين ومائة للهجرة ،

ثم اعيد المفضل بن فضالة وعزل في صفر سنة سبع وسبعين ومائة للهجرة •

وولي محمد بن مسروق الكوفي • ولم يكن محمودا في ولايته • وبقي الى ان خرج

للعراق في سنة اربع وثمانين ومائة للهجرة • واستخلف عنه اسحق بن الفرات التجيبي

بعد الثاء المثناة من فوقها جيم فبقي الى صفر سنة خمس وثمانين ومائة للهجرة وعزل •

وولي بعده عبد الرحمن بن عبد الله بن المحر (٢) بن عبد الملك بن

عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو اول من دون اسماء الشهود • وعزل في خلا سنة

اربع وتسعين ومائة •

وولي بعده هشام (٣) بن ابي بكر البكري / من اولاد ابي بكر الصديق رضي الله

عنه وكان حنفي المذهب • وتوفي في غرة المحرم سنة ست وتسعين ومائة للهجرة وهو

على الحكم •

فولي مكانه (٨٠ق) ابراهيم بن البكا (٤) ولاه الامير جابر بن الاشعث امير

مصر وصرف جابر وعزل ابراهيم بعده في سنة ست وتسعين ومائة للهجرة •

وتولى مكانه لهيعة بن عيسى • فلم يزل على القضاء الى ان قدم المطلب بن عبد

الله اول سنة ثمان وتسعين ومائة للهجرة فعزله •

---

(١) ابو الطاهر • رفع الاصر ص ٥ ملحوظة ١٣

(٢) لعلمها المحير وهو عبد الرحمن بن عبد الله العمري — كتاب القضاء ص ٧٨ ورفع الاصر

ص ٥ ملحوظة ١٥ (٣) هاشم في كتاب القضاء ص ٩٣

(٤) كذا في الاصل وهو ابن البكا في كتاب القضاء ص ٩٧ وهي بدون همزة في رفع الاصر

ص ٥ ملحوظة ١٧ •

وولي بعده الفضل بن غانم ثم عزله واعاد لهيعة بن عيسى . فلم يزل على القضاء حتى توفي في ذي القعدة سنة اربع ومائتين للهجرة .

فتولى بعده السري بن الحكم وامير مصر يومئذ ابراهيم بن اسحق العاربي حليف بني زهرة فاستعفى فأعفى .

وولي مكانه ابراهيم بن الجراح . وكان يذهب الى قول الامام ابي حنيفة رضي الله عنه . فلم يزل قاضيا الى ان قدم الامير عبد الله بن طاهر مصر اميرا في سنة احدى عشرة ومائتين للهجرة فعزله .

وولي مكانه عيسى بن المنكدر ( ١ ) بن محمد بن المنكر . واجرى له عبد الله بن طاهر في الشهر اربعة الاف درهم . وهو اول قاضي اجرة عليه ذلك فلم يزل الى ان قدم الامير المعتصم بن هرون الرشيد العباسي مصر اميرا زم اخيه امير المؤمنين المأمون في سنة اربع عشرة ومائتين وكلم فيه احمد بن ابي داؤاد قاضي العراق فاشخصه الى العراق وتوفي هناك .

وبقيت مصر بغير قاضي . وقدم امير المؤمنين المأمون الخليفة الى مصر في خامس المحرم سنة سبع عشرة ومائتين للهجرة ولم يقدم احد من خلفاء بني العباس مصر في خلافته الا المأمون هذا .

وولي القضاء بمصر يحيى بن اكرم فحكم ثلاثة ايام بها وخرج امير المؤمنين المأمون الى سجاو واصلى احوالها وتوجه الى الاسكندرية ( ٨١ و ) وعاد الى مصر وخرج عنها في الخامس من صفر من هذه السنة . وجعل القضاء بمصر الى هرون بن عبد الله الزهري قلده ذلك وهو بالشام . فقدم الى مصر بعد ليال بقرين من شهر رمضان

---

( ١ ) كذا في الاصل وفي كتاب القضاة ص ١١١ لكنها المتكدر في رفع الاصر ص ٥ ملحوظه ٢٢

سنة سبع عشرة ومايتين للهجرة • فلم يزل قاضيا الى سنة ست وعشرين ومايتين للهجرة  
فصرف عن القضاء •

وولي مكانه محمد بن ابي الليث الاصم الى شهر ربيع الاول من سنة خمس وثلاثين  
ومايتين للهجرة • فعزل وجلس وقيمت مصر بغير قاضي حتى وليها الحارث بن مسكين  
في جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين ومايتين • جاءته الولاية وهو بالاسكندرية فلم  
يزل قاضيا الى ان صرف عنها يوم الجمعة لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمس  
واربعين ومايتين للهجرة •

وولي بعده عبد الرحمن بن ابراهيم بن المر (١) الدمشقي • جاءته الولاية  
وهو في الرملة من اعمال فلسطين • فتوفي قبل ان يصل الى مصر في سنة خمس واربعين  
ومايتين للهجرة •

تولي بعده القاضي بكار بن قتيبة ابن اسد بن ابي بردعه بن عبيد الله بن  
بشير بن ابي بكره الحارثي مولاي رسول الله صلى الله عليه وسلم البصري، من اهل البصرة •  
ودخل الى مصر لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة ست واربعين ومايتين للهجرة •  
وبقي الى سنة سبع وستين ومايتين للهجرة وهي السنة التي اعتقل فيها القاضي بكار  
المذكور • وكان السبب في ذلك على ما حكاه المؤرخون في كتبهم ان الخليفة  
المعتمد على الله ابا العباس احمد بن المتوكل على الله جعفر بن هرون الرشيد  
العباسي كان مشتغلا ببلداته • فخر عليه صاحب الزنج وقام بالحرب الموفق اخو  
المعتمد وطال موافقته لصاحب الزنج فقصد الموفق القدوم الى مصر وسها الامير احمد  
بن (٨١ق) طولون • فبلغ ذلك اخاه المعتمد فسير اليه واعاده عن هذا الرأي  
استبقا لابن طولون • وكان جرى بين الامير احمد بن طولون وبين الامير الموفق

---

(١) في رفع الاصر ص ٦ ملحوظة ٣ هو ابن ابراهيم الدمشقي •

مكاثبات مقتضاها تسيير الجند والعمال اعانه له على صاحب الزنج فقصر عنه احمد بن طولون . فندب اليه الموفق عسكريا . فقاتله احمد بن طولون فكسره . وجرت احوال فلما بلغ ابن طولون ذلك سير الى فقها مصر وكان بالشام فتوجهوا اليه الى دمشق في سنة سبع وسبعين ومايتين للهجرة . وكان في جملة الفقهاء قاضي مصر القاضي بكار بن قتيبة فقال لهم احمد بن طولون ان الموفق خلع طاعة اخيه المعتمد . وكان الموفق ولي عهد اخيه فأفتوا (٨١و) فقها مصر بخلع الموفق من ولاية العهد . فتوقف بكار بن قتيبة عن خلعه . فقال له الامير احمد بن طولون : لم لاتوافق الفقهاء ؟ فقال له : انت اوردت علي كتاب الخليفة المعتمد بولاية اخيه الموفق فأوردته علي بخلعه . فقال هو الآن مغلوب متهور في يديه وانا ايضا احبست حتى يرد كتابه باطلاقت . فقيده وسيره الى مصر وحبسه . وكان بن طولون كل سنة يتخله بالف دينار فعاد طالبه بها فسيرها اليه بختمها . وكان عدتها ستة عشر كيسا . وبقي القاضي بكار محبوسا الى اخر ايام احمد بن طولون .

ورنصب في الحكم عوضا عنه وهو كالخليفة عنه محمد بن شادان الجوهري . وبقي القاضي بكار معتقلا الى ان توفي الامير احمد بن طولون في ليلة الاحد لعشر بقين من ذي القعدة سنة سبعين ومايتين للهجرة . وتوفي القاضي بكار بعدده في يوم الخميس لست بقين من ذي الحجة من هذه السنة . ومولده في (٨٢و) سنة اثنتين وثمانين ومائة ومدة ولايته القضاء اربعا وعشرين سنة وستة اشهر وستة عشر يوما وكان عالما زاهدا . حذب بالكثير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وله اخبار مشهورة . وقد تقدم ذكره . وقبره احد المزارات بالقرنة بسفح الجبل المقطم .

ولي بعده ابو عبد الله محمد ابن عبدة بن حرب البصري . ثم استتر بسبب فتنة بني طولون فأقام مستترا عشر سنين وذلك في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين ومايتين للهجرة . وبقيت مصر بغير قاضي الى ان ولي ابو زرعة محمد

بن عثمان الدمشقي وعزل في صفر سنة اثنتين وتسعين ومايتين للهجرة • وتوفي ابو زرعة بالشام في سنة اثنتين وثلاثماية •

واعبيد ابو عبد الله محمد بن عبده بن حرب في شهر ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين ومايتين للهجرة • وعزل عن الحكم في مستهل شهر رجب من هذه السنة لان الامير استصحبه معه الى الشام وولاه قضاء حلب • وولي ابا ملك بن ابي الحسن الصغير ثم ولي ابا عبيد على بن الحسن بن حرب بن عيسى بالشام • وكان قدومه مصر لليلتين خلتا من شعبان سنة ثلاث وتسعين ومايتين للهجرة • وتوفي الى ان عزل في سنة احدى عشره وثلاثماية •

وولي مكانه ابو الذكر محمد بن يحيى بن مهدي بن هرون بن عبد الله بن هرون بن ابراهيم الاسواني خلافة لابي يحيى عبد الله بن ابراهيم بن مكرم الى ان عزل ثاني عشر صفر سنة اثنتي عشرة وثلاثماية •

وولي مكانه ابو محمد ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن عبد العظيم بن عبد الله بن عبد الاعلى (١) • في شهر ربيع الاول سنة ثلاث عشره وثلاثماية •

وولي مكانه ابو علي عبد الرحمن بن اسحق بن محمد بن معمر بن (٨٢ ق) حبيب بن المنهال السدوسي وصرف سابع شهر ربيع الاخر سنة اربع عشرة وثلاثماية • ولي ابو عثمان احمد بن ابراهيم بن حماد بن اسحق بن اسماعيل بن حماد في الثامن من شهر ربيع الاخر سنة اربع عشرة وثلاثماية • وعزل عن القضاء في ذي الحجة من سنة ست عشرة وثلاثماية •

وولي مكانه ابو محمد عبد الله بن احمد بن ربيع بن سلمان بن خالد بن عبد الرحمن الربيعي من اهل دمشق • وعزل عنها لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة سبع عشرة وثلاثماية • وعاد اليها ابو عثمان احمد بن ابراهيم بن حماد • وعزل عنها في سابع شهر ربيع الآخر سنة عشرين وثلاثماية للهجرة واعيد اليها ابو محمد عبد الله الربيعي وعزل عنها في عاشر صفر سنة احدى وعشرين وثلاثماية •

وولي مكانه هاشم اسماعيل بن عبد الواحد بن محمد الربيعي المقدسي الشافعي وعزل في عاشر شهر ربيع الآخر من هذه السنة •

وولي مكانه ابو جعفر احمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم البينوري في شهر جمادى الآخرة • ثم عزل في سابع شهر رمضان المعظم سنة اثنتين وعشرين وثلاثماية •

وولي ابو عبد الله محمد بن موسى بن اسحق المرخسي • وبقي الى سنة اربع وعشرين وثلاثماية •

وولي ابو بكر محمد بن احمد بن محمد بن جعفر بن الحداد الكتاني الفقيه وعزل في شهر ربيع الاول سنة اربع وعشرين وثلاثماية •

وولي بعده ابو بكر محمد بن بدر مولي ابن حكيم خلافة لمحمد ابن الحسن بن ابي الشوارب • وتكرر حاله بها الى ان توفي وهو في ولايته على القضاء سنة ثلاثين وثلاثماية للهجرة •

وولي ابو محمد عبد الله بن احمد بن شعيب بن الفضل بن ملك ابن دينار يعرف بأبن اخت وليد وعزل • واعيد اليها ابو بكر بن (٨٣و) الحداد • وعزل في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثماية للهجرة • واعيد ابو محمد عبد الله ابن اخت وليد وعزل ايضا في سنة ثلاث وثلاثين السنة المذكورة •



- وولي عبد العزيز بن الحسن بن عبد العزيز بن عبد الله العباسي الهاشمي  
• وكان خليفه لآخيه ثم عزل عنها في نصف ذى الحجة سنة تسع وثلاثين وثلاثماية للهجرة •  
وولي ابوبكر عبد الله ابن محمد بن الخطيب بن الصقر بن حبيب الاصمهاني  
المعروف بالخصي تولى في سنة ١٠٠٠ (١) وتوفي في سنة ثمان وأربعين وثلاثماية للهجرة •  
وولي بعده ولده ابو عبد الله محمد بن عبد الله • اقام خمسا وأربعين يوما  
ومات • فولي كافور الاخشيدى مكانه ابا الطاهر محمد بن احمد بن عبد الله بن نصر  
بن مخبر بن صالح بن اسامه الدهلي في نصف شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين  
وثلاثماية فبقي الى آخر الدولة الاخشيدية •

- وجاءت الدولة العبيدية فأبقاء الامير جوهر الرومي الذي ارسله المعز العبيدي  
صاحب الغرب من الغرب الى مصر • واستولى عليها ونزى القاهرة المحروسة على القضاء •  
وورد المعز لدين الله اول العبيديين بالديار المصرية ديار مصر واستقر بالقصر بالقاهرة  
المحروسة التي بناها له مولاه جوهر المقدم ذكره • واقتر المعز هذا القاضي على ولايته  
فلم يزل الى ان توفي المعز وقام بالامر من بعده ولده العزيز • فأقر القاضي المذكور  
على ولايته ثم عزله في صفر من سنة ست وستين وثلاثماية للهجرة • وهو من القضاء  
المشهورين بالحديث والعلم وطول المدة •

- وولي العزيز بالله بن المعز العبيدي مكانه ابا الحسن على بن النعمان بن  
محمد بن منصور بن احمد بن حيون المغربي • وكان قدم مع المعز من الغرب • وولاه  
العزيز مضافا للقضاء الخطابة والامامة والعبارة في الذهب والنظر في الحكم بمصر  
والقاهرة واعمالها (٨٣ق) والمغرب والحرمين الشريفين مكة والمدينة • وهو اول  
قاضي نعت بقاضي القضاء بالديار المصرية واول من نعت بهذا النعت في الاسلام

القاضي ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصاري صاحب الامام الاعظم ابي حنيفة رضي الله عنهما نعته بقاضي القضاء امير المؤمنين هرون الرشيد بن المهدي بن المنصور العباسي ببغداد . وكان لا يدعى بقاضي القضاة الا قاضي بغداد . وكان ساير القضاة بجميعه البلاد التي تحت حكم الخليفة قاضي بغداد هو الذي يوليهم .

فايدة تذكر زيدتها في هذا المكان وهي اول ملك نعت بالملك في ملوك الاسلام عضد الدولة بن بويه الديلمي ملك بغداد مع الخليفة . واول من نعت بالسلطان في ملوك الاسلام محمود بن سبكتكين سلطان العجم .

نرجع لذكر القاضي ابن النعمان . لم يزل على ولايته الى ان توفي في السادس من شهر رجب من سنة اربع وسبعين وثلاثماية للهجرة واورد المسبحي في تاريخه شعرا ودفن بتربته عن مسجد الاقدام .

وتولي مكانه اخوه ابو عبدالله محمد بن النعمان فبقي الى ان توفي في رابع صفر سنة تسع وثمانين وثلاثماية للهجرة . ودفن عند اخيه . وكان اديبا شاعرا ذكر له المسبحي ابيات . قال المسبحي : ورأى القاضي محمد بن النعمان رؤيا فأحضر ابن قديده المفسر فقال له : رأيت كأن الباري عز وجل نزل من السماء . فلما بلغ اري مات . فقال له ابن قديده : ان الله هو الحق وموته ابطاله . وان الحق لا يزال حيا حتى يصير اليك فيموت . فأطرق القاضي ومات بعد مدة يسيرة .

وتولي الحكم بعد ابن النعمان ابن اخيه الحسين بن علي بن النعمان ابو عبدالله فبقي الى ان عزل .

وولي بعده ابو القاسم عبد العزيز بن محمد بن النعمان ابن عمه وعزل في يوم الجمعة (٨٤٠هـ) سادس عشر شهر رجب سنة ثمان وتسعين وثلاثماية .

وولي مكانه مالك بن سعيد بن مالك الفارقي وكان قاضي اطرابلس واختص به فلم يزل الى ان صرفه وقتله الحاكم بن العزيز بن المعز العبدي في يوم السبت لاربع ليال بقيت من شهر ربيع الاخر سنة خمس واربعمائة .

وولي مكانه ابو العباس احمد بن محمد بن عبدالله بن ابي العوام يوم الاحد حادي عشر جمادى الاخرة سنة خمس واربعمائة . فلم يزل الى ان توفي لعشر بقين من شهر ربيع الاول من سنة ثمان عشرة واربعمائة .

فولي مكانه قاسم بن عبدالله بن النعمان في رابع جمادى الاول من سنة ثمان عشرة . وعزل عنها لخمس بقين من شهر رجب من سنة تسع عشرة واربعمائة .

وولي مكانه ابو الفتح عبد الحاكم بن سعيد الفارقي في التاريخ المذكور ثم عزل في سابع عشر ذي الحجة سنة سبع وعشرين واربعمائة للهجرة واعيد اليها قاسم بن عبد العزيز بن النعمان واستدلك عنه القاضي القاضي مصنف الشهاب ثم صرف عنها .

وولي ابو احمد بن عبد الكريم بن عبد الحاكم ثم صرف عنها واعيد اليها قاسم بن عبد العزيز بن النعمان وصرف عنها في ثاني المحرم سنة احدى واربعين واربعمائة . وتولى ابو محمد الحسن بن عبد الرحمن البازوري (١) ثم بعد ذلك اضيف اليه الوزارة وهو اول قاضي جمع له بين القضاء والوزارة . فلم يزل عليها الى ان صرف في مستهل شهر الله المحرم سنة خمسين واربعمائة للهجرة .

تولى بعده ابو علي احمد بن عبد الحاكم بن سعيد ثم صرف عنها في ذي القعدة من هذه السنة وتكرر في القضاء والوزارة غير مدة . وليها ابو القاسم عبد الحاكم بن وهيب وصرف عنها في سنة اثنتين وخمسين واربعمائة للهجرة وتكرر في القضاء (٨٤ ق) غير دفعه .

ووليها ابو عبد الله احمد بن محمد بن ابي زكريا في حادى عشر شهر رجب الفرد سنة اثنتين وخمسين واربعماية • فلم يزل الى ان توفي في صفر سنة ثلاث وخمسين واربعماية للهجرة • فأعيد اليها ابو علي احمد بن قاضي القضاء عبد الحاكم بن سعيد الفارقي رابع عشر صفر • وصرف عنها خامس شهر رجب من سنة ثلاث وخمسين السنة المذكورة • واعيد اليها ابو القاسم عبد الحاكم بن وهيب (١) ثم صرف عنها في سنة خمس وخمسين واربعماية ثم ولي الوزارة والقضاء ابو محمد الحسن بن مجلي بن اسد بن ابي كدينه (٢) في رابع عشر شعبان وقبر عليه في ذى الحجة وتكرر في القضاء والوزارة دفعات تزيد على اثنتي عشر كرة •

وتولى ابو الحسين علي بن عبد الحاكم ثامن عشرى شهر ربيع الاخر سنة ست وخمسين واربعماية • وصرف عنها في خامس جمادى الاخره متها ثم رتب في الحكم عند دخول الامير بدر الجمالي امير الجيوش ابو يعلي حفزة بن الحسين بن احمد العرقى (٣) فلم يزل في الحكم الى ان توفي •

فولى ابو الفضل طاهر بن علي القاضي لعله ولي في سنة ثلاث وسبعين واربعماية • ثم ولى بعده جلال الدولة ابو القاسم على بن عمار ثم صرف • وولى بعده ابو الفضل هبة الله بن الحسن بن عبد الرحمن بن نباته لعلى ولايته كانت في رابع شعبان سنة خمس وسبعين واربعماية • ثم ولى من بعده ابو الفضل بن عتيق • ثم ولى من بعده ابو الحسن على بن يوسف بن الكحال النابلسي • ثم ولى من بعده فخر الاحكام ابو الفضل محمد بن عبد الحاكم الطيجي • كانت

---

(١) "ابن وهب" رفع الاصر ص ٨ ملحوظة ٦

(٢) بدون تنقيط في الاصل • راجع رفع الاصر ص ٨ ملحوظة ١٤

(٣) بدون تنقيط في الاصل • راجع رفع الاصر ص ٩ ملحوظة ١٠

ولايته في سنة سبع وثمانين واربعمائة • ثم ولي (٨٥و) من بعده ابو الطاهر محمد بن رجا فلم يزل الى ان توفي في سنة ثلاث وتسعين واربعمائة • وولي مكانه ابو الفرج محمد بن جوهر بن دكي النابلسي • فلم يزل الى شهر ربيع الاول سنة خمس وتسعين واربعمائة فصرف •

وتولى ابو الفضل نعمه بن بشير الجليس النابلسي ثم استعفى في سنة اربع وخمسمائة فأعفى • وولي مكانه الرشيد عماد الاحكام ابو عبد الله محمد • وقبيل احمد بن قاسم الصقلي (١) ولم يزل الى ان توفي فأعيد القضا الى ابن الجليس النابلسي ثم صرف •

وولي مكانه فقه الملك عمدة الاحكام ابو الفتح مسلم بن علي الرسعني ذكر في الحكم في سنة ثلاث عشرة وخمسمائة للهجرة • ولم يزل قاضيا الى ان وزر المأمون بن البطاحي • فاتفق ان المأمون عمل عزاء للامير محمود بن ظفر والى قوص • فلما كان وقت صلاة الصبح قدمه المأمون للصلاة • فلما احرم ادركه هلع فلحن وارنح عليه في قراءة " والشمر وضحاها " فوقف عند قوله " ناقة الله وسقياها " فردها المأمون عليه فزاد استبهاما • فكرر المأمون الرد على القاضي فلم يهتدي • وصحف قوله " ناقة الله وسقياها " فقال " وسقياها " • فقرأ المأمون بقيه السورة عنه وسجد وسجد الناس لسجوده • ثم قام في الركعة الثانية وقد دهش • فلم يفتح عليه بشي • وكمل المأمون الصلاة وفرغ فلما انقصر الناس من المجلس وكل المأمون على القاضي حتى يحفظ من القرآن ما يصلي به وصرفه • واستخدم عوضا منه ابا الحاج يوسف بن ايوب المغربي وكان قاضي الغربيه • فلم يزل الى ان توفي في سنة احدى وعشرين وخمسمائة • فولي القاضي سناء الملك ابو عبد الله محمد بن هبة الله

---

(١) هو احمد بن قاسم بن زيد الصقلي الملقب بالقاضي الرشيد رفع الاصر ص ١٠ ملحوظة ٥ •

بن ميسر القيسراني (١) (٨٥ق) في أيام الامر العبيدي . وولاه الوكالة والنظر في المقياس وغيره . ولم يزل الى ان تولى الخلافة بالديار المصرية الحافظ العبيدي فعزله في سنة ست وعشرين وخمسمائة للهجرة .

نكتته : اول من رتب اربع حكام على اربع مذاهب ابن امير الجيوش في الدولة العبيدية ، حكى القاضي جمال الدين ابن تنكرانه وجد في تعاليق خاله العماد بن اخي العلم انه في سنة خمس وعشرين وخمسمائة عند قيام الامير ابي على بن الافضل امير الجيوش بأمر الملك رتب ان يكون في الحكم اربع قضاة على اربع مذاهب . وهم الفقيه سلطان بن رشأ الفقيه الشافعي قاضي الشافعية وابو محمد عبد المولى بن اللبثي الفقيه المالكي قاضي المالكية وابو الفضل بن الازرق الاسماعيلي قاضي الاسماعيلية . وابن ابي كامل الفقيه الامامي قاضي الامامية . وان المذكورين استمروا الى آخر السنة . فرق بين هؤلاء القضاة والقضاة الذين ولاهم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس لان في هؤلاء من مذهبه غير مذهب اهل السنة . ومن ولاهم الملك الظاهر جميعهم اهل السنة والجماعة .

وذكر بعضهم ان القاضي سناء الملك بن ميسر القيسراني رسم له ان لا يحكم الا ويكون عنده اربع فقهاء من جملتهم الفقيه سلطان بن رشا المذكور . حتى قيل ان الفقيه سلطان غاب يوما عن المجلس فأوجب توقف امر الحكم لغيبته . فقال بعض الحاضرين : فانفذوا لا تنفذوا الا سلطان الآية (٢) .

ولما عزل الحافظ العبيدي القاضي سناء الملك بن ميسر في سنة ست وعشرين وخمسمائة ولي ابو الفخر (٨٦و) صالح بن عبد الله بن رجا في مستهل شهر ربيع الاول من سنة ست وعشرين وخمسمائة . ثم قبر عليه وقتله . وولي مكانه سراج

(١) القيرواني في رفع الامر ص ٩ ملحوظة ٢ وص ١٠ ملحوظة ١١

(٢) سورة الرحمن ٥٥ آية رقم ٣٣ .

الدين ابو الثريا نجم بن جعفر • ولم يزل الى ان قتل في يوم الخميس ثامن شوال سنة ثمان وعشرين وخمسمائة • واعيد الحكم لابي عبد الله محمد بن هبة الله بن مبشر (١) القيسراني • فلم يزل الى ان عزل عن الحكم في يوم الاحد لسبع خلون من المحرم سنة احدى وثلاثين وخمسمائة • وارسل الى (٢) ٠٠٠٠٠٠ وقتل بها عشية يوم الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الاول من هذه السنة سنة احدى وثلاثين وخمسمائة •

وكان السبب في ذلك ان الامير حسين بن امير الجيوش لما اعتقل الحافظ العبيدي انشد على بن (٣) ٠٠٠٠ الاسكندري الشاعر قصيدة مدح بها الامير حسين بن امير الجيوش وذم الحافظ واهل بيته اقبح ذم واولها تبسم الدهر لكن بعد تعبهين ومرفي قوله :

هذا سليمانكم قد رد خاتمته واستفرغ الملك من صخر ابن ابليس •  
فلما سمع القاضي ابن مبشر المذكور هذا البيت قام والقي عريضه طربا • ثم ان القاضي بعد ذلك لما اسقط ابن الزعفراني شاع عنه ما انسى الدهر ذكره فقتل بها والله اعلم •

وولي القضاء بعد ابن مبشر الاعز ابو المكارم احمد بن عبد الرحمن بن محمد بن ابي عقيل • ولم يزل الى ان توفي في شعبان سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة • واقام الوقت بغير قاض الى ان ولي فخر الامنا ابو الفضائل هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن بحر الانصاري (٨٦ق) الاوسي المعروف بأبن الازرق لاحدى عشرة ليلة • خلت من ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة • وعزل في ثالث عشر جمادى الاخرة سنة اربع وثلاثين وخمسمائة • وولي القاضي الموفو في الدين

---

(١) وردت سابقا بدون تنقيط •

(٢) بياض في الاصل مقدار كلمه •

(٣) كلمة مطبوسة •

ابو الطاهر اسماعيل بن سلامه الانصارى • فأقام الى مستهل المحرم سنة خمس وثلاثين وخمسمائة • واشيع بانه يعزل • ثم استقل وبقي الى ان صرف لسبع خلون من صفر سنة ثلاث واربعين وخمسمائة للهجرة • وولي مكانه ابو الفضائل يونس بن محمد بن الحسن المقدسي المعروف حوامرد (١) القرشي • فبقي الى ان صرفه العادل بن السلال في سنة سبع واربعين وخمسمائة وكان صالحا دينيا •

وولي مكانه الفقيه ابو المعالي مجلي بن جميع بن نجا المخزومي مصنف الذخاير فاقام الى ان صرفه الصالح بن رزيك الذي بني جامع الصالح خارج بابي زويلة بالقاهرة المحروسة • واعاد ابا الفضائل يونس ثم صرفه واعاد ابا المعالي وقبيل ان يونس المذكور ولي دفعة اخرى في سنة ثمان وخمسين كما سنذكره ان شاء الله تعالى •

وتولي بعده مجلي القاضي جلال الدين ابو القاسم هبة الله بن عبد الله بن كامل بن عبد الكريم الصوري في تاسع شعبان سنة سبع واربعين وخمسمائة • وصرف في العشر الاخير من محرم سنة ثمان وخمسين وخمسمائة • واعيد الحكم للقاضي يونس ولده شاور الوزير ثم صرف واعيد القاضي جلال (٢) الدين بن كامل في العشر الاول من ذى الحجة من هذه السنة • ثم صرف في شهر ربيع الاول سنة تسع وخمسين وخمسمائة للهجرة •

وتولي القاضي الاعز (٨٧و) ابو محمد الحسن بن علي بن سلامه المعروف بالعموريس • ثم صرف وتولي ابو الفتح عبد الجبار بن اسماعيل بن عبد القوي ثم صرف • واعيد القاضي جلال الدين ابن كامل للقضاء في ذى الحجة سنة خمس وستين وخمسمائة • ثم صرف في سادس عشر جمادى الاول سنة ست وستين وخمسمائة •

---

(١) كذا في الاصل •

(٢) في الاصل بدون اللام الاخيرة •



وتولى القاضي صدر الدين بن الملك بن عيسى بن درباس بن سـ (١) بن عبدوس الماراي (٢) • وكان قاضي الغربية • وتولى في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة ست وستين وخمسماية للهجرة • وبقي الى ان عزل بعد وفاة السلطان صلاح الدين يوسف بن نجم الدين ايوب بن شاد، بن مروان الذي كان زوال الدولة العبيدية من الديار المصرية على يديه • واعاد اليها الدولة العباسية •

وتولى مكان القاضي صدر الدين القاضي زين الدين علي ابن يوسف الدمشقي يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر ربيع الاول في سنة تسعين وخمسماية • ولم يزل الى ان صرف في يوم الخميس لخمس بقين من جمادى الاول سنة احدى وتسعين وخمسماية • وتولى في بقية النهار القاضي محي الدين ابو حامد محمد بن عبد الله بن هبة الله بن ابي عصرون • ولم يزل الى ان عزل في يوم الاحد سادس عشر محرم سنة اثنتين وتسعين وخمسماية • واعيد القاضي زين الدين علي بن يوسف الدمشقي • وعزل في يوم السبت ثالث المحرم سنة اربع وتسعين وخمسماية للهجرة • واعيد القاضي صدر الدين عبد الملك بن درباس ثم عزل في العاشر من جمادى الاول سنة خمس وتسعين وخمسماية • واعيد القاضي زين الدين علي بن يوسف الدمشقي ثم (٨٧ ق) عزل عنها في يوم الاثنين تاسع عشر شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسماية • واعيد اليها القاضي صدر الدين عبد الملك واضيف اليه دار الضرب والحسبة والخطابة والاحبار • ولم يزل الى ان توفي يوم الاربعاء خامس شهر رجب الفرد من سنة خمس وستماية للهجرة • وبقي الامر بحكم النواب الى يوم الاثنين الثامن من شهر رمضان من هذه السنة • فتولى القاضي عماد الدين ابو

---

(١) كذا في الاصل

(٢) على الهامش بخط آخر "جهن بن" •

القاسم عبد الرحمن بن عبد الأعلى بن السكري • ولم يزل قاضيا الى الثاني عشر من المحرم سنة ثلاث عشره وستماية • فصرف وبقي الامر يحكم فيه النواب الى مستهل صفر من هذه السنة فرتب القاضي شرف الدين ابو المكارم محمد بن عين الدولة في القاهرة والوجه البحرى •

ورتب بمصر والوجه القبلي القاضي تاج الدين ابو محمد عبد السلام بن علي بن الخراط • فلم يزل الامر على ذلك الى ان جرت حالة اوجبت عزل القاضي تاج الدين عبد السلام بن الخراط في العشر الاخير من شعبان سنة سبع عشرة وستماية • وفوض الامر للقاضي شرف الدين ابن عين الدولة فاستمر قاضي القضاء بجميع احوال الديار المصرية خلا شغل الاسكندرية مدة زمن الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل سيف الدين ابي بكر نجم الدين ايوب بن شادى بن مروان الايوبي ابن اخي السلطان صلاح الدين يوسف لما كان يرى فيه من الديانة والصيانة والتعفف • وكان رجلا صالحا عالما ورعا عارفا بالاحكام • وكان الملك الكامل يعظمه ويكرمه بسبب ذلك وله معه حكايات • منها ما حكى انه رآه يوما بالطريق (٨٨٠) فسلم عليه ورد له لشغله فوصف ما هو عليه من دين وعفة ومعرفة وعلم فقال : ومع هذا فما القاضي الاكبر السن و اشار لبعض خواصه ان يرد اليه ويستعلم منه كم مضى من عمره • فلما حضر الى القاضي واعلمه ما قال الملك الكامل اخذ ورقة وكتب فيها : •

ياسائلي عن قوى نفسي وما صنعت	فيه السنون خذ التحقيق تبيننا
ثاء الثلاثين ادركت القبور بهـ	فكيف حالى في ثاء الثمانينا
يارب فالطف بشيخ مدنف هـرم	اسير ضعف اعنه رب آمينا

ودفعها اليه فجاء بها الى الملك الكامل . فلما وقف عليها زاد حباله ولفضله وحسن  
ادبه . ولما توفي الملك الكامل وتولى بعده ولده الملك العادل اقر القاضي شرف  
الدين على امره .

فلما جاءت الدولة الصالحة واستقر الامر بعد خلع الملك العادل لاختيه الملك  
الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل في يوم الجمعة ثالث عشرى شوال من سنة  
سبع وثلاثين وستماية . اقر القاضي شرف الدين على امره . فلما كان يوم الخميس  
عاشر شهر ربيع الاخر من سنة تسع وثلاثين وستماية . رتب القاضي شرف الدين  
في قضا القاهرة والوجه البحرى . ورتب في قضا مصر والوجه القبلي القاضي بدر  
الدين السنجارى . فلم يزل الى ان توفي القاضي شرف الدين بن عين الدولة في تاسع  
عشر ذى القعدة من هذه السنة سنة تسع وثلاثين وستماية .

وتولى بعده القاضي بدر الدين السنجارى قضا القاهرة والوجه البحرى .  
وتولى قضا مصر والوجه القبلي القاضي عز الدين بن عبد العزيز عبد السلام  
فلم يزل الى ان صرف ( ٨٨ ق ) عن الحكم في سنة ٠٠٠٠ ( ١ ) وستماية واضيفت اليه  
خطابة مصر .

وتولى مكانه في قضا مصر والوجه القبلي القاضي افضل الدين الخونجى  
( ٢ ) فلم يزل الى ان توفي في شهر رمضان من سنة ست واربعين وستماية . وكان  
يخلفه في الاحكام الحمال ٠٠٠٠ ( ٣ ) فلم يزل الى ان تولى القاضي عماد الدين  
الحموى . فبقى الى ان عزل في الثامن من جمادى الاول سنة ثمان واربعين  
وستماية .

---

( ١ ) بياض في الاصل  
( ٢ ) افضل الدين محمد بن نامارد الخونجى . رفع الاصر ص ١٢ ملحوظة ٧ .  
( ٣ ) بياض في الاصل

وتولى القاهره والوجه البحرى وعرف عنها القاضي بدر الدين السنجارى .

ورتب قاضيا بمصر والوجه القبلى القاضي صدر الدين موهوب بن عمر الجزرى . وكان نائبا عن القاضي عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام . ثم عزل واعيد القاضي عماد الدين الحموى بمصر والوجه القبلى واعيد القاضي بدر الدين السنجارى الى قضاء القاهره والوجه البحرى وذلك فى التاسع والعشرين من شهر رجب الفرد من سنة ثمان واربعين وستماية . ثم بعد ذلك بأيام يسيرة اضيف للقاضي بدر الدين السنجارى مصر والقاهرة واعمالها وذلك فى العشر الاول من شوال من هذه السنة . ثم عزل القاضي بسدر الدين السنجارى عن القضاء بمصر وكان يخلفه فيه اخوه برهان الدين وكان عزله فى هذه المرة عن مصر فى يوم الاحد الحادى عشر من شهر رمضان سنة اربع وخمسين وستماية .

ورتب فيها القاضي تاج الدين عبد الوهاب الشافعى الشهير بابن بنت الاعز . ثم عزل القاضي بدر الدين السنجارى عن القاهرة والوجه البحرى واضيف ذلك للقاضي تاج الدين ابن بنت الاعز . فبقى كذلك الى ان توفي الملك ( ٨٩٠هـ ) المعزايىك اول الملوك التركية بالديار المصرية فى ليلة الاربعاء خامس عشر شهر ربيع الاول من

سنة خمس وخمسين وستماية • وقبل انه تولى الوزارة للملك العز • والاضهر انه لم يلها في ايامه • ولم يزل في القضاء الى ان عزل في مستهل شهر ربيع الاخر من هذه السنة سنة خمس وخمسين من القاهرة والوجه البحري •

وتولى القاضي بدر الدين السنجاري قضاء القاهرة والوجه البحري • ثم ولى القاضي بدر الدين السنجاري المذكور الوزارة مضافا لقضاء القاهرة والوجه القبلي • وولى في الوجه القبلي قضاء من جهته • وبقي مع القاضي تاج الدين ابن بنت الاعزم مصر خاصة الى ان استدعى القاضي تاج الدين المذكور وخطب فسي الوزارة فأجاب الى ذلك واسند في السادر من شهر رجب من سنة خمس وخمسين وستماية وصرف عن الحكم بمصر •

وتولى القاضي بدر الدين السنجاري قضاء القضاة بجميع الديار المصرية • وسار الى مصر وحكم بها يوم الاحد نصف شهر رجب الشهر المذكور • وبقي الى ايام السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحى فصرف في التاسع مع جمادى الاول من سنة تسع وخمسين وستماية •

وتولى القاضي تاج الدين ابو محمد عبد الوهاب بن بنت الاعز قضاء القضاة بالديار المصرية • ولم يزل الى سلخ شوال من هذه السنة فصرف عن قضاء مصر والوجه القبلي •

وتولى القاضي برهان الدين السنجاري قضاء مصر والوجه القبلي • فلم يزل الى الثالث من شهر رمضان من سنة ستين وستماية فعزل • واعيد مصر والوجه القبلي مضافا للقاهرة للقاضي تاج الدين عبد الوهاب بن بنت (٨٩ق) الاعز •

وكان القاضي تاج الدين ابن بنت الاعز المذكور متشددا في الاوامر الضرورية السلطانية .  
واوجب الامر السلطاني اليه ان يستنصب عنه في الاحكام مدرسي المدرسة الصالحية  
النجمية على المذاهب الاربعة اهل السنة والجماعة . ففعل ذلك . وجلس القاضي  
صدر الدين سليمان الحنفي والقاضي شرف الدين عمر السبكي المالكي والقاضي شمس  
الدين محمد بن ابراهيم الحنبلي . كما قدمنا شرحه . واستمر الامر على ذلك الى هذه  
السنة وهي سنة ثلاث وستين وستماية فجرى للقاضي تاج الدين عبد الوهاب بن بنت  
الاعز بحضور السلطان الملك الظاهر بيبرس المذكور امور اوجبت انه امر باستقلال النواب  
المذكورين في القضاء . من كل مذهب قاضي فاستقلوا به مضافا للقاضي تاج الدين  
ابن بنت الاعز كما سنذكره ان شاء الله تعالى .

قال بعض اهل التاريخ : كان الامير جمال الدين ايدغدي العزيزي يكره  
القاضي تاج الدين ابن بنت الاعز ويحط عليه ويحط من قدره عند السلطان الملك  
الظاهر بسبب تثبته وتوقفه في القضايا التي لاخير فيها ولا نوافذ مذهبه . فانفق  
ان السلطان الملك الظاهر جلس يوم الاثنين ثاني عشر ذي الحجة من هذه السنة  
بدار العدل وقدمت قصة من بنات الملك الناصر مضمونها ان الماليت اشتروا دار قاضي  
القضاة بدر الدين السنجاري في حال حياته وان ورثته بعد موته ذكروا انها وقتلا  
او حبسا . فلما قرئت اخذ الامير جمال الدين ايدغدي المذكور يحط على المتعممين  
وينقصهم . فقال السلطان للقاضي (٩٠و) تاج الدين : يا قاضي هكذا تكون القضاء .  
فقال : يا مولانا كل شاة معلقة بعرقوبها . قال : فكيف الصورة في هذا ؟ اذا ثبت  
الحبس يعاد الثمن من الورثة . قال السلطان . فاذا لم يكن مع الورثة شيء . قال :  
يرجع الوقف الى اعله ولا يستعاد الثمن . فامتعن السلطان من ذلك ولم يتم الكلام  
في ذلك حتى تقدم رسول صاحب المدينة المعظم النبوية على ساكنها سيدنا ونبينا

محمد رسول الله افضل الصلوة والسلام وقال : يا مولانا السلطان سالت هذا القاضي ان يسلم الى مبلغ ريع الوقف الذى تحت يده لينفقه صاحب المدينة في فقرا اهلها فلم يفعل . فسأل السلطان القاضي عن صدق ما قاله . فقال نعم . فقال انا امرته بذلك فكيف رددت امرى ؟ فقال : يا مولانا هذا المال انا مستلمه وهذا الرجل لا اعرفه ولا يمكنني ان اسلمه لمن لا اعرفه . ولا يمكن ان يتسلمه مني الا من اعرف انه موثوق بدينه وامانتة . فان كان السلطان يتسلمه مني احضرته اليه . فقال السلطان : تنزعه من عنقك وتجعله في عنقي . قال نعم . قال لا تدفعه الا لمن تختاره . ثم تقدم الى السلطان بعض الامراء وشكى القاضي وقال : شهدت عنده فلم يسمع شهادتي في ثبوت الملك وصحته . فسأله السلطان فقال : ماشهد احد عندي حتى اثبتته . فقال الامير : اذا لم تسمع قولي فمن تريد ؟ فقال السلطان له : لم لاسمعت قوله ؟ فقال : لا حاجة في ذكر ذلك . فقال الامير جمال الدين ايدغدى يا قاضي نترك مذهب الشافعي لك ( ٩٠ ق ) وتولى من كل مذهب قاضي . فنصت السلطان الملك الظاهر لذلك . فلما كان ناسع عشر ذى الحجة الشهر المذكور من هذه السنة ولي السلطان الملك الظاهر القاضي صدر الدين سليمان الحنفي والقاضي شرف الدين عمر السبكي المالكي والقاضي شمس الدين محمد بن ابراهيم الحنبلية قضاة القضاة بالديار المصرية . وفوض اليهم ان يولوا في ساير الاعمال بالديار المصرية مضافا لقاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الاعز . وابقى على قاضي القضاة تاج الدين النظر في مال الايتام والمحاكمات المختصة ببيت المال وكتب لهم التقاليد واخلع عليهم الخلع وصار يحكم في ذلك هو لا الا ربع حكام المذكورين على الاربع مذاهب المذكورة وصاروا يلبسوا الطرحات في ايام الخدمة السلطانية . وقال صاحب "نظم السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك" ما صيفته : وفي ذى

محمد رسول الله افضل الصلوة والسلام وقال : يامولانا السلطان سالت هذا القاضي ان يسلم الى مبلغ ريع الوقف الذى تحت يده لينفقه صاحب المدينة في فقرا اهلها فلم يفعل . فسأل السلطان القاضي عن صدق ما قاله . فقال نعم . فقال انا امرته بذلك فكيف رددت امرى ؟ فقال : يامولانا هذا المال انا مسئله وهذا الرجل لا اعرفه ولا يمكنني ان اسلمه لمن لا اعرفه . ولا يمكن ان يتسلمه مني الا من اعرف انه موثوق بدينه وامانتة . فان كان السلطان يتسلمه مني احضرته اليه . فقال السلطان : تنزعه من عنقك وتجعله في عنقي . قال نعم . قال لاتدفعه الا لمن تختاره . ثم تقدم الى السلطان بعض الامراء وشكى القاضي وقال : شهدت عنده فلم يسمع شهادتي في ثبوت الملك وصحته . فسأله السلطان فقال : ماشهد احد عندي حتى اثبتته . فقال الامير : اذا لم تسع قولى فمن تريد ؟ فقال السلطان له : لم لاسمعت قوله ؟ فقال : لاجابة في ذكر ذلك . فقال الامير جمال الدين ايدغدى ياقاضي نترك لمذهب الشافعي لك ( ٩٠ ق ) وتولى من كل مذهب قاضي . فنصت السلطان الملك الظاهر لذلك . فلما كان تاسع عشر ذى الحجة الشهر المذكور من هذه السنة وليس السلطان الملك الظاهر القاضي صدر الدين سليمان الحنفي والقاضي شرف الدين عمر السبكي المالكي والقاضي شمع الدين محمد بن ابراهيم الحنبلي قضاة القضاة بالديار المصرية . وفوض اليهم ان يولوا في سائر الاعمال بالديار المصرية مضافا لقاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الاعسر . وابقى على قاضي القضاة تاج الدين النظر في مال الايتام والمحاكمات المختصة ببيت المال وكتب لهم التقاليد واخلع عليهم الخلع وصار يحكم في ذلك هؤلاء الاربع حكام المذكورين على الاربع مذاهب المذكورة وصاروا يلبسوا الطرحات في ايام الخدمة السلطانية . وقال صاحب "نظم السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك" ماصيفته : وفي ذى



القعدة تحدث السلطان في كثرة المتحاكمين ورتب أربعة قضاة للمذاهب الأربعة • وكتبت لهم التقاليد السلطانية • وفي ذى الحجة رسم لمجد الدين ابن العديم بخطابة القاهرة والله اعلم •

### ذكر القبض على الأمير شمس الدين الرومي وبعض خبره

كان الأمير شمس الدين سنقر الرومي جمدار الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان الأيوبي • وكان مواخي الملك الظاهر ركن الدين بيبرس لما كان في خدمة الملك الصالح أيضا وبينهما صداقة • ولما (١٩١٥) قتل الفارس أقطاي كما قدمنا شرحه خرجا جميعا إلى الشام وركن الدين بيبرس يتفقد به المال والقماش • وكذلك لما انتقلا إلى الكرك كانا على هذه الصفة • فاتفق انهما كانا صحبة صاحب الكرك في الصيد • وطلب سنقر من بيبرس شيئا ولم يكن معه شيء • حاضر فساق إلى مصر وحضر الملك الظاهر إلى الديار المصرية بعد ذلك وهو أمير فلم يعتقد الملك الظاهر بشيء • على عادة الخشداشيه مع انه كان من جملة اتباعه • ولما جرى للملك المظفر قطز ما جرى وقتل على يد الملك الظاهر كما قدمنا شرحه ما كان سنقر المذكور حاضرا • فلما استقرت السلطنة للملك الظاهر كما قدمنا شرحه أحسن إلى سنقر المذكور وإعطاء الأقطاعات العظيمة فصار في هذه المدة لا يأخذ عطاء السلطان الملك الظاهر بقبول • وصار يخلوا لجماعة بعد جماعة ويفرق عليهم المال • وتحقق السلطان ذلك فسير إليه يحذره مع خشداشيه ومع الأمير سيف الدين قلاوون الألفي • فما أفاد فيه ذلك • فلما قتل شخصين مسلمين بغير ذنب ما أمكن السكوت عنه • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أول ما يحكم الله في الدماء • وكان أحد المقتولين مملوك سنقر المذكور جرت له زلة لطيفة لا يجب فيها شيء • فاستشفع بالسلطان فشفع فيه

فلم يقبل تناخته وذريه وكواه بالحديد فمات • فمضى هذا على السلطان ودأله من  
وقته وقبأ عليه في رابع وعشرين من ذى الحجة من هذه السنة واعتقله • فقال : انتهى  
اعرف ذنبي • فسير السلطان اليه من عدد عليه ذنوبه • فتحسر وقال لم آه لو كنت  
حاضرا ( ٩١ ر ) قتل الملك المزمع متى اعاند السلطان في الذر حرق • وكان سنقر  
قد ذكر هذا الحديد للسلطان مرتين في حال ترفه وامسان السلطان اليه • وقال  
له السلطان : انت اخي وتحسر لكونك ما قدرت تعين على والله اعلم •

وفي هذه السنة تولى الامير نور الدين ابن مجلي نيابة حلب •

وفيها حجب الليفة الحاكم بأمر الله من الاجتماع بالناس •

ذكر هلاك اللعين هولاكو ملك التتار وتملك ولده اباغا •

في هذه السنة هلك اللعين هولاكو ابن دولاو خان بن حنكر خان ملك التتار المذكور  
فهل ما قدمنا سره من الافعال الفبيحة من خراب البلاد وقتل السباد وتوفي في تاسع  
عشر شهر ربيع الاول من هذه السنة بالقرب من كورة مراغة • وتبيل انهم حملوه السور  
تلة ثلاث فثوه بها وارسل روحه الى جهنم ويشر المصير • وكانت مدة سلطنته عسر  
سنين • وخلف من الاولاد خمس عشرة ذكرا وهم جماغان واباغا وبصم وبشيش وتكشي  
وتكدار ودواحمد واحاي والاخر وسيوجي وسودار وفنكو وتمر وقنغر داي وارغان واطغان  
وتمر وهو اصغرهم • ولما مات اللعين هولاكو حذر بعده في السلطنة ولده اباغا  
مكانه • فجهز جيشا لحرب الملك بركة خان • فلما بلغ الملك بركة مسير العسكر جهز  
جيشا وقدم عليهم ببشونوغا ابن ططر بن مسلمي بن دوسي خان بن حنكر خان • فسار  
ثم اردفه بركة بمقدم آخر واسمه بسنتاي في خمسين الي ( ٩٢ و ) فسير ببشونوغا وتقدم  
الى عسكر اباغا فتكرد سوا للمزيمة • فبصر بسم بسنتاي وقد تعلقوا فظنهم احادوا بالمقدم  
على العسكر القادم ومن معه فانهم راجعا وقدم ببشونوغا ومن معه فتبع عسكر اباغا

- وساق عليهم والتقي معهم فكسرهم وقتل منهم جماعة وظفر بهم وعاد الى الملك بركه .
- واما بسنتاي فعظم ذنبه عند الملك بركه .

(٩٣ق) (١) ذكر وفاة من توفي من الاعيان في هذه السنة وبعض اخبارهم

ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الوهاب الانصاري الجناني يكنى ابا اسحق  
من اهل جنان قرأ ببلده على الشيخ ابن يربوع . واخذ بالمريه عن ابي عبد الله بن  
هشام بن السوامس . وكان حسن السمعت كثير الوقار وخطب بالجنان بالجامع الجوفي  
المعروف بالرابطة الى ان انفصل عن البلد قبل خروجه اهل البلد بمدة ثم خطب  
بغرناطه وولي قضاء المريه ثم احكام القضاء بغرناطه . توفي بغرناطه في سنة ثلاث  
وستين هذه السنة .

حمزة بن محمد بن حمزه البهواني الحموي يكنى ابا يعلى الفقيه الشافعي  
قاضي حماه . توفي في هذه السنة .

خالد بن يوسف بن الحسن بن مفرج بن بكار النابلسي الدمشقي يكنى ابا البقاء  
الشيخ المحدث توفي في هذه السنة

محمد بن ابي احمد بن يوسف بن موسى بن مسدي المهلبلي الاندلسي  
يكنى ابا بكر الحافظ . كان فاضلا حسن المعرفة برواية الحديث . توفي بمكة المشرفة  
في هذه السنة .

موسى بن يغمور بن جلدك بن بلعان بن عبد الله المضري . يكنى ابا  
الفتح ويلقب جمال الدين . كان من الامراء الصالحين وتولي نيابة دمشق في الدولة  
التركية . توفي بالقصير من الاعمال الفاقوسية بين الغرابي والصالحية وحمل الى  
قرافه مصر ودفن بترية والده بسفح المقطم في هذه السنة .

هبة الله بن ابي محمد بن حفاظ الانصارى الازدى يكنى ابا البركات الشيخ الصالى .  
توفي في هذه السنة بالاسكندرية .

(٩٤و) يوسف بن الحسن بن علي السنجارى المصرى . يكنى ابا المحاسن ويلقب  
بدر الدين وينعت بدى الرياستين . كان بداية امره المامه بالسلطان الملك الصالح نجم  
الدين ايوب بالبلاد المشرقيه . ثم حضر الى الديار المصرية وولى قضاء القضاة بالقاهرة  
ومصر والديار المصرية مدة . ودرس بالمدرسة الصالحية للطائفة الشافعية وناب عنه  
القاضي شمس الدين احمد بن خلكان . وولى الوزارة مدة . وكان موصوفا بالكرم والريحية  
توفي بالقاهرة في هذه السنة .

محمد بن الحسن بن علي الدمشقى يكنى ابا عبد الله ويعرف بابن امرأة الشيخ علي  
المرىتي (١) . كان شيخا صالحا حسن الشكل حلوا المحادثة سليم الصدر عليه اشار  
الخير والصلاح . وله زاوية بسفح قاسيون على نهر يزيد احسن الزوايا واقدمها . وفي  
جانبيها قبه فيها ضريح الشيخ علي القريتي (١) حضر السلطان الملك الناصر صلاح الدين  
يوسف الى زيارته . توفي في سنة ثلاث وستين هذه السنة وخلف اولادا .

---

(١) المرئى في الاصل . را

(٩٥ ر) (١) ذكر الواو في سنة اربع وستين وستماية ٤ / ١٣ ت ١٢٦٥ هـ ٢  
١٢٦٦ هـ ٢

### في شهر الله المحرم من هذه السنة عقد الامير سيف الدين قلاوون الالفي

بالكبر على ابنة الامير سيف الدين كرمونا القترى النوافد وهي والدته ولدته الملك الناصر  
علاء الدين علي . وكان يوما مسودا . وشارك السلطان الملك ركن الدين بيبرس الصالحي  
بنفسه . ونصب الدليل بسور الدليل لما عمل عرسه وعمل كلما يتخلو بالاسميلة من  
البيوتات والسر السلطان بالخوان وارسل السلطان لأمير قلاوون "مما لي" تمار وخیل  
وعشر مماليك . فقبل المقدمة واستعفى من قبول الممالك وقال دؤلا خداسيتي فسي  
خدمة السلطان . وقدم له كل امير من الامراء ثلاثة ارؤس حیل . (٢) قمار .

وفي هذه السنة سير الملك الناصر الى دمشق ولبت تقاليد لثلاث حكام حنفي  
ومالكي وحنبلي منافا لقاضي القضاة سمر الدين احمد بن خلکان النافعي صاحب وفيات  
الاعيان في التاريخ وغيره . كما تقرر الحال بمصر . وشارك بدسوق اربع قناة وتم شمير  
الدين عبد الله بن عطا الحنفي وشمير الدين عبد السلام الرواري المالكي وشمير الدين  
... (٣) بن الشيخ ابي عمرو الحنبلي وشمير الدين احمد بن خلکان . ومن العجايب  
اجتماع اربعة قناة (٤) في بلد واحدة في سنة يلقب كل منهم شمير الدين . واستناب  
قاضي القضاة ابن خلکان نايبا لقبه سمر الدين . وعمل السرا في ذلك اسارا  
حفظها الناس . واستمر بالقاهرة اربع قناة من كل مذهب قاضي . وكذلك استمر بدسوق  
اربع قناة من كل مذهب قاضي . ولم يزل الامر على ذلك الى يومنا هذا والله اعلم .

وفي هذه السنة ايضا وصل الى الابواب السرفة رسل الانبرور ورسول ملوك

- 
- (١) لا وجود للورقة ٩٥ ، وكان المؤلف ترو حقة خالية لاشافة تواريخ وفيات العرب .  
(٢) كلمات غير مرقوة .  
(٣) بياخري في الاصل .  
(٤) مكررة في الاصل .

الفرنج ورسل الفئس ورسل اليمن بمراكب موسقه هدايا الى صاحب قلاع الاسماعيلية صحبة  
 رسلهم متوجهين الى ناد يهم ومتقربين الى مواضعهم ومبايعي ايد يهم بها على الحياة •  
 وما علموا ان يد الله فوق (٩٦ و) ايد يهم • ولما حضروا بهذه الاموال رسم السلطان  
 الملك الظاهر باظهار قدره يستمدل بها على فعل القدر واعتماد مصلحة تفسير نوااميسهم  
 الفاسدة ومقابلة الفاسد بالفاسد من وجوه النظر • وهو انه رسم بأخذ الحقوق من هذه  
 الهدايا تعجيزا لمن استكفى شرهم بالمعطايا وافهاما للملوك الذين ملا خوفهم قبولهم  
 رعا ان وراهم ملكا يأخذ كل سفينة على هذه الصفة غضبا وانذارا بما كان في عزمه  
 من اهتضامهم • فاستخرجت منهم الحقوق وكانت كتب السلطان الملك الظاهر تتوجه  
 اليهم بالانكار • وتوعدهم بخراب الديار • ويرد منهم كتاب يتضرعون الى السلطان  
 انه اذا عقد مع الفرنج صلحا ان يذكرهم فيه ليفهموا انهم من غلمانه وان له بهم عناية •  
 قال القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك الظاهر : واين هذه الذلة  
 من كتابة مقدمهم راشد الدين سنان بن سليمان البصري لما كتب الى صاحب حلب :

ياذا الذى بقراع السيف هددني	لاقام مصرع جفني حين تصرعه
جا (١) الحمام الى البازي يهدده	واستاسدت بخلو الخيس اصبعه
لاتفرحن لسحت حين تنهبه	فان نفسك بعد الموت تتبعه
وقد مددناك حبلا للحياة مددا	فسوف تعلم يوما حين تقطعه
ومن يسد فم الافعى باصبعه	يكفيه ماستلاقي منه اصبعه

واعجبا من ذبابة تطن على اذن فيل ويعوضة تعد من التماثيل • ولقد قالها  
 من قبلك قوم آخرون فد مرنا عليهم ومالهم من ناصرين وقد علمت كنه وكيفية رجالنا وما  
 يقومون به من ورود حياض الموت وينتظرون من حال وقوع الفوت وانهم يرون الحياة مغرما  
 ويمعدون الموت مغنما فهي للبلاء اسبابا (٩٦ ق) وتذرع للرزايا جلبابا •

ويقول في كتابه الآخر نحن كالرمح العاصف نمر بهشيم الارض فلا تؤذيه احتقارا  
وتعثر بالجمال الراسيه فتسفه قوه واقتدارا • وما بغى علينا باغ فقتعنا عليه منه بالنصر  
ولا ظلمنا حبة خردل الا كان عوضها بلدا او مصر • ولا خرق لنا سجايا الا رقعناه بعمر  
الخارق • ولا مرق من ادب الدعوة احد الا ومرق بهم الفنا في ذلك المارق :

لله في عالمه خانم	تجرى المقادير على نقشه
والبحر زخار له فرشه	فاحذر على نفسك من قرشه
والبني صراع له صوله	تنكس الجبار عن عرشه
لاتنبش الشر فتبلى به	فقل من يسلم من نبشه
اذا طغى الكبر بشحم الكلى	ادخل رأس الكبر في كرشه •

قال القاضي محي الدين مؤلف سيرة الملك الظاهر : هذا قول سنان وهو  
منزق بين حصونه صعدة قد احتلها اعتقد انه يطاعن الافك ومتوفى من بأسه  
وتأسه بكل ذى نحدء يهول بهم على الممالك والاملاك • وذلك عندما رأى ملوك الاسلام  
تهولهم الاوهام ويرتاعون يقظه وتستد عليهم سيوفه الاحلام ويعتقدون ان كل يد تمتد  
انها اليهم ويحسبون كل صيحة عليهم ضنة بالنفوس ورغبة عن لباس البؤس وسوء ظن  
بأقدار الله التي لا محيد عنها واشتغالا بالنكرة في الامور التي فرغ ربك منها • والا  
لو شاهد سنان هذا الملك الذى تسبق اعنة خيوله الرياح وتملا جيوشه البطاح وتسمع  
اولياؤه بالنفوس مستريحه رضوان الله برضاه والسماح رياح وتقصد القنا طعنا به •  
فكم اقيمت من سنان وكم حطمت من رماح لقرع المسندما ولشغل بكلامه عن ان يحير  
كلما • ولراعه كما "يردون" رجا الحرب الزبون ويتداوون مع صحة اذ هانهم في الحروب  
من الجنون (٩٧و) بالجنون • ويمتنعون بالوطي الحصين اذا اقتنع غيرهم بعلي الحصون •

ولا جرت تلك الرياح لسانه فلا يقول ولقطع بأن سكاكين قومه الذين يقولون يصل بها  
انها لسهام هذا السلطان تصل ولتيقن ان تلك الدعوة في مملكة من ممالك الدولة ثم  
"مجب" وتلك الرغبة ٠٠٠٠٠ (١) ولوقف موقف الاعتذار ولسائل الامان لرجاله الذين  
اكثر بهم الفخار ٠ ولطلب من السيوف الظاهرية الطوال بأيدي اربابها العفوع—  
سكاكين تلك الباطنية القنصار ٠ ولقال عند سماع غوغاء الحروب هذه اسود تزأر بالغيل  
لاذبابه تطن بأذن فيل ٠ وملوك تأتي من الملائكة في قبيل لابعوضة تعد من التماثيل ٠  
ولما وصف نفسه واصحابه بأنهم كالريح العاصف التي لاتؤذى الهشيم احتقارا ٠ وتعثر  
بالجبال الراسية فتسففها اقتدارا ٠ ولعلموا انهم ان كانوا ريحا فقد لا قوا اعشارا ٠  
وان من الجبال الراسية مانعثر الرياح بها كما قال اذا عثرت لانقيل لها عثارا ٠ وقد  
انكبهم الرياح العواصف فكيف لاتتألم الحشاشه الحشيشيه من عواصف الرياح ٠ وظنوا  
ان كل جبل كجبالهم المنسوفة ٠ وما علموا ان توقد صواهل الجباد خير من صهوات  
الجبال وخير من التوفي بالصحايف التوفي بالصفاح ٠ فالحمد لله على ان نخر هذه  
الموهبه لهذه المملكة حتي جرى ماجرى من الخضوع والذلة واحج الى رحمة هذا  
السلطان من كان لا يرحم الملوك قبله ٠

ذكر قصد ملك الفرنج بطرابلس حمص وكسرهم من المسلمين ٠

٠ قيل ان البرنس بيمند بن بيمند ملك الفرنج بطرابلس جمع واستنصر بالداوية  
والاستنصار وقصد جهة حمص ٠ وكان نايب السلطنة بها الامير علم الدين سنجر  
(٩٧ق) الباشقردى قد فهم حركته فاحترز وجعل الطلايع على المخايض فقصد البرنس  
وخاضه بلاله ٠ فسبقه الامير علم الدين فيمن عنده من العسكر فملك المخاضة فأنى  
الكافر بخيله ورجلهم فوجد المخاضة قد ملكت فعدل الى غيرها فقويت نفوس المسلمين  
وعدوا الماء اليه وتبعوه ٠ فانهزم وما زالوا خلفه يقتلون وينهبون الى ان توغل



في بلاده ورد طريدا شريدا قد قنع من الغنيمة بالاياب . وكان له امل فخاب .  
ورجع المسلمون الى البلد ولم يعدم منهم احد . وكانت هذه الواقعة في ثامن  
صفر من هذه السنة .

وفي هذه المدة سير الملك الظاهر الى دمشق بأن تعمل مراكب فعملت  
وحملت الى البيرة .

وفيها توجه السلطان الملك الظاهر الى خليج الاسكندرونة لرويته وتقدم  
بما يجب من حفره وتصيد في جهة الحمامات ورجع . وقيل في هذه السنة اهتم السلطان  
الملك الظاهر بحفر خليج الاسكندرية وسير الامير علم الدين السروري لذلك فتوجه ثم  
توجه السلطان بنفسه وتعرض جسم السلطان في الطريق . ولما صلح مزاجه باشر الحفر  
بنفسه وعمل الامراء وجميع الناس وازيلت الرملة التي على الساحل بين النقيدي وفم الخليج  
ثم عدا ( ١ ) . . . الى سر ابيار وغرق مراكب هناك وثنى عليها بالحجارة . ثم رجع الى  
القاهرة المحروسة . وجهاز المحمل المبارك وخلع على المتوجه الى الحجاز بذلك وهو  
الامير جمال الدين نايب دار العدل وسير عشرة الآف درهم برسم عمارة حرم المدينة  
النبوية على ساكنها افضل الصلاة والسلام . وسير القمح لجرايات الصناع .

وفي جمادى الاولى من هذه السنة وصل فخر الدين ابن جلبان من البلاد  
( ٩٨ و ) الفرنجية بعد ان خلا جماعة من الاسر بمال الوقف المسير من جهة الامير جمال  
الدين النجيبى وفرجت به كربات كثيرة لنساء واطفال . وسير الجميع الى دمشق وسلموا  
للقاضي ليزوج من توثر منهن التزوج .

وفي هذا الشهر المذكور رسم الملك الظاهر ببناء جسر كبير على الشريعة

وجهاز الامير جمال الدين ابن بهار الصالح المهندار لبنائه وجهزت له الاصناف من دمشق ورسم السلطان ان يكون الجسر خمس قناطر . وكان ماءوها قويا تبارها فاقترضت سعادته ان جاء سيل كثير فحدر صخورا كبارا فوقفت جرى الماء وبني الجسر .

وفي هذا الشهر تكاملت عمارة الدار الجديدة المرسوم بعمارته عند باب السر المظل على سوو الخيل الذي بالابواب وعمل بها دعوة لامراة فعمل القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر صاحب سيرة الملك الظاهر :

ياملك الدنيا الذي اضحى	بعمون الله غالب
يامن به الكفار قد	نهبوا بأنياب النوايب
ياذا الذي لولاه قد	كان البقاء من العجايب
لولا سيوفك لم يكن	بالثأر للاسلام طالب
كم جنه لك ان "لفت"	بعظيم كتبك والكتائب
فتلهفت شوقا واضحت	بالحلول لها تطالب
ورائك قد اعطاك	ربك طول اعمار الكواكب
فاستمجلت واتت بما	تبقى سمودا من مطالب
دار يرف بها النعيم	وتلتقي فيها المسارب
قد صورت فيها الجنود	على الخيول لها العواصب
لتكون في الخطوات ليس ترى	بغير السيف ضارب
في السلم حولك مثلما	في الحرب دونك في المراكب
لامثلما قد صور الاملاك	قبلت من غرايب
كل يصور نفسه	بين الاغاني والمشارب
فبقيت ياملك الزمان	لك العطايا والمواهب (٩٨ق)
ابدا تمتع بالنعيم وما	لملكك من محارب

## ذكر تجهيز الملك الظاهر لغزو الفرنج وخروجه الى الشام وزيارته الخليل عليه السلام والقدس الشريف .

في شهر رجب من هذه السنة اهتم السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيمبرس البندقدار الى الحي بأمر الغزاة . وسير الى اعمال الديار المصرية لاجتماع الجند من اقائعاتهم . فانفذ تأخر بعض الحند فسير السلطان سلحدارته الى جميع الولايات بالديار المصرية فعلقوا ولاية البلاد بأيديهم ثلاثة ايام تأديبا لكونهم ماسارعوا الى احضار الاجناد . وكان في الولاية امراء اسفهم لارية فحضر الجند .

وخرج السلطان في مستهل شعبان من هذه السنة ورحل في ثلثه . ولما وصل نزه جرد الامير جمال الدين ايدغده العزیزی والامير سيف الدين قلاوون وجماعة من العسكر المنصور فتوجهوا الى العوجا . وتوجه السلطان لزيارة الخليل ابراهيم عليه وعلى سيدنا ونبينا محمد رسول الله افضل الصلوة والسلام والقدس الشريف . فوصل الى بلد الخليل فزار الشيخ علي البكاثم دخل الى مقام الخليل ابراهيم عليه وعلى سيدنا ونبينا محمد رسول الله وسائر الانبياء والمرسلين افضل الصلاة والسلام . وزار وكشف المذالم وقرئت القصص بين يديه ووقع عليها . ومد السماط الذي للخليل عليه السلام واكل منه واكل الناس والفقراء وفرق جملة من المال على الائمة والقراء والمؤذنين والقوام وغيرهم . وبلغه ان اليهود والنصارى لعنهم الله تعالى يؤخذ منهم حقوق عن زيارة الخليل عليه السلام والنزول الى المغارة بنجسهم فانكر ذلك وكتب ( ٩٩٠هـ ) مرسوما يمنع النصارى واليهود من دخول المقام الشريف . واستمر الامر على ذلك فجزاه الله خيرا . ثم توجه السلطان الى القدس الشريف فزاره وتصدق بجملة كثيرة ثم اتى الحرم الشريف مستخفيا في نفرين او ثلاثة صلى الجمعة بالقدس . ورحل الى عين جالوت .

هذا ماكان من السلطان • واما ماكان من العساكر المجردة فتوجهوا الى  
حصص ولم يكن عندهم علم بالحركة الى اى جهة • وكان ماسنذكره ان شاء الله تعالى •

ذكر اغارة العساكر المجردة على طرابلس واعمالها واستيلائهم على قلعتي

حلبا وعرقا وهدمهم •

لما وصلت العساكر المجردة الى حمص كما قدما شرحه ورد الى الامراء كتاب

السلطان الملك الظاهر بالتوجه الى طرابلس وبلادها • فركبوا على غرة من الفرنج  
خذلهم الله تعالى • فجاسوا خلال الديار وانصبوا في الاودية كالبحار واصبحوا  
على حصن الاكراد واغاروا الى ساحل البحر من جهة طرابلس ونزلوا على حصن يعرف  
" معس " من عمل حصن الاكراد • فأقاموا عليه يوما واحدا فأخذوه واسروا به جماعة  
وكان بقلعة حلبا جماعة فهربوا واخلوها ودخل العسكر اليها واستولوا عليها وكسبوا  
منها شيئا كثيرا من نحاس وصناديق وسكر وغيره • وهذه القلعة تشبه قلعة عجلون  
حسانه • ولما هرب اهلها ادرك العسكر او اخرهم فقتلوهم واخذوا نساءهم •

ولما شاهد اهل قلعة عرقا ما جرى في حلبا نجوا بأنفسهم وهذه قلعة  
عرقا تشبه قلعة حمص • ولها من الغلات شئ كثير فتحصل بلدها في السنة من  
الهلال والاقصاب والمزروعات شئ كثير • وما زالت العساكر حتى اخرت (٩٩ق)  
القلعتين المذكورتين ونزلوا على حصن يعرف بالقلبيعات وهو حصن عظيم وتسلموه  
في رابع شهر رمضان بالامان • وهدمت القلعة ايضا وفي عود العساكر نزل الامير  
سيف الدين قلاون اللفي قريب القليعات وسير في الليل بعض المقدمين ليقرب من  
يخرج من الفرنج فوجد خمسين نفرا متوجهين من صافيتا الى حصن الاكراد افجسه  
وجرحه • فأخذ الجميع وقتلوا • واحضرت رؤوسهم وخرج جماعة من الداوية للغارة

على الذين يحشون لذييل العساكر . وكان الأمير سيف الدين قد احتجز ورتب مع الغلمان جماعة من اخناد العسكر . فلما خرج الديوية على الغلمان خرج عليهم العسكر وقتل بعضهم واسروا البقية الاخر . وسير صاحب - باغدا حاسوسا فقبض عليه وسجن ووصلت بخاقة الامراء المحردين الى السلطان الملك الاحمر بانهم وجدوا حيدا ورجلا من الفرنج متوحشين من صافيتا نجده الى مصر الاكراد وانهم قتلوا منهم مقدار خمسين فورا . ويذكرون وصول الفي فارر من التبرار وانهم حاولوا انهم حاد . وحين الامر سر - الدين عيسى ابن مهنا جرحين . فرسم السلطان انه من عدم له رأس من الخيل يعوض عنه رأسين من البقر ورس بتحرير جماعة لحمروحة والعساكر المحردة الى دهمته والله اعلم .

### ذكر تجريد العساكر الى بلاد الفرنج واغارتهم على صور وغيرها

لما وصل السلطان الملك الاحمر ركن الدين بيجر من السالحي بعد زيارة القدس الشريف الى حمة عكا حرد الامير عزة الدين المندقدار والامير عز الدين اوغان الركسي بجماعة من العسكر الى حمة . ووجدوا الحمال في الليل واتسوا شدة لجمعة الاوتار واغاروا ( ١٠٠ ) وعلى صور وغنموا كثير من الجمال والبقر والغنم . واسر كمندور مد - سيم ومعه نفران كانوا انحازوا الى بر فأخذوا بالامان واخذ وزير صور وجماعة من الفرنج .

وتوجه الامير سيف الدين اتامر الى حمة صيدا ورسم لسم السلطان بالحدود الى حمة صفد . وتوجه السلطان الى عكا . وجرد السلطان الامير بدر الدين الايدمرى والامير بدر الدين بيسر الى حمة التمر . وتحرد الامير بدر الدين الحمصى السوي جبل عامله فأغارت العساكر من كل حمة وحاصر الامراء القرن واخذت قلعة قريب عكسا وتوالت المكاسب حتى لم يوجد الابقار والجواميع من يشتريها . وسمت الفارة بسلاط الفرنج من حدود داربلس الى زيبارسوف . العسكر المتوجه الى داربلس في تلك الحمة والعسكر المتوجه الى صور في حمة والسلطان في حمة عكا والامير ناصر الدين القيمري

في عثليث • ووصل كتاب من مقدم الاستاربعا الى الاتابك بانه يسعى في الصلح وفيه تعريض بما يصل اليهم من عمائر طرابلس وبلد الارمن فكتب اليهم في الجواب بما يجب من تهديدهم وتخويفهم • ثم ان السلطان اهتم بأمر صفد وقصدها كما سنذكره ان شاء الله تعالى •

ذكر بعض خبر صفد ومسير العساكر والسلطان الملك الظاهر

اليها ومحاصرتها •

كانت صفد اولاً تلاً • وكان على التل قرية عامرة تحت برج البتيم • وما زالت في ايدي المسلمين الى ان استولوا عليها الفرنج فيما استولوا عليه من البلاد الشاميه فبنوها الفرنج الداوية في سنة خمس وتسعين واربعماية ولم تذكر في شيء من الكتب الموضوعة في التاريخ في صدر الاسلام (١٠٠ ق) وهي قلعة حصينة على جبل تحف به جبال واودية فتحها السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شادي بن مروان بعد حصار شديد بالامان في رابع عشر شوال سنة اربع وثمانين وخسمماية • واقطعها وطبرية للامير سعد الدين مبارك بن عميرك • ولم يزل في يده الى ان توفي في سنة ثمان وستماية فانقلت الى ولده فتح الدين احمد فانضم الى خدمة الملك المعظم عيسى صاحب دمشق فقايسه بصفد وطبرية • ثم ان الملك المعظم اعطى احمد المذكور صفد خاصة خارجا عن طبرية فبقيت في يده الى سنة ست عشرة وستماية • ثم اخذها منه وخربها واخرب القدس الشريف خوفا عليهما من الفرنج وذلك في سنة سبع عشرة وستماية • وبقيت صفد خرابا وبلادها في يد من يملك دمشق لايهتم ببنائها ملك الى ان اعطاها الملك الصالح عماد الدين اسماعيل المتغلب على دمشق للفرنج فيما اعطاهم من البلاد ليعينوه على محاربة الملك الصالح نجم الدين ايوب صاحب الديار المصرية •

فلما ملكوها الفرنج استدعوا اسرى من المسلمين الذين كانوا في بلاد الفرنج ليعمروا

صفد . وكانوا ألف نفس والفرنج دون المائتين فاجتمع الاسرى وعزموا واتفقوا على اللوثوب بالفرنج ثم انهم فكروا ان لابد لهم من ملجأ يلجأون ( ١ ) اليه ويعتمدون في الذب عنهم عليه فكتبوا الى الامير سيف الدين علي بن قليج النورى وهو اذ ذاك في قلعة عجلون من قبل الملك الناصر داود صاحب الكرك ليكتب اليه في ان يأمرهم بالوثوب على الفرنج ويبعث اليهم من يتسلم الحصن . فبعث الامير سيف الدين الى الملك الناصر داود الكتاب . فلما وقف عليه سيره الى الملك الصالح عماد الدين اسماعيل صاحب دمشق ( ١٠١٠هـ ) فأرسله الى الفرنج الداوية . فلما اطلعوا عليه اخذوا الاسرى ودخلوا بهم عكا فذبحوهم عن آخرهم فلا جزاء الله خيرا ولا اعظم له اجرا على ما فعله من هذه السيئة العظيمة التي لم يرقم في الصحايف مثلها وعليه وزرها ثم عمروا الفرنج صفد بمساعدة الصالح المذكور لهم . ولم تنزل في ايديهم وهي غصة في حلق الشام والشجا في صدر الاسلام الى ان اهتم السلطان الملك الظاهر بقصدها في هذا العام .

وكان السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس رحمه الله تعالى قد حضره الى عكا قد رسم للامير علاء الدين ايدكين الشهابي احد امراء الشام ولجماعة من العسكر المنصور بأن يتوجهوا الى بلاد الفرنج ولم يعلمهم الى اين . ثم سير كتابا وامره ان لا يقرأه الا اذا ركب هو والعساكر متوجهين . وكان مضمونه انه يتوجه الى صفد ويتوجه الامير فخر الدين الفايزي الى الشقيف . فسار كل منهما الى جهته واحاط الامير علاء الدين بصفد احاطة حافظ لا مقاتل . ثم جرد السلطان الامير بدر الدين البندقدار فأتاه والامير عز الدين اوغان فنزلوا عليها واشتدت مضايقتها . واقام السلطان على عكا حتى حضرت العساكر المغيرة على صور وغيرها المقدم ذكرهم . وعمل عدة مجانيق وفرقها على الامراء ليحملوها ثم رحل السلطان والعساكر لابسة وساق الى قريب من باب عكا

ووقف على تل الفضول ثم رحل الى عين جالوت . وكان الامير سيف الدين الزينبي قد توجه لاحضار المجانيق من دمشق فاجتهد في احضارها واهتم بها الامير جمال الدين (١٠١ق) النجيبى . وحملت على الرقاب . وسار السلطان الى ان نزل على صفد يوم الاثنين ثامن شهر رمضان المعظم من هذه السنة المذكورة وحاصرها . وفي اثناء حصار صفد حضر رسول مملك صور الى خدمة السلطان فانكر السلطان عليه لانه كان سير اليه يقول له ان اردت امانى فأخرج عنك اعدائى من الفرنج فان اليمين متضمنه ان تكون عدو وعدوى . وسبب اعانتهم الفرنج على الاغارة على بانيامر وقتل شخص من الرعية . وان هذه الاسباب موجه نقض العهد . وان رسولكم كان حضر الى عندى في تقرير قواعد الجنوية . وانهم يحضرون في البطش الكبار يقاتلون عكا في البحر وانا وعساكرى في البر وان مملك صور يكون هو والجنوية في البحر على اهل عكا . فحضرت وما حضر احد منهم . فعرف صاحبك ان نقض العهد كان من جهته . وانفصل الرسول على ذلك .

ووصل ايضا رسل العداوية (١) فقال لهم السلطان : بلغني انه لما اغارت العساكر الاسلاميه على بلاد طرابلس حميت مواشى الفرنج واستودعتم اموالهم . وكتبكم كانت ترد الي بالشكوى من مجاورة الفرنج وتقولون ما نعطيهم القسطيعة الا لان عساكر السلطان بعيدة والا لو قربت العساكر منا رويننا سكاكيننا من دمائهم . فلما وصلت عساكرى الى بلادكم لدفع الضيم عنكم خسفتم وجوهكم معهم باستبداع مواشيهم وليس لهم عسكر تنجد الاسلام . وطلب منهم ارسال نجدة او مال يستخدم به عسكرا او حمل القطيعة التي كانوا يحملونها الى الفرنج . ولعبد مؤمن خير من مشرك .



(١٠٢و) ولما توجه رسولهم بهذا الجواب حضر احدثهم وهو صاحب جمال الدين . وما سمع قط انه حضر بنفسه فأكرم وشاهد احوال العساكر . واحضر هدية لطيفه فانكر عليه بسببها . فسأل الاتاك في استعطف السلطان وزاد الهدايا شيئا كثيرا والتم بحمل جملة من المال وتوجه لاحضاره .

ورد رسول صاحب بيروت بتقادم فقال له السلطان ان صاحبكم الذي كان متثقا معنا قد هلك وانكر عليهم تعرض كرساليتهم في البحر لمركب الاتاك وغدروا بأهله واخذوه . وانفصل على هذه والحالة ولم يحصل الرضى عن ملكه .

ورد رسل يافا فانكر السلطان عليهم كونهم نصبوا المجانيق على قلعة يافا مع انهم صلح .

ووصل رسل صهيون فانكر السلطان عليهم كون صاحبهم ما حضر بنفسه واحضر نجدة .

واتفق السلطان في العساكر المنصورة .

وكان السلطان يياشر (١) الحصار والزيارات تتعداه (٢) . واتفق ان الناس تناوشوا القتال . فساق الامير عز الدين خاص ترك الظاهري فوصل الطعن فتقدم الحجارون واخذوا في الثقب ورمى الزراقون قوارير النفط في الباب فأحترق . وانعم السلطان على خاص ترك الظاهري بعشرة الاف درهم وفرس قيمته نفيسه وجوشن وخلعه .

---

(١) في الاصل بغير نقط

(٢) في الاصل بغير نقط .

وفى حادى وعشرين شهر رمضان الشهر المذكور وصلت المجانيق واهتم بها السلطان وسير الامير عز الدين امير جندار للقائها وعجزت عنها الجمال . فجهز السلطان الامراء والجند وسائر الناس لحملها على الرقاب من جسر يعقوب وهو مرحلة من صفد . وخرج السلطان بنفسه وخواصه وجرا خشاب المجانيق من البقر . قال (١٠٢ق) القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سير الملك الظاهر : حكى لي الملك المجاهد صاحب الجزيرة قال : جررت مع السلطان حتى نعبت ورحلت استرحت ثم حضرت وجررت زمانا ثم رحت مرارا والسلطان على حاله ما استراح . واستمر عمله في نقل الاخشاب بنفسه وحاشيته وغلما ان البيوت والاسطبلات قرمت في سادس عشرين شهر رمضان . وكان لمقدم الفرنج بيت داخل صفد واعطي السلطان اميره فطلع بنفسه الى اعلى المنجنيق المعرى حتى شاهده وامر المنجنيقيه برمييه فرمى ولازم الركوب والوقوف تحت المجانيق . وصار يخلع ويعطى ويحضر اليه بالاسرى الفرنج من جهة عكا وصور فينعم على من يحضرهم .

ووصلت العساكر المصرية والشامية التي كانت في بلاد طرابلس . ولما تكامل عيورهم نزل كل امير في منزله . وحضر الامراء فقبلوا الارض والسلطان لازم قوسه ومكانه لم يتغير منه . وخرج الامير بدر الدين الايدمرى ليرى هلال شوال فوقع في رأسه حجر . فرسم السلطان بأن لا يجتمع احد لسلام العيد ولا يتزحزح من مكانه خشيه من انتهاز العدو وغره من العسكر . ورمى المنجنيق المعرى فسي هذا اليوم فأثر اثارا حسنة ونودى في العسكر من جلب خمر او شر بها شفق .

وفي ثاني شوال من هذه السنة حصل الاهتمام بالزحف . وقرر السلطان ذلك مع الملك المنصور صاحب حماه والامراء الاكابر فتحالل الناس واجتهدوا . وكان قد عمل من التفتظ اشياء من السهام المطيه والرمح ففرق ذلك على الزرايين

ووعد الحجارون انه من اخذ اول حجر كان له مائة دينار وكذلك الثاني والثالث الى العشرة (١٠٣ و) وامر حاشيته بان يلازموا مواضع قتالهم ولا يشتغلوا بخدمته وشرع الناس في امر الزحف من العشا . وكان وصل جماعة من الصلحا للغزاة ووصل الشيخ الصالح قاضي قضاة الحنابلة بدمشق فحركت الطبلخاناه السلطانية نصف الليل . وركب السلطان وهجم خندق الباشورة فقاتل الفرنج قتالا شديدا وابتلى المؤمنون بلا شديدا واستشهد جماعة من المجاهدين وصار الانسان يرى رفيقه يقتل فيجره ويقف مكانه . وتكاثر الثقب ودخل النقبون اليها . واعطاهم السلطان ثلاثماية دينار وصار كل من عمل شيئا جزاء عنه لوقته بخلع تفرق واموال تبدل وهو يشارك الناس فيما هم فيه من قتال ودخول ثقب وزحف ونصب خيمة قريب صناعته . وجعل فيها حكما وجراحيه واحضر اليها المجرحين من الغربا والحجارين واطلق الاشربة والمأكول للجند .

وفي ثامن شوال الشهر المذكور خاسفت الفرنج المسلمين في الثقب فوق خسفهم فوق خسف الامير سيف الدين قلاون الالفي فقاتلوهم بالايدي وعمل بعد ذلك جسر على باب القلعة يتوصل منه اليها .

وفي حادي عشر شوال المذكور ركب السلطان ووقف عند المجانيق ثم ساق بمفرده ونزل عن فرسه واخذ ترسا ودخل الى الثقب وشاهدها .

وفي ليلة رابع عشره زحف المسلمون اشد زحفا وساء السلطان الى قريب الباب فارتفعت اصوات المسلمين يسألونه ان لا يفر بنفسه . فرأى الثقب وعاد . ولم تنزل الحرب قايمة والسلطان في وسط هذه الامور . وفي وقت القايله رأى الناس قد تعبوا من القتال وتفرق بعضهم فأمر خواصه بالسوق الى الصاوين واقامة (١٠٣ ق) الامرا والجند فيها بالدبابيس وقال : المسلمون على هذه الصورة وانتم تستريحون فأقيموا

جميعهم ورسم بقبض الامراء وكانوا نيفا واربعين اميرا فقبض عليهم وقيدوا \* واحضروا الى  
الزرد خاناه ثم بعد ذلك وقعت الشافعة فيهم وامرهم بملازمة مواضعهم \* ووسعت  
النقوب وشرطت الاسوار فجبن الفرنج وحرقوا الستائر التي كانت على الباشورة ليجموها  
من التسليق \* فما افادهم ذلك \* ولما شاهد السلطان ذلك امر بضرب الطبل خاناه  
وهي خمسة وعشرون حملا فقام كل واحد الى جهته ف ضرب المسلمون سكك الخيل  
في سفح الباشورة فما اصبح الصبح الا والسناجق على اسوار الباشورة من كل جهة  
واندفع الفرنج الى القلعه وسلموا الباشورة \* هذا في يوم الثلاثاء نصف شوال الشهر  
المذكور \* وفي هذا اليوم اخذت الثقوب في برج البيتيم وغيره من ابراج القلعه وفي  
هذه الايام استشهد الشيخ الصالح نبهان وهو يجدد الوضوء في خيمة الامير  
بدر الدين الخزندار \* وكان ماسنذكره ان شاء الله تعالى \*

### ذكر تسليم الفرنج صفد وخروجهم بغير امان وقتلهم

لما انقطعت الاسباب بالفرنج بصفد سيروا الى السلطان الملك الظاهر  
رسلهم في طلب الامان \* فاشتروا عليهم ان لا يستصحبون سلاحا ولا لامة حرب ولا شيئا من  
الفضيات ولا يردون شيئا من ذخائر القلعة بنار ولا هدم \* فتوجهوا وصار السلطان يعمل  
الحيلة ويعطي بعضهم الامانات من المراي ويسير المناديل ويقرر مع جماعة منهم انهم  
يفتحون الابواب \* فتسامع الفرنج وحصل منهم الخلف (١٠٤و) وحضر خمسة عشر نفرا  
من القلعة مقفرين في وقت واحد \* فخلع السلطان عليهم \* وقالوا لاصحابهم ما حصل  
لهم من الخير \* وثودى في المعسكر بأن لا يرموا احدا من الفرنج النصارى والمستعربة  
غير الديوية \* فامسك الفرنج من تلك الساعة عن القتال وردوا الامان وقالوا ما ندخل  
في شرط \* ورمى الرسل الخلع والمال المنعم به عليهم من الاسوار \* ثم انهم لما

ايقنوا بالهلاك سيروا رسلهم ثاني مرة في يوم الجمعة ثامن عشر شوال الشهر المذكور يطلبون ماكانوا طلبوه اولا . فامنع السلطان عليهم . فأخذ الاتابك منديل مقدم الجمداريه وهو الامير جمال الدين اقوش القلجي واعطاء لهم على انهم لا يخرجون شيئا مما ذكرناه . فتوجه الرسل . وبعد صلاة الجمعة صاح اهل القلعة .  
يا مسلمين الامان . وكان في ذلك الوقت قد خطب خطيب دمشق ودعى عقيب  
خطبه الجمعة للمجاهدين ودعى الناس وكشفت الرؤوس وخشعت الاصوات فاستجاب  
الله تعالى منهم . وكان صباح الفرنج يطلب الامان في تلك الساعة وما بقي احد  
يقاتل .

فلما كان وقت العصر فتحت الابواب وطلعت السناجق . وكانت ساعة مشهودة .  
ووقف السلطان راكبا على باب صند . ونزل الفرنج اولا فأولا وصاروا جميعهم بين يديه  
واخرجوا معهم الاسلحة والفضيات واخفوها في قماشهم . وتحذثوا على جماعة من اسرا  
المسلمين واخذوهم على انهم نصارى . وكذلك صفار المسلمين المأسورين عندهم .  
فما اخفى الله عز وجل ذلك بل اظهره بأن السلطان رسم بتفتيشهم . فوجد معهم  
ما ذكرناه مما ينقض الامان لو كان حقيقه ( ١٠٤ ق ) فكيف وما كان اعطاهم السلطان  
امانا معتبرا فأخذت منهم العدد وانزلوا عن خيولهم لكونهم ماوقوا بالشرط وجعلوا  
في خيمة محوطين وتسلم المسلمون صند .

وولي السلطان في القلعة الامير مجد الدين الطوري وجعل فيها نائب  
الامير عز الدين العلائي ومقدم العسكر الامير علاء الدين ايدغدي السلاح دار .  
واصبح السلطان جالسا . وحضر الى خدمته الامراء والمقدمون من عسكر مصر والشام .  
فشكر اجتهادهم وذكر رضاه عنهم وقال : ربما عتبت على احد منكم وجري مني انكارا  
وتأديب . وما قصدت بذلك الا حثكم على هذا الفتح العظيم . ومن هذا الوقت

نتحالف . ثم ان السلطان اخبر الامراء ان اسرى صفد خرجوا بغير امان معتبر . وما كان استقر من خروجهم بغير عدة ونقضهم لذلك . وانهم ماكلفوا السلطان يمينا وامرهم بضرب رقابهم . فركبوا واحضرت خيالة الديوية والاستنار وجميع من اخرج من صفد من الفرنج فضربت رقابهم على تل قريب صفد في مكان كانوا يضربون فيه رقاب المسلمين . ولم يسلم منهم غير نفرين احدهما الرسول بحكم ان السلطان كان شرب قمزا في النقب وخرج اليه هذا الرسول فسقاه منه فعفى السلطان عنه وخيره في التوجه الى قومه . فاختر المقام في خدمة السلطان واسلم على يده واحسن اليه واعطاه اقطاعا وقربه منه واستمر في الخدمة . واما النفر الاخر فأن الاتابك شفع فيه ليخبر الفرنج بما جرى وهو من بيت الاستنار . وكان خرج رسولا فعفى السلطان عنه وفي ذلك مكيدة . فأن هذا الاستناري لما وصل الى عكا استخفى ( ١٠٥ او ) عند الاستنار فطلبه الديوية الذين كانوا اصحاب صفد وقالوا هذا لما خرج رسولا هو وافريرليون ما حلفوا السلطان وعملوا على الفرنج وكادت تقوم بينهم فتنة بسببه . واراد الله عز وجل ان هذا الاستناري جرح في غارة بعد ذلك فقتل بيد العساكر الاسلاميه وابى الله ان يجعل له الى الحياة سبيلا او انه يفر من السيوف الاسلاميه . وانما متعه متاعا قليلا . وكان الاتابك قد سير مع هذا الاستناري كتابا فيه توبيخ لمقدم بيت الاستنار ومن جملته : انا اقول لك هذا السلطان سعيد وانت تغالط وكتبت الى نويه ارسوف ماتبالي بالعسكر . وكذلك قلت عن صفد وقد ظهر لك صدق حديثي هذا ما كان ( ١ ) من هؤلاء .

واما ما كان من الملك الظاهر فانه لما قتل الفرنج كما قدمنا شرحه دخل

قلعة صفد وفرق على الامراء من العدد الفرنجية والجواري والممالك ونقلت اليها

الزرد خاناه التي كانت صحبته وصار يحمل فردة حمل الشاب على كتفه الى داخل القلعه فتشبه الناس به فنقلت الزرد خاناه والمنجنيقات اليها في اسرع وقت وطلب لها الرجال من دمشق وتقررت نفقه رجالها في الشهر ثمانين الف درهم واستخدم على جميع بلادها الامراء وعمل بها جامع في القلعه وجامع في الرضف . ووقف على الشيخ على المجنون نصف ربيع الحباب (١) والربع منها على الشيخ ايام ووقف على قبر خالد بن الوليد قرية منها وركب لعيادة الامير جمال الدين ايدغدي العزيزي وغيره .

وفي سابع عشرين شوال المذكور رحل السلطان من صفد متوجها الى دمشق فثقل بالجسور وامر بأن العساكر لا تدخل دمشق بل تبقى على حالها لتتوجه الى سيس (١٠٥ق) ودخل دمشق جريدة ورسم فتوجه الملك المنصور صاحب حماه مقدما على العساكر الى سيس ووصاه بما يعتمد به وجهزه .

وفي ثالث ذى القعدة من هذه السنة توفي كرمون آغا وفي ثامنه انعم السلطان على امراء دمشق وقضاتها وارباب المناصب بالتشريف . ولما استقر السلطان بدمشق نظر في امر جامعها ومنع من مبيت الفقراء به . وازال صناديقهم التي كانت ضيقت الجامع ووسعه للمصلين . قال الله تعالى في بيوت اذن الله ان يرفع ويذكر فيها اسمه . قال العلماء تغلق فلا تفتح الا اوقات الصلوات .

وفي عاشر ذى القعدة الشهر المذكور جلس الاتابك مع الامير جمال الدين لكشف ظلمات الناس والتوقيع على القصص بدار السعاده . وتوجه السلطان الى عدرا وضمير متصيذا وما احضر احد صيدا الا اخلع عليه السلطان حتى الغلمان والسوقيه وفرغت الخلع فأطلق السلطان لهم دراهم .

وفي ذى القعدة الشهر المذكور جمع السلطان اهل البلاد وطلع الجبل الذي عند جرود وصحبته الامراء وكان يوما شديدا حروا شتد العطش فكاد الناس يهلكون فدلهم شخص من الجبلية على عين ماء جارية لكنها يسيرة النبع فوق السلطان عندها وصار يسقي الناس بيده . وهذه كرامة وما احقه بقول الشاعر :

والله لولا الخوف منه مهابة امر يزار .

ثم ضرب السلطان حلقات صيد فعمل القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك الظاهر :

يا ايها الملك الذي	فيه العقول غدت تحار
يا من اليه يفعل ما	يرضى الاله غدا يسار
بالله قل لي هل دم	يجريه سيفك ام يحار (١٠٦ و)
وهل الخيول لها مسير	تحت مرجك ام مطار
ان السيوف تركتها	لا يستقر لها قرار
عودتها شفق الدماء	فما لها عنها اضطبار
لم يبق في الدنيا فرنج	لا ولا بقيت تثار
فالوحش عن مهج العدى	لما تغانت يستعمار
واظنها بك سوف تقفر	من سوانحها القفار
ان الدماء من العدى	والوحش افناها العرار
فاسلم ودم في نعمه	ومعز بالك يستجار

وفي شهر رمضان من هذه السنة وصل الى دمشق رجل ادعى انه ولد

الامام المستعصم بالله المسمى المبارك الذي كان عندها لون ملك التتار وصحبته جماعة من امراء العربان فرسم الامير جمال الدين النجيبى نايب الشام بانزاله في اعز مكان . ولما وصل السلطان الملك الظاهر الى دمشق سبر اليه جلال الدين ابن الدوادار والطواشي مختار فمعرفة وظهر انه بخلاف ما اظهر فسيروا الى مصر محتفظا به .



وفي ذى القعدة من هذه السنة وصل شخص آخر اسود ادعى انه من اولاد

الخلافة فسير الى مصر والله اعلم .

ذكر خبر هونين وتبنين من ابتدائهما الى ان استولى

عليهما الملك الظاهر .

هما حصنان منيعان بناهما الفرنج بعد الخمماية من الهجرة . وهما بين  
حصن عوف وبين بانياس وصور . فتحهما الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم  
الدين ايوب بن شاذى بن مروان وانعم بهما على مجد الدين احمد اخي (١٠٦ و)  
فخر الدين جرکس ثم استعادهما منه وانعم بهما على الامير فخر الدين اياس جرکس .  
فولى عليهما مملوكا له يقال له صارم الدين قايماز الى ان تسلمهما الملك المعظم عيسى  
صاحب دمشق في سنة سبع عشرة وستماية واخرجهما واقطعهما لاخيه الملك المغيث  
محمود واستمرت في يده الى ان توفي وملكهما ولده الى ان توفي في ايام الملك  
الاشرف صاحب دمشق فصار اليه وبقي في يده الى ان توفي . فصارا الى الملك  
الصالح عماد الدين اسماعيل صاحب دمشق فاعطاهما للفرنج مع ما اعطاهم من الحصون  
ولم يزالا بأيديهم الى ان تسلمهما الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي في شوال  
المبارك سنة اربع وستين هذه السنة ولم يبق لقلعهما اثر غير البلاد .

ذكر بعض خبر الرملة من ابتدائها الى ان استولى عليها الملك الظاهر .

اصل فلسطين فلسطين بعد الفاء واللام سين مهمة ثم نا مشاة من فوقها ثم  
يا مشاة من تحتها ثم نون وهي مشتقة من اسما ملوكها الفلسطينيين في زمن اسحق بن  
ابراهيم الخليل عليهما وعلى سيدنا وتبيننا محمد رسول الله افضل الصلوة والسلام .  
ذكر ذلك المسيحي وقال هشام بن محمد الكلبي : سميت فلسطين بفلسطين بطا مهمة  
بدل التاء بن كلسوح من بني يافث بن نوح (١٠٠٠) فلسطين بن صدقيا بن عيقا

ابن حام بن نوح عليه وعلى سيدنا ونبينا محمد رسول الله افضل الصلاة والسلام . وكانت قصبته اولاً لد ولم يزل على هذا الشأن الى ان ولي امير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان الاموي اخاه سليمان جند فلسطين فنزل لد ثم اخذت مدينة الرملة ومصرها واختط مسجدها (١٠٧ و) وكأني في موضعها رمله قبقي على المدينة اسمها وصارت القصبه وخربت لد ولم تزل الرملة بل مصرت عامرة الاسواق دارة الارزاق . ينتابها السفار ويحط بها التجار الى ان جاءها زلزلة في العاشر من جمادى الاول سنة ستين واربعماية هدمت دورها وشقت سورها وعفت الاثار واطلعت الماء من الابار واشتقت منها صخرة بيت المقدس والتأمت . فانتقل اكثر اهل الرملة بعد الى ايليا فعمروها ومروها . ولم تزل الرملة تنتقل في ايدي الولاة ينتقل الجند منذ فتحت الى ان صارت في ايدي العبيديين ولم تزل في ايديهم الى ان خرج مفرج بن الجراح على العزيز العبيدي وخلع طاعته في سنة احدى وسبعين وثلاثماية للهجرة وتغلب على فلسطين وبلاده وبقيت في يده الى ان خرج اليه من مصر يلتكين (١) التركي فأخرجه من الرملة . ولم تزل بعد في ايدي العبيديين الى ان ملكها اتسر التركي في سنة ثلاث وستين واربعماية فخرج اليه نصير الدولة بعسكر من مصر فاستعادها وقصد دمشق محاصراً لها فحاصره فيها فاستنجد اتسر بتاج الدولة صاحب حلب حينئذ فسار اليه . فلما بلغ نصير الدولة مسيره رحل عن دمشق وذلك في سنة احدى وسبعين واربعماية ثم ان تاج الدولة قتل اتسر ملك دمشق والرملة فخرج عسكر من مصر فاستعاد الرملة فسي سنة اثنتين وثمانين واربعماية ثم اخذوها الفرنج في سنة احدى وتسعين واربعماية وبقيت في ايديهم ثم ملكها وملك معها لد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين ايوب بن شادي بن مروان في سنة ثلاث وثمانين وخمسماية للهجرة (١٠٧ ق) ولم تزل في يده الى ان وقعت الهدنة بينه وبين الفرنج في سنة ثمان وثمانين وخمسماية .

(١) في الاصل بدون نقط . وتجاوز ايضا يلتكين . زامباور . الترجمة العربية ج ١ ص ٤٤٤ .

فنزّل لهم عن بلاد وجعل لد والرمله بينه وبينهم مناصفة ولم تنزل على ذلك أيام العزيز والافضل والعاقل والكامل الى ان ولي ولده الملك العادل فنقضوا هذه المناصفة وتغلبوا عليهما ومقتنا في ايديهم الى ان فتحهما الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالح في سنة اربع وستين وستمائة هذه السنة فعمر الرمله وصير لها عملا وولى فيها والله اعلم .

ذكر ماجرى للامير احمد بن حجي وولده مع خصومهما بأمر السلطان

مما يدل على عدله .

بلغ الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالح ان الامير احمد بن حجي وهو اكبر عربان ال مرة . قال القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك الظاهر : وسمعتة يقول انه من نسل البرامكة من اخت الرشيد . وادعى انها كانت زوجة يحيى بكتاب . وانه رزق منها اولادا . فلما جرى هربتهم الى البادية فأخذهم جده وهذا فيه نظر " والذي ذكره بعض اهل التاريخ ان جعفر بن يحيى هو الذي تزوج اخت الرشيد والله اعلم اي ذلك .

اعتمد (١) امورا لاترضى منها انه خصى بعض التجار وانه نزل على عرادة البلوى فقتله وقتل ولده سليمان ولد اخيه . وطولع السلطان بذلك فأجاب بان هؤلاء في الحجاز يفتصلون وقصد بذلك تطمين الامير احمد بن حجي فأطمأن وكتب السلطان وهو في حصار صفد الى النجيبى نائب السلطنة بدمشق يأمره بالقبض على الامير سليمان بن الامير احمد بن حجي فقبض عليه ووقعت الحوطة على اقطاع الامير احمد . فحضر الى الباب الشريف فأمر بتسليمه لغريمه الذى خصاه فراضاه على ثمانية الاف درهم . وكان السلطان في حصار صفد كما قدمنا شرحه . ولما حضر السلطان الى دمشق وصل وكيل ولد عرادة ووكيل ولد عمه فأعتقل الامير احمد وسلم (١٠٨ و) للوكيل ليقتصر منه

---

(١) لعل المقصود ان الامير احمد . هو الذى اعتمد امورا لاترضى .

بمقتضى الشرع ونصبت له خشبه على باب دمشق فذكر بسالف خدمة ويكى الاتابك والناس  
فاشتراه السلطان بالف دينار من مال السلطان . ثم ادعى على ولد احمد بقتل ولد اخي  
عراده ففدى نفسه بالف دينار وتسلم الوكيل المال وهذه معدلقميله وبعد ذلك  
احسن السلطان الى الامير احمد والى ولده وافرخ عن اقطاعه .

وفي هذه الايام ابطال الملك الظاهر ضمان الحشيشه ابتغاء ثواب الله تعالى .  
وامر بتأديب اكلها . وامر ببناء مكان بجبل المزه للشيخ خضرو توجه الى الشيخ  
خضرو زاره وشاهد المقاسم التي عمرت في دولته وهي احسن مما عمر في زمن الروم .  
وحضر الى الباب الشريف رسول الاسبتار وسال استقرار الصلح على بلادهم  
من جهة حمص وبلاد الدعوة فقال السلطان : ما اجيكم الى هذا الا بشرط ابطال  
مالك من القطايع على مملكه حماه وهي اربعة الاف دينار ومالك من القطيعه على بلاد  
بوقبيس وهي ثمان مائة دينار ، وقطيعتكم على بلاد الدعوة وهي الف ومائتا دينار ومائة  
مدى حنطه وشعير نصفين . فأجابوا الى ابطال ذلك جميعه وكتب الهدنة وشرط  
فيها الفسخ للسلطان متى اراد ويعلمهم قبل بمدة .

وكان السلطان قد احسن الى الجبلية مدة اقامته بالساحل بالخلع والمناشير  
فصاروا يأخذون الفرنج من كل جهة في مدة اقامة السلطان بالساحل .

وفي نصف شهر رمضان ورد كتاب الامير جمال الدين النجيبى نايب الشام الى  
السلطان متضمنا ورود كتاب الجاكي والي بعليك بأن مقدمي بلد جبيل جمعوا  
وجاسوا بلاد جبيل ووصلوا الى حصن على نهر ابراهيم .